الجزء ٧ — المجلد ٩

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) تموز : سنة ١٩٢٩ م — الموافق المحرم وصفر سنة ١٣٤٨ هـ

تصحيح نهاية الارب

اغلاط الجزء السابع

كنا تتبعنا الأجزاء الستة من هذا السفر النفيس الذي تصدره مطبعة دار الكتب المصرية فنشرنا أغلاطها في مجلد السنة السادسة (ص ٣٨ — ٤٩ — ١١٤ — ١٥٢ — ٢٠١ — ٢٥٧ — ٢٩٤ — ٤٠٦) ومجلد السنة السابعة (ص٣٩٦) ثم تأخر صدور الجزء السابع نحو ثلاث سنين حتى جاءنا أمس فاذا هو في حلة من التصحيح والتعليق لم نأنس مثلها في الأجزاء الاولى مع فرط عناية بمقابلة النسخة على نسخ أخرى واستخراج زبدة خالصة ترتاح لها النفس ويطمئن اليها القلب · ومع هذا كله فقد عثرنا في هذا الجزء السابع على طائفة من الأغلاط رأينا من الفائدة نشرها في مجلتنا تتميماً لعملنا السابق وخدمة لهذا الكتاب النفيس ومشايعة لمصححه الفاضل على حسن سعيه · فيكون لنا فضلة ما يستحقه من الثواب · كما يكون له منا ومن القراء كل شكر وثناء وإعجاب ·

فمن الأغلاط التي عثرنا عليها في هذا الجزء وأمكننا التفطن لصوابها ما جاء في :

صفحة ٣ سطر ٥ (أتى صلى الله عليه وسلم بما أعجز البلغاء · وأخرس الفصحاء · وفلّ حدّ المؤرخين) صوابه (المعارضين) والا فإنه لم يكن في بلاد العرب في زمنه صلى الله عليه وسلم طائفة من علماء التاريخ يكسر شوكة علمهم · وانما هم معارضون يفلّ حدّ معارضتهم ·

ص١٢ س١ — (وقال أزدشير بن بابك) صوابه (أردشير) بالراء المهملة وهو

من الأغلاط التي عمت بها البلوى . على ان (أردشير) كتب على الصحة في الصفحة ٢٧٣ من الكتاب .

ص١٩ س٦ — (نوصف نفسه تعالى جدّه بانـ علّم بالقلم . كما وصف به نفسه بالكرم) كلمة (به) مقحمة والصواب إسقاطها .

ص١٩ س٦ — (واعتدّ بذلك من نعمه العظام) صوابه (ذلك) لان اعتدّ هنا بمعنى عدّ وهو يتعدى بنفسه .

ص١٩ س١١ — (فلينعم ربّها وإصلاحها) قوله (ربّها) اي ربّ الدواة ولعل الأصوب (ريّها) من الريّ : اي ان على الكاتب ان يعتني بتروية دواته بالحبر ويتعهدها بسائر ضروب الاصلاح .

ص ٢٠ س١٥ — (وتركُ الشكل على الخطأ) ضُبط (تركُ) بالرفع والصواب جره عطفاً على (الكسوف) ليكون مما يتحرز منه الكاتب لا مما يحتاج اليه .

ص٢٤ س١ — قال في صفة أقلام (شاكلت الذهب في ألوانها . وضاهت الحرير في لمعانها . بطيئة الحفا . نمرةُ القوى) صوابه (مُمَرّةَ القوى) اسم مفعول من أمرّ الحبل فتله فتلاً شديداً . والممرّ الحبل المفتول كذلك . والقوى جمع قوة الطاقة من طاقات الحبل . والمراد وصف الأقلام بالقوة والصلابة واشتداد الأسر .

ص٢٥ س٢ — وقال في صفة الأقلام ايضاً (نثرت الوانا ً تزري بورد الخدود . وأبدت قامات تُفصح بأوَد القدود) صوابه تفضح أوَد القدود . اي ان استقامة هذه الاقلام تخجل وتفضح ما في قدود الحسان من الأود والاعوجاج . وبذلك يحصل التناسب بين (تزري) و (تفضح) .

ص٣٤ س١٦ — سرد المؤلف ما يحتاج اليه الكاتب من الامور . ومنها معرفته للأحكام السلطانية « فانه قديماً من باس فيعرف منها (اي من الأحكام السلطانية) كيف يخلص قلمه على حكم الشريعة المطهرة) صوابه (الى حكم) لان فعل (خلص) بمعنى (وصل) وهو يتعدى بحرف الجر (الى) اي انه بمعرفته الأحكام السلطانية يهتدي قلمه الى حكم الشريعة ولا يضلّ عنها . ومن شواهد تعدية فعل خلص بالى ما جاء في حديث البخاري من قول هرقل (فلو أعلم اني أخلص اليه لتجشمت لقاءه) و يحتمل ان يكون التحريف

في (يخلص) ويكون أصلها يحض قلمه على حكم الخ ٠

ص٣٧س٧ — (يقع فيه كالواقف بمكان غيره) لعل صوابه يقف فيه كالواقف الخ٠

ص ٤٩ س١٢ — (مع طرح ذكر المشبه من البيّن لفظاً وتقديراً) هكذا ضبطت (البيّن) بتشديد الياء فعلّق المصحح على ذلك قائلاً انه غير ظاهر ولعل صوابه « من الشيئين يريد الطرفين » ٠ اقول انما جاء الإشكال من تشديد ياء « البين » وهي غير مشددة اذ هي (بين) مخففة الياء بمعني وسط وأكثر استعمالها ظرفاً وتستعمل اسماً فتدخل عليها اللام فقوله (مع طرح ذكر المشبه من البين) اي من بين الكلام وتضاعيفه ٠ نعم قد يكون هذا الاستعمال من صنيع المولدين ٠ ويظهر انه قديم من عهد المؤلف ٠ وما زال مستعملاً في كلامنا الدارج الى اليوم ٠

ص٦١ س١٤ — (بل جعل الانطلاق والبسط الخ) صوابه (بل جعل البسط) باسقاط كلمة (الانطلاق) لان بيت الشعر الذي فيه كلمة الانطلاق وهو قوله :

(لا يألف الدرهم المضروب صرتنا   لكن يمر عليها وهو منطلق)

لم يسبق له ذكر بعدُ ٠ وانما ذكرت آية (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) فلعل البيت كان متقدماً فأخر سهواً أو ان الناسخ سبقه قلمه فكتب كلمة (الانطلاق) ٠

ص٩٧ س١٦ — (حدا بابي ام الرئال فأجفلت   نعامته من عارض متلبّب)

قال المصحح تعليقاً على كلمة (متلبّب) في الاصل متهلب وما اثبتناه عن كتاب (حسن التوسل) اذ هو المناسب لما هنا ولعل ما في الاصل مقلوب عن متلهب اي متوقد غيرة وحمية ٠ والمتلبّب المتحزم بالسلاح يريد المتهيئ للقتال اه قول المصحح ٠ اقول كان الواجب على المصحح وقد ارتضى نسخة (المتلبّب) ان يصحح كلمة (عارض) بفارس لان الفارس هو الذي يتلبّب ويتحزم بالسلاح ٠ أما وقد ابقى كلمة (عارض) على حالها — والعارض هو السحاب المعترض في الأفق — فلم يبق في إمكاننا قبول كلمة (متلبّب) وانما نعوّل على ماجاء في الاصل من كلمة (متهلب) : فتكون (متهلّب) اسم فاعل من تهلّب اي انتسب الى آل المهلب لان الممدوح بالقصيدة هو المهلب بن ابي صفرة ٠ او ان كلمة المتهلب محرفة عن (متهلل) والعارض المتهلل هو المتلألئ بلمعان البرق وانصباب المطر ٠ قال ابو كبير الهذلي يصف تأبط شراً :

(واذا نظرت الى أسرّة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل)

ويمكن معرفة حقيقة الكلمة إن كانت (متهلب) او (متهلل) بالرجوع الى القصيدة التي منها البيت فيرى ان كانت بائية او لامية ٠

ص٩٨ س١٢ — قول المتنبي :

(فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيش كلهن قلاقل)

صوابه (قلاقل عيس) بالسين المهملة وهي النياق ٠ يقول انني حركت بسبب الهم الذي حرك أحشائي قلاقل عيس اي ابلاً خفافاً في السير والضرب في البلاد ٠ والا فان (العيش) ليس له قلاقل ٠ ثم لايحسن ان يرجع ضمير (كلهن) الا لقلاقل الابل ٠ على ان الشائع على ألسنة الناس (قلاقل عيش) بالمعجمة ٠

ص ١٠٨ س ٦ — (فان زادت القرائن على اثنين) صوابه على اثنتين لان القرائن جمع قرينة ٠

ص١٢٥ س١١ — ذكر المؤلف من أنواع البديع (عتاب المرء نفسه) وقال ان هذا النوع من أفراد ابن المعتز ولم يُنشد (اي ابن المعتز) عليه سوى بيتين ذكر ان الآمدي أنشدهما عن الجاحظ ٠ هذا ماقاله المؤلف وعلق عليه المصحح قوله : « ان الذي في نسخة تحرير التحبير (الأسدي) مكان (الآمدي) قال ولم نقف فيما بين ايدينا من المظان على ما يرجح احدى الروايتين ٠ اقول ولكن الظاهر ترجيح رواية الاسدي لأن (الآمدي) مات سنة ٣٧١ هـ وكان ابن المعتز مات قبله بنحو ٧٥ سنة اي في سنة ٢٩٦هـ فكيف يروي عنه ٠

ص١٤٠ س١٥ — (هل لا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أينا)

صواب (هل لا) ان تكتب متصلة (هلاّ) لانها أداة تحضيض ٠ وهي في الاصل مركبة من (هل) و (لا) واذا دخلت على الماضي أفادت اللوم على ترك الفعل كما هنا ٠

ص١٥٩ س١٥ — (اللهم اني إسألك رحمة تهدي بها قلبي ٠ وتجمع بها امري ٠ وتلمّ بها شعثي ٠ وتصلح بها غايبي ٠ وترفع بها شاهدي) ٠ ثم قال المؤلف (فناسب صلى الله عليه وسلم بين قلبي وامري وغايبي وشاهدي الخ) ولكن اين المناسبة بين غايبي وشاهدي فصوابه اذاً (وتصلح بها غائبي ٠ وترفع بها شاهدي) وان المناسبة بين الغائب والشاهد

ظاهرة. كأنه قال أصلح برحمتك باطني وظاهري. أو سري وعلانيتي. أو ماغاب عني فلم أستطع اصلاحه كما تصلح ماشهدتُهُ ووقع تحت حواسي.

ص ١٦٤ س٩ — (وكان ابن عبيد الله قد اختلت حاله) صوابه وكان عبيد الله بدليل قوله في السطر قبله (كقول عبيدالله). ثم ان الرقم (١) ينبغي ان يوضع في السطر الذي قبله على قوله (عبيد الله بن عبد الله) .

ص١٨٦ س٨ — (وليكن ما تختم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل « نسأل الله دفع المحذور الخ » قوله (بمثل) صوابه مثل باسقاط الباء لان مثل خبر (يكن) والمعنى وليكن ختام فصولك في هذا المقام مماثلاً لهذه الجملة. وليس الموضع هنا من المواضع التي تزاد فيها الباء لان الكون غير منفي .

ص١٨٨ س٧ — (فتخير في الألفاظ ارجحها وزناً الخ) صوابه من الألفاظ وهو ظاهر .

ص١٩٣ س٨ — (وراق التوسيع فيه. وعذب بسط الكلام فيه) لعل الصواب التوسع منه و بسط الكلام فيه او التوسع فيه و بسط الكلام عليه . وبذلك يُجتنب التكرار .

ص١٩٥ س١٠ — يصف استسلام عدو (فلاذ بالالتجاء الى صلحنا. وعاذ بإسناد الرجاء الى كفِّنا عنه وحلمنا) ضُبط (إسناد) بكسر اوله مصدر (أسند) ولكننا لا نرى المعنى يستقيم عليه فلعل الصواب فتح همزة (أسناد) على انه جمع (سَنَد) وهو مايلتجئ اليه الخائف من حائط او جبل او نحوهما : فالعدو التجأ الى صلحنا فكان ذلك ملاذاً له وعاذ برجاء صفحنا عنه وحلمنا فكان ذلك الرجاء سنداً وموئلاً له . ولكن ماقلناه لايستقيم مع قوله (الى كفنا عنه) فلعل اصله (من كفنا) وتكون (من) بيانية أبانت المراد من أسناد الرجاء .

ص١٩٨ س١٥ — (استدرجناهم الى مصارعهم واستجريناهم ليقربوا في القتل من مضاجعهم) قال المصحح لعل صواب (استجريناهم) (أجريناهم) يعني من الجري بمعنى العدو والركض . اقول بل لعل الصواب ان اصله (استجررناهم) بمعنى جررناهم وهو المناسب لقوله قبله استدرجناهم .

ص١٩٩ س١٧ — (وجرّ لنفسه بموالاة النثار عنـا؟ كان عنه في غنى . وأوقع

روحه بمظافرة المغول في حومة السيوف التي تخطفت اولياءه من هنا ومن هنا) قوله (بمظافرة) لعل صوابه (بمضافرة) بالضاد مصدر ضافره اذا عاونه . أما ظافره بالظاء فلم نجده اتى بمعنى عاونه . نعم اختلف علماء اللغة في (تظافروا) بالظاء من التفاعل هل يكون بمعنى (تضافروا) بالضاد اذا تعاونوا ؟ وعليه اقول هل صحة (التظافر) تستدعي صحة (المظافرة) بمعنى المعاونة وان لم يذكروها في المعاجم . هذا فعل (التواصي) مثلاً ورد في فصيح الكلام : فهل نحمل عليه فعل (المواصاة) فنستعمله بمعنى التوصية وان لم يذكروه ؟؟ .

ص٢٠١ س٨ — ذكر المؤلف انه يجب أن يراعي في التقاليد والمناشير والتواقيع امور (منها براعة الاستهلال بذكر الرتبة او الحال او قدر النعمة اولقب صاحب التقليد) قوله (اوالحال) لعل صوابه (او المال) لان تواقيع الملوك كما تصدر بالخلع والرتب تصدر ايضاً بالمال والصلات .

ص٢٠٤ س ١١ — (وأظلتنا بوادر الفتوح . وأظلت على الاعداء سيوفنا التي هي على من كفر النعمة دعوة نوح) لعل صوابه (وأطلت على الاعداء) بالطاء المهملة لان (الإظلال) بالظاء المعجمة للرحمة والسيوف لا تظلهم برحمتها . وانما تطل عليهم بصواعق نقمتها . على أن فعل (الإظلال) انما يتعدى بنفسه لا بعلى .

ص ٢٠٥ س ١٥ — يصف العدو الذي استسلم (فأبصر بالخدمة رشده . وأدرك بسعيه تأثير سعده) قوله (بالخدمة) صوابه (بالحذق) فان الحذق هو سبب إبصاره رشده . كما ان سعيه هو سبب ادراكه سعده . اما (الخدمة) فانما تصح إرادتها على استكراه وتكلف .

ص٢١٤ س١٥ — يصف الرسالة التي يقال ان سيدنا ابابكر أرسلها الى سيدنا علي : (هي والله من بنات الحقائق . ومخبآت الصنادق) صوابه (من بنات الحقاق ومخبآت الصناديق) اما الحقائق فجمع حقيقة . وهي بمعناها العلمي قلما استعملها اهل اللسان في ذلك العهد . فصوابها اذاً (الحقاق) بكسر الحاء جمع (حُقة) بضمها وعاء من عاج اوخشب تصان به الطيوب والجواهر . والصندوق معروف وجمعه صناديق لا صنادق . وذلك لمكان الواو قبل آخر مفرده . ولم يرد (صندق) من دون واو حتى يجمع على صنادق . وما قلناه في ضبط الكلمتين : (الحقاق) و(الصناديق) هو الثابت في نسختنا المخطوطة من كتاب (محاضرة

الابرار) لابن عربي . واراد بقوله في صفة الرسالة انها من (بنات الحقاق) انها من جنس ما يحفظ في الحقاق من الجواهر. وكرائم التحف. وفي بعض نسخ هذه الرسالة (درر الحقاق) مكان (بنات الحقاق) والمعنى واحد .

ص٢١٥ س٤ — (أنبأنا ابوالنفاح) وهو مولى ابي عبيدة . قال المصحح انه كذلك في نسخة (محاضرة الأبرار) المخطوطة المحفوظة في دارالكتب المصرية قال : والذي في الأصل (ابن المتاح) . أقول وفي نسختي (محاضرة الابرار) المخطوطة ذكر اولاً باسم (ابي الشياح) ثم جاءت في نسختي المذكورة زيادة لم اجدها في غيرها من النسخ وفي هذه الزيادة قوله (وذكر مولى ابي عبيدة ابوالنفاح بالنون والفاء) هكذا ضبطه بالحرفين النون والفاء . ثم جاء في الزيادة المذكورة قوله (قال ابوحامد قال ابوالتياح) : فاسم مولى ابي عبيدة اذاً تصحف الى اربع صور (ابوالنفاح) (ابن المتاح) (ابوالشياح) (ابوالتياح) وأوثقها الصورة الاولى لما مر من ضبطها بالحرفين النون والفاء صراحةً .

ص٢١٧ س٤ — (والباطل عنوف عسوف) قال المصحح (لم نقف على هذه الصيغة فيما لدينا من الكتب) أقول وفي بعض النسخ (نسوف عصوف) فالنسوف إما من قولهم (عقبة نسوف) اذا كانت طويلة شاقة تتعب سالكها . واما من (بعير نسوف) اذا كان يقتلع النبت من أصله بمقدم فمه . و (عصوف) هي الريح الشديدة .

ص٢١٧ س٥ — (والتعريض سجال الفتنة) قال المصحح (السجال) جمع سجل وهو الدلو العظيمة . اقول ولعل الصواب ما في نسختي المخطوطة (شجار الفتنة) و (الشجار) من شجر الطبيب فم المريض اذا فتحه بواسطة عود ثم صب فيه الدواء والعود المذكور هو الشجار . وفي حديث سعد رضي الله عنه ان أمه قالت له (لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى تكفر بمحمد (ص) قال فكانوا اذا أرادوا ان يطعموها او يسقوها شجروا فاها اي ادخلوا فيه الشجار ففتحوه وصبوا فيه الطعام والشراب . ومعنى كون (التعريض شجار الفتنة) ان التورية في الكلام والتلميح به الى عيوب الخصوم وسيئات اعمالهم تثير الضغائن وتهيج الأحقاد ويكون ذلك كالشجار يفتح به فم الفتنة بعد ان كانت مطبقاً فتلتهم الأخضر واليابس .

ص٢١٨ س٧ — (ويسري فيه ظمنك) لعل الأصوب ما في النسخة الأخرى

(و يستشري فيه ضغنك) من استشرى الامر عظم وتفاقم او من استشرى الرجل في الامر لج وتمادى . و(الضغن) الحقد . ومعنى الجملة هذه يلتئم بمعاني الجمل التي قبلها وبعدها باكثر مما يلتئم معنى جملة (و يسري فيه ظعنك) .

ص٢١٨ س١٠ — (او مثلك ينقبض عليه الفضاء) لعل الأصوب ما في النسخة الأخرى (يُغصّ عليه الفضاء) من قولهم غصّ المكان بالقوم امتلأ بهم وضاق عليهم وأغصّ فلان علينا الارض اذا ضيقها .

ص٢١٩ س٩ — (ولا نبلغ مراداً الى شيء الا بعد جرع العذاب معه) الصواب إسقاط احدى الكلمتين : اما إسقاط (الى شيء) واما إسقاط (مراداً) كما في نسختي المخطوطة وعبارتها هكذا: (ولا نبلغ الى شيء الا بعد جرع الغصص معه) وكأنه ضمن (نبلغ) معنى نصل ولذا عداه بحرف الجر (الى) وقد قرن في هذه النسخة (الغصص) بالجرع وهو أشبه بكلام البلغاء : فانهم اكثر ما يقرنون (الذوق) بالعذاب فيقولون (ذاق العذاب الواناً) و(الغصص) بالجرع والتجرع . قال بعض الأذكياء . في تعريف الدهاء : هو (تجرّع الغصص . وترقّب الفرص) .

ص٢٢٠ س١ — (ولولا سنّك) الاظهر ما في نسختنا المخطوطة (ولولا حداثة سنك) .

ص ٢٢٠ س٢ — (وانهض الخير لك) لعل الاصوب ما في نسختنا المخطوطة (وأرهص الخير لك) قال في الأساس (ومن المجاز أرهص الشيء أثبته وأسسه . وأرهص الله فلاناً للخير جعله معدناً له ومأتى) فعلى المعنى الثاني يكون في عبارة الكتاب قلب و يكون الأصل (وارهصك للخير) .

ص٢٢١ س٨ — (وخصّه بعزبة وأفرده بحالة) لعل الاصوب ما في نسختنا المخطوطة (وأفرده بجلالة) اذ المقام يقتضي الافراد بالمزايا الحسنة . وكلمة (الحالة) تشمل القبيحة . و (الجلالة) بالتاء عظم القدر اما (الجلال) من دون تاء فهو التناهي في عظم القدر ورفعة الشان . ومن ثمّ استعمل المتأخرون (الجلالة) في جانب الملوك و(الجلال) في جانب المولى عزّ وجلّ .

ص٢٢٣ س٤ — (قال ابو عبيدة فلما تأهبت للنهوض قال لي عمر : كن لدى الباب هنيهة فلي معك دور من القول) اول ما خطر ببالي عند قول عمر (دور من القول)

انه شاهد لقول كتّاب هذا العصر « وانا اقول في دوري » ترجمةً للعبارة الافرنسية (A mon tour) ولا تبقى حاجة الى العدول عن كلمة (دور) الى كلمة (نوبة) · لكن خاب ظني لما رجعت الى نسختي المخطوطة فوجدت العبارة فيها هكذا (فلي معك ذَرْءٌ من القول) فعلمت اذ ذاك انها الصواب وان كلمة (دور) محرفة عن (ذرء) بالهمزة او عن (ذرو) بالواو وكلتاهما بمعنى واحد قال القاموس وشرحه (ويقال بلغني ذَرْءٌ من خبر اي شيء منه وطرف منه · والذرء ايضاً الشيء اليسير من القول : قال الشاعر :

(أتاني عن مغيرة ذَرْءُ قولٍ وعن عيسى فقلت له كذا كا)

وقالوا في مادة ذرو (بلغني عن فلان ذَرْوٌ من القول) اي طرف منه و (أخذ في ذَرْوٍ من الحديث) اي انه عرّض ولم يصرح · فلا جرم ان تكون كلمة (دور) محرفة عن كلمة (ذرو) · ومثل هذا التحريف قلما يمكن التحرز منه ·

ص٢٢٣ س٥ — (لحقني بوجه يبدي تهللاً) قوله (يبدي تهللاً) ليس من جنس كلام العرب فلعل صوابه مافي نسختي المخطوطة (يندى تهللاً) بالنون من ندي الشيء ابتل · ويستعمل مجازاً في مثل قولهم (فلان ندي الكف) اذا كان سخياً جواداً · واذا نسبت النداوة الى الوجه كان المراد بها الحياء او التهلل والبشاشة (ووجهك من ماء البشاشة يقطر) ·

ص٢٢٥ س١١ — (يمص إهابك · ويعرك اديمك) (الإهاب) الجلد ولا معنى لمصه : لاحقيقةً ولامجازاً فلعل صوابه مافي نسختي المخطوطة (يمضّ) بالضاد المعجمة من مضه او أمضّه الامر اذا أحرقه واوجعه وآلمه · ولاريب ان قولك لآخر فلان يمضّ جلدك اي يوجعه خير من قولك له (فلان يمص جلدك) ويؤيد ماذهبنا اليه قولهم (فلان أمضّه جلده فدلكه) اي شعر في جلده بحكة أو أكال فحكه وفركه ·

ص٢٢٥ س ١٤ — (فتودّ أن لو سُقيت بالكأس التي أبيتها · ورُددت الى حالتك التي استغويتها) لا معنى للاستغواء هنا ولعل صوابه ما في نسختي المخطوطة (الى حالتك التي استبرأتها) من استبرأ الشيء اذا طلبه الى النهاية ليعرفه ويقطع الشبهة عنه · فعمر يقول لعلي رضي الله عنهما : تتمنى الرجوع الى حالتك التي كنت على بينة منها ووثوق بها ·

ص٢٢٨ س١ — (ولقد سمعت أماثيلك التي لغّزت فيها الخ) · ضُبط (لغّزت)

بالتشديد وقال مصححه «كذا ورد الفعل بتشديد الغين في اساس البلاغة» اقول لكنني لم أجده جاء بالتشديد في كتب اللغة بل ان بعضها اقتصر على (ألغز) كلسان العرب وبعضها ذكر ما يفيد انه جاء ثلاثياً ايضاً وهذا كالقاموس فانه قال (اللَّغز ميلك بالشيء عن وجهه) فتفسير اللغز بالميل دليل على انه انما يفسر مصدر الثلاثي · نعم في اساس البلاغة طبعة دار الكتب المصرية (سنة ١٩٢٣م) قال: (ألغز ولغّز) وشدد الغين لكن بالشكل لا بالحرف · وعندي ان في هذا التشديد نظراً · فلعله سهو من الناسخ او الطابع ·

ص٢٢٩ س١٢ — (وفي الله سلوة عن كل حادث · وعليه التوكل في كل الحوادث) · لعل الأصوب ما في نسختي المخطوطة (وفي الله سلوة عن كل كارث الخ) وبذلك يجتنب التكرار او شبه التكرار بين (الحادث) و (الحوادث) ·

ص٢٣٣ س١١ — (حتى قاءت «اي الارض» أُكُلها معناه أخرجت خبزها) هكذا فسر الأُكُل بالخبز ولعل صوابه (الخير) وبيانه ان الأُكل بمعنى الثمرة ومنه قوله تعالى (أُكُلها دائم) و (كلتا الجنتين آتت أُكلها) ويستعمل في كلام البلغاء مجازاً بمعنى الحظ والرزق الواسع ومنه قولهم (ان فلاناً لعظيم الأُكل من الدنيا) اي هو ذو حظ ورزق واسع منها · وجملة (حتى قاءت أُكلها) من كلام السيدة عائشة في صفة عمر رضي الله عنهما تقول انه في خلافته ذلل الارض حتى قاءت اي لفظت ما فيها من الكنوز وأخرجت ما استقر في جوفها من الرزق والخير للمسلمين · ولعمري ان تفسير الأُكل بالخبز يقلل من شأن الأُكل ويحقر من مجهود عمر · بل لو قال قائل ان المراد بالخبز الحنطة لم تكن الحنطة شيأً مذكوراً بالنسبة الى الخير العظيم المختلف الألوان الذي ناله المسلمون في عهد عمر · فالصواب اذاً تفسير الأُكل بالخير لا بالخبز ·

ص ٢٤٠ س ١٠ — (واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والانصاف شيأ يكفيك وفادة الوفود واستماحة المتماح) قوله (شيأ) لعل صوابه (سبباً) اي اجعل من عدلك وانصافك سبباً الى طمأنينة رعيتك وهدوئهم في منازلهم واكتفائهم بذلك عن تحمل مشقة السفر اليك للسؤال والاستماحة ·

ص٢٤٠ س١١ — (فان كل امرء انما يجمع في وعائه الا الأقل الخ) صوابه الأقل باسقاط (الا) ·

ص٢٤١ س٣ — (لم اكن والله زوّرته قبلُ ولا رويته بعدُ وانما كانت كلمات نفثهن لساني حين الصدمة) زوّرت الكلام هيأته في نفسي قبل التصريح به . وقوله (رويته) ضبط بتخفيف الواو ولعل الأصوب فيه تشديدها و يكون اصله (روّأته) مهموزاً: يقال روّأ في الامر وروّى فيه اذا نظر فيه وتأمل وتفكر . ومنه (الروية) . و بهذا المعنى تصح الجملة اشد التحاماً بما قبلها وبما بعدها .

ص ٢٥٤ س ٣ — (فما الذي يبرد غليلك . و يشفي إجاج صدرك) قال المصحح في تفسير (الإجاج) انه جمع إجة بمعنى شدة الحر وتوهجه . وهو كما قال غير ان استعمالها مجازاً في معنى حرارة الصدر غيظاً قليل الورود في كلام البلغاء ودليل ذلك ان الزمخشري لم يشر اليه في أساسه . فالكلمة اذاً مصحفة عن (أحاح) بهمزة مضمومة وحائين مهملتين ومعناه العطش . وقد كثر استعماله مجازاً في الغيظ وحرارة الغم . وهاك ما قاله القاموس وشرحه (والأحاح بالضم العطش والغيظ وقيل اشتداد الحزن او العطاش . وسمعت له أحاحاً اذا سمعته يتوجع من غيظ او حزن قال الشاعر : (يطوي الحيازيم على أحاح) والاحاح حزازة الغم كذا بخط الجوهري بزائين (معجمتين) وفي نسخة حرارة برائين (مهملتين) اه .

اقول ومنه ايضاً قول الحماسي عبد الشارق بن عبدالعزى :

(فباتوا بالصعيد لهم أحاح ولو خفّت لنا الكلمى سرينا)

وقد فسّر شراح الحماسة (الأحاح) بالعطش وفسره آخرون بالانين المنبعث عن الألم .

ص٢٥٥ س١٧ — (تنفر عنه القلوب . وتغض عنه الأبصار) لعل صوابه (تنفر منه) لا عنه . تجنباً للتكرار مع (عنه) الثانية .

ص٢٦٠ س٥ — (من ذلك ما كتب به عبد الحميد بن يحيى بالوصاة على انسان) صوابه (بانسان) لأن الوصاة اسم مصدر لأوصي وهو يتعدى بالباء لا بعلى .

ص٢٦٦ س١٠ — (في ظل ظليل . ونسيم عليل . وريح بليل . وهواء ندي . وماء رويّ) لعل صوابه (وهواء عَذِي) بالذال المعجمة والياء المخففة وتشدّد اي طيب ملائم للصحة واكثر استعماله في المكان يقال (ارض عذية) كما تقول طيبة المناخ بعيدة عن الوخم

و يقول عامتنا اليوم (عدي) بالدال و (نجدالعدية) . اما قوله (ندي) فمعناه المبتل . وعلى فرض صحة استعماله في كلام البلغاء يكون مكرراً مع قوله قبله (ريح بليل) ولا يخفى ان التأكيد خير من التأسيس .

ص٢٦٧ س٥ — (فذاك والله اكنف ظلالك في العاجلة . وأروحها في الآجلة) لعل صوابه (اكثف) بالثاء المثلثة . وان توصيف الظل بالكثافة أشبه بكلام البلغاء من وصفهم له بالكنف : فان (الكنف) حياطة الشيء من أكنافه وجوانبه . والظل انما يكون من فوقه . فبين الكنف والظل شبه تضاد .

ص٢٦٧ س٩ — (وهل حلا بصدرك ان تظفر بفوت مريح او موت مريح) قوله (حلا) بالالف من (حلا يحلو) من الباب الاول اذا صار حلواً . وهو في كلام البلغاء انما يستعمل لما يكون مذاقه حلواً في الفم . أما مايكون حلواً في الصدر او القلب او العين فيستعمل معه فعل (حلِي يحلى) من الباب الرابع : يقال حلِيَ الشيءُ في عيني وحليَ في قلبي وحليَ في صدري . قال الاصمعي (حلي في عيني بالكسر وحلا في فمي بالفتح) وقال في اساس البلاغة (ومن المجاز حليَ فلان في صدري وفي عيني قال الشاعر :

(فلم يحل بالعينين بعدك منظر)

ص٢٦٧ س١٣ — (أم من يرغب عن مكاثرة بمن ينسب الربيع الى خلقه) قال المصحح الاصل (مكاثرة من ينسب) باسقاط الباء والسياق يقتضي اثباتها . اقول ولكن فعل كاثر انما يتعدى بنفسه لا بالباء . يقال كاثروهم فكثروهم اي غلبوهم بكثرة العدد . وليس المراد بالمكاثرة هذا المعنى هنا انما المراد المعنى الآخر وهو كما في القاموس (كاثره الماء اذا أراد لنفسه منه كثيراً ليشرب منه.) فالصاحب ابن عباد الذي كتب هذه العبارة كأنه يقول لصديقه : من يزهد في الاستكثار من التمتع بنضارة الربيع ؟ لا أحد . كذلك انا أريد لنفسي مكاثرة ربيع خلق صاحبي كما يكاثر العطشان غيره الماء عند الورود مريداً لنفسه الكثير منه ليروى : فقوله (مكاثرة من ينسب) من اضافة المصدر الى مفعوله الثاني . هذا اذا لم تكن مكاثرة محرفة عن كلمة أخرى .

ص٢٦٨ س٤ — (وحولي اعمال واشغال لا يسلم معها فكر . ولا يسلم بينهما طبع) لا يسلم ولا يسلم تكرار يتجنبه البلغاء عادة فلعل صواب احدهما (لا يسلس) اي لا ينقاد ولا يطيع .

ص٢٧٠ س١٦ — (ولا مجال للعتب عن هذه الاحوال) صوابه على هذه الاحوال

ص ٢٨٠ س ٦ — قوله في رسالة ابن زيدون (واظهر واضمر . وابتدأ واخبر . واستفهم وأهمل وقيد . وارسل واسند) الصواب اسقاط كلمة (واستفهم) فقد طالت بها السجعة عن تاليتها خلافاً لاصول السجع . وكأن هذه الكلمة هنا من رواية أخرى جاءت في بعض النسخ وهي (واظهر واضمر . واستفهم واخبر) مكان (وابتدأ واخبر) .

ص٢٨١ س٩ — (فكدمت غير مكدم ونفخت في غير فحم) صوابه كما في نسختنا (سرح العيون طبعة المليجي ١٣٢١ هـ) (فكدمت غير مكدم واستسمنت ذا ورم ونفخت في غير ضرم) وبذلك استقامت السجعة وصح المعنى . والا فان النفخ في الفحم لا يوري ناراً كالنفخ في الرماد بخلاف النفخ في الضرم فانه يزيده وقوداً واشتعالاً .

ص٢٨٤ س٤ — (وهلا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان . وشعرت ان ناديي المؤمن والكافر لا يتراءيان) ناديي بالدال تثنية نادي وهو مجتمع القوم والمعنى عليه صحيح ومع هذا فالصواب فيه (ناريْ) تثنية نار بالراء لان ابن زيدون انما يريد التلميح الى الحديث الشريف . وهو كما في النهاية (قال صلى الله عليه وسلم انا بريء من كل مسلم مع مشرك) قيل لمَ يا رسول الله ؟ قال : (لا تتراءى ناراهما) اي يلزم المسلم و يجب عليه ان يباعد منزله عن منزل المشرك ولا ينزل بالموضع الذي اذا أوقدت فيه ناره تلوح وتظهر لنار المشرك اذا أوقدها في منزله ولكنه ينزل مع المسلمين في دارهم . وانما كره مجاورة المشركين لانهم لا عهد لهم ولا امان وحث المسلمين على الهجرة . والتراني تفاعل من الرؤية .... واسناد التراني الى النار مجاز من قولهم داري تنظر الى دار فلان اي تقابلها اهـ .

ص٢٨٥ س٥ — (وما أمنك ان تكون وافد البراجم . او ترجع بصحيفة المتلمس . وافعل بك ما فعله عقيل الخ) صواب (أفعل) (او افعل) كما هو في نسختي المذكورة لان (او) للتقسيم والمقام هنا يقتضيه .

ص٢٨٦ س٧ — (ما كنت لا تخطى المسك الى الرماد . ولا لا متطي الثور دون الجواد) الأصوب فيه (بعد الجواد) اي ان تعرف ولا درّ ابن عبدون الثور بعد ان عاشرت والفت ابن زيدون الجواد . على ان الكاتب انما اراد التلميح الى قول المتنبي في بيته المشهور وهو :

(ومن ركب الثور بعد الجوا د انكر أظلافه والغبب)

يريد انه وجد الفرق بيّناً في معاشرة كافور الإخشيدي بعد ان عاشر سيف الدولة وكنى عن هذه المعاشرة والخلطة بالركوب وقد عابوا عليه ذلك في مخاطبة الملوك ·

ص٢٨٧ س٦ — (وان كنت انما بلغت قعر تابوتك · وتجافيت لقميصك عن بعض قوتك) · قوله (لقميصك) يجب اسقاطها لعدم الحاجة اليها ولظهور حشوها وهي غير موجودة في نسختي المليجية ·

ص٢٨٨ س١ — (وحلأتك مارية بالقرطين · وقلدك عمرو بالصمصامة) صوابه (الصمصامة) من دون باء الجر لان فعل (قلد) يتعدى بنفسه يقال قلدته السيف فتقلده ·

ص٣٠٨ س٦ — (فإما ان تبهرني بحجة فأنتصل عندك · وإما ان تفي بحقيقة فاستديم خلتك · وإما ان تأزم على يأسك فأقطع حبلي منك) فسّر المصحح (الأزم) بالمواظبة والدأب وأبقى كلمة اليأس على حالها فلم يتعرض لها · وبذلك بقي الكلام او التقسيم غير مستقيم : لان الكاتب يعاتب صديقه فهو يقول له : إما ان تأتي ببرهان على خطإي فاعتذر اليك · وإما ان تعترف بحقيقة خطإك فأدوم على صداقتك · والحالة الثالثة — كما هو ظاهر العبارة — ان تواظب انت على يأسك · فأقطع حبل الود بيني وبينك · ومواظبته على اليأس لا معنى له وليس هو من جنس كلام البلغاء وصوابه (واما ان تأزم على فأسك) و(الأزم) العض وهذا هو معناه اللغوي و (الفأس) الحديدة المعترضة في حنك الفرس : قال في القاموس والاساس : (أزم الفرس على فأس اللجام اذا عض عليه) · ومنه قول يزيد بن الحكم من شعراء الحماسة :

(والخيل اجودها المنا هب عند كبّتها الأزوم)

يعني بكبتها حملة الحرب وازدحامها وقالوا في تفسير (الأزوم) هو العضوض على اللجام لفرط قوته وشدته · وقد كنّى بقوله هنا (وإما ان تأزم على فأسك) — عن لجاج صديقه وإصراره على ذنبه : فلا هو يحتج لنفسه · ولا هو يعترف بخطإه · بل بقي راكباً رأسه عاضاً على فأس لجاجه كما يعض الفرس الشديد الشكيمة على شكيمته فهو لا يلين لراكبه · ولا يرفق بصاحبه ·

« المغربي »

امم تسود وامم تبيد(١)

«أمم تسود وأمم تبيد» — سلسلة طويلة عديدة الحلقات من قبل التاريخ بقرون الى اليوم · ولكن هذه السلسلة كلما تقادمت عهودها كانت صغيرة الحلقات · و بالعكس كلما كانت أحدث عهداً كانت حلقاتها اكبر واطول ·

فمنذ قبل التاريخ تعاقبت على دلتا النيل ودلتا دجلة والفرات وما بينهما من البلاد التي كانت مهد التمدن أمم عديدة قبل ان تأسست دول الفراعنة ودول بابل واشور ومادي وفارس وفينيقية والعرب · وليس عندنا من اخبار تلك الامم المنقرضة الا خيوط ضئيلة جداً غزلت من آثارها في العصرين الظراني والمعدني ·

ولما كان الغرض من هذه المحاضرة ان نستخرج من حوادث المجتمع الانساني المسلسلة المتشعبة نواميس نشوء الامم واضمحلالها وانقراضها يكفينا ان نستشهد كلما دعا داع للاستشهاد بالامم التاريخية التي اتصلت الينا اخبارها ·

اما ان الامم تنشأ وتنمو وتسود ففي التاريخ كله شواهد ناطقة عليه ونحن نشاهد اليوم كثيراً منها مشاهدة عيان · واما ان الامم تنقرض انقراضاً تاماً فعندنا خبر عاد وثمود والعرب البائدة في الجاهلية وقبلها وناهيك غيرها مما يرد ذكره هنا في سياق هذا المقال ·

اما انقراض أمة او قبيل من الناس فله ثلاث كيفيات :

١ — الاولى ان تنقرض السلالة برمتها لحماً ودماً وهو اشنع كيفيات الانقراض وذلك بان تغزوها سلالة او سلالات اقوى منها جداً ، فاما ان تطردها من البيئات الخصبة الى البيئات القاحلة حيث تفني تدريجاً لقلة الرزق كما ان القبائل التي وفدت قبل التاريخ الى أعالي النيل عن طريق البحر الاحمر من جزيرة العرب طردت القبائل القديمة التي عمرت وادي النيل قبلها بعض العمران ، ثم دفعتها الى سلسلتي الجبال والصحراء وواحاتها ، وحلت محلها ، وانشأت دول الفراعنة ، فانقرضت تلك الامة القديمة ؛ وان

(١) محاضرة الاستاذ نقولا حداد التي القاها في بهو المجمع العلمي في ١٤ حزيران سنة ١٩٢٩ م ·

كان قد بقي منها بقية فهم يقيمون في بعض الواحات القصية التي اكتشف بعضها حديثاً او ربما تسرب بعضهم الى اواسط افريقية حيث امتزجوا بزنوجها وهم اقرباؤهم في السلالة .

والا فاذا لم تكن وسيلة الانقراض الطرد على نحو ما تقدم تبيانه فهناك وسيلة الاسترقاق القاسي ومعاملة الغزاة للمغزوين كمعاملة البهائم فينقرض هؤلاء تدريجاً لسوء المعيشة فضلاً عن الشقاء في الخدمة .

مثل هذا الانقراض في المملكة الحيوانية كثير فان كثيراً من الحيوانات البائدة التي لم يبق لها اثر الا عظامها انقرضت على هذا النحو امام حيوانات اقوى منها بدناً وادهى حيلة او امام الانسان نفسه الذي اخذ محلها ولم يستطع ان يدجنها لخدمته . فالبلاد العامرة الحضرية الآن خالية من جميع الحيوانات الضارية والشرسة التي توجد اليوم في اواسط افريقية . كما انها خالية من القبائل المتوحشة التي طغت عليها قوى الحضارة فأفنتها .

٢ — هذه اولى الكيفيات التي تنقرض بها السلالة او القبيلة انقراضاً فعلياً اي لحماً ودماً . اما الكيفية الثانية فهي اندماج السلالة المغزوة بالسلالة الغازية واندغامها فيها بواسطة المزاوجة اذا كانت عادات هذه لا تحظر المزاوجة . ولهذه الكيفية الثانية اسلوبان:

الاول : ان يتخذ رجال الامة الغازية من نساء الامة المغزوة المستعبدة او المسبية المسترقة زوجات او خلائل فتقل مواليد العبيد لقلة نسائهم وبالتدريج ينقرضون . فيكون الاندماج من جهة النساء فقط . ولذلك يكون تلوث دم الامة الغازية بدم المغزوة قليلاً .

والثاني : ان يباح التزاوج الشرعي لكلا الفريقين الغازين والمغزوين اذا لم تكن العادات والتقاليد مانعة وكان الفريقان متعادلين في القوى الاجتماعية والادبية ودرجة الانحطاط او الارتقاء .

مثل هذا وذاك حدث كثيراً في الازمنة التاريخية والحديثة في القبائل الهمجية .

ومن أمثلة ذلك الآن هنود اميركا . فانهم ينقرضون تدريجاً على هذا النحو . ينقرضون حتى في جمهورية الولايات المتحدة الاميركية التي تعاملهم بكل رفق وشفقة . فقد هيأت لهم كل وسائل الرقي . فمن رقي منهم اندمج بالشعب الاميركي . وقد زادت

الحكومة على ذلك ان اعلنت انها تمنح كل رجل ابيض يتزوج هندية مزرعة ذات ١٦٠ فداناً كمكافأة له او كمهر للعريس .

هذه الكيفية الثانية لانقراض السلالة تتصل بالكيفية الثالثة وهي اندماج الامم المختلطة بعضها ببعض وهي التي تجاوزت طور الهمجية واخذت تتادى في الحضارة فزالت الفوارق بينها . فاختلطت في المعاملات وامتزجت بالتزاوج فاندمج بعضها ببعض . وانما بقي الاسم فيها للامة المتغلبة قوة او عدداً او رقياً او جميع هذه . فهذا الانقراض لا يعد انقراضاً حقيقياً بل هو تطور اجتماعي وسلالي ايضاً .

فالكنعانيون والحثيون انقرضوا على هذا النحو اذ تدفعوا امام الاسرائيليين واندمجوا بالفينيقيين وغيرهم من الامم المجاورة . والفينيقيون بدورهم اندمجوا باجدادهم العرب ثم باليونان والرومان . والمصريون الاخيرون اندمجوا بالرومان والعرب .

واما السلالات التي لم تبح لها تقاليدها التزاوج بغيرها بل بقيت محافظة على كيانها وسلامة سلالتها من الامتزاج ، فالتي استطاعت منها البقاء جددت كيانها ، كأمة اليهود الذين عادوا الى بلادهم بعد سبي بابل وجددوا مملكتهم ثم تبعثروا مرة أخرى . وعادوا اليوم يحاولون تجديد مملكتهم . واما التي لم تستطع البقاء فأخذت تتضاءل تدريجاً كأمة السامريين التي لم يبق منها الى اليوم الا ١٩٤ نفساً معظمهم في نابلس . وقد روى لي رئيس كهنتهم ان عندهم ١٩ شاباً لا عرائس لهم . وهم مضطرون ان يأخذوا لهم عرائس من نساء اليهود ولو من ضالتهن . فهم صائرون الى الانقراض الفعلي الا اذا شاء ربك ان يبقيهم اثراً حياً في متحف التاريخ الاجتماعي وكاهنهم يتمنى ذلك .

هذه هي الكيفيات الثلاث لانقراض الامم . وما هي موضوع مقالتنا بالذات وانما الموضوع الرئيسي الذي نحوم حوله هو استخراج النواميس الاجتماعية لنشوء الامم وسؤددها ثم انقراضها . ولاجل ذلك نأتي على بيان تفاعل الامم في احوال اصطداماتها واحتكاكاتها في الغزوات والحروب والاستعمارات وعلى بيان نتائج هذا التفاعل .

***

في حالة تفاعل الامم على نحو من الانحاء المتقدمة لا بد من وجود ثلاث حالات :

الاولى : ان تكون الامة الغالبة ارقى من الامم المغلوبة .

الثانية : ان يكون العكس ، اي ان الامة المغلوبة ارقى من الغالبة .
الثالثة : ان تكون الامتان متعادلتين في الرقي وربما كانتا متشابهتين فيه .

١ — اما الحالة الاولى وهي ان تكون الغالبة ارقى من المغلوبة فهي الحالة الراجحة في التاريخ وهي طبيعية لان الرقي يغلب الانحطاط والعلم يغلب الجهل والحضارة تغلب البداوة . ونتيجة هذه الغلبة ان تكسب الامة الغالبة تمدنها للامة المغلوبة اذا كانت هذه في درجة من الرقي تقدرها على قبوله .

فمن امثلة ذلك الامة الاشورية التي تعاظم امرها واستفحل سؤددها حتى غزت سوريا وفلسطين الى ان بلغت الى مصر . ومن العرب طفت الى اليونان وسائر شرقي البحر المتوسط . وقد عظم تمدنها في ذلك العهد وارتقت معارفها وصناعاتها . وبذلك نشرت تمدنها على جميع هذه الممالك ولا سيما على بلاد اليونان التي كان تمدنها حديث عهد فنضج بما اكتسبه من تمدن اشور و بابل وصار مصدراً لتمدن الامم الارية في الغرب . فالتمدن الذي نراه في الغرب الآن مسلسل من التمدن السامي .

ثم جاءت اليونان في دورها وجعلت توسع نطاق نفوذها في الشرق وفي الغرب فردت صدى مدنية اشور و بابل بمزيج مدنيتها ومدنية اشور الى آسيا الصغرى ثم الى رومة وسائر البلاد اللاتينية .

ثم جاءت نوبة رومة وفعلت فعل اليونان كما هو معلوم لكل من له اقل المام بالتاريخ .

٢ — نأتي الآن الى الحالة الثانية وهي ان تكون الامة المغلوبة ارقى من الامة الغالبة . وهو اقل حدوثاً في التاريخ من الحالة الاولى لانه لايكون الا في حالة ان الامة الغالبة المنحطة اكثر عدداً واشد بطشاً . وفي هذه الحالة يغلب ان تقتبس الامة الغالبة من تمدن الامة المغلوبة . ثم قد تفوقها .

ومن امثلة ذلك الامة البابلية . فقد نشأت هذه الامة من مزيج سكان وادي الفرات الاصليين المسمين سمريين مجهولي الاصل ، ومن قوم من السلالة السامية هاجروا من بلاد العرب وكانوا بداة واقل تمدناً من السمريين ولكنهم كانوا اذكياء نشيطين . فاحتلوا البلاد وتعلموا لغة اهليها وصناعاتهم واقتبسوا حضاراتهم . وعلى تمادي الزمان

تفوقوا عليهم · ومن هذا المزيج نشأت الامة البابلية التي كان لها شأن في تاريخ الحضارة الاول ·

ثم طغت مملكة عيلام المتاخمة لبابل من جهة الشرق وغزتها مع انها احط منها · واستولت عليها عدة قرون · واكتسب العيلاميون كثيراً من تمدن البابليين المغلوبين لهم · ثم ما لبثت ان ظهرت دولة عربية في بابل تفوقت لعهد حمورابي فغلبت العيلاميين وضمت عيلام اليها فاتسعت المملكة البابلية ·

والغريب انه في تلك العصور وفي تلك البلاد كان الانحطاط دائماً يغلب الرقي · فبعد ان قضت بابل في عزها التمدني نحو ١٥٠٠ سنة من عهد حمورابي غزاها احد الملوك الاشوريين سنة ٧٢٨ ق·م مع ان اشور كانت منحطة زمناً طويلاً ومن ثم جعلت اشور الغالبة تقتبس من تمدن بابل المغلوبة حتى تفوقت عليها ·

ثم بعد ذلك جاءت دولة الفرس واجتاحت اشور وكلديا وهي احط منها ايضاً واستولت عليها · وما لبث الشعب الفارسي الآري الاصل ان اقتبس من المدنية الاشورية كثيراً · فترى مما تقدم ان الآريين اقتبسوا مدنية الاشوريين والبابليين السابقة من الشرق بواسطة الغلبة والفوز ومن الغرب بواسطة الانقلاب كما سبق القول ·

اظن ان هذه الامثلة كافية للاستشهاد على الحالة الثانية اي ان الامة الغالبة المنحطة تقتبس من مدنية الامة المغلوبة الراقية ·

٣ — بقي التمثيل للحالة الثالثة وهي ان تكون الامتان متعادلتين في الرقي · وهو امر كثير الحدوث في الحياة الامية الاجتماعية ونتيجته على الغالب : اولاً ان تقتبس كل من الامتين محاسن مدنية الاخرى · وثانياً ان الاصطدام بينهما قلما يكون عنيفاً بحيث يبقى لكل أمة كيانها اذا لم يتيسر اندغامهما بالتزاوج والاندماج الشعبي ·

فمن امثلة ذلك ان سبي الاسرائيليين الى بابل لم يضرهم كثيراً · فقد نالوا حظوة في عيني بلشاصر اذ رأى من علومهم ورقيهم ومعارفهم ماجعله يحترمهم · ولا ريب ان البابليين اقتبسوا كثيراً من علوم الاسرائيليين وشرائعهم كما ان هؤلاء اقتبسوا من البابليين في كل احتكاك حدث بينهم · وفي شريعة موسى كثير من شريعة حمورابي ·

كذلك الفينيقيون الذين كانوا اقل الامم ميلاً للحروب وخوضاً لما كانوا يستعمرون

شواطئ البحر المتوسط استعماراً اقتصادياً اكثر منه سياسياً · فكانوا واسطة لنقل المدنية من موطن الى موطن ومن الشرق الى الغرب · كانوا ككريات الدم الحمراء التي تنقل أكسجين الهواء الى جميع خليات الجسم · كانوا يقتبسون ويقبسون ولذلك استطاعوا ان يحفظوا كيانهم زمناً طويلاً بقليل حروب · لان سلاح دفاعهم عن كيانهم كان مايحملونه من نبراس التمدن و يطوفون به في اقاصي العالم · فكان العالم حارساً لكيانهم لحاجته اليهم اولانتفاعه منهم · ومااتقضى كيانهم الا بعد ان اسسوا دولة قرطجنة واصبحت تنازع رومة السؤدد السياسي والاستعماري ·

* * *

بعد استيفاء التمثيل على الحالات الثلاث للاصطدامات والاحتكاكات الأممية ماذا نستخرج من النواميس الاجتماعية لسؤدد الأمم وانقراضها ؟

لاريب انكم قد لاحظتم ياسادتي مما تقدم انه حيث توجد مدنية راقية فهناك كيان أمة ثابت · فالامة التي تعتصم بالتمدن الارقى تعيش وتعمر سواء أكان هذا التمدن في الاصل لها ام انها اقتبسته من غيرها غالبة او مغلوبة · فسر بقاء الامة هو اعتصامها بارقى حضارة موجودة في زمانها واقتباسها كل جديد نافع من الحضارة سواء أكانت حاكمة ام محكومة ·

وهنا لا بد من تفسير معنى الحضارة او التمدن اوالمدنية اوالعمران فهي الفاظ مترادفة ومعناها مها اختلفت يشتمل على ما يأتي :

١ً — الاخلاق المتينة أساس العدل في المعاملات ·

٢ً — العلم الأقرب الى الحقائق اساس التهذيب والعمل ·

٣ً — العمل المنطبق على العلم وهو يطلق على الصناعات والفنون والمعاملات ·

لفظ الحضارة او مارادفه يتضمن هذه القضايا الرئيسية · فاذا انتقضت احدى هذه القضايا تزعزعت الحضارة وتقوضت اركانها واشرفت أمتها على الانقراض انقراضاً كيانياً على الاقل · وكانت حضارة جميع الامم التي نمت واستعلت وسيطرت على غيرها شاملة جميع هذه الاركان ، كأمة الرومان التي لا تزال آثار نبوغها في الشرائع والعلوم والفنون والصناعات باقية الى اليوم · ولكن لما جعل الترف والبذخ يفسدان حضارتها

تزعزعت اركانها وسقطت بين ايدي البربر . وقد قال المؤرخون انه في ذلك الحين انطفأ مشعال المدنية القديمة وسادت على العالم ظلمة نحو خمسة قرون او اكثر .

والحقيقة غير ذلك فان مشعال التمدن الذي انتقل من المشرق الى المغرب عن يد البربر لم ينطفئ في ايدي البربر والا لباد تماماً . بل بقي مدة تحت المكيال الى ان رفعت اوربا المكيال عنه واستضاءت به .

ذلك لان هؤلاء البربر لم يكونوا همجاً متوحشين بل كانوا على شيء من التمدن الفطري فهم قبيلة الطوط من قبائل الجرمان . وكانت لهم آداب اجتماعية واخلاق جيدة . وانما لم يكن لهم من الفنون والعلوم والفلسفة والأدب ما كان للرومان . ولذلك كان لهم من الحرية والاستعداد للرقي ما خولهم قبول كثير من حضارة الرومان .

فلما فقد الرومان الاخلاق ، وهؤلاء الجرمان عندهم منها الكفاية بالرغم من تلقيبهم بالبربر ، سقطت الدولة الرومانية المحتضرة في يد اودوسر زعيم قبيلة جرمانية سنة ٤٧٦ .

وبعد ذلك شرع التمدن الروماني ينتشر في اوربا تدريجاً الى ان جعل نوره يشع ساطعاً في العصر المسمى بعهد النهضة او التجديد كما تعلمون .

ثم كان حظ البقاء لكل أمة ان تقتبس هذا التمدن وتشيد عليه . والا فالفناء يتهددها سلالة او كياناً . اي اما انها تتعرض للانقراض لحماً ودماً او للتفاني في أمة اخرى .

* * *

بقي امر آخر لا يستوفى الموضوع الا بالالتفات اليه وأعني به نتيجة هذا البحث القصوى وهو :

ان العصر الحالي غير الاعصر القديمة في الانظمة الدولية . والفرق بين ذاك وهذه هو في ضخامة الدول او صغرها . ففي الاعصر القديمة كانت بلاد كفلسطين تشمل عدة ممالك صغيرة مستقلة الدول يحارب بعضها بعضاً . ولا تضطر للتحالف الا اذا هددها خطر دولة بعيدة . وكذلك كانت بلاد مابين النهرين قبل ان نشأت بابل واشور ممالك صغيرة عديدة يغزو بعضها بعضاً . ومثلها كانت اليونان ورومة وانى كان يتيسر لدولة كأشور ان تبسط نفوذها على البلاد التي تفتحها . وذلك :

اولاً — لان وسائل المواصلات كانت ضعيفة وبطيئة جداً فلا تستطيع الدولة

المسيطرة ان ترسل قوة حربية لقمع الثورة قبل ان تستفحل الثورة وتطرح النير · حتى ان اخبار الثورة لم تكن تصل الى مركز الدولة قبل ان يكون الثوار قد نجحوا ·

وثانياً = لان العُدد الحربية لم تكن شديدة الفتك كعُدد اليوم فكان المعوّل عليه في الحروب كثرة عدد الجيش · لذلك كان كدرلعومر البابلي يدوخ البلاد الاسيوية حتى حدود مصر ثم يتقاضي منها غرامة ويفرض عليها جزية ويمضي · وهيهات ان يستوفي الجزية ·

وما تعاظمت الدول الى ان صارت امبراطوريات تحكم الممالك المفتوحة حكماً فعلياً مباشراً الا منذ استفحال الدولة الرومانية التي كانت تستعين بالملاحة الراقية على الاتصال باطراف ملكها ·

واما في عصر النهضة الاخير الممتد الى اليوم فقد وفرت وسائل النقل السريع والمواصلات العاجلة وجاءت الكهربائية ونحوها تقصر المسافات وتختزل اشهر المخابرات الى دقائق · وبذلك امكن ان تتضخم الدول والامبراطوريات تضخماً لا مثيل له · ثم ان عدد الحرب الجهمية جعلت الحروب اشد هولاً واوسع ميادين حتى كادت الحرب العظمى تستغرق كل أمم الارض ·

فمن ذلك ترى ان الفرق بين الدورين القديم والحديث عظيم جداً : ذاك صغير ضئيل ضعيف · وهذا ضخم عظيم قوي · فالدولة القوية تزداد قوة والضعيفة تزداد ضعفاً · وبالنتيجة فالامة الاحط حضارة تكون دائماً تحت خطر الامة الارقى حضارة · ذلك لان الحضارة مصدر القوة ·

* * *

ولذلك لا يستبعد ان اقوى الامم وارقاهن حضارة تظل تستفحل حتى تبسط كل نفوذها على معظم الكرة الارضية حيث تنشر حضارتها وتصبغ جميع الامم بصبغة مدنيتها · او اذا لم يتسن لها ان تسيطر على العالم سيطرة مباشرة فتسيطر على اتحاد دولي يجمع كبريات الدول · وهذا الاتحاد الدولي يسيطر على العالم كله كجمعية الامم ويبتلعه ·

ففي هذه الحال ماذا يكون مصير الامم الضعيفة والمنحطة ؟ وهنا النقطة الماسة في الموضوع يكون مصيرها على ثلاثة أشكال ·

١ = الشكل الاول : ان الامة التي تستطيع ان تقبل الحضارة السائدة تسلم من الانقراض السلالي لانها بقبولها هذه الحضارة تستطيع ان تتسلح بنفس السلاح العلمي والاخلاقي والصناعي والاقتصادي الذي تتسلح به الامة المتفوقة المسيطرة . وبذلك لا يستطيع تيار الحضارة المستفحل ان يجرفها بل تظل قائمة فيه وسائرة معه . وبذلك يتسنى لها ان تكون متحدة مع الامة المسيطرة ومشاركة لها في السيطرة على العالم مع حفظ كيانها القومي .

٢ = واما الشكل الثاني : فهو ان الامة التي لها قسط من الرقي والتمدن والتي تظل مصرة على قديمها محافظة على جمودها ولا تقبل الحضارة السائدة فتظل ضعيفة السلاح الذي أشرنا اليه اي السلاح العلمي والاخلاقي والاقتصادي والصناعي . وبذلك لا تستطيع ان تصد التيار المتمدن الجارف بل ولا تستطيع ان تقف فيه لانه يقلبها ويسحقها و يفتت قوميتها فتضطر ان تندغم فيه اجزاء وتتلاشى قومية . اي انها لا تفنى لحماً ودماً بل تفنى قوماً او أمة . يذوب افرادها في ذلك المحيط العظيم كما يذوب الملح في الماء .

٣ = واما الشكل الثالث : فهو ان الامم المنحطة التي لا تستطيع ان تجاري الحضارة السائدة بوجه من الوجوه كالقبائل الهمجية المتوحشة فهذه تفنى فناء فعلياً بالتدريج كما فنيت قبائل أخرى عديدة قبلها .

و بالاجمال اقول ان الجماعات او الافراد الذين لا يستطيعون ان يقتبسوا الحضارة الجديدة او الذين لا يريدون ان يقبلوها لاصرارهم على تقاليدهم التي لا تتفق معها فليس أمامهم الا الفناء التدريجي لانهم لا يستطيعون ان يزاحموا في معترك الارتزاق فينقرضون فقراً وشقاء .

* * *

بعد هذا البيان لا يتعذر عليكم يا سادتي ان تفهموا كيف يمكن ان يكون مصير الشرق أمام تيار حضارة الغرب . فمستقبله في يده .

ولعل بعضنا يقول : اننا اخذنا نتحضر بحضارة الغربيين منذ قرن . فأزياؤهم اصبحت ازياءنا . وعندنا علومهم ومصنوعاتهم . عندنا تلغرافهم وتلفونهم ولاسلكيهم وسياراتهم

وقطارهم وفونوغرافهم وسينماتوغرافهم .الخ ٠ وما هو الذي عندهم ولبس عندنا ؟ وقد قيل لي ان سيدة اوربية شهدت عرساً وطنياً فرأت فيه السيدات الوطنيات في ازياء اوربية حتى خيل لها انها في حفلة عرس باريسية ٠

فأقول : نعم ٠ عندنا كل ماعندهم ٠ ولكن ازياء نسائنا من مصانعهم لامن مصانعنا وسياراتنا من معملهم لا من معملنا وقطارنا وتلفوننا وتلغرافنا الخ كل ذلك من صنع ايديهم ولبس من صنع ايدينا ٠ حتى العلم الذي نتعلمه هو من بنات افكارهم وفوق ذلك نتعلمه بلغتهم ٠ فنحن اذاً ، اقتبسنا ثمرة حضارتهم ولكننا لم نقتبس حضارتهم من اساساتها ٠ فلا نعد إذاً متسلحين بمثل سلاحهم الا اذا كنا ننشئ الحضارة الجديدة عندنا من اساسها الى قبتها وحينئذ لا يستطيعون ان يستعمرونا بل نكون مثلهم معمرين نبادلهم بضاعتهم ببضاعتنا لا بضاعتهم باستقلالنا ولا سلعتهم بحريتنا ٠

أربد طبرية

غير إربد عجلون

جاء في كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار تأليف احمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م في باب بقية المزارات الاخرى ما يلي[١] :

« قبر ام موسى بن عمران . بقرية يقال لها إرْبِلْ من اعمال طبرية عن يمين الطريق وبها اربعة من اولاد يعقوب وهم دان وايساخور وذَبولون وكاذ » .

وقد علّق صديقنا العلامة الاستاذ احمد زكي باشا في التصويبات والتصحيحات التي ذيّل بها الكتاب بقوله :[٢]

« قرية إربل تعرف في ايامنا هذه باسم إربد بالدال المهملة في آخره وهي الآن من اعمال جبل عجلون التابع لحكومة شرق الأُردن العربي وكانت في ايام الحكومة العثمانية عاصمة لقضاء عجلون وبها مسجد وسراي (بُنيت سنة ١٨٨٤) ومناخها طيب ولها مستشرف بديع على الصحراء يمتد شرقاً لغاية بادية الشام ويطل من الجنوب والجنوب الشرقي على جبل عجلون بغاباته التي يتكاثف بها شجر البلوط العتيق . وفي ساحتها حوض يملأه المطر فيستقي منه اهلها على طول السنة وهي قائمة على موقع المدينة القديمة اربلا وسكانها قبل الحرب العامة زهاء ١٢٠٠ نسمة وهم الآن اكثر عدداً .

وانما جعلها الأتراك « إربد » بالدال المهملة للتمييز بينها وبين مدينة إربل الشهيرة بارض الموصل » الى آخر ما هنالك .

وقد قرّظ الكتاب فيمن قرّظه من العلماء الاعلام صديقنا الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بتقريظ طويل تسنأهله مادة الكتاب وقدّم الاستاذ زكي باشا الراسخة في العلوم والآداب فلما وصل الى اربل خالفه في رأيه بما ملخصه :[٣]

(١) مسالك الابصار في ممالك الامصار جزء ١ صفحة ٢١٨ . (٢) مسالك الابصار في ممالك الامصار جزء ١ صفحة ٦ من التصويبات والتصحيحات . (٣) مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٦ ص ١٨٩ .

ان لفظ اربد بالدال لم يتغير منذ الزمن الأطول واستند على ما اورده ياقوت في معجم البلدان في مادة أربد وزاد على هذا بقوله « ونظن ان ياقوت وهم في اربد فجعلها بفتح الالف وان كان تحريف العامة اليوم وقبل اليوم لا يعتدّ به قال وفي هذه القرية مات يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ واستشهد بقول الطبري انه مات باربد من ارض البلقا الى ان يقول وهذه اربد من جبل عجلون بعينها ثم نقل مادة « بيت أربئيل » من قاموس الكتاب المقدس وفيها انها تسمى اربد وانها شرقي بحيرة طبرية وختم كلامه بقوله « وقد أخطأ الاستاذ بول (Buhl) بقوله في المعلمة الاسلامية ان إربد او أربد هي ايضاً اربئيل القديمة وهي في البلقاء على ١٢ ميلاً غرباً من بيسان وهي التي هلك فيها الخليفة يزيد الثاني فانه ليس في تلك الجهات بهذا الاسم الا اربد هذه ولعله تسرب اليه الوهم من قول الطبري » والذي أراه ان الصديقين الصدوقين والعالمين العاملين قد وهما في تعيين موقع اربد الذي قصد اليه ابن فضل الله العمري وغيره من الجغرافيين فان اربد التي من عمل طبرية وعن يمين طريق مصر لا يمكن ان تكون اربد التي بالشرق العربي والتي تبعد عن طبرية مسيرة يوم كامل . وللوصول الى هذه النتيجة يجب علينا ان نستعرض اولاً أقوال الجغرافيين لنتبين بجلاء ووضوح موقع اربد الواردة في أقوالهم ثم ننتقل الى أقوال المؤرخين عن مكان وفاة الخليفة يزيد ونستخرج منها اين كانت واين يجب أن تكون ؟ وسنذكر هذه الأقوال بحسب سني وفيات المؤلفين لتسلسل الروايات ومعرفة الناقلين من المنقول عنهم فنبدأ بما قاله الرحالة ناصر خسرو القبادياني المروزي المتوفى بعد سنة ٤٣٤ هـ ١٠٤٢ م في رحلته المؤلفة باللغة الفارسية المسماة (سفرنامه) قال ناصر خسرو يصف طريقه من عكا الى طبرية : (١) ثم اتجهت صوب الجنوب فوصلت قرية حطين (٢) وفي غربها وادٍ صغير تنبع منه من الصخر عين صافية وقد بني مقابل هذه العين

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي (م ٦ ص ٧١) . (٢) في تعريب مجلة المجمع عن الترجمة الافرنسية لشيفر المطبوعة سنة ١٢٩٩ هـ ١٨٨١ م قال عنها حاضرة في الترجمة الانكليزية للاسترانج المطبوعة سنة ١٣٠٦ هـ ١٨٨٨ م ذكرها باسم حظيرة او هذيرة وهي لاشك محرفة عن حطين كما يقتضيه رسم كلمة حطين وسياق كلام الرحالة ووصفه .

في الصخر مسجد في داخله غرفتان من الحجر و باب المسجد من الضيق بحيث ان الرجل يدخل اليه بصعوبة وفيه قبران متناوحان احدهما الى جانب الآخر وفي الاول شعيب وفي الثاني ابنته التي كانت امرأة موسى و يعنى سكان القرية بهذا المسجد و بهذه القبور كل العناية و يحملون فيها مصابيح وفرشاً .

وبعد ذلك اتجهت جهة أربل (اوأربد) وفي جهة القبلة جبل قائم في سفحه اربعة قبور وهي قبور اربعة من اولاد يعقوب اخوة يوسف ولما انتقلنا من هذا المكان رأينا أكمة قامت في سفحها مغارة فيها قبر ام موسى وفيها صليت وتعبدت .

وتوغلت في وادٍ رأيت في اقصاه بحيرة قامت مدينة طبرية على شاطئها الخ .

وهذا هو اول رحالة مسلم اتصلت بنا اخبار رحلته في بلاد الشام . وقال علي بن ابي بكر بن علي الهروي المتوفى سنة ٦١١ هـ ١٢١٤ م في رحلته المسماة الاشارات الى معرفة الزيارات : [١]

ومن اعمال طبرية قرية يقال لها اربد (وقد تقرأ اربل) بها قبر ام موسى بن عمران عليه السلام عن يمين الطريق و بها اربعة من اولاد يعقوب وهم دان وايسارخان وز يدلون وكادو . [٢]

وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م :

« أرْبَدُ : قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب بها قبر ام موسى بن عمران عليه السلام وقبور اربعة من اولاد يعقوب وهم دان وإساجار وزَبولون وكاد فيما زعموا : [٣]

---

(١) من هذه الرحلة نسخة في دار الكتب المصرية ونسختان في الخزانة التيمورية لصاحبها صديقنا العلامة الجليل احمد تيمور باشا احداهما قديمة العهد والثانية حديثته ومن الزائد ان نقول ان هذه الرحلة لا تزال مخطوطة لم تُبتذَل بالطبع وهي من الكتب المفيدة في تعيين مواقع الزيارات في الشام ومصر والحجاز والعراق وسائر البلدان الاسلامية التي غشيها السائح الهروي . (٢) في النسخة الجديدة اربد وابناء يعقوب دان وايسارخاز وزيلون وكاد . (٣) معجم البلدان طبع ليبسك (ج ١ ص ١٨٤) .

وجاء في كتاب مراصد الاطلاع على أسماء الاماكن والبقاع لصفي الدين بن عبد الحق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ١٣٣٨ م وهو اختصار معجم البلدان المتقدم ذكره [١] :

أَرْبَدُ : قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق مصر بها قبر ام موسى بن عمران وقبر اربعة زعموا انهم من اولاد يعقوب » .

فيتضح معنا من هذه الأقوال ان اربد قرية بالقرب من طبرية على قارعة الطريق المؤدية الى مصر ولم تكن طريق دمشق الى مصر في تلك الايام الا من ناحية الأردن بدليل ما قاله عنها ثقات الجغرافيين نورد من ذلك ما قاله احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي المتوفى سنة ٢٧٨ هـ ٨٩١ م قال [٢] :

« ومن مدينة دمشق الى جند الأردن اربع مراحل اولها جاسم [٣] من عمل دمشق وخسفين [٤] من عمل دمشق وفيق [٥] ذات العقبة المذكورة ومنها الى مدينة طبرية وهي مدينة الأردن .

واستكمل المراحل من جند الأردن الى جند فلسطين حتى بلغ بها مصر .

وما ذكره ابن خرداذبة المتوفى في أواسط القرن الثالث للهجرة واواخر التاسع للميلاد فقد قال ان الطريق :

---

(١) مراصد الاطلاع طبع ليدن (ج ١ ص ٤١) .

(٢) كتاب البلدان طبع ليدن سنة ١٨٦٠ م ص ١١٥ والكتاب ذاته طبع ليدن سنة ١٨٩٠ م بذيل كتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته ص ٣٢٧ .

(٣) جاسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الاعظم الى طبرية ذكرها ياقوت الحموي في معجمه .

(٤) خسفين قرية من اعمال حوران بعد نوى في طريق مصر بين نوى والاردن وبينها وبين دمشق خمسة عشر فرسخاً ذكرها ياقوت .

(٥) أفيق بزيادة الالف قرية من حوران في طريق الغور في اول العقبة المعروفة بعقبة أفيق والعامة تقول فيق تنزل في هذه العقبة الى الغور وهو الأردن وهي عقبة طويلة نحو ميلين ذكرها ياقوت .

من دمشق الى الكسوة[١] اثنا عشر ميلاً ثم الى جاسم اربعة وعشرون ميلاً ثم الى فيق اربعة وعشرون ميلاً ثم الى طبرية مدينة الاردن ستة أميال [٢] .

وأتمها على هذا الوجه حتى انتهى بها الى مصر .

وما ذكره قدامة بن جعفر الكاتب المتوفى سنة ٣١٠ هـ ٩٢٢ م فقد قال ان الطريق الدارج الى طبرية يأخذ من بعلبك[٣] الى عين الجر[٤] عشرون ميلاً ومن عين الجر الى القرعون[٥] وهو منزل في بطن الوادي خمسة عشر ميلاً ومن القرعون الى قرية يقال لها العيون تمضي الى كفرليلي[٦] عشرون ميلاً ومن كفرليلى الى طبرية خمسة عشر ميلاً .

ثم أردف ذلك بقوله وان اخذ الطريق الى جبال الأردن من دمشق فالطريق المستقيم من دمشق الى الكسوة الى آخر ما ذكره ابن خرداذبة وقد تقدم [٧] .

وما ذكره محمد بن البشاري المعروف بالمقدسي المتوفى بعد سنة ٣٧٥ هـ ٩٨٥ م :

---

(١) الكسوة على ما قاله ياقوت قرية هي اول منزلة تنزلها القوافل اذا خرجت من دمشق الى مصر وهي اليوم اول محطة للسكة الحجازية بين دمشق واذرعات على الكيلومتر ٢٥ . (٢) المسالك والممالك ص ٧٨ . (٣) يقول ياقوت بعلبك مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لانظير لها في الدنيا بينها وبين دمشق ثلاثة ايام وقيل اثنا عشر فرسخاً من جهة الساحل . قلنا ولا تزال آهلة يقصد اليها السياح من أقطار الارض لمشاهدة آثارها وهيا كلها البديعة الصنع الغريبة الوضع وهي محطة للسكة الحديدية السورية على بعد ١٠٨ كيلومترات عن دمشق بين رياق وحلب . (٤) عين الجر موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق ذكره ياقوت في معجمه قلنا وهي اليوم القرية المعروفة بعنجر وكانت من قلاع الشام الحصينة قديماً . (٥) لا ذكر للقرعون في معاجم البلدان وانما ذكر ياقوت القرع وقال اسم لاودية في بادية الشام سميت بذلك لانها لاتنبت شيأ والقرعون اليوم قرية من قرى البقاع . (٦) لم يذكر في المعاجم العيون وكفرليلى وذكر ياقوت مرج عيون بسواحل الشام وقال العيون جمع عين الماء وهي في مواضع . قلنا ونظن انهما باقيتان الى الآن و يقطن الثانية مهاجرة الشركس على ماقيل لنا . (٧) نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة المطبوع بذيل المسالك والممالك ص ٢١٩ .

وتأخذ من دمشق الى الكسوة بريدين ثم الى جاسم مرحلة ثم الى أفيق مثلها ثم الى طبرية بريداً (١) .

فإذن كان من دمشق وما اليها الى مصر طريقان مطروقان احدهما يدعى بالدارج والآخر يعرف بالاعظم والى يوم الناس هذا تسمي العامة الاول المدراج الغربي والثاني المدراج الشرقي .

ولم يقل هؤلاء ولا غيرهم بطريق آخر يسلك فيه من دمشق الى مصر .

ولنرجع الى أقوال المؤرخين والرواة الذين ذكروا موضع وفاة الخليفة الأموي يزيد ابن عبد الملك بن مروان : قال ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ٨٩٥ م : (٢)

« توفي يزيد بن عبد الملك بالبلقاء من ارض دمشق وكانت وفاته سنة ١٠٥ »

وقال محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ ٩٢٢ م ما ملخصه :

وفي هذه السنة اي (١٠٥ هـ ٧٢٣ م) مات الخليفة يزيد بن عبد الملك يوم الجمعة لخمس ليال بقين من شعبان قال وقال الواقدي كانت وفاته ببلقاء من ارض دمشق وقال علي بن محمد مات باربد من ارض البلقاء (٣) .

وقال علي بن الحسين بن علي بن عبد الله المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ٩٥٧ م وتوفي يزيد بن عبد الملك باربد من ارض البلقاء من أعمال دمشق (٤) .

وقال علي بن الحسين المشهور بابي الفرج الاصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ ٩٦٦ م : نزل اليزيد بيت رأس بالشام (٥) ومعه جاريته حبابة وخلا بهـا فأتيا بما يأكلان

(١) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٩٠ . (٢) الاخبار الطوال طبع مصر ص ٣٢٠ . (٣) تاريخ الامم والملوك ج ٨ صفحة ١٧٨ . (٤) التنبيه والاشراف صفحة ٣٢٠ ومروج الذهب بهامش تاريخ الكامل لابن الاثير ج ٧ صفحة ١٣٣ . (٥) بيت رأس قرية شرقي نهر الأردن كانت تُنسب اليها الخمر الجيدة ولا تزال صهاريجها وآثارها ماثلة للعيان . وقد ذكرت في معجم ياقوت بانها قرية وقيل كورة بالاردن وفي كتاب المشترك وضعاً والمفترق صقعاً قال ناحية بالأردن وهي اليوم مأهولة واسمها باليونانية (Capitolias) .

فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فماتت فأقام لا يدفنها ثلاثاً حتى تغيرت وأنتنت وهو يشمها و يرشفها فعاتبه بعض ذوي قرابته واصدقائه وعابوا عليه عمله فأذن في غسلها ودفنها وعاش بعدها اياماً معدودات ومات فدفن الى جنبها (١) .

وقال علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٢ م :

خرج اليزيد بحبابة جاريته الى ناحية الاردن يتنزهان فرماها بحبة عنب فدخلت حلقها فشرقت ومرضت وماتت فتركها ثلاثة ايام لم يدفنها حتى انتنت فكلم في امرها حتى أذن في دفنها وعاد الى قصره كئيباً حزيناً وتوفي بعد ذلك وكان مرضه السل (٢)

وقال علي بن محمد بن عبد الرحمن الروحي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م وتوفي يزيد بحوران (٣) .

وقال غريغور يوحنا بن هرون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ١٢٨٦ م في صدد يزيد وجاريته حبابة :

« وخرجت معه الى ناحية الأردن يتنزهان فرماها بحبة عنب فاستقبلتها بفيها فدخلت حلقها فشرقت ومرضت بها وماتت وتوفي يزيد بعدها بخمسة عشر يوماً ومات ودفن الى جانبها سنة خمس ومائة » . (٤)

وقال محمد بن عيسى المعروف بكمال الدين الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ١٤٠٥ م :
وتوفي يزيد بن عبد الملك باربد من ارض البلقاء وقيل بالجولان وحمل على أعناق الرجال الى دمشق ودفن فيها وكان مرضه بالسل (٥) .

وقال حسين بن محمد الحسن الديار بكرلي المتوفى بعد سنة ٩٨٢ هـ ١٥٧٤ م .
ومات يزيد بسواد الازدن بمرض السل قاله هيثم بن عمرو (٦) .

---

(١) الاغاني ج ١٣ صفحة ١٥٧ . (٢) كامل التواريخ ج ٥ صفحة ٤٥ .
(٣) بلغة الظرفا في ذكرى تاريخ الخلفا صفحة ٢٥ . (٤) تاريخ مختصر الدول صفحة ١٩٩ . (٥) حياة الحيوان ج ١ صفحة ١٢٧ . (٦) تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس ج ٢ صفحة ٣٥٥ .

وقال احمد بن سنان بن يوسف بن احمد القرماني المتوفى سنة ١٠١٩هـ ١٦١٠م ٠

وتوفي يزيد بن عبد الملك بمرض السل باربل من ارض البلقاء وقيل بالجولان وحمل على أعناق الرجال الى دمشق وقيل مات باذرعات ودفن فيها [١] ٠

وقال محمد بن احمد بن عبدالغني بن علي الاسحاقي المتوفى بعد سنة ١٠٣٢هـ ١٦٢٢م: وتوفي يزيد بنجران في شهر شعبان سنة خمس ومائة [٢] وكأنه نقل هذا عن الروحي فجعل حرّان نجران ٠ وحرّان هـذه قرية بغوطة دمشق ونجران من قرى حوران ذكرهما ياقوت في معجمه ٠

وأغرب ماورد في هذا الباب هو قول ياقوت الحموي في مادة إزْ بِدْ بالزاي :

إزْ بِدْ : قرية من قرى دمشق بينها وبين اذرعات ثلاثة عشر ميلاً ٠ فيها توفي يزيد بن عبد الملك بن مروان الخليفة بعد عمر بن عبد العزيز في شعبان وقيل في رمضان سنة ١٠٥ واختلفوا في سبب مقامه هناك ٠ فقال اهل الشام كان متوجهاً الى بيت المقدس فمرض هنـاك ٠ وقال آخرون بل خرج للنزهة وانقصف كما ذكر في خبر وفاته الفظيع الشنيع فحُمل على أعناق الرجال الى دمشق فدفن في مقبرة الباب الصغير وباب الجابية وقيل بل دفن حيث مات [٣] ٠ ولزيادة الايضـاح وتحليل الحادثة وتعليلها نذكر ما رواه اهل الجغرافية عن الأردن والبلقاء والجولان التي نسبت اليها حادثة الوفاة ٠

فالأردن احد أجناد الشام الخمسة وهي كورة واسعة منها الغور وطبرية وصور وعكا : والبلقاء كورة من أعمال دمشق بين الشـام ووادي القرى قصبتها عمان : والجولان قرية وقيل جبل من نواحي دمشق ثم من عمل حوران وقال بعضهم يقال للجبل حارث الجولان وقيل حارث قلة فيه ٠

هذا ما رُوي عنها باختصار أوردناه لنستعين به في اثبات نظريتنا في ان اربد عجلون هي غير اربد طبرية ٠

وبعد فان اربد الواردة في مسالك الابصار وغيره من الكتب هي اليوم قرية دارسة.

(١) اخبار الدول وآثار الاول ص١٤١ ٠ (٢) اخبار الاول فيمن تصرف في مصر من ارباب الدول صفحة ٥٦ ٠ (٣) معجم البلدان ج ١ صفحة ٢٣١ ٠

تحت قرية حطين بينها وبين مدينة طبرية و بحيرتها وبين قرية المجدل وهي على يمين القادم من دمشق الى مصر يعرفها العامة الى اليوم بهذا الاسم وفي جوارها قلعة متهدمة واليك ما قاله عنها الدكتور بوست من المعاصرين الاحياء في مادة بيت أرَبْئيل « (بيت دار الله اومكمن الله سفرهوشع الاصحاح ١٠ : ١٤) اربيلة وهي اربدالحالية شرقي بحر طبرية[١] » قلنا والصواب شماليها .

وقال القس اسعد منصور :

« بيت أربئيل أخربها شلمان ملك أشور وقتل كل سكانهـا (هو ١٠ : ١٤) هي الآن إربد خربة على نحو ثلاثة أميال شمالي طبرية وجنوبي قلعة ابن معن ذكرت في سفر المكابيين الأول باسم اربيلا (١ مكا ٩ : ٢) بقربها كهوف حصينة اتخذها اللصوص مكمناً لهم حتى شتت شملهم هيرودس الكبير[٢] » .

وفي تعاليق صديقنا الاستاذ السيد نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل[٣] :

« وقيل المجدل ترى وادي الحمام الى الغرب وعلى شفا جرف عالٍ قلعة اربد او اربيلا فيها مغارات يتصل بعضها ببعض بممرات وفي المغاور آبار و يصعب الصعود اليها من الشرق وهي محاطة بسور من الوراء ولقد ذكرت في التلمود بانها بين صفورية[٤] وطبرية وذكرت في تاريخ يوسيفوس باسم مغاور اربيلا ولقد حاربها تيطس الروماني واقتاد اهلها بحيلة المزيمة الى السهل وهناك دار عليهم وكسرهم وبدد شملهم » .

على ان يذكر صاحب الدليل المعروف باسمه يقول عند ذكره الطريق من طبرية الى تل حوم وصفد :

على بعد نصف ساعة من المجدل الى الغرب في السفح الجنوبي من وادي الحمام خربة

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ٢٦٣ . (٢) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب صفحة ٢٢٢ . (٣) تعاليق مخطوطة عن البلدان الفلسطينية .

(٤) صفورية في معجم البلدان كورة وبلدة من نواحي الأردن بالشام وهي قرب طبرية وهي اليوم قرية كبيرة على جانب الطريق بين الناصرة وطبرية وفيهـا كنيسة بنيت على أنقاض كنيسة قديمة وقد كانت كرسي أسقفية للنصارى .

اربد وهي اربيلا القديمة وهناك اطلال معبد يهودي وهو الذي ذكر في التلمود وهذا المعبد يقع على طرف الوادي [(١)] .

وهذه الأقوال تؤيد ماقاله الاستاذ بول (Buhl) في المعلمة الاسلامية ان اربد هي اربيل القديمة وانها في البلقاء على اثني عشر ميلاً غربياً من بيسان وهو القول الذي خطأه الاستاذ كرد علي كما سبق بيانه ولعل الاستاذ بول اخذ باقوال المؤرخين العرب الذين قالوا ان الخليفة يزيد قضى باربد من ارض البلقاء فجاراهم على تعريفهم والا فان اربد الحالية هي من الاردن والاردن يجاوره من ناحية البلقاء ومن أخرى الجولان فاذا التبس الامر على المؤرخين في تعيين الجند اوالكورة فقال بعضهم ان اربد في البلقاء وقال الآخر انها في الاردن وقال غيره انها في الجولان فلا غضاضة عليهم في هذا . ومادمنا قد وصلنا الى اخبار التوراة التي استشهد بها من نقلنا عنهم ، فلنصحح اسماء ابناء يعقوب الاربعة الذين ذكرهم ابن فضل الله ومن تقدمه من الرحالة والجغرافيين وهم :

دان : وكان يحدملكه شرقاً يهوذا وبنيامين وجنوباً يهوذا وغرباً بحر الروم وشمالا افرايم

يساكر : 〃 〃 الأردن 〃 منسى 〃 اشير 〃 زبولون

زبولون : 〃 〃 بحر الجليل والاردن 〃 يساكر 〃 اشير 〃 نفتالي

جاد : 〃 〃 عمون والبادية 〃 زاوبين 〃 الاردن 〃 منسي

وبحر الجليل هو بحيرة طبرية .

بقي علينا ان ننظر في المكان الذي توفي فيه الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك بالاستدلال مما تقدم .

لم يذكر لنا الجغرافيون قرية اوبلدة باسم اربد في جهات البلقاء على ماحدودهاهم انفسهم وكان حرياً بهم ان يذكروها اذا صح ان خليفة توفي فيها ولما ذكر ياقوت مكان هذه الوفاة قال عنها إِرْبِدْ بالزاي كما سبق بيانه فاذا لم يكن الخليفة قد توفي بازبد كما زعم ياقوت

(١) دليل بدكر الطبعة الافرنسية لسنة ١٩١٢ صفحة ٢٥٢ (Baedeher page 252)

وعدها مجاورة لاذرعات(١) — ونظنه قد وهم في اعجام الراء فيكون صوابها اربد التي قرب عجلون لان هذه القرية تبعد اليوم ٢٥ كيلومتراً عن اذرعات — وكان التبس على ياقوت الامر بين إربد وأربد فيترجح معنا ان هذا المكان هو اربد المجاورة لطبرية للاعتبارات التالية :

(١) = ان إربد عجلون شديدة البرودة في موسم الشتاء فلا تصلح لان تكون متنزهاً او منتجعاً للخليفة في شهر شعبان من سنة ١٠٥ هـ الموافق لشهر يناير — كانون الثاني — من سنة ٧٢٣ م لان البرد فيها وفي نواحي البلقاء يكون على أشده في ذلك الشهر .

(٢) = ان اول مؤرخ ذكر أربد هو الطبري كما تقدم بيانه وللذاكرها فتح الباء منها فقال ارَبد عما بؤيد رأينا في ان مكان وفاة الخليفة هو اربد التي بقرب طبرية فان التي بعجلون سواء أكانت بالزاي المنقوطة ام بالراء المهملة فهي بكسر الباء . .

(٣) = ان أربل او أربد او إربل او إربد هذه قد عربها العرب عن اربلا او اربئيل وهي واقعة على يمين الجادة السابلة من دمشق الى مصر ومن القرى التي لها شأن مذكور في التاريخ الاسرائيلي .

(٤) = سواء أكان الخليفة قد جاءها للنزهة ام للاستشفاء ام وصل اليها في طريقه الى بيت المقدس فانه يجب ان يأتيها من الطريق المسلوكة وهي محاذية لها .

(٥) = ان بحيرة طبرية وماجاورها من الاراضي البركانية معروفة بجفاف الهواء وهي تصلح لسكنى المصدورين فلا يستبعد ان يكون الاطباء قد اشاروا على الخليفة المريض بهبوطها عندما اشتد البرْد والبَرَد بدمشق . وطبرية معتدلة الهواء في فصل الشتاء لا يكاد يشعر ساكنها بتأثير القرّ وهي شديدة الحرارة في الصيف لانخفاضها عن سطح البحر ٢٠٨ أمتار فهي من المشاتي الجميلة التي يوصي بها الاطباء لمثل هؤلاء المرضى والأعلاء .

(٦) = ان اربد طبرية واقعة بجوار سهل جنيسارة ومطلة عليه من علٍ وهذا المرج الممتد على شاطيء البحيرة التي كانت تنسب اليه قبلاً والذي يسميه العرب اليوم

---

(١) اذرعات من المدن الكبرى جاء ذكرها في أشعار القدماء وقد ذكرت في معجم ياقوت وهي تعرف اليوم بدرعا ولها محطة على الكيلومتر ١٦١ من حيفا الى دمشق في السكة الحديدية الحجازية ومنها تتفرع الى ناحية الحجاز .

بالغُوير تصغير الغور كان مضرب المثل في خصب التربة والجمع بين أشجار المناطق الحارة والباردة لاعتدال جوّه وجودة ثماره ويقوله الى حدّ ان اليهود كانوا يحرمون نقل تلك الثمار الى بيت المقدس في الأعياد الثلاثة التي كان يفرض عليهم فيها السعي الى زيارة الهيكل مشاة على الأقدام لئلا تلهيهم تلك الثمار الطيبة عن العبادة (هكذا يقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي) . وقد استولى المسلمون على هذه الارض وهي في حالة حسنة من الخصب والنموّ واستبحار العمران فلاغرابة في ان يكون الخليفة قد أقام في هذا المكان المرتفع للنزهة اوأُقيم فيه ليتمتع بجفاف الهواء وجمال المنظر .

(٧) = قد يكون الخليفة قدم طبرية مستشفياً او في طريقه الى بيت المقدس — وهذا ما نستبعده لاضطراب باله واختلال حاله بعد وفاة حبابة والعهدة على الرواة — فاشتدت عليه وطأة الداء وهو في طريقه وقضى نحبه فنقل الى اربد الى ان تتخذ التدابير اللازمة لاعلان موته وتولية وليّ عهده خوفاً من حدوث حادثة او وقوع واقعة .

(٨) = اذا سلمنا جدلاً ان الخليفة توفي باربد اوازبد عجلون في طريقه الى بيت المقدس وقد كانت اذذاك طريقاً أخرى تصل دمشق ببيت المقدس من ناحية اذرعات ومنها الى الزرقاء فعمان فبيت الرام فأريحا فبيت المقدس فما الذي أوصله الى اربد وهي تبعد زهاء ٢٥ كيلومتراً عن اذرعات ؟ .

هذا ماعنّ لنا ابداؤه في هذا الشأن وقد لا نكون من الاصابة على طرف الثمام ولكنها خطرات افكار مبنية على حقائق واعتبارات جديرة بالاهتمام .

عبد الله مخلص

عضو المجمع العلمي العربي

ابن خلدون

هو حكيم المؤرخين ، وعلم المحققين ، الفقيه الكاتب الشاعر المصنف القاضي ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون .

وبين عبدالرحمن وجده الاكبر خلدون آباء يقدرهم ابن خلدون نفسه بطريق الحدس بنحو عشرين أباً وان لم يحفظ من أسمائهم الا عشرة .

وينتهي نسبه الى وائل بن حُجر من أقيال حضرموت ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه ، ودعا له ولولده . ثم كان في شيعة معاوية ، ونزل خلدون من ولده (ويسمى خالد بن عثمان بن الخطاب) بلدة قرمونة من الاندلس في رهط من قومه . ثم انتقلوا الى اشبيلية ، وأسسوا فيها بيتهم الشهير ، وخدموا في الجند وقيادة الجيوش زمن بني أمية ، واستبد بحكمها بعضهم ، وبقوا يتعاورون أعمال الولاية والقيادة وخدمة السلطان زمن ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين ، فلما ضعف شأن الموحدين بالاندلس ونشأت دولتا بني هود وبني الاحمر ولم تستطع هذه الدفاع عن اشبيلية واوشك الاسبان ان يستولوا عليها ، رحل عنها آل خلدون الى سبتة ، ثم انتقلوا الى افريقية في جوار اميرها ابي زكريا الحفصي ، فأسسوا بيتاً جديداً بتونس يعيش بخدمة الدولة الحفصية في الشؤون العسكرية والسياسية ، الى ان انصرف آخرهم محمد ابو المترجم عن وظائف السيف والحكم ، وانقطع الى طلب العلم والادب والرباط للعبادة ، فشب ابنه عبد الرحمن على مذهبه اولاً ، ثم نزع به عرق الوراثة فقضى في الحكم والسياسة اكثر عمره كما سنبينه .

ولد عبد الرحمن بن محمد مترجمنا في غرة رمضان سنة ٧٣٢ بتونس ونشأ بها ، فحفظ القرآن وتلقى على ابيه مبادئ العربية والأدب والفقه ، وحفظ المعلقات والحماسة وكثيراً من شعر القدماء والمحدثين ، ثم اخذ عن كثير من فحول علماء تونس ومن جلا اليها من علماء المغرب الاقصى والاندلس ، وقرأ القرآن بالروايات السبع ، ودرس النحو واصول الفقه وفروعه على مذهب مالك ، وقرأ الموطأ وصحيح مسلم ، واخذ المنطق وتعاليم الفلسفة والحكمة على طريقة ابن رشد وغيره ، والحساب وفن الكلام على مذهب الاشاعرة على العلامة الابلي الاندلسي .

واتفق ان دهم افريقية طاعون جارف مات فيه أبواه واكثر ذوي قرابته واشياخه فكسف باله ، ومال الى الاشتغال باعمال الدولة ، فتولى كتابة العلامة عن السلطان ابي اسحق الحفصي وهي (الحمد لله والشكر لله) تكتب بالخط الغليظ بين البسملة وما بعدها من مخاطبة او مرسوم ، وسنه لاتتجاوز العشرين ٠

وكأنه استصغر هذا العمل فعزم على الخروج الى المغرب الأقصى لعله يجد عملاً أرفع ، فما كاد يخرج مع سلطانه في غزاة انهزم فيها حتى يم المغرب قاصداً السلطان ابا عنان المريني بفاس فلقيه في طريقه امير بجاية (عنابة) الآن فصرفه عن قصده ، وأخذه معه الى بلده في خدمته ، الا ان شهرته بالفضل كانت قد بلغت ابا عنان ، فطلبه منه ، فأرسله اليه ، فضمه الى مجلسه العلمي الذي كان يعقده للعلماء والادباء يناظرهم فيه و يشاركهم في البحث ، وعهد اليه بمثل عمله في تونس الا ان ابن خلدون انتهز فرصة لقاء هؤلاء الأعلام فأكب على التحصيل والاخذ عنهم واستكمال علمه عليهم ، وازداد حظوة عند السلطان ونفوذ جاه ، فأوغر ذلك صدور المقربين للسلطان ، فاتهموه عنده ان صدقاً وان كذباً بمالأة امير بجاية على الدولة ، فقبض عليه وعلى امير بجاية وأودعهما السجن ٠ ثم أطلق الامير ، ولبث ابن خلدون في السجن نحواً من سنتين مات في نهايتهما السلطان ، فأخرجه الوزير الحسن بن عمر من السجن ، وقلده عمله القديم الا ان ابن خلدون لم يختر العافية وعيشة الهدوء بل سعى في تدبير الامر للامير ابي سالم المريني (وكان منفياً الى الاندلس) حتى سهل له الاستيلاء على ملك المغرب ٠ وعندئذ أغدق عليه الأموال الطائلة وقلده كتابة السر وانشاء الرسائل السلطانية ٠ فعدل عن مألوف كتاب المغرب من الكتابة المسجوعة البديعية ، وآثر المرسل من الكلام البليغ على طريقة القدماء ٠ ثم ولاه خطة المظالم ، وهي وظيفة جليلة في الدولة ، فهاج ذلك حساده ووشوا به الى السلطان ، فتنكر له ٠ وأحس ابن خلدون ذلك منه فتآمر هو والوزير عمر بن عبد الله على خلعه ، فخلع واستبد الوزير بالملك ، وكافأ ابن خلدون بعمل لم يعجبه ، فانقطع عن خدمة الديوان لفرط الدالة ونزق الشباب ، فجفاه الوزير ، فاستأذنه في الخروج ، فأذن له بعد مشقة ٠

وكان ابن خلدون قد ادى للسلطان محمد بن الاحمر ووزيره لسان الدين بن

الخطيب خدمات جليلة ايام نفيهما الى المغرب ، فأراد ان يستغل ما قدمه اليهما فكتب اليهما بالقدوم الى الاندلس ، فلقيـاه بالحفاوة والكرامة ، واسفره ابن الاحمر الى ملك قشتالة الاسباني باشبيلية في مهمة ، فنجح فيها ، وحظي عندالسلطان واختص به في اكثر مجالسه ، فأحفظ ذلك صدر ابن الخطيب ، فشعر ابن خلدون بالامر ، وتخوف العاقبة . فاستأذن السلطان ان يرحل الى بجاية لخدمة اميرها فأذن له على كره ، فولاه امير بجاية اكبر عمل في دولتـه ، وهو منصب الحجابة ، ولكن سوء حظه حوّل مجرى الامور ، فخرج عليه ابن عمه وقتله ، فلم ير ابن خلدون بأساً في تسليم المدينة له جلباً لمودته ، ولكن مودته لم تدم ، فأوقع الوشاة بينهما .

فخرج من بجاية وعزم على الانقطاع عن السياسة والاشتغال بالعلم والتدريس بمدينة بسكرة ، الا ان ريح السياسة عصفت به ، فخرج الى فاس ، فلم يطب له فيها العيش وتنكر له المستبدون بها ، وظنوا انه يمالئ عليهم اعداءهم بالمغرب ، فاستأذنهم في الخروج الى الاندلس ، فعاد اليها ولاقاه ملكها محمد ، ووزيره ابن زمرك بعد مقتل ابن الخطيب غير ان أعداء ابن خلدون بالمغرب والاندلس أبلغوا ابن الاحمر انه كان يسعى في خلاص ابن الخطيب من نكبته ، ويحطب في حبله ، فطرده ابن الاحمر من بلاده ، فخرج منها بائساً لا يدري اين يذهب ، حتى أذن له ملك تلمسان ابو حمو بدخولها مع انه كان حاقداً عليه لمظاهرته لاعدائه ، وبعد مدة كلفه الخروج الى بعض اهل البدو لاستمالتهم الى طاعته فغير وجهة قصده ، ونزل ضيفاً على أولاد عريف في كنفهم ، وبت العزم على الانقطاع عن اعمال السياسة والشروع في التأليف ، فمكث بينهم اربع سنوات الف في خلالها معظم تاريخه العظيم ، وسود مسودة مقدمته في خمسة اشهر منها ، ثم احتاج الى مراجعة الكتب الكبيرة فاستأذن سلطان افريقية من الحفصيين بدخول تونس وطنه القديم ، فأذن له فدخلها وألهاه مراجعة الكتب والاشتغال بالتدريس والتأليف عن زيارات السلطان ومدحه في المواسم بالقصائد ، واشتهر امره في تونس واقبل عليه الطلاب والمستفيدون من كل فج ، وانصرفوا عن دروس العلماء بتونس الى درسه فوشوا الى السلطان بانه يتكبر عليه ولا يمدحه ، ومع ان ابن خلدون بعد ذلك مدحه وأهدى اليه ما أتم من تاريخه لم يصف له وجهه . فاستأذنه في الرحلة الى المشرق للحج واستكمال

تاريخه فأذن له ، فخرج الى مصر بطريق البحر فدخلها سنة ٧٨٤ في مبدإ حكم الملك الظاهر برقوق اول ملوك الشراكسة ، فجلس للتدريس بالجامع الازهر ، وتولى قضاء المالكية سنة ٧٨٦ فأظهر العدل والصراحة في أحكامه والضرب على ايدي المزورين والمتقاضين من الاعيان فعزّ ذلك على بعض الرؤساء وحسده العلماء والقضاة وسعوا به لدى السلطان ، وصادف ذلك غرق اهله وأولاده عند قدومهم اليه من المغرب ، فانقبضت نفسه عن الدنيا واستقال من القضاء وخرج الى الحج سنة ٧٩٧ . ثم رجع الى مصر وتولى التدريس حتى خرج مع كثير من علماء مصر في جيش السلطان فرج بن برقوق لمدافعة تيمورلنك عن الشام ولكن برقوق رجع بجيشه الى مصر دون ان يلاقي تيمولنك لفتنة حدثت في مصر وترك تيمور يحاصر دمشق . فخرج ابن خلدون منها في جماعة من العلماء الى سرادق تيمور ، وسأله تيمور عن حاله ، فخلبه بسحر بيانه ودهائه وأطلعه على ما كتبه في تاريخه من أعماله وفتوحه ، واستأذنه في الذهاب الى مصر فأذن له ولم يعد اليه . وبقي مشتغلاً بالتدريس والقضاء حتى مات بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ وهو قاض للمرة السادسة . ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وجهل قبره .

* * *

اخلاقه = يستنبط القارئ لسيرة ابن خلدون وتقلبه في البلاد والمناصب على اختلاف أنواعها أنه اشتمل على أخلاق من شأنها ألاّ تجعل حياة صاحبها هادئة هنيئة ، لا يكدر صفوها كيد الحساد ولا بمنافسة النظراء .

فأولها : علو الهمة والطموح الى اقتراع كبار المناصب في الدول ، ولا جرم أن هذه المناصب في الدول قليلة العدد ، عزيزة المنال تقتضي أن ينفرد متوليها في الدولة بالمجد والجاه ، وهو ما يتطلع اليه كل عظيم النفس ذكي الفؤاد ، ويبذل في سبيل الوصول اليه النفس والنفيس ، ويترخص اليه كل عظيمة من سعاية وغش وخديعة وتزوير لاسقاط متوليها من منصبه وعظيم جاهه ليخلو له الجو او يقارب .

وثانيها : انه كان عظيم الثقة بنفسه الى مدى بعيد أغفله عن مراقبة خصومه ، والتنبه لمكايدهم ليحبط أعمالهم ، ويرد كيدهم عليهم ، فما كان يفطن لكيدهم الا وقد وقع في الشرك الذي نصبوه له ، وقلما نجا منه . وربما حمله ذلك على احتقار من هم دونه وقلة المجاملة لنظرائه والدهان لرؤسائه فيمل مقامه بينهم ، ويتربصون به الدوائر وربما جره

ذلك ايضاً الى الاعجاب بنفسه والدالة على رؤسائه والتحدث عن أعماله وآرائه بما لا يروق المنافسين له ٠

وثالثها : قلة الوفاء لمن جذبوا بضبعه الى المعالي من الملوك والامراء والوزراء والرؤساء الذين خدمهم في دولتهم ، وسمحت له نفسه بمظاهرة اعدائهم عليهم عندما يتوقع ركود ريحهم ، وانتقاض ملكهم : ايثاراً للسلامة ، وتوقياً للمكروه الذي قلما سلم منه ، وحرصاً على مرتبة أسمى وجاه أرفع ، وذلك الخلق متولد من التطرف في الخلق الاول وهو علو الهمة ٠

ورابعها : انه كان كثير الملل والسآمة كثير التبرم بالاكفاء والنظراء وربما كان ذلك ناشئاً عن الخلق الاول ايضاً ٠

***

ذكاؤه ونفوذ خاطره في سنن العمران والاجتماع البشري — كان ابن خلدون احد نوابغ العالم الذين عاشوا افذاذاً في عصور مظلمة لم يعضدهم فيها مشاكل ، او تعرف قدرهم أمتهم ، فكانت حياتهم بين الامة التي عاشوا فيها كلها شقاء ومحنة ، فقد أداه نفوذ خاطره وصدق نظره الى الاهتداء الى كثير من علل الحوادث التي تنتاب الاجتماع البشري وعرف ما بينها من الارتباط والتشابه حتى وقرت في نفسه بصور قوانين عامة وأقيسة مطردة سال بها قلمه دون ان يفطن لها كثير من اهل قرنه ، ولم ينكشف سرها ويتضح للباحثين صدق انطباقها على سنن العمران والاجتماع الا بعد انقضاء عدة قرون ٠ وهذا الذكاء الفائق في ابن خلدون مراتب الذكاء المعتاد فيمن نشأ على نظام التربية والتعليم المتبع في عصره هو الذي جعل تفكيره يتسامى الى أفق أعلى من أفق التفكير عند اهل عصره ، فبعدت الشقة بينه وبينهم فزالت المؤالفة والتراضي وحسن الاغتباط بالصحبة ، والى هذا يرجع شقاء كثير من أذكياء العالم على ايدي القرن الذين نشئوا بين ظهرانيهم ، فلم تثمر أعمالهم في عصرهم ، وقد يحفظها التاريخ لمن يفطن لها ممن يأتي بعدهم ، ويقتبسون من نورها في حياتهم وآرائهم ، كما فطن هو بثاقب نظره الى آراء كثير من فحول التفكير الذين سبقوه بقرون وباحوا بما جاشت به نفوسهم من قوانين وحقائق لم يشعر بها اهل زمانهم ، فمخضها واستخرج منها زبدة آراء لم يعرفها العلماء الا بعد تهذيب

العلوم وترقية شؤون التعليم والتثقيف ، فكان وجوده سابقاً بذكائه المتوقد للعصر الذي يلائم تفكيره بنحو اربعة قرون .

وقد يخطر بالبال المجرد من التأمل ان ابن خلدون لو لم ينهمك في أعمال السياسة ويتول الكثير من مناصب الدولة والرياسة وكان قد توفر على التعمق في البحث والتمحيص لكان للناس من ثمرة ذكائه أضعاف ما اثر عنه ، ولكن لايعزب عن المتأمل ان ما وصل اليه ذهنه من القوانين والآراء التي قررها في مقدمته انما كان اكثرها بسبب احتكاكه بالناس حاكماً ورئيساً ومرؤوساً وطالباً ومطلوباً وملابساً لاحوال الملوك والمستبدين على اختلاف نزعاتهم وتباين أممهم ونحلهم وأنسابهم وبلادهم .

* * *

علمه وتصرفه = قدمنا ان ابن خلدون درس في شبابه من علوم القرآن والفقه واصوله والكلام والعربية والآداب وتعاليم الفلسفة والتصوف ما اعتاد كثير من المحصلين من اهل زمانه ان يجودوه ، بل ربما قل عنهم فيه ، لانتظامه في سلك الاعمال السلطانية قبل ان يطر شاربه ، وانما العبرة في ابن خلدون وأضرابه من أذكياء العالم في امرين : الاول الانتفاع بالقليل من المعرفة بحسن تصريفه في كثير من وجوه العلم ، والثاني دوام الاستزادة من المعرفة كلما سنحت الفرصة وتهيأ لهم الفراغ ، فيكونون على اتصال دائم بالعلم فلا تخمد جذوة ملكتهم فيه ، ويغزر علمهم ، ويتسع اطلاعهم اذا بارك الله في عمرهم وانفسح اجلهم ، فقد وجدناه يقوم بوظيفة خطية هي كتابة العلامة فيجودها ، ويشتغل بصناعة كتابة من كتابة السر وانشاء الرسائل فيجدد من محاسنها ، وينتدب للسفارات وتأديب البغاة واستمالة العصاة فينجح فيها ، ويتولى الحجابة فيرفه من شأنها ، وتسند اليه خطة المظالم والقضاء (وهما ثمرة الفقه والاضطلاع بالعرف) فلا يتحرف عن جادتها ، ويصنف في التاريخ والأدب والفلسفة فيعد من المبتكرين والأئمة الواضعين فيها والرافعين من قواعد هيكلها ، ويجلس لتدريس الفقه والاصول والكلام فتنثال عليه الطلاب من كل حدب ، ويخل له ما تعقد من صناعة التربية والتعليم ، ويصبح قدوة فيها . وبذلك يسقط قول الامام الجليل ابن عرفة المالكي في ابن خلدون عندما قدم مصر الى الحج

« كنا نعد خطة القضاء أعظم المناصب ، فلما بلغنا ان ابن خلدون ولي القضاء عدنا بالضد من ذلك » على انه كان من المنافسين له في المغرب .

* * *

ابن خلدون باعتباره كاتباً مترسلاً — نشأ ابن خلدون في زمان يسلك كتاب الرسائل السلطانية فيه طريق الكتابة المسجوعة المحلاة بانواع البديع على طريقة ابن العميد وكانت طريقة القاضي الفاضل التي أساسها التورية والتوجيه والجناس قد دب دبيبها الى المغرب منذ حين حتى لابست اقلام كثير من بلغائه كابن الخطيب ، وهي الطريقة التي سماها ابن خلدون بالشعر المنثور ، فشب ابن خلدون في كتابته على هذه الطريقة وكتب بها ردحاً من الزمن حتى ظهر له فسادها في الرسائل السلطانية ، وعدل عنها الى طريقة بلغاء الاوائل كابن المقفع واحمد بن يوسف والجاحظ ، فأحيا بذلك في عصره الكتابة المرسلة الفطرية الخالية من السجع وتكلف البديع في عصر بلغ فيه ذلك غايته ، قال عن نفسه عندما كتب للسلطان ابي سالم المريني :

« واستعملني في كتابة سره والترسل عنه والانشاء لمخاطباته ، وكان اكثرها يصدر عني بالكلام المرسل بدون ان يشاركني احد ممن ينتحل الكتابة في الاسجاع لضعف انتحالها وخفاء المعاني فيها على اكثر الناس بخلاف المرسل ، فانفردت به يومئذ وكان مستغرباً عند من هم من اهل هذه الصناعة » .

وقد عرفت رأيه مفصلاً في استهجان هذا الشعر المنثور والنثر المسجوع والنعي على مستعمليه في كتابة الرسائل مما قدمناه لك عند الكلام في كتابة الرسائل زمن المماليك منقولاً من مقدمته فراجعه ثمة وتأمل تعليله لذلك تعرف وجه انصرافه عن هذا النوع من الكتابة في الرسائل السلطانية والرجوع الى طريقة القدماء من البلغاء نعم ان ابن خلدون بقي الى آخر حياته تصدر عنه بعض المكاتبات لاخوانه المؤثرين طريقة البديع كابن الخطيب مجاملة لهم وجرياً معهم في ميدانهم الا انه راعى فيها القصد ، ولم يتكلف البديع ، وخاصة التورية والتوجيه كما تكلفها ابن الخطيب وغيره ممن فتنوا بطريقة المشارقة حتى حاكوهم فيها بتأليف كتب العلم والتاريخ مسجوعة ، كالفتح ابن خاقان في قلائد العقيان والمطمحين وكابن بسام في الذخيرة وكابن الخطيب في الاحاطة وكتاب

الحب الشريف وغيرهما ، فربا ابن خلدون بنفسه ونزع نير التقليد من كتابة الرسائل ومع المام ابن خلدون بكثير من العلوم ذات القواعد والاصطلاحات من نقلية وعقلية لم تظهر على رسائله السلطانية والاخوانية مسحة الكتابة العلمية وأساليب العلماء كما ظهرت في ابن الخطيب ·

***

مؤلفات ابن خلدون وكتابته فيها = ذكر لسان الدين ابن الخطيب بعض مؤلفات ابن خلدون قبل ان يؤلف تاريخه العظيم ومقدمته النفيسة فقال (شرح البردة شرحاً بديعاً دل به على انفساح ذرعه وتفنن ادراكه وغزارة حفظه ولخص كثيراً من كتب ابن رشد وعلق للسلطان « محمد بن الاحمر » أيام نظره في العقليات تقييداً مفيداً في المنطق ولخص محصل الامام الفخر الرازي[1] والف كتاباً في الحساب وشرع في هذه الايام في شرح الرجز الصادر عني في اصول الفقه بشيء لاغاية بعده في الكمال) وقال صاحب نفح الطيب بعد نقل هذا الكلام من الاحاطة هذا كلام لسان الدين في حق المذكور في مبادئ امره واوسطه فكيف لو رأى تاريخه الكبير ·

ونحن وان لم يعثرنا الزمان على جميع مؤلفاته لنتعرف معالم كتابته في مختلف العلوم لنستطيع قياس الغائب على المشاهد من كتابة مقدمته وتاريخه نرجح ان كتابته في الاصول والكلام والفلسفة لا تبعد كثيراً عن الفصول التي كتبها في المباحث الكلامية والفقهية والفلسفية من مقدمته الجليلة وفي بعض مواضيع من تاريخه · وعلى ذلك نبدأ بالكلام على المقدمة والتاريخ فنقول :

***

مقدمة ابن خلدون = نتكلم على المقدمة من حيث عبارتها واثرها في اقلام المنشئين ومصادرها والآراء التي انفرد بها مؤلفها فيها واثرها في ايجاد مؤلفات من نظائرها ·

(عبارتها) : أما كتابتها فيمكننا وصفها بما يأتي :

---

(١) هو محصل افكار المتقدمين والمتأخرين في علم الكلام على طريقة الاشاعرة وهو كتاب عظيم القدر ·

أولا — خلوها من السجع الا في النادر كخطبة الكتاب .

ثانياً — جزالتها في الفاظها و بلاغتها في أكثر أساليبها ، و يظهر ذلك في كثير من فصول مقدمته لا في جميعها فجاءت كتابته في هذه الفصول بمنزلة من البلاغة لا تقل عن كتابة فحول القرن الثالث . وقد يسفّ في كتابته في بعض الفصول ، فيغلب عليها التعقيد وأساليب المناطقة ، فيعتاص فهمها على من لم يرتض ذهنه على فهم عبارات المتكلمين والمتفلسفة .

ثالثاً — الاسهاب البالغ حد التكرار الممل في بعض المواضع والايجاز المخل المفضي الى الاستغلاق والغموض في آخر و ينشأ كلاهما في احدى خصلتين : اما من اضطراب أحوال النفس في انبساط وانقباض ، واما من اضطلاع وملاءة ببعض المسائل والدعاوي دون بعض . ولا يبرأ التأليف من معرة هاتين الخصلتين الا بمعاودة المؤلف النظر اليه في أوقات صفائه واستجمام خاطره والانحاء عليه بالتثقيف والتهذيب ومراجعة الاشباه والنظائر من الكتب الباحثة في مثل موضوعه ، وكل ذلك لم يكن بتيسر الوقوع لابن خلدون فيما لدينا من كتبه ، اذ من المعلوم ان المقدمة التي هي وليدة كد خاطر وقدح ذهن واستقصاء في بحث كتبت في نحو خمسة أشهر ، وهذا التاريخ كتب في أقل من اربع سنين ، وكأن المؤلف لم تهيأ له نكبات الايام ولامكايد الخصوم عيشاً رغداً ولا بالاً صالحاً لمعاودة كل ما كتب منها للتمحيص والتهذيب . وغاية ماعلمناه من ذلك انه راجع المقدمة فقرأ نسخة كتبت في مصر فنقح من بعض عباراتها ، وأعاد كتابة بعض فصولها من جديد ، ولكن ذلك قد كان بعد ان سارت بها الركبان وحملت الى اقاصي البلدان . وقد اطلعت على صورة شمسية نقلها العلامة المفضال احمد زكي باشا عن النسخة الخطية التي نقحها المؤلف بخطه والمودعة احدى دور كتب القسطنطينية ، فوجدت ان هذا التنقيح لم يَعْدُها ، و بقي مدفوناً معها في هذه القبور قبور الكتب أكثر من خمسة قرون ، و يظهر ان المؤلف نقحها في آخر حياته ، وأغفل امرها الى ان حملها السلطان سليم مع ما حمل من الكتب والذخائر والعتاد الى حاضرة ملكه ، فاحتجبت عن قراء العربية دهراً طويلاً ، وطبعت مراراً في كثير من الممالك عن الاصل الذي لم ينقح .

اما التاريخ فيظهر ان المؤلف لم ينقحه بل يظهر ان ماطبع منه في مصر نسخة منقولة

عن مسودة لا عن مبيضة لكثرة السقط والبياض فيه ·

رابعاً — استعمال المؤلف فيها بعض كلمات لم ترد في معجمات اللغة او صرفت على غير مجاز عن معناها ، واستعماله أساليب تأباها قواعد العربية في نثر الكلام ، او لا يمكن تصحيحها الا بتأول لا داعي اليه ، فيستعمل المخال اسم آلة لرفع الأجسام ، ولا اصل لاشتقاقها في اللغة ، وكذلك المندام وهو معرب ومعناه غير ذلك ، ويستعمل الجبل بمعنى القرن واللدات ، والمرج بمعني الاضطراب ، ويستعمل انتشوا بمعنى نشطوا في الامر ولا أصل له في اللغة ، و يدخل الواو في خبر لا بدّ فيقول (لا بدّ وان) ، و يدخل باء التعدية في فعل استبدل على غير المتروك ، و يعدى نعود بعلى ، و يجعل الخبر او جواب الشرط استثناء اواستدراكاً فيقول (فانه وان كان كذا الا انه او لكنه) ، و يؤنث الخلق ، ويستعمل التلميذ اسم جمع ، و يجمع العصبية على عصائب وغير ذلك كثير في كلامه · وقد تعدته هذه الاغلاط الى قراء مقدمته المحاكين لانشائه في اول عصرنا الحاضر ، ومنهم انتقلت الى كتاب الجرائد وقرائها · و بالرغم من هذه الاغلاط لم يكن الانتفاع بمقدمته وأسلوب كتابته فيها في وقت أظهر منه في اول العصر الحاضر فقد كان أسلوب ابن خلدون المرسل المجرد عن تكلف البديع والمحسنات اللفظية في تعبيره عن المباحث السياسية والعمرانية والاجتماعية والجغرافية والصناعية هو القدوة الحسنة للمصلحين والمجددين للنهضة الادبية العربية والسياسية من كتاب العربية في مصر والشام وتونس وخاصة من الف منهم في مثل موضوعاته اوكتب في الجرائد والمجلات لقلة المطبوع من الكتب ، ولانه أرحب أسلوب علمي أدبي للنقلة والمترجمين عن اللغات الاجنبية المحافظين على اصل المعنى ، فهي الاستاذ الاكبر لكتاب الصحف والمجلات في نهضتنا الاخيرة ، وربما انضم اليها في ذلك كتاب كليلة ودمنة .

ولم يعد للمقدمة في الثلاثين سنة الأخيرة من هذا العصر ما كان لها من عظم الشأن والقدوة الحسنة في اوائله لكثرة ما طبع من الكتب العظيمة وسهولة اقتنائها على الغني والفقير من اهل الادب لرخص ثمنها ، فشارك المقدمة في تثقيف الكتابة الادبية والتأليفية كتاب الاغاني وكتب الجاحظ وتاريخ الطبري وغيرها من الكتب البليغة الممتعة · على ان كثيراً ممن يعيشون في عصرنا يكتبون في مؤلفاتهم وجرائدهم وقد

استخلصوا زبدة هذه الأساليب ما لا يقل فصاحة وبلاغة عن ابن خلدون او يزيد مع صحة عبارة وانتقاء لفظ .

***

(مصادرها) : واما مصادرها فمن الغمط لفضل ابن خلدون والجحود لمواهبه وعبقريته ان نقول بان اكثر مباحثه فيها منقول من كتب المتقدمين فللرجل فيها فصول ونظريات هو ابو عذرتها ومبتكرها وخاصة ما كان متعلقاً بالسياسة والاجتماع والعمران والاقتصاد حتى لا يعدّ مبالغاً من يقول انه واضع علمي العمران والاجتماع ، وانه من اسبق من تكلم في الاقتصاد السياسي ، وان ما كتبه في مسائل هذه العلوم يربو على نصف المقدمة . ولكن من المسلم ان الفصل الاول من العمران البشري اخذه من أمثال رسائل اخوان الصفا وكتب الجغرافيين من العرب الناقلين لجغرافية بطليموس ، واخذ مباحث ادراك البشر للغيب بالفطرة او الرياضة من كتب التصوف والكلام والفلسفة دون ان يكون له كبير رأي فيها ، واخذ مباحث الخلافة والامامة ومذاهب الشيعة والخوارج فيها من كتب الكلام وكتب الملل والنحل للشهرستاني وابن حزم ، وكتاب الفرق بين الفرق والكامل للمبرد والعقد الفريد وغيرها . واخذ مباحث تاريخ العلوم والصناعات من مثل كتاب الفهرست لابن النديم ، وكتاب طبقات الامم لصاعد الاندلسي ، ومن مقدمات الكتب المطولة في التفسير والحديث ، ومن كتب التاريخ لطبقات الرجال في كل فن ، واخذ مباحث السحر والطلسمات والسيمياء والكيمياء من كتب مسلمة المجريطي والكتب المنسوبة لجابر بن حيان ورسالة ابن بشرون . واخذ التنجيم وأسرار الحروف والزايرجة من كتب البوني وابن عربي والسبتي صاحب اللامية وكلهم مغاربة .

واخذ الكلام في مقامات الصوفية من مثل مقامات المحبة والمجاهدة والتوجه والفناء وفناء الفناء من كتب الصوفية من أمثال ابن عربي الاندلسي وغيره . واخذ الكلام في خطط سياسة الدولة والاحكام السلطانية والجباية من أمثال كتاب الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي وكتاب الاحكام السلطانية للماوردي وسراج الملوك للطرطوشي وكتابي مروج الذهب والتنبيه والإشراف للمسعودي وكتاب الخراج لابي يوسف ،

واخذ كثيراً من مباحث إبطال الفلسفة والتنجيم والكيمياء من كتاب الغزالي وغيرها ·

وما بقي من مباحث المقدمة وهو كثير خطير فهو من أبكار أفكاره أوصله اليه كد خاطره وتعمقه في فهم العلوم والتنبه لأسرار الكون والخليقة وطبائع البشر في بداوتهم وحضارتهم ونشاطهم وخمولهم هذا الى كثرة تجاربه ومزاولته العمل في ممالك شتى مما أوضح له ارتباط اسباب نشوء الدول وسقوطها بمسبباتها علاوة على حسن الترتيب والتقسيم والنقد والتعليل لما ليس من مبتكراته وما كل ذكي الفؤاد بقادر على النقد والاستفادة مما يشاهد ويحس في البيئة التي يحلها ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ·

«للبحث صلة»

عضو المجمع العلمي

احمد الاسكندري

آراء وافكار

استبدال الحروف العربية
« بالحروف اللاتينية »

منذ استبدل الاتراك الحروف العربية في كتابتهم بالحروف اللاتينية تنبهت الافكار في الشرق الادنى عامة الى وجوب اصلاح الحروف العربية ايضاً وظهرت اقتراحات عدة بهذا الموضوع وفي جملتها انتهاج الخطة التي قبلها الاتراك وابدال الحروف العربية باللاتينية وآخر ماطالعناه مقال نشر في المقطم بتاريخ ١٠ تموز سنة ١٩٢٩ من ان عالماً مستشرقاً هولندياً اقترح على الحكومة المصرية كتابة العربية بالحروف اللاتينية وهذا هو المقال المذكور :

مهما بلغ من نزعة التجديد ونشاط المجددين عندنا فالرجاء ان لايسمح لهم بان يحاولوا احلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية فهذا مشروع لا يقابله الناطقون بالضاد بالارتياح ولا يشير به المستشرقون الاوربيون انفسهم ولو ان بعضاً منهم رأى هذا الرأي من اكثر من ربع قرن وعولجت القضية باسهاب كثير في المقتطف فقد روى وكيلنا الاسكندري الآن ان عالماً من علماء هولندا أرسل يقترح على وزارة المعارف عندنا ابدال الحروف العربية بحروف لاتينية وحذف سبعة حروف متشابهة من الابجدية ·

اما اذا عدنا الى اختبار سوانا فان مشروع تركيا أوقع بلادها في فوضى علمية وادبية واجتماعية لم ير لها مثيل والاخبار التي ترد من الاستانة تدل على ان هذا التبديل أدى الى اشكال عظيم كانت الصحافة في مقدمة ضحاياه ·

لقد تفرنجت الشعوب العربية في اشياء شتى بعضها حسن والبعض الآخر قبيح ولكن هل معنى هذا ان يعم التفرنج كل شيء ·

والظاهر ان الذين يشيرون باصلاحات جوهرية كهذه في اللغة العربية ينسون ان الترك شعب واحد في بلاد واحدة وان العرب شعوب في بلدان شتى فالذي يستقر عليه قرار واحد منها لا يسهل تطبيقه على سواه من هذه الشعوب وهي منتشرة من الاوقيانوس

الاتلانتيكي الى حدود فارس ومن جبال طورس والبحر المتوسط الى خط الاستواء ·

ان اللغة العربية في حاجة الى اصلاحات شتى يستطيع ان يعالجها مجمع لغوي عام كالذي فكرت وزارة المعارف المصرية في انشائه ولم ينشأ · واما القضاء على تاريخ لغة عظيمة عريقة في القدم وحافلة بالآثار النفيسة بابدال حروفها بحروف أخرى فاقتراح لا يخلو من الفكاهة ولكنه يجب ان لا يتجاوز هذا الحد ولا ان يكون موضع اهتمام من احد فالشعوب العربية تكافح وتسعى لمحاربة الامية فهل نعمل على خلق أمية جديدة ونقطع صلتها بالماضي قطعاً كهذا ·

فلا غرو والحالة هذه ان يكون رجال وزارة المعارف قد أجمعوا على رفض اقتراح العالم الهولندي فقد قيل قديماً للعرب (خذوا لغتكم من أعجمي) · فهل يراد اليوم ان يقال (خذوا حروفكم من أعجمي ايضاً) اه كلام المقطم ·

وكان المستشرقان الافرنسيان السيدان ماسنيون وهو من اعضاء مجمعنا وبينار رئيس البعثة العلمانية في الشرق قد تقدما بمثل هذا الاقتراح ونصحا أصدقاءهما العرب بكتابة لغتهم بالحروف اللاتينية ، فردّ عليهم الاستاذ فارس الخوري احد اعضاء مجمعنا بمقال نشرته صحف سوريا في أواسط كانون الاول سنة ١٩٢٨ نأخذ منه الخلاصة الآتية :

الاستاذان العالمان ماسنيون وبينار الافرنسيان قد اشتهرا بصداقتهما للعرب عامةً وللسوريين خاصةً والراجح عندي انهما حسنا النية في النصيحة الجريئة التي أسدياها للسوريين في حفلات التكريم المقامة لهما في بيروت باستعمال الحروف اللاتينية في الكتابة العربية · فهما يحسبان بما أظن ان هذه الطريقة تسهل على عمال المطابع تنضيد الحروف وفكها وتوزيعها وتخفف عناء القراءة العربية على أبناء الغرب وتيسر نقل الألفاظ الافرنجية وإدماجها في المطبوعات العربية وتجعل القراءة العربية الصحيحة في مقدور كل قارئ بإدخالها الحركات بين الحروف ·

هذه هي المزايا الاربع التي يمكن الادلاء بها في جانب اقتراحهما لتأييده ولكن هناك من المساوئ ما يفقد هذه المزايا قيمتها ويجعلها اموراً تافهة لا يؤبه لها ·

نحن لا نستطيع احتذاء حذو الأتراك من هذه الجهة لان بين لغتنا ولغتهم بوناً

شاسعاً وفروقاً جمة تجعل متعذراً علينا ما اختاروه لانفسهم . وهاانا نسرد بعض الاسباب الجوهرية التي تحملنا على عدم الاخذ بنصيحة السيدين الافرنسيين :

١ — عندنا الحروف ث ح خ ذ ص ض ط ظ ع غ ق وهي احد عشر حرفاً ليس لها مقابل في الحروف اللاتينية . فنبقى مضطرين عند قبولنا هذا الاقتراح لوضع اشكال جديدة لهذه الحروف وبذلك نفقد مزية سهولة القراءة على الاجانب عن اللغة وتصبح كتابتنا شكلاً جديداً تختلط فيه الحروف اللاتينية برموز أخرى على مثال ما هي الحال في كتابة اللغة الروسية .

هذه العقبة هان على الأتراك اجتيازها لانهم لا يلفظون هذه الحروف بمخارجها العربية الاصلية بل يخففونها و يجعلونها دانية مما يقاربها من الحرف اللاتيني فهم يلفظون الذال والزاي والضاد والظاء بصوت واحد و يكتبونه بالحرف اللاتيني Z ويلفظون الثاء والسين والصاد بصوت واحد ويكتبونه S والتاء والطاء بصوت واحد يكتبونه T والحاء والخاء والهاء بصوت واحد يكتبونه H والقاف والكاف بصوت واحد يكتبونه K والغين جيماً حلقية يكتبونه G واما العين فيلفظونها همزة او الفاً و يكتبونها كذلك .

فجميع الحروف التي استعاروها من العربية او الفارسية وليس لها مقابل في الابجدية اللاتينية أدمجوها بحروف أخرى تقاربها ووحدوا اللفظ بينها .

اما اللغة العربية فلا يستطاع فيها هذا التبديل والتلاعب ولا بد لكل حرف منها من شكل خاص به يصاحبه لفظه الخاص ايضاً وبدون ذلك لا تبقى القراءة الفصحى التي هي المزية العليا لهذا اللسان الرنان بل تنقلب فصاحتنا الطلية رطانة أعجمية .

٢ — خزانة الكتب العربية هي ثروة قيمة ليس للعرب وحدهم بل للمدنية والثقافة القديمة كلها فاذا اخذنا الابجدية اللاتينية نفقد هذه الثروة النفيسة ونفقدها معنا العالم أجمع ولا يمكن ان يعاد طبع جميع هذه الآثار الغالية بالحروف الجديدة فتبقى الكتب الموجودة جميعها مجموعة ألغاز ومعميات لايحل رموزها من ابناء الجيل الآتي الا المنقبون عن الآثار و بارتكاب هذه الغلطة الفادحة نقطع علائقنا مع الماضي وننسف كل جسر يوصلنا به بدون ان يكون عندنا جديد يصلح للحلول محله . اما الاتراك فليس في خزائنهم هذه الثروة الثمينة و بالفصل بين حاضرهم وغابرهم لا يخسرون شيئاً مذكوراً .

٣ — حروف العلة في العربية ؟ ثلاثة فقط تكون طويلة وهي أ ، و ، ي وتكون قصيرة وهي الفتحة والضمة والكسرة لكل منها شكل واحد في اللفظ اينما وجدت اللهم ما عدا الامالة المقول بها في بعض القراآت المهجورة فلسنا والحالة هذه بحاجة ماسة للاستعانة باحرف العلة اللاتينية للتمكن من اللفظ الصحيح على حين ان في التركية صوتين للعلة لا يمكن اظهارهما بالحرف العربي وهما (u) (eu) فما كان عندهم باملاء متشابه مثل (كول) صاروا يكتبونه اليوم بحسب لفظه gul و geul وتبقى كل كلمة لمعناها ٠

٤ — الكتابة العربية الحاضرة هي نوع من الاختزال لتوفر فيه السرعة والاقتصاد وما يكتب منها في سطر واحد يقتضي سطرين او اكثر بالحرف اللاتيني فما هي الفائدة التي نتوخاها من تركها واتخاذ طريقة أخرى تكلفنا وقتاً وقرطاساً أضعاف ما نحن ملزمون به الآن ؟ ٠ طلب اليّ رجل انكليزي مرة ان أقرأ له مكتوباً عربياً جاءه من صديق له وتناولت المكتوب وهو بضعة أسطر دقيقة و بدأت أتلو مضمونه عليه بالانكليزية وهو يستغرب طوله وغزارة محتوياته حتى ارتاب بصحة الترجمة ولم يصدق ان هذه الأقوال الكثيرة والجمل الطويلة يمكن وجودها في تلك الأسطر القليلة ٠

٥ — الحرف العربي أجلى للنظر بسبب التباعد بين أشكال حروفه فلا يلتبس الواحد منها بالآخر وتستطاع قراءته بالنهار والليل وعلى النور الضئيل بدون الاستعانة بالعوينات وهذا يعرفه كل مصاب بقصر البصر او ببعده ، انا اليوم اقرأ الكتابة العربية بدون صعوبة واما الكتابة الافرنجية فقد أصبحت مضطراً للاستعانة بالعوينات على قراءتها ٠ وهذه مزية للحروف العربية لا يستهان بها بل تكفي وحدها لتفضيلها على غيرها فانك لتنظر الى الصفحة الافرنجية فلا تكاد تتبين حرفاً من حرف الا بعد امعان النظر واجهاد البصر وهذا هو السبب في ما اعتقد لاضطرار اكثر الاوربيين لاستعمال العوينات وهم بعد في عهد الشباب بينما قراء العربية يبقون قادرين على قراءتها بالعين المجردة حتى في سن الشيخوخة ٠

٦ — نحن السوريين لسنا مستقلين باللغة فليس من حقنا ان نستأثر بهذه البدعة المنكرة ونقطع مع اخواننا في العراق ومصر وجزيرة العرب وشمالي افريقية تلك الصلات الراسخة التي تربطنا بهم ٠

٧ — الحركات اللغوية عندنا صعبة الادراك لان اكثرها سماعية لا تعرف بالقياس ولان اللغة العامية المحكية لا تكترث بها فترى الناس يلفظون الكلمات غلطاً ولا يبالون فاذا عمدنا الى الكتابة بالحروف اللاتينية وجعلنا الحركات الثلاث حروفاً تكتب في صلب الكلمة نقع في ورطة جديدة هي اغلاط الاملاء . اليوم قلما تجد قارئاً يقرأ بدون لحن في الحركات واكثر القراء لحانون ولكن فيما بعد لا تعود تجد كاتباً يكتب بدون غلط في الاملاء وهذا أفظع من ذاك . مثال ذلك انت تكتب اليوم الحضارة والبداوة بدون ان تعرف حركة الحاء والباء فيها وتترك للقارئ حريته ليقرأهما كما يشاء ولكن اذا كتبت بالحرف اللاتيني لا تستطيع ان تضع سواداً على بياض قبل ان تعرف هذه الحركة لانك مجبر على كتابتها في صلب الكلمة وفي مثل هذه الحالة ينتشر التضليل والفوضى فيكتبها كل واحد كما يتراءى له ويضيع القراء بين الصحيح والفاسد . وما اكثر الالفاظ التي لا يعرف تحريكها الصحيح الا الراسخون في العلم .

نحن لا ننكر ان الكتابة العربية في حاجة الى شيء من الاصلاح فلا يبقى عليها سبيل لمنتقد او متهجم وهذا الاصلاح يندمج في امرين :

الاول : الحركات ، وهي في حالتها الحاضرة متعذرة الادخال عند لزومها بين الحروف فتوضع فوقها اوتحتها وهذا لا يستطاع نقله للطبع الا بصعوبة عظيمة ، لان المطابع غير مجهزة بحروف محركة في قوالبها واذا تجهزت بها اقتضت لهذه الغاية مئات من القوالب فوق الموجود منها وهذا يربك الطباعة ويجعل نفقاتها فوق الاحتمال مع هذا الكساد فلاجل تلافي هذا النقص يمكن تحويل الحركات الى أشكال حرفية يدخلها الكاتب في كتابته عندما يكون واثقاً من صحتها ويرى لزوماً لادخالها فتنتقل الى المطبوعات بدون عناء وتهون القراءة الصحيحة على ابن اللغة وعلى الاجنبي عنها . اما الحركات النحوية الاعرابية فلا بأس من إهمالها في الكتابة لان اكثر القراء يعرفونها او يهملونها .

الثاني : تعديل الحروف المطبعية ليكون لكل منها قالب واحد سواء وقع طرفاً او وسطاً فلا يبقى احدها راكباً فوق الآخر كما هي الحالة الآن . فانك ترى لحرف اللام مثلاً عدداً كبيراً من القوالب بحسب انفرادها او توسطها او تطرفها او مع حرف آخر يسفلها مثل ل ا لا ل لي لج لخ لم ، فيجب ان يكون في المطبعة قوالب لكل واحد من

هذه الأشكال وغيرهما مما لا يعرفه الا اهل هذه الصناعة واي إرباك أعظم من هذا في تنضيد الحروف وفكها وتوزيعها ؟ كان المرحوم علامة اللغة الشيخ ابراهيم اليازجي قد وضع اشكالاً للحروف لا تختلف عن اوضاعها الاصلية وانما يمكن صفها الواحد لصق الآخر بدون حاجة الى تراكيبها وتنوعها فيبقى للحرف الواحد شكل واحد اينما وقع وهكذا لايكون أمام المرتب في المطبعة سوى ٢٩ بؤرة للحروف بدل المئات الموجوده امامه اليوم . وقد طبع نماذج عنها في مجلة الضياء فكانت جميلة متناسبة وتمنى رواجها كل من رآها ولا ادري ما الذي اقعده عن تعميم العمل بها سوى ضيق ذات اليد وفقد المناصرين .

اذا تم للابجدية العربية الاصلاح من هاتين الجهتين تصبح سالمة من العيوب وافية بالغرض وقد اشرت على الخطاط الشهير نجيب بك هواويني أن يتحف الناس بشيء من آثار نبوغه في هذا الباب فلايكون حظه من التقدير والتدوين بعيداً عن حظ ابن مقلة . فهل له او لغيره من الخطاطين واصحاب المطابع ان يضع اشكالاً لقوالب الحروف المطبعية تفي بهذه الاغراض وتزيد الكتابة العربية رونقاً وجمالاً وكما تفوقت هذه اللغة بفصاحتها وبلاغتها تبقى متفوقة بجمال كتابتها ؟

لا أريد ان اترك القلم قبل ان أسأل الاستاذين الفاضلين ماسنيون وبينار لماذا خصانا بالنصيحة بتبديل حروفنا لاصلاح كتابتنا ولم يقترحا على قومهم اصلاح الاملاء الافرنسي الذي هو أحوج الى التنقيح من اي كتابة أخرى . جميع اللغات تقريباً تقرأ كما تكتب ماعدا الافرنسية (وبعض الألفاظ الانكليزية) فان بين املائها وقراءتها بوناً شاسعاً اذ ان حروفاً كثيرة في كل كلمة تقريباً تكتب ولاتقرأ وبعض الحروف تلفظ بغير الصوت الذي وضعت له . وقد اكد لي العارفون ان تسعين بالمئة من الافرنسيين انفسهم يغلطون بالاملاء وكل الاجانب عنهم ونحن من جملتهم يشكون صعوبة التهجئة والقراءة الصحيحة بهذه اللغة . خذ لك مثالاً كلمة (temps) فانها تلفظ طان ولو لفظتها كما تكتب لوجب ان تلفظها (تمبس) وهو فرق غريب بين اللفظ والهجاء واكثر الكلمات الافرنسية على هذا النمط كما ان اللفظ الواحد عندهم تمكن كتابته باشكال متعددة بدون ان يتبدل لفظه وهذا ليس له مثيل في لسان آخر وهو من الصعوبة بمكان .

اذا كانت القراءة الصحيحة عندنا صعبة على غير الراسخين في علم اللغة بسبب إهمال الحركات فان الاملاء الافرنسي متعذر على غير الراسخين ايضاً. وقد كان الاولى بحضرة الاستاذين الكريمين ان يسعيا اولاً باصلاح كتابة لغتهما قبل ان يعمدا لهذه النصيحة الجريئة في بلاد الشرق ونحن على كل حال نشكر لهما اهتمامهما بشؤوننا وعنايتهما بمصالحنا.

كتاب مناقب بغداد

« هو لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ »

تلوت تلك المعركة القلمية التي قامت بشأن كتاب مناقب بغداد وهل هو للامام عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ام لحفيده المسمى باسمه و كنيته ولقبه المقتول مع ابيه يوسف سنة ٦٥٤ .

فتصفحت كتاب الدر المنضد في رجال الامام احمد للعلامة عبد الرحمن بن محمد العمري وهو من مخطوطات المكتبة الأحمدية في حلب وقد قال في أوله انه اختصره من طبقاته الكبرى المسماة بالمنهج الاحمد فوجدت فيه ترجمة للامام عبد الرحمن بن الجوزي في عشر صفحات فاستنسختها وقد عدد فيها ١٩٦ مصنفاً له ولولا خوف الإطالة لسردتها ههنا وقال بعد ان عددها : وتصانيف أُخر غير هذه وقيل ان له حواشي على صحاح الجوهري ومآخذ عليها واختصر فنون ابن عقيل في بضعة عشر مجلداً .

وقد وضعت فيما نقلته ارقاماً لمصنفاته التي ذكرها فبلغت مانقدم فجاء في رقم (٨٣) مناقب بغداد مجلد . فلم يبق هناك من ريب في ان الكتاب هو لعبد الرحمن المتوفى سنة ٥٩٧ هـ لا لحفيده عبد الرحمن المتوفى سنة ٦٥٤ .

وقد قدمت ان الدر المنضد هو مختصر من المنهج الاحمد فيغلب على الظن ان المؤلف هناك سرد اسماء مصنفات ابن الجوزي فالمرجو من الاستاذ الشيخ عبدالقادر المبارك عضو مجمعنا العلمي الذي عنده نسخة من هذا الكتاب ومن الأديب يوسف اليان سركيس الكتبي في مصر الذي نقل نسخة من هذا الكتاب بالمصور الشمسي ولا أدري في خزانة من هي ومن

الاستاذ الشيخ سعيد الكرمي الذي عنده قطعة كبيرة من هذا الكتاب كما ذكر ذلك الأديب عيسى اسكندر المعلوف في مجلة المجمع قديماً ان يرجعوا الى هذا الكتاب ويفيدونا هل بين هذه المصنفات ذكر لكتاب مناقب بغداد ·

ويغلب على ظني ان صاحب المنهج اخذ ترجمة ابن الجوزي من ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ومنه نسختان في المكتبة الظاهرية فالمرجو من الاستاذ حسني الكسم مدير هذه المكتبة ان يفيدنا هل لهذا الكتاب ذكر بين مصنفاته ·

فاذا كان قد ذكر في هذين الكتابين او في احدهما فلا يبقى هناك مجال للشك في نسبة الكتاب الى الامام ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ وتقطع جهيزة قول كل خطيب ويكون ما ذكر في كتاب المناقب من حوادث سنة ٦٥٤ من زيادات الحفيد اوغيره وهذا مما لا يستغرب فقد رأينا لذلك نظائر : هذا كشف الظنون لكاتب چلبي فان صاحبه توفي على ما أذكر الآن حول سنة ١٠٧٠ وقد أدرج فيه ذيله وطبعا معاً بدون تفرقة بين الأصل والذيل فترى فيه من توفي من المؤلفين في وسط القرن الثاني عشر وقل من الناس من يعلم ذلك ·

عضو المجمع العلمي
محمد راغب الطباخ

مطبوعات حديثة

كتاب

« فلسفة اللغة العربية وتطورها »

للاستاذ جبر ضومط طبع في مطبعة المقتطف والمقطم بمصر سنة ١٩٢٩ م في ٢١٣ صفحة

هذا الكتاب يتضمن ما أنشأه الاستاذ جبر ضومط عضو مجمعنا العلمي بين سنتي ١٨٨٨ و١٩٢٨ م من المقالات والخطب القيمة التي تبحث في تاريخ اللغة العربية ونهضة الأقوام المتكلمين بها وفلسفة نشوئها وتطورها ووسائل ترقيتها وهي نحو ٢٣ فصلاً مفتتحة بمقدمة بقلم المرحوم الدكتور يعقوب صروف هي بعض الخطبة التي كان أعدها قبيل وفاته لتقرأ في اليوبيل الذهبي الذي أقيم لتكريم الاستاذ جبر . على ان المقالات التي تضمنها الكتاب لم تكن كلها في موضوع فلسفة اللغة وتطورها بل ان بعضها في موضوعات أخرى تاريخية واجتماعية وادبية لكن جمهرة المقالات متعلقة بالموضوع المذكور وكل ما كتب فيها يرمي الى تعزيز رأي المؤلف في فلسفة اللغة العربية وتطورها . وخلاصة مايرمي اليه في ذلك هو ان الامة العربية دخلت في طور جديد من الحياة فيجب ان تدخل لغتهم ايضاً في طور حياة جديد ينطبق على اجتماعهم و يناسب طورهم الجديد والا فان وقوف اللغة موت لها فتضطر الامة اذ ذاك الى ان تلبس لغتها قميصاً من اللغات الاخرى يساعدها على تطورها وقد شرح المؤلف هذه الطرق التي تحيي اللغة العربية وتفنن في ذلك ما شاء وشاءت براعته . وان أسلوب الاستاذ يمتاز بالسهولة وجودة التقسيم وحسن ايراد الشواهد على ما يريد اثباته . وقد أعجبنا من قوله — وكل أقواله معجبة — ما جاء في خطبته التي تلاها في جامعة بيروت الاميركية وجعل عنوانها (اللغة العربية : ما أخذت وما أعطت) وقد أورد قوله هذا مستدلاً به على سعة اللغة العربية وغزارة مادتها ومؤاتاتها لما يطلب منها من اصطلاحات العلوم اذا أحسن هذا الطلب وعرفت الطرق الموصلة اليه : فذهب الى ان علماء العرب ان كانوا احتاجوا الى علوم الاوائل فنقلوها الى لغتهم كعلم المنطق والفلسفة

وغيرهما فان لغتهم نفسها لم تحتج في هذا النقل الى لغات الاوائل بل كانوا ينقلون مباحث العلوم و يفرغونها في كلمات من عند لغتهم وضرب لذلك مثلاً فقال : « ان علماء العربية اخذوا علم المنطق عن علماء اليونان إما رأساً وإما نقلاً عن السريانية ولكنهم لم يأخذوا الفاظ هذا العلم كما هي عن اليونان بل قالوا : موضوع ومحمول · وقضية وقياس واستنتاج · ومقدمة صغرى ومقدمة كبرى ونتيجة · والمقولات العشر · والقول الشارح · والتصور والتصديق · وكلي وجزئي · وقضية كلية · وقضية كلية مهملة · وقضية كلية مسورة · وهلم جراً من مصطلحات هذا العلم » ثم قارن بين مافعله علماء العرب وما فعله علماء الغرب فقال : « وأخذ العلماء الغربيون علم المنطق عن اليونان كما أخذه علماء العرب إما رأساً او عن اللاتينية وأخذوا الفاظهم ايضاً عن اللغة اليونانية او اللاتينية لانهم قالوا : « سجكت و برديكت » للموضوع والمحمول · وقالوا : كتيغوري إي المقولات العشر وهلم جراً اي ان لغتهم اخذت نفس الحدود عن اللغة اليونانية بخلاف اللغة العربية فانها استغنت عن ألفاظ تلك الحدود اليونانية بألفاظ من لغتها العربية ادت معانيها تمام التأدية من غير صعوبة ولا التباس · وماقيل في المنطق يقال في علوم الفلسفة فان علماء العربية اخذوا هذا العلم عن غيرهم اما لغتهم فلم تحتج الى لغة القوم ورأت فيها من الألفاظ ما يؤدي معاني ألفاظ ذلك العلم فقالوا : موجود ومعدوم · وعرض وجوهر · وحال وكسر وانكسار · وتأثر وأثر · وماهية وهوية · ومقتضي ومانع ومعارض · وقالوا : الماهيات مجعولة بجعل جاعل وغير مجعولة · والعقل الاول والمبدأ الفياض · وغير ذلك من مصطلحات الفلسفة كثير · ولا يخفى ان كل هذه الألفاظ من صميم الألفاظ العربية · ومن عرف هذه المصطلحات بالفرنسوية او الانكليزية علم ان أغلب هذه الألفاظ مأخوذة عن اللاتينية او اليونانية بل علم ان علماء هاتين الامتين ما زالوا يؤلفون في اللغة اللاتينية الى عهد قريب لعدم استطاعة لغاتهم اولاً ان تحمل هذه العلوم بنفسها بخلاف اللغة العربية فانها تحملتها حالاً وأصبحت تلك العلوم كأنها موضوعة فيها ابتداء وكان من علماء اللاتين والجرمان انهم ترجموا في بادي امرهم اكثر تلك العلوم عن اللغة العربية ·

وهكذا كان الامر ايضاً في علوم الطبيعة كالطبيعيات والطب والكيمياء والفلك

والنبات والحيوان : فان اللغة العربية لم تحتج في كل هذه العلوم الا الى الألفاظ التي تستعار استعارة لان مسمياتها من نبات وحيوان لم تكن معروفة في البلاد العربية لانها لا تعيش فيها وتعيش في غيرها من البلدان . فأخذوا الاسم باخذ المسمى وهكذا الحال فيها لو كان اللفظ المأخوذ اسماً لآلة مخصوصة صنعها صناع تلك الامم قبل ان عرفها العرب والعربية بمئات من السنين » اه .

فلله در المؤلف ما أقدره على تصوير سعة لغتنا العربية واستغنائها ومبلغ طاقتها على تمثيل العلوم التي تترجم اليها .

هذا نموذج مما كتبه و يكتبه العلامة جبر ضومط في خدمة لغتنا العربية منذ اكثر من خمسين سنة وما زال على بلوغه الكبر يدأب ويعمل في خدمة هذه اللغة الشريفة والدفاع عنها وتنبيه ابناء قومه الى الاستفادة من مواهبها . فنسأل الله ان ينسأ في عمره ليرى ما يحبه لها من الرقي والازدهار . « المغربي »

حياة محمد

La vie de Mohamet
par
Emiel Dermenghens

بين الشرق والغرب جدل يرجع معظمه الى ما ركب في طبائع البشر من المطامع . فاي منهما قويت شوكته ، واستد ساعده ، نازل صاحبه يعتدي عليه ، و يسلبه استقلاله ، سنة القوي في الضعيف .

وقديماً كانت هذه الخصومة ، بيد انها كانت خصومة صريحة ، ومن آيات الشرف الصراحة . يهاجم الشرقُ الغربَ ، والغربُ الشرقَ باسم الدين ، ومن اجل السلب ، ويسمي كل منهما عمله : جهاداً اوحرباً مقدسة ، وغزواً . من غير موار بة ولا مداهنة .

ودارت الايام دورتها ، فتهذبت مظاهر الناس ، وظلت نفوسهم على ما كانت عليه من الطمع والجشع ، وسلب القوي حق الضعيف ، واعتدائه عليه . ولكن باسم التمدين وهو اسم جديد أطلقته سياسة العصر الحاضر على الغزو والحروب الدينية . والغريب ان الام من قبل — اي في همجيتها . . . — كانت تقاتل من اجل دينها ، فاذا بعض

أم الغرب اليوم نقاتل مأجورة حتى في سبيل دين غير دينها .

وهذا الاعتداء الطريف في بردة التمدين ، يتطلب « دعاية » تتقدم الفتح تمهيداً لمقاصده ، او تتبعه تثبيتاً لقواعده ، تُظهر الضعيف في ثوب خَلَق من الجهل والشقاء ، فيعذر القوي في التغلب عليه « لتمدينه » . وما هو الا ان تنشب فيه أظافره حتى يمزق أديمه ، ويمتص دماءه .

لذلك انطلقت ألسنة رجال العلم من الأقوياء ، وممن يمت اليهم بسبب ، يؤلفون عن المستضعفين التآليف المبكية المضحكة . يلفقون لهم تاريخاً غير تاريخهم ، ويخلقون لهم قوميات غير قومياتهم ، وينكرون عليهم حقهم في الحياة ، ويسمون عملهم بعد ذلك علماً وتاريخاً .

حال يدعو المستضعفين — ونحن منهم — ان يتدبروا ما يقال فيهم بحذر ويقظة ، ليعرفوا ما الذي يراد بهم مما يؤلف عنهم .

كانت هذه الفكرة تملأ رأسي وانا أنظر في الصفحة الاولى من كتاب (حياة محمد) ومررت بالمقدمة فاذا المؤلف يقول :

« أردت ان أرسم لمحمد صورة صحيحة على قدر ما يمكن ، وذلك كما رأيته حيّاً في حديث الكتب ، وفي النفوس الحية من اولئك المؤمنين به » .... « واتخذت في كلامي عنه خطة وسطاً ، بين اولئك المستشرقين المُفرِطين فيه والمُفرِّطين . فمنهم من يجعله فوق اهل زمانه ، يختلف عنهم في كل شيء ، ومنهم من يجعله شبيهاً بهم في كل شيء . وبعضهم يزعمه مات من النَّهَم ، وآخر من الصوم » .

« ومما يؤسف له ، ان الاب لامنس — وهو من أحدث المؤلفين ، واكبر الادباء المخصصين — كان من اكثرهم تعرضاً لجاءت كتبه القيمة الممتعة مشوهة بكرهه الاسلام ، ونبي المسلمين . ولقد طبق هذا العالم اليسوعي على هذا التاريخ تلك الاساليب الانتقادية القاسية التي وجهها بعضهم الى النصرانية » .

قرأت هذا كله في مقدمة الكتاب ، فلم يغير الا قليلاً مما كان علق بنفسي . اذ المقدمات شيء ، وما يكتب بعدها شيء آخر . ولشد ما يختلفان .

على اني ما اخذت في قراءة الصفحات الاولى حتى رأيتني مسوقاً الى المضي حتى آخر صفحة من هذا الكتاب . فاذا المؤلف صادق في قوله ، ماض على الخطة التي اختطها

لنفسه من الصراحة والاعتدال . نزه قلمه عن التعصب على النبي ، وتجانف عن التسليم الاعمى . فصوّب حيث رأى صواباً ، وخطأ حيث ظن خطأ .

سرد (حياة محمد) باسلوب قصصي — وكتابه هذا حلقة من سلسلة سماها (قصص العظماء) — فكان أسلوبه شائقاً ، وعبارته سهلة على ماتقتضي الرواية و يلتذه القاري٬ . وصف نشأة محمد (ص) الاولى وصفاً دقيقاً ، وأفاض في ما لقيه من العقبات والأهوال في نشر دعوته ، وأشاد بثباته وعزمه ، وعفوه وحلمه ، وعظمته وتسامحه ، وأتى بمثال على ما كان يوصي به رجاله في الغزوات من معاملة الضعفاء والشيوخ والاولاد والنساء ، معاملة حسنة ، وان لا يعتدوا على ساكن. ولايتلفوا زرعاً. ولا يقطعوا شجراً. و يقول المؤلف : وهذا ما يقل في التاريخ مثله .

ونوّه بترقيته لقومه ، ونظم شملهم على أساس جديد لا سابق عهد لهم به .

وقال : اذا لم يأت الرسول بالمعجزات التي اتى بها غيره من الرسل ، فحسبه معجزة انه جمع اليه اولئك العرب الجفاة الذين طبعوا على الفوضى ونشأوا على الخصام والقتال فلم يعرفوا الحياة العامة قبل مبعث الرسول .

ونوّه كذلك بما كان من عمل محمد في رفع مستوى المرأة ، وبما أوجده لها من حقوق . وانه أوجب معاملتها بالحسنى ، ومنعها العزوبة وهو اكبر خطر يهدد حياتها اليوم. واثنى على خديجة وعلى جهادها الى جانب النبي وذكر مكانتها عنده .

وأعجب بما كان يضعه الرسول من شرائع يأتيها على مهل ، مما يتفق وروح التشريع ، والغرض منه . قال وكان محمد رسولاً ومشترعاً وسياسياً وعسكرياً .

قال : و صدقُ محمد ثابت لا يمكن ان يوضع اليوم موضع الشك والريبة ، وحياته على ما فيها من هفوات — لم يكن ينكرها — تشهد له بانه كان على ثقة من رسالته . ولقد تحمّل هذه الرسالة بشجاعة ، كأنها عبء كان عليه ان يكون اول من يستقل باثقل نصيب منه .

وذكر جهود المهاجرين في مهاجرهم . وانهم دخلوا يثرب ضعافاً فقراء ، فعملوا وجهدوا حتى أثرى نفر منهم . نازعوا اليهود في تجارتهم فغلبوهم على جزء منها . وأدخلوا على المدينة روحاً جديداً من الهمة والسعي . ويخيل اليك وهو يصور هؤلاء

المهاجرين في كدحهم ، انه يصف فريقاً من الامة الاميركية بنشاطها وجهادها .

ويمتدح عمل الاسلام في الفن والحضارة في صفحات ربما نقلنا شيئاً منها في مقال آخر .

وهو مع هذا يأخذ على الرسول فتكه ببعض من فتك بهم ويقول : « وكنا نود ان لا نسجل مثل هذه الحوادث على الرجل الذي جمع في نفسه ماجمع من الشرف والعظمة . ولعل محمداً من حيث هو انسان ، كان مضطراً للدفاع عن نفسه ذلك الدفاع الذي تجيزه حقوق عصره وبلاده ، غير انا كنا نريد لرسول الله ، الباعث بني قومه من بعد موتهم ، ان يكون اكثر صفاءً ، واكثر ترفعاً عن التأثر بالعوامل البشرية ، حتى لا يقع شيء من الظل على هذه الصورة الوضّاءة من كل ناحية أخرى من نواحيها » .

ويقول ان المسلمين كانوا في فجر الاسلام اقرب الى النصارى منهم في القرون التي تلت . وبلتي تبعة ما وقع من خلاف على المفسرين والمحدثين من المسلمين الذين خرجوا عن الاستئلاف والقربى اللذين ارادهما الرسول . ولا يبرئ النصارى مما رمى به المسلمين ، فهم في تآليفهم قد رموا المسلمين بما هؤلاء منه براء ، واتهموا رسولهم تهماً كاذبة شنعاء .

والذي ننكره عليه انه اخذ ببعض خرافات لا يجوزها العقل ، ولا يقول بها من المسلمين غير العامة . وهذا قليل جداً .

وانه أراد ان يجعل الاسلام صورة كاملة عن النصرانية ، لذلك يزعم ان الاختلاف بين الدينين انما نجم عن تحريف في القرآن . . . ويعلل ذلك تعليلاً غير مقبول . وهذا الزعم يحمل القارئ على اتهام المؤلف بانه استمد رأيه هذا من شعور ديني ان لم يكن فيه مختاراً فقد غُلب عليه .

وعلى الجملة فهذا الكتاب من خير ما أخرجه غربي عن محمد (ص) . فنشكر للمؤلف جهوده في العمل وصدقه في الرواية .

عارف النكدي

احاديث المجد والوجد

— لابي الفضل الوليد —

« قرنة الحمراء — المتن »

ابو الفضل الوليد عربي بلقبه واسمه اللذين اختار ، عربي ببلده (المتن) وبلدته (قرنة الحمراء[1]) . وهو فوق هذا عربي بلسانه وروحه ، ثابت على عقيدته العربية : مقيماً ومهاجراً ، في الدورين الغابر والحاضر .

وكم من اخواننا الذين كانوا عرباً ايام الدولة العثمانية لامر ما ، عملوا على هدم اركان هذه الدولة بحجة النصرة للعرب وللقضية العربية ، فلما قضي الامر عاد كل منهم الى حقيقته التي كان يخفي ، وأنسته المرتبة التي يشغل ، والسياسة التي انتحل ، تلك المؤتمرات ، وهاتيك العهود .

---

(١) لما فتح خالد بن الوليد مشارف الشام ثم تغلغل الى داخله ، هاجر الى بعض جبال لبنان قبائل عربية نصرانية تستعصم به . وبعد ان فتح العرب لبنان كله هاجرت اليه قبائل أخرى هجرة ثانية نزل اكثرها في الشوف ثم المتن .

ولقد أبقى العرب للاماكن القديمة اسماءها القديمة — واكثرها سرياني — كما فعلوا في سائر الشام . وأطلقوا الاسماء العربية على ما احدثوا من القرى والدساكر . من ذلك :

المتن : وهو ما ظهر من كل شيء . ومن الارض ما ارتفع . وقيل ما ارتفع واستوى ومن نظر الى المتن في لبنان علم ان من سمى هذا الموضع انما كان عربياً قحاً .

والقرنة : الطرف الشاخص من كل شيء . يقال (القرنة الحمراء) على الوصف كما يقال (قرنة الحمراء) على الاضافة الحقيقية او على حذف المضاف . وقد جرى العرب كثيراً في مسمياتهم على مثل هذه الاضافة او على حذف المضاف . فمن الاول باب الصغير (بدمشق) ووادي الكبير (بالاندلس) . ومن الثاني وقف العثمانية اي المدرسة العثمانية فقولنا (قرنة الحمراء) قد يراد به الاضافة الحقيقية الى الحمراء او ان هناك محذوفاً هو الهضبة اوالرابية كأن نقول : (قرنة الهضبة الحمراء) او (قرنة الرابية الحمراء) وما اشبه او ان العامة استثقلت اداة التعريف فقضت عليها .

ومن شاء ان يعرف كيف يكون إخلاص الرجل لامته ، وحبه لوطنه ، صادقاً رصيناً فدونه « أحاديث المجد والوجد » فهي صفحات من القصة القومية ، ومن الوطنية الصحيحة ، تعرفها الامم الحية الراقية لا الجماعات المستعبدة . مكتوب ذلك كله بعبارة تغلب عليها الجزالة في كثير من الاحيان وتندفق منها الجرأة والشمم والإباء .

عارف النكدي

جزء من صحيح البخاري

اشهر روايات صحيح البخاري في المغرب من طريق الحافظ ابي ذر ، واشهر الروايات عن ابي ذر رواية الحافظ ابي عمران موسى بن سعادة المتوفى سنة ٥٥٦ ، بواسطة الصدفي عن الباجي عنه ، وقد كانت نسخة ابن سعادة المعتمدة والمنسوخة بخط يده في أواخر القرن الخامس موقوفة في مكتبة جامع القرويين بفاس الى ان فقدت من هذه الخزانة من نحو ستين سنة ثم انها ظهرت اخيراً واخذ عنها فرع بالتصوير الشمسي بهمة الاستاذ [لافي پروفنسال] مدير معهد الرباط وكان في مقدمة الساعين بذلك الاستاذ المحدث السيد محمد عبد الحي الكتاني الحسيني الادريسي الذي اهدى الينا المجلد الحاوي الخمس الثاني من الاصل اوله كتاب الحج وآخره كتاب الجهاد والسير على ورق في غاية المتانة ، وعليه مقدمة بقلمه نحو اربعين صفحة في تاريخ هذه النسخة ، وبيان بالافرنسية من الطابع المومأ اليه في ثلاثين صفحة ، فلكليهما الشكر على همتهما الشماء في نشر الآثار العربية القيمة .

عضو المجمع العلمي

مسعود الكواكبي

« تنبيه » — سها منضد الحروف فلم يضع توقيع صاحب المقال المنشور في الجزء الخامس ص٣٠٨ بعنوان (تحفة تاريخية نادرة) وتوقيعه (وامق شكري) وهو احد ادباء الاستانة المقيمين فيها . كما سها ايضاً اذ كتب على الغلاف ان المقال للسيد زكي مغامز وليس كذلك .

الجزء ٨ المجلد ٩

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) آب : سنة ١٩٢٩ م الموافق صفر وربيع الاول سنة ١٣٤٨ هـ

كتاب المداخلات (١)

او المداخل

لابي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز غلام ثعلب

بسم الله الرحمن الرحيم

ا (باب الطليل (٢)) — الطَلِيل (٢) الحصير والحصير الحَبْس (٣) والحبس الجَبَل (٤) الأسود والأسود سواد العين والعين مطرُ أيام لا يُقلِع والمطر (٥) كثرة السواك والسواك مشي الجائع . والسواك ايضاً مَشْيٌ بضعف يقال تساوكت الابل تساوكاً وساوكت غيرها مساوكة وسواكاً والمشي النميمة والنميمة حركة الصائد في النامُوسة

(١) (المجمع) أرسل الينا بهذا الكتاب (او الرسالة) المفيدة في اللغة الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي اخذها عن نسخة فريدة بخزانة أيالة رامبور الاسلامية بالهند بعد ان اعتني بتصحيحها وعرضها على المعاجم وجمع أخبار مؤلفها (ابي عمر) وقدمها الى مجمعنا العلمي لتكون كأطروحة على انتخابه عضواً في المجمع وسننشر في هذين الجزءين كتاب (ابي عمر) نفسه ثم ننشر ترجمته في الجزءين التاليين .

(٢) في الاصل الظليل في الموضعين مصحفاً . (٣) يريد المحبس والسجن . (٤) في الاصل الحبل مصحفاً . (٥) الموجود في لسان العرب الممطور والمَطِرة للرجل والمرأة الكثيري السواك . ابن الأثير المَطِرة المتنظفة بالماء أُخذ من لفظ المطر كأنها مُطِرت (وهذا مما زيد على المعاجم) ولم يذكروا المصدر بهذا المعنى .

والناموس صاحب سرّ الخير والجاسوس صاحب سرّ الشرّ والسرّ فرْج الرجل وانشد(١) للأفوه الأودي :

لما رأت سِرّيّ تغيَّر وانثنى من دون نَهمة شَبْرِها حتى انثني

قال ابو عمرو والنَّهْمة الشهوة والحركة . والحركة(٢) منعُ البحر الصيدَ . والمنع(٢) السرطان . والسرطان داء البيل(٤) وهو انتفاخ الفخذ والساق . والساق النفس(٥) والنفس(٦) الماء وأنشد ثعلبة عن ابن الاعرابي فقال :

أتجعل النفس(٧) التي تُديرُ في جلد شاة ثم لا تسيرُ

قال ابو عمرو : اما قولهم الساق النفس فمن ذلك قدح في ساقه وفتّ في عضده فالساق النفس والعضد القرابة(٨) ومن ذلك ايضاً قول امير المؤمنين فنظرتُ فاذا ساقي قد أخذت وبيني فسمعتُ وأطعتُ قال كان أخذتْ عليهم اليمين التي(٩) اخرج نفسه من الشورى انه

(١) في الاصل شادها وفي اللسان شَبْرها حين . والشاد لامعنى له . (٢) الذي في اللسان عن ابن الاعرابي حرك اذا مَنع من الحق الذي عليه . ثم يوجد في مختصر الوجوه والتاج الفعل والحُراك فالحركة (وهذا مما زيد على المعاجم) ويتكرر في الباب الـ ١٦ .

(٣) يتكرر في الباب الـ ٢٧ . (٤) لم اجده ولعله مصحف الدَّبْلة ففي التاج السرطان داء يشبه الدبيلة اه وفي اللسان الدبيلة خُراج ودُمَّل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً ثم جزمت بانه داء الفيل وفارسيته پيل والعصمة لله . (٥) اللسان ومنه قول علي في حرب الشراة لا بدّ لي من قتالهم ولو تلفتْ ساقي . التفسير لابي عمر الزاهد عن ابي العباس (النهاية واللسان) . (٦) الجُرْعة يقال اكْرَعْ في الاناء نفَساً او نفَسين (محركاً من التنفس) اللسان وفي مختصر الوجوه ص ١٠٠ انه الماء (فهذا مما زيد على المعاجم) .

(٧) في اللسان والتاج النَّفْس من الدباغ قدر دبغة او دبغتين مما يدبغ به الاديم من القَرَظ وغيره يقال هب لي نفْساً من دباغ ثم انشد الشطرين . (٨) والأعوان والانصار وهذا التفسير يوجد في اللسان حرفاً حرفاً . (٩) العبارة قلقة البنية والمعنى معلوم واهل الشورى الذين عينهم عمر عند موته وكان عليٌّ أخرج نفسه من بينهم كما اشار به العباس عليه رضوان الله عليهم .

مَنْ خالف قُتل وقوله فاذا ساقي أُخذتْ ويميني اي إن خالفت أُخذتْ ساقي وهي النفس لليمين التي أخذتْ عليّ .

٣ (باب الكِرْبِز) — قال واخبرنا ثعلب عن ابن[١] الاعرابي قال الكربز القثاء الكبار والكبار[٢] جمع الكِبَر والكَبَر الطبْل والطبْل[٣] السدّ والسدّ السلّة والسلة[٤] الناقة لم يبق لها سن من الكِبَر اي الهرم والسنّ الثور[٥] والثور السيّد والسيّد الزوج والزوج الديباج والديباج[٦] الناقة اللينة المسّ والمسّ الجنون والجنون[٧] سواد الليل والليل فرخ الكَرَوان قال ابو عمر قال المبرّد[٨] وجمع الكَرَوان كِرْوان وكذلك الباب[٩] كله قال ابو عمر وانشدني ابو احمد الكاتب قال انشدني الجُريري هذا :

اكلتُ[١٠] النهار بنصف النهار وليلاً اكلت بليل بهيم

والنهار فرخ الحُبارى والليل فرخ الكَرَوان والسأة السرقة والسرقة بالفتح[١١] والكسر واحدة السرَق والسرَق الحرير الابيض والابيض[١٢] عرق في القفا وانشد ثعلب عن ابن الاعرابي قوله[١٣] :

---

(١) وكذا في اللسان عنه . (٢) وأكبار ايضاً والكَبَر معرّب . (٣) الطبل والسدّ سلّة الطعام : اللسان ومختصر الوجوه . (٤) كذا في المعاجم . (٥) اي الوحشي .

(٦) الذي في اللسان عن ابن الاعرابي الفتية الشابة فكأن هذه مما زيد على المعاجم . (٧) مصدر جنّ عليه الليل . (٨) اي في كامله (طبعة لبسيك ص ٢٦١) وهذا لفظه الكِرْوان جمع كَرَوان وهو طائر معروف وليس هذا الجمع لهذا الاسم بكماله ولكنه على حذف الزيادة فالتقدير كرىً وكِروان كما تقول أخ وإخوان الخ .

(٩) كشَقَذان وشِقذان انظر طبقات ابن قتيبة أخبار طرفة . (١٠) البيت في اللسان ايضاً غير معزوّ . (١١) فتح راء السرَقة (وهذا مما زيد على المعاجم) .

(١٢) في اللسان الابيضان عرقان في حالب البعير وفي البطن وعرقا الوريد (وهذا مما زيد على المعاجم) وفي مختصر الوجوه انه عرق في العنق . (١٣) الرجز لهِمْيان ابن قحافة وتمامه (وقرّبوا كلّ جماليّ عضِه ، قريبةٍ نُدوته من مَحمضه ، بعيدة سُرّته من مَغرِضه ، كأنما يَيجع عِرقا ابيضه ، وملتقى فائله وأُبْضه) والندوة بالضم موضع شرب الابل (اللسان) (بيض وندا) .

(لا يتشكى ضربان أبضه قريبة ندوته من محمضه) .

قال الندوة اكلة بين شربتين للابل والمحمض موضع الحمض .

٣ (باب الفرسكة) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الفرسكة[١] الخوخة والخوخة الثوب الاحمر[٢] والاحمر الذي لا سلاح معه والسلاح شحم[٣] الابل والشحم البياض[٤] والبياض اللبن واللبن وجع العنق من الوسادة والعنق جماعة من الناس والناس[٥] [ابو] قبيلة والقبيلة رقعة يرقع بها[٦] قب القميص والقميص غلاف القلب والقلب العقل والعقل ضرب من الوشي والوشي كلام الواشي بين المحبين والواشي ضراب الدنانير وجمعه وشاة وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

فما[٧] هبرزي من دنانير أيلة بايدي الوشاة ناصع يتأكل
باحسن منه يوم اصبح غاديا ونفسني فيه الحمام المعجل

قال ابو عمر نفسني اعني رغبني ونافسني راغبني ومنه قول الله عز وجل : (فليتنافس المتنافسون) اي فليتراغب المتراغبون .

٤ (باب الشاصونة) — اخبرنا ثعلب عن[٨] ابن الاعرابي قال الشاصونة البرنية والبرنية ديك[٩] النبط والنبط البلق الذي يبلغ الى البطن والبلق الفسطاط والفسطاط[١٠]

---

(١) الذي في اللسان الفرسك فهذه مما زيد على المعاجم . (٢) الذي في اللسان عن الازهري ثوب اخضر يسميه اهل مكة الخوخة فهذه مما زيد على المعاجم ولا مجال للتصحيف . (٣) يخالفه ما في اللسان اخذت الابل سلاحها سمنت وليس السلاح اسماً للسمن ولكن لما كانت السمينة تحسن في عين صاحبها فيشفق ان ينحرها صار السمن كأنه سلاح لها فهذه مما زيد على المعاجم ويوجد في مختصر الوجوه . (٤) لا يوجد هذا على إطلاقه في اللسان فالموجود الشحم بياض البطن نعم وجدته في مختصر الوجوه (فهذه مما زيد على المعاجم) . (٥) لعل صوابه ابو قبيلة وهو قيس عيلان اخو الياس بن مضر .

(٦) ما يدخل في جيب القميص من الرقاع . (٧) يوجدان في اللسان بلفظ ومالخ .

(٨) وفي اللسان عن ابي عمرو . (٩) مثله عن ابن الاعرابي في اللسان ايضاً وقيل البراني بلغة اهل العراق الديكة الصغار حين تدرك . (١٠) غيره مجتمع اهل الكورة .

الجمع الكثير من الناس والجمع النخل[١] الذي يحمل رُطباً كبير النوى · والديك ايضاً العظم الذي يكون خلف[٢] أذن الفرس والأُذن الذي يسمع من كل احد لكرم فيه والكرم[٣] البنات الطاهرات والبنات اللعب[٤] واللعب الحوالس والحوالس[٥] بيوت الاربعة عشر والبيوت العرائس واحدها بيت والبيت العروس[٦] وأنشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

عضٌ[٧] على شِبْدِعه الأديبُ فظلّ لا يُلحى ولا يحوب

قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الشِبْدِع العقرب والشبدع ايضاً اللسان والشبدع الداهية ويلحى بلام ويحوب يأثم ·

● (باب الكِلواذ)— اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي الكلواذ تابوت التوراة والتابوت مجتمع[٨] الأضلاع في أعلى البطن والبطن من بطون العرب والعرب النفوس واحدتها عَربة[٩] يقال أصبحت طيب العَربة والنفوس الدماء والدماء معروفة والمعروفة الجارية تخرج عن يدها العَرْفة[١٠] وهي البثرة والعرفة الريح والريح الغلَبة ومنه قول الله عزّ وجلّ (وتذهب ريحكم) اي غلبتكم قال وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

(١) هذه مما يزيد على معاني اللسان ففيه النخل خرج من النوى لا يعرف اسمه وقيل تمر مختلط من أنواع متفرقة وليس مرغوباً فيه ثم وجدته في مختصر الوجوه ·

(٢) وهو الخُشَشاء (اللسان) · (٣) جاء في قول قطرى (فتنبو العين عن كرم عجاف) ولا اختصاص له بالبنات فهو مصدر يوصف به الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث سواء بلفظ واحد · (٤) التماثيل الصغار تلعب بها الجواري · (٥) الكلمة فاتت اللسان وهي في التاج ومتنه · ولفظه : الحوالس لعبة لصبيان العرب تخط خمسة أبيات في ارض سهلة ويجمع في كل بيت خمس بعرات وبينها خمسة أبيات ليس فيها شيء ثم يجر البعر اليها · كل خط منها حالس قاله ابن السكيت وقال الغنوي هي لعبة مثل اربعة عشر ·

(٦) اي المرأة التي بني بها ·

(٧) اي الأديب يكف من لسانه ولا يلاحي ولا يأثم ·

(٨) (اللسان) الأضلاع وماتحويه كالقلب والكبد وغيرهما تشبيهاً بالصندوق ·

(٩) بالفتح · (١٠) قرحة تخرج في بياض الكف ·

يا(١) صاحبيَّ ألا لاحي بالوادي إلا عبيدٌ وآمٌ بين أذواد
أتنظران قليلاً ريث غفلتهم او تعدُوان فان الريح للعادي

٦ (باب العرار) — قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال العَرار البهار الاصفر والبهار(٢) لَبَب الفرس واللبب المسترقّ من الرمل والرمل نسج الحُصُر والحصر جمع العَصور والحصور الذي لا يحب النساء والحب البعير المتمّب والمتمب المملوء من الآنية والمملوء المزكوم والمزكوم الولد الملقى يقال زكت به أمه فهو زُكمة وهو موحد في جميع الحالات قال انشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

زُكمةُ عمّار بنو عمار مثل الحراقيص على الحمار

الحرقوص دويبة مثل القراد تدخل في أرفاغ الأبكار وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

ويحك يا حُرقوص مهلاً مهلا أإبلاً أعطيتني ام نخلا
ام انت شيءٌ لا تبالي جهلا

وانشدنا ايضاً ثعلب(٣) :

ما لي البيض من الحرقوص يدخل بين الغلق المرصوص
بمهر لا غالٍ ولا رخيص

٧ (باب الحرقوص) — قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الحرقوص(٤) نواة البُسرة والنواة الحاجة والحاجة(٥) الشوكة والشوكة(٦) النقّابة التي يقال لها الدويبة

(١) السليك وقيل لتأبط شراً ابن برّي وقيل لاعشى فهم وذكر من اول الكلمة بيتين (اللسان) (أمو ، روح) . (٢) (اللسان) البياض في لبب الفرس .
(٣) لأعرابية والشطر الثاني في (اللسان) من مارد لصٍّ من اللصوص . (٤) فات (اللسان) وذكره المجد وصاحب مختصر الوجوه ص ٣٥ . (٥) من (ح ي ج) ولا يوجد في المعاجم على اطلاقه فلفظ (اللسان) نبت من الحمض وقيل من الشوك ابن سيده الحاج ضرب من الشوك وهو الكبر الخ فهنا (زيادتان) في اللفظ حاجة وفي المعنى انه كل شوك وجدتها في مختصر الوجوه . (٦) ليس في معاني الشوكة النقّابة ولا في معاني

والنقّابة الطوّافة والطوّافة الجارية والجارية السفينة قال وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي:

ولقد رأيتُ مطيةً معكوسةً   تمشي بكلكلها وتزجيها الصبا

يصف السفينة الطوّافة والطوّافة ايضاً (١) السنّور والسنّور (٢) عظم حلق الفرس والحلق (٣) الشؤم والشؤم النكد والنكد منع الخير وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

نكدتَ (٤) ابا زنيبة اذ سألنا   بحاجتنا ولم تنكدْ ضباب

تجنبتَ الجيوشَ ابا زُنيبٍ   وجاد على منازلك السحاب

زُنيب تصغير زَنب وهو السِمَن قال ثعلب قلت لابن الاعرابي أهذا دعاء عليه ام له قال بل عليه فقلت لِمَ قال لان الاعرابي اذا كان له مال وأثاث جاءته الجيوش (٥) الى الغارة واذا كان له إبل وغنم وجاء الغيث ونبت الكلأ رعى فيه واذا لم تكن له إبل ولا غنم وجاء الغيث اشتكت كبده من الغمّ كيف لا تكون له إبل ترعى ههنا وههنا . اخبرنا ثعلب عن ابي نصر عن الاصمعي قال العرب تقول (٦) في صفة الكلأ كلأ تيجع منه كبد المُصْرِم والمُصْرِم صاحب الصِرْمة والصِرْمة قليل من الغنم وسائر الحيوان قال ابونصر قال الاصمعي في مثل هذا كلأ الحابسُ فيه كالمقيم وكلأ المقيمُ فيه كالمسافر .

النقّابة الدوبية ومعاني الشوكة في مختصر الوجوه (٦٢) واحدة الشوك والأذى والحمرة تعلو الوجه وطينة يُغرَز فيها سُلاء النخل ويخلص بها الكتّان وقرحة بالجوف وجماعة القوم ومثله في (اللسان) وفي (تاج العروس) .

(١) ومنه الحديث (انها من الطوّافين عليكم او الطوّافات) . (٢) يتكرر في الباب الـ(٢٥) . (٣) وكذا في تاج العروس عن ابن الاعرابي ومنه قولهم في الدعاء عقرا حلقا . (٤) (اللسان) البيت الاول برواية ابا زُنَيبة (مصحفاً) عن ثعلب قال عدّاه بالباء لانه بمعنى بخل وفي مادة (زنب) البيتان برواية ابا زُنيبة مصغر زَينب ان سألنا قال وابا زُنيب مرخّم — نعم الزَنَب السمن ولكن لا يظهر ان يكون زُنيب في البيت مصغره . (٥) كذا في الاصل موضع «للغارة» . (٦) يوجد القول مع التفسير في (اللسان) « صرم » .

٨ (باب المِجَنَّة) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال المِجَنَّة طبق (١) الخيزران والطبق (٢) الحال والحال الحمأة والحماة (٣) عظم الساق والساق ساق حرّ والحر حيٌّ (٤) من العرب والحر الرماد والرماد (٥) الهلاك والهلاك الشَّمَرَّة وانشد (٦) :

أتبعتُه الرمح اذ مالت عِمامتُـه تحت الغُبار ولم أهلِك الى اللابن

اي طلبت بثأري ولم اشمره الى ديةٍ . والشمرة اكل (٧) الشولقي والشولقيّ الطُفَيلي اكله بالعجلة لئلا يفنى والعجلة الطينة وجمعها العَجَل وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

والنبع (٨) في الصخرة الملساء منبِتُه والنخل ينبت بين الطين والعجل

ومنه قول الله عزّ وجل (خلق الانسان من عجل) قال ابن عباس من طين .

٩ (باب الحياء) — الحياء (٩) فرج المرأة والفرج الثغر والثغر الاسنان وانشد ثعلب عن ابن الاعرابي :

ومسربٍ ملاحٍ قد رأيت وجوهه إناث أدانيه ذكور أواخره

السرب ههنا أسنان (١٠) الجارية والاسنان تؤنث والاضراس تذكر واراد بالسرب ههنا

---

(١) المعروف انها الترس (وهذا مما زيد على المعاجم) . (٢) قال تعالى (لتركبنّ طبقاً عن طبق) . (٣) غير مهموز وانه عضلة الساق كما في اللسان ومختصر الوجوه ص ٣٣ فيجب ان تسهل الهمزة في (والحال الحماة) . (٤) لم اجد معنى حُرٍّ في اللسان والتاج ومختصر الوجوه (وهذا مما زيد على المعاجم) . (٥) المعروف في المعنى الرمادة (وهذا مما زيد على المعاجم) . (٦) (اللسان) انشده الكسائي في نوادره وروايته (جلّلتُه السيف اذ مالت كوارته — تحت العجاج الخ) والمعنى مجاز . (٧) في الأصل اكل الشوالق والشولق الصفيلي مصحفاً . والذي في اللسان (مصحفاً) والتاج والأساس الشولقي المحب للحلاوة المولع بها (وهذا مما زيد على المعاجم) . (٨) يوجد في اللسان بلفظ الصخرة الصماء ... بين الماء والعجل . (٩) المجمع عليه انه فرج ذوات الظلف والخُفّ والسباع (وهذا مما زيد على المعاجم) نعم عن الازهري في (اللسان) الحيّ فرج المرأة .

(١٠) كما في مختصر الوجوه ص ٥٥ والمعنى فات (اللسان) و (التاج) (وهذا مما زيد على المعاجم) .

اسنان الجارية لاجتماعها وكل مجتمع صرب · قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الحياء هو من الاستحياء والحياء فرج كل أنثى بهيمة او إنسية ممدود (١) ومقصور ويمد المد افصح والحيا الغيث مقصور لا غير ·

• ا (باب اللواص) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال اللواص العسل والعسل عَدْوُ الذئبة والذئبة كوّة (٢) السرج والسرج الحسن (٣) واخبرني السياري قال سمعت المبرد يقول الحسن والحسن (٤) العُظيم الذي يلي المرفق مما يلي البطن والقبح (؟ القباح) (٥) والقبيح العُظيم الذي يلي الكتف قال السياري وانشدني المبرد لبعضهم :

الحسن والقبح في عضو من الجسد فوق الذراع وتحت المنكب العضد

والبطن مصدر بطنتُ العير أبطنه بطنًا اذا ضربتَ بطنه والعير (٦) الناتئ في وسط الأُذن بين الرَّوْم والحارة (٧) والرَّوْم (٨) شحمة الأُذن والوسط خيار الأُمّة والأُمّة القامة والقامة (٩) الخشبة التي تكون على رأس البئر تعلّق عليها البكرة وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

(١) لا يرى الأزهري قصره الا ضرورةً وغلّط الليثَ في إطلاقه المدّ والقصر ·

(٢) كذا في مختصر الوجوه ص ٤٦ وفي كتاب السرج واللجام لابن دريد الذئبتان باطنا العضدين ففي كل قربوس عضدان وذئبتان وعضداه رجلاه اللتان تقعان على الدفتين وفي اللسان هو ما تحت مقدم الحنوين وهو الذي يعض على منسج الدابة الخ · (٣) في الاصل الحسين مصحفًا · والمعنى (مما زيد على المعاجم) فالمذكور جبين سارج كالسراج في الحسن فقط · (٤) في الاصل الحسين مصحفًا والحسن كالقبح ذكره المجدُ دون (اللسان) ·

(٥) الذي في التاج واللسان قباحٌ لغة في القبيح بهذا المعنى وفي تفسيره خلاف وقال الأصمعي في خلق الانسان له (ص ٢٠٥) رأس العضد الذي يلي رأس الذراع قبيح ·

(٦) في خلق الانسان (ص ٢٠٤ و ٢٢٧) الحاجز الذي في وسط الكتف يقال له العير وعير القدم الشاخص في وسطها · (٧) في الاصل الحارة مصحفًا وحارة الأذن صدفتها كما في خلق الانسان (ص ١٧٠) وفي (ص ١٩٦) واعلى الحنك المستدير · (٨) بالفتح ويضم ·

(٩) هذا التفسير في كتاب صفة البئر عن ثعلب عن ابن الاعرابي للدعامة · والدعامة والقامة كأنهما شيء والأشطار في اللسان (دعم وقوم) بلفظ وانتي موف وفي صفة البئر ايضًا ·

لما رأيت أنها لا قامهْ وأنني ساق على السآمهْ
نزعتُ نزعاً زعزع الدِعامهْ

قال قلت لابي نصر ما سمعتَ الاصمعي يقول قال قال هـذا مثلٌ لم يكن ثم قامةٌ ولكنه نزع بيديه اي استقى استقاء لوكانت ثم دعامة تزعزعت . قال ابو العباس قلتُ لابن الاعرابي ما معنى هذا الكلام كان فيـه مطالبة وقد نفى واوجب وقلت له ما قال الاصمعي فقال أخطأ الجاهل قال قد كانت ثم قامة وكانت ثم دِعامة ولكنه كان شيخاً ضعيفاً . وقوله قامة لم يرد الخشبة وانما اراد قولهم قائم وقامة (١) كما نقول بائع وباعة وهم (٢) المُعينون فلمْ فقدهم تنشّط (٣) واستقى فزعزع الدعامة التي كانت ثم ومنه قوله :

وقامةٌ ربيعـةُ بن كعب حسبك اخلاقهمُ وحسبي

١١ (باب الإفت) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الإفت (٤) اليَفَنة واليفنة الحامل (٥) من البقر والبقر التخير و يقال بَقِر و بحر وبعل وعقر (٦) كله اذا تحير من الفَرَق والفرق (٧) تباعد ما بين ثنايا الانسان والثنايا الطرُق في الجبل والطرق جمع الطريق والطريق (٨) الطوال من النخل وهي الكتائل وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

فد أبصرتُ (٩) سُعدى بها كتائلي مثل الجواري الحُسَّر العطابل

---

(١) يوجد القول في اللسان عن ثعلب قال كأنه اراد لاقائمين على الحوض يستقون منه ومثله فيما ذهب اليه الاصمعي (؟؟؟) وقامتي ربيعة الشطرين .

(٢) في الاصل وهو . (٣) في الاصل تنسط .

(٤) الذي في المعاجم الإفت بالكسر اوالفتح الكريم من الابل والأفت بالفتح و بكسر السريع الذي يغلب الابل على السير وليس هذان المعنيان من جملة معاني اليفنة (فهذه ما زيد على المعاجم) . (٥) او هو البقر . (٦) كان في الاصل عَفِر وقد أوقعنا في أتعاب وكل هذه الأفعال توجد في التاج واللسان . (٧) والوصف أفرق نقله تلميذ ابي عمر ابن خالويه في كتاب (ليس) له . (٨) الواحدة طريقة (اللسان) .

(٩) في اللسان والثاني والثالث :

طويلةَ الاقناء والاثاكل مثل العذاري الخُرَّد العطابل

الحسّر اللاتي لا ثياب عليهن والعطابل جمع عُطبول وهي الطويلة من النساء .

١٢ (باب المصاب) — قال واخبرنا (١) ثعلب عن ابن نجدة عن ابي زيد قال المصاب (٢) قصب السكر والقصب قصب السباق في الحلبة وغيرها والسباق سباق (٣) الصقر والصقر الدبس (٤) والدبس الخلق (٥) الكثير والخلق الفَرْي والفَرْي الإصلاح وانشد ثعلب عن ابن نجدة عن ابي زيد :

ولأنت(٦) تفري اذخلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفري

يخلق يقدّر ويفري يقطع (٧) وأفرَى الأديم اذا شقه للفساد [و] فراه بغيرالف اذا شقه للاصلاح .

١٣ (باب الموشق) — اخبر ثعلب عن ابن الاعرابي قال الموشق(٨) غلاف القوس والقوس الكتلة من التمر تبقى في الجُلّة للقلنفا والقلنفا والقفيز كلة الجلة والقفيز الجلنفاة (٩) الطعام بلا أدْم والأدْم الخِلْط والخِلْط تصغيره خُليط (١٠) وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

وكنا خُلَيطى في الجمال فأصبحت جمالي تُوالى وُلَّها من جمالكا

اخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال يقال مِزذا من ذا ووالِ ذا من ذا وزِلْ (١١) ذا من ذا .

١٤ (باب الحادور) — قال ابو عمر اخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال قال

(١) كان في الاصل انشدنا مصحفاً . (٢) بلفظ المصاب بمعنى المصيبة . (٣) قيده من سير اوغيره . (٤) عند اهل المدينة . (٥) الناس . (٦) من قصيدة للاعشى تراها في زيادا تنا على ديوانه وتنسب للمسيّب بن علس والبيت يوجد في قصيدة لزهير ايضاً .

(٧) هذا قول الجوهري وخالفه غيره . (٨) غيره قراب القوس . (٩) ويسمى القفار ايضاً . (١٠) كأنه ظن خُليطى في البيت مصغر خِلط وليس كذلك فانه مقصور وهو مشدّداً ومخففاً بمعنى الاختلاط وكان في الاصل (خليطاً في الجمال) وفي اللسان ان البيت انشده اللحياني وتُوالى تميز (اللسان) (ولى) وفي الاساس والِ غنمك من غنمي اي اعزلها وميزها . (١١) زاله يزيله لغة في أزاله .

الحادور (١) القُرْط والقُرط(٢) الحماَمة والحلمة القُراد والقُراد (٣) الذي في الاَوْع والاَوْع السعدانة (٤) التي حول الثدي والسعدانة الحامة والحمامة البكْرة التي يستقى(٥) عليها وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

لو أن من يزجُر بالحمام يقوم يوم وردها مقامي اذاً اضل سائرَ الاحلام

٥١ (باب البسل) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال البسل الحرام والحرام(٦) النملة والنملة قروح تخرج في الجنب والجنب القرَب والقرَب الخاصرة وهو واحد الاقراب والخاصرة الجارية التي تجد البرد كثيراً والبرد النوم قال ثعلب ومنه ان جارية كانت تحب رجلاً وكان يحبها فيخلو معها بلا فساد فجاء ذات يوم يسأل (٧) عنها فقال اولياؤها ادخل اليها واقعد معها لحظةً واخرج فدخل وخرج بالعجلة فقال له اولياؤها أقبلتها واحدةً وخرجت . قال لا منعني البرد . قال فدخلوا فاذا هي ميتة والنوم الموت والموت الهدوء والسكون عند العمل وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي قوله(٨) :

يا قوم من يحلب شاةً ميّتة قد حُلبتْ خطة جُنباً مسفتة

قال يقال مسفتة للقيّرة وهو السفت(٩) والزفت والقير قال واخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء عن الكسائي قال العرب تقول لعن الله غنماً خيرها خُطّة وكثّة(١٠) وبطان (١١) قال وهذه شرار الغنم ولا تنصرف و يقال للعُلبة جنبة وجنب و يقال لها السمراء . «للبحث صلة»

---

(١) غيره القرط في الاذن . (٢) وهي نبات كالرُطبة الا انه اجل منها واعظم ورقاً . (٣) اي حلمة الثدي واللوعة السواد حول حلمة المرأة . (٤) غيره سعدانة الثُنْدُوة حلمتها . (٥) في الاصل يسقى . (٦) لايوجد في غير مختصر الوجوه ص٣٤ قال محشيه لم ار ذلك غير هنا (وهذا مما زيد على المعاجم) . (٧) في الاصل ليسأل مصحفاً .

(٨) البيت في اللسان (خطط) ميتة ساكنة عند الحلب . والجنب العلبة . ومسفتة مدبوغة . والشطران مع التفسير والمثل الآتي يوجدان في الميداني طبعاته الثلاث (٢ : ١٠٨ ، ٨٥ ، ١١٥) ولاء والعسكري بطبعتيه (١٦١ و ٢ : ١٢٣) والمستقصي (مخطوط) ونوادر ابي زيد (ص٢٤١) وشرح المفضليات (ص ٣٣٥) . (٩) لغة في الزفت اولثغة . (١٠) كان في الاصل كثة بالمثلثة وأوقعنا في عناء . (١١) ككعاب .

ابن خلدون

– ٢ –

(آراؤه الخاصة في المقدمة) = ولابن خلدون في مقدمته آراء في طبيعة العمران وطبائع الامم في اجتماعهم ينفرد باستنباطها او يكاد . ولما كان مبحثنا في آثار الرجل انما هو من الوجهة التاريخية الأدبية لا من الوجهة العمرانية والاجتماعية وفلسفة التاريخ كان استيعابنا لكل آرائه وتمحيصها بالنقد نقضاً واثباتاً تعرضاً لما لا يعني الأدب .

على انه لم تعد كل آرائه التي ذكرها في مقدمته في سياسة الممالك مطردة في عصرنا هذا اذ أصبحت طريقة الحكم فيه دستورية وكلامه في الدول الاستبدادية المطلقة ، علاوة على ان معدات الحروب وظواهر المدنية الحاضرة وسهولة مواصل الامم بالسكك الحديدية والبواخر والبرقين السلكي والاثيري والمسرة كل ذلك يخالف كثيراً عما كان قبل .

ولكن ذلك لا يمنعنا من ان نشير بشيء الى آرائه المسلمة التي لم تنقض بعد وآرائه المخالفة بحكم المدنية الحديثة فمن الاولى :

(أ) ان الاجتماع البشري لا يخلو من بداوة وحضارة .

(ب) ان البداوة والاخشيشان اصل لكل حضارة .

(ج) ان البداوة تستلزم بالطبع العصبية .

(د) ان العصبية تستلزم الاستقلال وفقدانها يسبب الاضمحلال .

(ه) أن البداوة تستلزم الخشونة والنشاط ، وهما يستلزمان الغلب والاستيلاء على اهل الحضر والاندماج فيه .

(و) ان نشوء الحضارة او اضمحلالها لا يكون طفرة بل يقتضي انقضاء نصف قرن او اربعين سنة على اقل تقدير حتى يكون تأثير كل قد شمل النشء والشبان والكهول .

(ز) ان تأسيس الدول او غلبة أمة على أمة لا يكون الا بدافع ديني اوسياسي .

(ح) ان غلبة أمة على أمة لايكون الا بدافع نتيجة ضعف المغلوبة ضعفاً لامقاومة فيه بعصبية او قوى أخرى معنوية .

(ط) ان التغلب على الأمم القوية بالعصبية او كثرة العدد يكون بالمطاولة لا بالمناجزة .

(ك) ان المغلوب مولع ابداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وعاداته .

(ل) ان الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها (من كل وجه) أسرع اليها الفناء .

(م) ان الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تحكم فيها دولة .

(ن) ان الحضارة في الأمصار تدوم وترسخ برسوخ الدول وطول عمرها .

ومن الثانية اي الآراء المتخلفة التي لا تطرد على إطلاقها :

(أ) ان الدول لها أعمار طبيعية كالأشخاص وان عمرها لا يزيد على مائة وعشرين سنة فان ذلك منقوض بالدولة العباسية والعثمانية وانجلترا وفرنسا .

(ب) ان التنافس والنزاع ضروريان بين الملك وأشراف الدولة وزعمائها وان ذلك ينتهي بتغلب الملك وذلك منقوض بالدول الدستورية كانجلترا .

(ج) ان العرب أبعد الناس عن سياسة الملك .

(د) ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط .

(ح) ان العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الفساد .

(ك) ان المباني التي تختطها العرب يسرع اليها الخراب .

(ل) ان العرب أبعد الناس عن الصنائع .

وآراؤه هذه في العرب من أشنع اغلاطه واوهامه ، وكلامه فيها مضطرب متفكك ليس صادراً عن اعتقاد راسخ او ضمير مخلص ، ولعل الذي حمله على الانحاء على العرب امران : الاول انه كان يخدم دولاً بربرية ثم جركسية سلبت العرب ملكهم .

الثاني ما رآه من عرب المغرب الجالين اليه أوائل القرن السادس للهجرة وما بعده من التخريب والتدمير ناسياً عن ان هؤلاء كانوا من أجلاف البدو الجاهلين تعليمات الاسلام وخلال العرب القديمة زمن الخلفاء الراشدين وبني أمية في الشرق والاندلس والعباسيين والفاطميين بله دول اليمن القديمة والحديثة ، اوغافلاً او متغافلاً ان هذا التخريب كان متعمداً منهم ، وكانوا مأجورين عليه من قبل الدولة الفاطمية بمصر انتقاماً

من المعز بن باديس الذي خلع طاعتهم ·

ويدافع بعضهم عن ابن خلدون في حكمه على العرب بهذه الأحكام انه لا يريد دول العرب في صدر الاسلام وانما يريد هؤلاء البدو غزاة المغرب في القرن السادس · وليس ذلك بصحيح فانه كما يخلط بالاستشهاد بهؤلاء الاجلاف من هلال وزغبة ورياح وجشم يذكر العرب الفاتحين الاولين في اختطاط الكوفة والبصرة والقيروان عند بدء تكوين الدول الاسلامية وفي مواضيع أخرى مختلفة

(ه) ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم من الأعاجم وهو منقوض بالاحصاء بتتبع كتب التراجم لأئمة المذاهب الاسلامية والعلوم اللسانية · نعم انه كان يكثر في صدر الاسلام من بني أمية وأوائل الدولة العباسية المتشرفون بالعلم من الأعاجم لاشتغال أشراف العرب باعمال السلطان من الولاية والجباية وقيادة الجند وادارة الملك فلما ضعفت شوكة العناصر العربية في تولي اعمال الدولة اشتغل معظمهم بالعلم وبذوا الاعاجم فيه ، على ان كثرة العلماء من الأعاجم لم تكن غالبة في اي عصر من عصور دول العرب وخاصة دولتهم في الاندلس · ولولا الاطالة لأتينا بثبت إحصاء لأئمة العرب وعلمائهم وقابلناه بمثله من أئمة الموالي وعلمائهم ·

(و) ان اخلاق التجار منحطة عن أخلاق الأشراف من الملوك والرؤساء والولاة وذلك منقوض في عصرنا بتجار اوربا واميركا هذا الى كثير من الآراء المنقوضة المتعلقة بالدول الاستبدادية المتباعدة الأطراف ·

***

(أثر المقدمة في عالم التأليف) = أسبغنا الكلام في تأثير المقدمة في كتابة التأليف والصحف منذ أوائل العصر الحاضر ، ونقول هنا ان موضوع المقدمة بشكلها الشامل لاصول السياسة والعمران والاجتماع والاقتصاد وتاريخ العلوم والآداب في الملة الاسلامية مبتكر لابن خلدون ، وان ذكر غيره في مقدمة تاريخه او عمله بعض هذه الاصول والقوانين العامة كابن الطقطقي وغيره وابتكاره البحث في هذه المسائل ارشد من اتى بعده من مؤرخي الدول والعلوم من العرب والترك والاوربيين الى مجاراته في بعض بحوثه او معظمها ، فنحا حاجي خليفة نحوه في تاريخ العلوم والحضارة في كتابه كشف الظنون

وكذلك حسن صديق خان ملك باهو بال بالهند في كتابه ابجد العلوم بل استرق منه فصولاً برمتها . وكذلك العلامة طاش كبري زاده في كتابه مفتاح السعادة . وكذلك القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الهندي في كتابه دستور العلماء او جامع العلوم في اربعة مجلدات ضخام .

وكذلك خير الدين باشا التونسي في مقدمة تاريخه نحا منحاه في الامور السياسية والاجتماعية .

ولجودت باشا التركي المؤرخ المشهور مقدمة لتاريخه باللغة التركية طرقت اكثر أبواب المقدمة وترجمت الى العربية .

وقد قرأت كتابيْ روح الاجتماع وتطور الامم لغستاف لوبون الفرنسي اللذين ترجمهما المرحوم احمد فتحي زغلول باشا فرأيته قد عقد فصولاً كثيرة مقتبسة من المقدمة وانما طبق أحكامها على الجماعات والامم بدل تطبيقها على القبيلة والدول كما يفعل ابن خلدون .

على انه لا ينكر منصف ان مقدمة ابن خلدون هي باكورة المؤلفات المفصلة في علوم الاجتماع والعمران والاقتصاد السياسي .

وقد ترجمت المقدمة الى عدة لغات شرقية واوربية بتعليق وبغير تعليق .

***

(تاريخ ابن خلدون) — يعتبر تاريخ ابن خلدون احد المراجع التاريخية الكبيرة التي تغلب عليها صحة النقل وتحري الحق في اللسان العربي ، وان لم يخل من ذكر بعض التهاويل والغرائب التي نعى عليها في مقدمته .

ويمتاز بانه التاريخ الوحيد الذي أسهب الكلام بما لا مزيد عليه في تاريخ أمة البربر في شمالي افريقية ، وألم بغارة أعراب المشرق من سليم وجشم ورياح وهلال وزغبة على دولتي صنهاجة وابادتهم غضراءها وعلى أطراف ممالك الموحدين فأثخنوا فيها زمن الدولة الفاطمية وبايعازها .

وقد كان من نيته عند الشروع في تأليفه ان يقصره على تاريخ الامتين اللتين لهما الشأن الاكبر والاثر الظاهر في حوادث وطنه ، وهما أمة العرب وأمة البربر ثم بدا له

بعد ان اتم الكلام عليها وبعد ان أزمع الهجرة الى المشرق فضم اليه بعض تاريخ أمم المشرق لتوقع العثور فيه على الكتب المشرقية التي لم يتيسر له الاطلاع عليها في المغرب وكتب اول نسخة منه على صورة غير مستوفاة واهداها الى سلطان المغرب الاقصى من بني مرين ابي فارس عبد العزيز واهدى نسخة منه غير تامة الى ابي العباس احمد من ملوك الدولة الحفصية بتونس وهو آخر ملك لقيه من ملوك المغرب .

ولما جاء مصر ونزل القاهرة وزاول التدريس والقضاء مراراً كان يشتغل في اوقات الفراغ والعزل عن القضاء باكماله الى ان تم على النحو الذي طبع عليه غير ان النسخة التي طبع منها بمصر لم تكن اصح النسخ او انها نقلت من مسودة لم يكن ابن خلدون ملأ كثيراً من الفراغ والبياض الذي يتخللها بكثرة . هذا الى تحريف كثير في الفاظها وبخاصة الاعلام الاعجمية التي لم تضبط فيها على سقط كثير واختلال في بعض التراكيب .

ولم يتعرض ابن خلدون كثيراً الى ربط اسباب الوقائع بمسبباتها وعلل سقوط دولة وقيام أخرى ، وبيان العبرة من ذلك لدارس تاريخه كما كان ينتظر منه كل من قرأ مقدمته ، وكأنه اكتفى بما ذكره فيها من القوانين السياسية والاجتماعية وطبائع العمران ، وأحال القارئ لتاريخه على استنباط علل الحوادث منها وتطبيق الوقائع على قواعدها ، وذلك ماجعل بعض الذين لايقدرون أعمال الرجال حق قدرها ان يقول « مقدمة ولاتاريخ » .

وزعم بعض الباحثين من معاصرينا ان ابن خلدون اول من عدل عن كتابة حوادث التاريخ مقرونة بسني وقائعها ومرتبة بتتابعها متداخلة فيها حوادث أمم ودول مختلفة لوقوعها في زمن واحد كما يفعل الطبري وابن الاثير وانه بوب كتابه على ذكر تاريخ كل دولة في فصل خاص به . وليس ذلك بصحيح فانه قد سبق ابن خلدون الى هذه الطريقة المسعودي في مروج الذهب وفي التنبيه والاشراف ، ولعل هذه كانت طريقته في كتابه الكبير أخبار الزمان والاوسط ومثله ابن واضح اليعقوبي ، وابن الطقطقي في الفخري والآداب السلطانية وغيرهم بل كانت هذه ولا تزال طريقة المغاربة في تواريخهم .

وقد ترجم كثير من أقسام هذا التاريخ الى لغات مختلفة وعلق عليه بعض الباحثين آراء شتى .

***

(نموذج من كتابته) — فمن ذلك صدر رسالة كتب بها الى لسان الدين بن الخطيب رداً على كتاب ويغلب فيه السجع .

سيدي مجداً وعلوا ، وواحدي ذخراً مرجوا ، ومحل والدي براً وحنوا ، ما زال الشوق مذ نأت بي وبك الدار واستحكم بيننا البعاد يرعى سمعي أنباءك ، و يخيل اليَّ من أيدي الرياح تتساول رسائلك ، حتى ورد كتابك العزيز على استطلاع ، وعهد غير مضاع ، وود ذي أجناس وأنواع ، فنشر بقلبي ميت الشوق وحشر أنواع المسرات وقدح للقائك زناد الأمل . والله أسأل الامتاع بك قبل الفوت على ما يرضيك ، و يسني أماني وأمانيك ، وحبيته تحية الهائم لموقع الغمائم ، والمدلج للصباح المتبلج الخ .

ومن سجعه في خطبة في فضل التاريخ :

وان فحول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا أخبار الايام وجمعوها ، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها ، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها او ابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها ، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها ، وأدوها الينا كما سمعوها ، ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها ، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها ، فالتحقيق قليل ، وطرف التنقيح في الغالب كليل ، والغلط والوهم نسيب للاخبار وخليل ، والتقليد عريق في الآدميين وسليل ، والتطفل على العلوم عريض وطويل ، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل ، والحق لا يقاوم سلطانه ، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه ، والناقل انما هو يملي وينقل ، والبصيرة تنقد الصحيح اذا تمقل ، والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل الخ . .

ومن فصوله غير المسجوعة من المقدمة .

وانما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه ، فغلبوه على امره ، وشاركوه في سلطانه ، ولم يكن له معهم تصرف في امور ملكه ، فعظمت آثارهم ، وبعد صيتهم ، وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم ، واحتازوها عمن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم . ويقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى

ابن خالد خمسة وعشرون رئيساً من بين صاحب سيف وصاحب قلم : زاحموا فيها اهل الدولة بالمناكب ، ودفعوهم عنها بالراح لمكان ابيهم يحيى من كفالة هرون ولي عهد وخليفة ، حتى شب في حجره ، ودرج من عشه ، وغلب على امره ، وكان يدعوه : يا أبت ! فتوجه الايثار من السلطان اليهم ، وعظمت الدالة منهم ، وانبسط الجاه عندهم ، وانصرفت نحوهم الوجوه ، وخضعت لهم الرقاب ، وقصرت عليهم الآمال ، وتخطت اليهم من اقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الامراء ، وسيرت الى خزائنهم في سبيل التزلف والاستمالة أموال الجباية ، وأفاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء ، وطوقوهم المنن ، وكسبوا من بيوتات الاشراف المعدم ، ومُدحوا بما لم يمدح به خليفتهم ، واسنوا لعفاتهم الجوائز والصلات ، واستولوا على القرى والضياع من الضواحي والأمصار في سائر الممالك ، حتى آسفوا البطانة ، وأحقدوا الخاصة ، واغصوا اهل الولاية ، فكشفت له وجوه المنافسة والحسد ، ودبت الى مهادهم الوثير من الدولة عقارب السعاية ، حتى لقد كان بنو قحطبة أخوال جعفر من أعظم الساعين عليهم ، لم تعطفهم لما وقر في نفوسهم من الحسد — عواطف الرحم ، ولا وزعتهم أواصر القرابة ، وقارن ذلك عند مخدومهم نواشئ الغيرة ، والاستنكاف من الحجر والانفة ، وكان من الحقود التي بعثتها منهم صغائر الدالة الخ .

* * *

(منزلته في الشعر) — كان ابن خلدون شاعراً طويل النفس وشعره بالاضافة الى شعر اهل عصره وخاصة المشارقة منهم غاية في الجودة ، وان وصفه هو بانه متوسط بين الجودة والقصور تواضعاً منه : اذ لم يكن اهم بضاعته التي كان يقصد بها الى الملوك ويخدم بها دولتهم ، كما كان شأن الكثير ممن يقول الشعر . وكأنه سما بهمته الى غاية لا يكون الشعر الموصل الوحيد الى مداها . واول ما أمعن في قول الشعر والاغراب فيه ايام خدمته السلطان ابا سالم المريني حيث يقول : ثم اخذت نفسي بالشعر ، وانثال عليّ منه بحور توسطت بين الاجادة والقصور . ويظهر ان اشتغاله بالسياسة والتأليف والتدريس جعل فرض الشعر أصعب منالاً عليه من الترسل والتأليف . قال عن نفسه في ذلك : (ذاكرت يوماً صاحبنا ابا عبد الله بن الخطيب وزير الملوك بالاندلس من بني الاحمر ،

وكان الصدر المقدم في الشعر والكتابة ، فقلت له : اجد استصعاباً عليَّ في الشعر متى رمته مع بصري به وحفظي للجيد من الكلام من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب وان كان محفوظي قليلاً ، وانما أُتيت (والله أعلم) من قبل ما حصل في حفظي من الاشعار العلمية والقوانين التأليفية ، فاني حفظت قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى في القراآت وتدارست كتابي ابن الحاجب في الفقه والاصول ، وجمل الخونجي في المنطق ، وبعض كتاب التسهيل ، وكثيراً من قوانين التعليم في المجالس . فامتلأ محفوظي من ذلك ، وخدش وجه الملكة التي استعددت لها بالمحفوظ والجيد من القرآن والحديث وكلام العرب فعاق القريحة عن بلوغها . فنظر اليَّ ساعة متعجباً . ثم قال : لله انت ! وهل يقول هذا الا مثلك) .

فلم يكن لذلك الشعر من اهم مميزاته لا لانه متخلف فيه عن غيره كما يقول ، بل لان تميزه بما هو اعلى كعباً في العلم والفلسفة وحسن التأليف وصدق النظر غطى على منزلته في الشعر . وكل ما يؤخذ عليه في الشعر انما هو تناوله المعاني المطروقة للشعراء وقلة ابتكاره فيها . وان كل ما أُثر له من شعر كان في غرض واحد هو مدح رسول الله في الاحتفال بمولده ، ومدح الملوك . ومن تغلب عليهم صناعة الشعر يتناولون كل اغراضه الحسنة والقبيحة واليك نماذج من شعره :

(نماذج من شعره) — فمن نسيب قصيدة له قوله :

اسرفن في هجري وفي تعذيبي	واطلن موقف عبرتي ونحيبي
وأبين يوم البين موقف ساعة	لوداع مشغوف الفؤاد كئيب
لله عهد الظاعنين وقد غدا	قلبي رهين صبابة ووجيب
غربت ركائبهم ودمعي سافح	فشرقت بعدهم بماء غروبي
يا ناقعاً بالعتب غلة شوقهم	رحماك في عذلي وفي تأنيبي
يستعذب الصب الملام وانني	ماء الملام لدي غير شروب

وله من قصيدة أُخرى :

صحبا الشوق لولا عبرة ونحيب	وذكرى تجد الوجد حين تثوب

وقلب أبى الا الوفاء بعهده ... وإن نزحت دار وبان حبيب
ولله مني بعد حادثة النوى ... فؤاد بتذكير العهود طروب
يؤرقه طيف الخيال اذا سري ... وتذكي حشاه نفحة وهبوب
خليلي لا تستدعيا قد دعى الاسى ... فاني لما يدعو الاسى لمجيب
ألما على الاطلال يقض حقوقها ... من الدمع فياض الشؤون سكوب
ولا تعذلاني في البكاء فانها ... حشاشة نفس في الدموع تذوب

* * *

(الموازنة بين ابن الخطيب وابن خلدون) = اري الا تكون الموازنة بين رجلين تامة الا اذا توافرت فيها هذه الشروط :

(١) اشتراكهما في امر او امور تغلب على صفاتهما من علم او عمل على تفاوت بينهما طبعاً فلا يوازن بين كاتب وشاعر ولا بين مؤلف وخطيب بل بين كاتبين وشاعرين الخ ٠

(٢) تقاربهما من بلوغ الغاية في الامر او الامور التي يوازن بينهما فيها فلا يوازن بين متخلف لا اثر له خالد في صناعة وبين نابه خالد الاثر فيها ٠

(٣) تعاصرهما او تقارب عصريهما وتشابه بيئاتهما التي نشأا فيها ٠

(٤) ان تقصر الموازنة على تقدير التفاوت بينهما فيما اشتركا فيه فلا يدخل فيها ما كان خارجاً عنه كشرف النسب كما كانوا يدخلونه بين جرير والفرزدق كما لا تدخل في ذلك الزندقة وصحة العقيدة اذا لم يكن لكل منهما اثر بين فيما يوازن فيه ٠

(٥) ان ينظر في نتيجة الموازنة والحكم النهائي فيها الى مجموع مزايا كل واحد من الموازن بينهما في صناعة لا الى مقابلة مزية واحدة نبغ فيها احدهما ولم ينبغ الآخر ٠ والى تأثير ذلك المجموع في ترقية هذه الصناعة ٠

فاذا اردنا الموازنة بين ابن الخطيب وابن خلدون على هذا النمط وجدنا انهما عظيمان متعاصران من بيئتين متقاربتين زاولا تدبير الملك والسياسة والسفارة والتدريس وتوليا كتابة السر والوزارة والفا في فنون شتى اهمها التاريخ ، وانما نريد في درس تاريخ الادب الى ان نميز بما قدر بينهما من التفاوت أيهما كان أبين أثراً وأطول عائدة على العلم

والادب في زمانها وما بعده فنحصر الموازنة في صناعتي الكتابة والشعر والتاريخ لان الأخير من اهم فروع الادب فنقول :

اما الكتابة فقد رأينا من درس مزايا الرجلين فيها ان ابن الخطيب يؤثر السجع وصناعة البديع في ترسله ويكثر منه في عبارة تأليفه في التاريخ والتصوف ونقيس ما لم نره على ما رأينا ، وهو في هذه الصناعة من أبرع اهل زمانه ان لم يكن أبرعهم جميعاً وانه غزير المادة في اللغة وغريبها متفنن في أساليبها الا ان تكلف هذه الصناعة ، وهي ليست طبيعة لازمة للبلاغة العربية في ذاتها بقطع النظر عن كل زمن وجيل — غطى على محاسن هذه البراعة وقصر محاسنها على اهل زمانه ومن قاربهم ، فلم تكن قدوة حسنة لكل اهل زمن وجيل ما دامت لغة العرب (صانها الله) قائمة البراعة بالكتابة المرسلة ككتابة ابن المقفع والجاحظ .

وان ابن خلدون في صناعة السجع والبديع اقل براعة وفي غزارة المادة اللغوية والتفنن في أساليب الكلام اقصر باعاً من ابن الخطيب الا ان اكثر ما أثر عن ابن خلدون من الكتابة كان من النوع القريب من طبيعة البلاغة العربية الفطرية وهو الكلام المرسل وبذلك تكون كتابة ابن خلدون أدوم أثراً وأبقى نفعاً .

واما الشعر فاذا اعتبرنا ان الشاعر الفائق هو المكثر المجيد الجائل في كل ميدان من فنون الشعر المصيب لأكثر أغراضه المليح الخيال فيه الكثير الاختراع من معانيه شهدنا ان ابن الخطيب هو فارس الحلبة في رأينا وفي رأي ابن خلدون نفسه فيما تقدم فتأثير براعة ابن الخطيب في الشعر كان في اهل زمنه ومن بعدهم بقليل بيننا لا في عصرنا هذا .

واما التاريخ فالموازنة بينهما أشبه بالموازنة بين خائض نهر وعابر بحر .

لان ابن الخطيب كتب في نوعين خاصين من التاريخ تاريخ دولة واحدة ، ومدينة واحدة ، والاولى دويلة قصيرة ارخ فيها دولة بني نصر بن الاحمر فلم يكتب فيها الا تاريخ نحو قرن من الزمن ومن الناس . والثانية وهي مدينة غرناطة لا ننكر انه ترجم في اكثر من عشرة اجزاء لكل من سكنها او مر بها من الاعلام بكلام بديع منحوت من

فكره نحتاً وذلك ما لا يبلغ اليه الا بعصب الريق وكد الخاطر الا ان اثره بلاشك خاص باهل بلد واحد او صقع واحد ٠

ولان ابن خلدون كتب في التاريخ العام وفيه تاريخ دولة بني نصر في كل منهما وفصّل جد التفصيل تاريخ أمة البربر بحيث أصبح المرجع الاعظم فيه ، وكان احسن التواريخ واقلها خطأ في تاريخ قدماء العرب ، وأمم العجم ، وكتب له تلك المقدمة العجيبة التي عدت من مفاخر الامة العربية بما وضع فيها من اصول علوم العمران والاجتماع والاقتصاد وفلسفة التاريخ والتي بقيت ردحاً من الزمن أستاذاً لكل كاتب ومؤرخ من العرب ومن غيرهم وكان أسلوبها قدوة لكتاب الصحف في عصر نهضتنا الأدبية الحاضر ثم هي البرزخ التي عبرت عليه الكتابة العربية بأخرة من المسجوع الى المرسل فتكون مجموعة مزايا ابن خلدون وما ترك من الثروة للأدب وفن التاريخ والفلسفة الاجتماعية أنفع وابقى فتكون كفته ارجح ٠

وهذا ما عليه نقاد زماننا ، ورأيت كثيراً من فضلاء الزمان الغابر كالقلقشندي والنويري والسيوطي والمقريزي يحله هذه المنزلة فرحمة الله عليها وعليهم اجمعين ٠

عضو المجمع العلمي
احمد الاسكندري

نظرة

في قواعد علوم العربية وآدابها

— ما ينبغي التنبه الى معالجته وتمهيد سبله —

قبل ان أتناول قواعد علوم العربية وآدابها في هذا البحث اود القاء كلمة موجزة بشأن اختيار الفاظ فنية اصطلاحية للمعاني المستحدثة مما اوجدته شؤون المجتمع الحديثة واتساع نطاق العلم والفن والصناعة فيه فأقول :

ان الحرص على سهولة اللفظ وانطباقه في وضعه واشتقاقه على المعنى المستحدث المقصود او على ما يقارب به امر يعلمه الجميع فليس ذلك مما اريد التنبيه عليه هنا . ولكني أنبه القوم عند ارادة التواطؤ على لفظ اصطلاحي جديد ان يراعوا فيه فوق ما ذكر اجتناب اشتراك اللفظة على قدر الامكان في معنى آخر مألوف شائع الاستعمال . لان الالفاظ المشتركة في كل لغة من لغات البشر هي مظهر ضعف فيها بما تولده من الالتباس لا مظهر قوة خلافاً لما يتوهمه كثيرون حتى انهم ليفتخرون بوجود هذه الالفاظ المشتركة في لغتهم . على ان أوسع اللغات مادةً لا تستغني عن هذا الاشتراك لان الالفاظ محدودة والمعاني والافكار غير محدودة فلا بد ان تزيد هذه على تلك ومن ثم يقع الاشتراك . فكلما تمكن خدام لغة ان يتخلصوا من الاشتراك عند احتياجهم الى لفظ جديد وجب عليهم ان يغتنموا فرصة اجتنابه . وهو المبدأ الذي أشير اليه وبناءً على ذلك كان اقرب الى الصواب ان يسمى التلفون مِهتفاً او مِهتافاً او مِهتفةً بكسر فسكون في الجميع على اوزان اسم الآلة القياسية او مَهتفاً بفتح فسكون على صيغة اسم المكان عوضاً عن تسميته هاتفاً الذي له معنى آخر شائع الاستعمال . وهكذا قل عن اختيارهم لفظ الحاكي للفونوغراف وكان أقرب الى الصواب اختيار لفظ (مِحكىً او مِحكاء او مِحكاة) بكسر فسكون او مَحكى بفتح فسكون وقد اصابوا في تسمية البيانو معزفاً ولم يقولوا عازفاً . وقس على ذلك كثيراً من نظائره .

* * *

« في الصرف » = اما الصرف ففيه أبواب سماعيـة عظيمة الخطر وقد ذكروا لها دلائل وضوابط تقريبية فما ضرّ علماء لغتنا اليوم ان يمعنوا فيها نظرهم فعساهم ان يروا قسماً كبيراً من هذه الدلائل جديراً بحسبانه قياسياً مطرداً بحيث يقل السماع في هذه الأبواب وتخف الصعوبة الى مقدار ثلثها او ربعهـا · واهم الابواب المقصودة بالبحث هي ما يأتي :

مزيدات الأفعال والمعاني المختلفة الناشئة عنها من مبالغة ومطاوعة ومشاركة وتحويل وسلب وتكلف واصابة الشيء على صفة وهلم جرا · اوزان المصادر الثلاثية · اوزان الجمع المكسر · لزوم الفعل وتعديه وتعيين حرف الجر للازم · اختلاف حركة العين في المجرد الثلاثي ماضياً ومضارعاً · النحت — سواء كان من جملة اومن لفظ جامد — ووجوب التوسع فيه على منهج قياسي يبين حدوده بحيث يكون لنا من هذا الباب كنز ثمين مكشوف على ان معظمه لم يزل مدفوناً الى الآن · وجل فائدته حينئذ تكون في اختيار الالفاظ الاصطلاحية الجديدة مما يحسب لنا في ذلك ركناً عظيماً ثالث اثنين هما الاشتقاق والتشبيه · ومعلوم ان باب النحت مفتوح على مصراعيه في اللغات الاوربية · والاقوام هناك يستغلونه احسن استغلال فلماذا يقتصر العرب على غلتـه الضعيفة الضئيلة المحصورة في الفاظ مخزونة قليلة وصلت اليهم من اسلافهم اذا كان يمكنهم التوسع في هذا الباب توسعاً يلائم اذواقهم ولا يخالف طبيعة لغتهم ·

ويضاف الى ذلك ازالة غموض واقع في قواعد كتابة الهمزة واريد به كيفية حسبان الهمزة في نحو انشأوا لاننا اذا اعتبرناها طرفاً بحسبان اللفظة كلتين الفعل انشأ والضمير الواو كتبناها بصورة الالف كما اثبتناها هنا واذا اعتبرناها واقعة حشوا بحسبان اللفظة كلمة واحدة تبعاً لصورتهـا الخطية كتبناها بصورة الواو هكذا انشؤا وذلك طبقاً للقواعد المقررة · ومن هذا القبيل همزة مسألة فالقاعدة تقتضي كتابتها بصورة الالف كما يراها القارئ هنا على ان فريقاً من جلة علمائنا اللغويين يكتبونها هكذا : مسئلة · فما وجه ذلك وهل كلا الوجهين وجيه ولماذا ؟ وعندوصولي الى هذه السطور تذكرت ان كثيرين من كتابنا اليوم يكتبون همزة هيئة بصورة الالف هكذا هيأة ظانين انها مثل نشأة وجرأة وليس الامر كما توهموا فان همزة هيئة مسبوقة بياء في آخر كلمة مختومة بتاء

التأنيث وهذه الحالة تقضي بجعل الياء كرسياً للهمزة ومثل هيئة الحُطَيئة وخطيئة وبيئة ومشيئة وهلم جراً .

وينخرط في هذا السلك وجوب ازالة كل تنطع شديد الظهور في قواعد الاعلال ومن أمثلته انهم زعموا حرف العلة يحذف من نحو قُمْ واصلها قُوْمْ ونحو خَفْ واصلها خَافْ ونحو مضَتْ واصلها مضَاتْ دفعاً لالتقاء الساكنين وهو قول حق في ظاهره ولكنه لا يثبت على محك النقد في جميع احواله . لان المانع الذي ذكروه اي التقاء الساكنين قد يزول و يبقى بعد زواله حرف العلة محذوفاً فلا يعاد الى الكلمة فنحن نقول : قمِ الآن بكسر ميم قم لاقوم الآن ومثلها خفِ الله لاخافِ الله . ومضتِ الايامُ لامضاتِ الايامُ . ولا يضر الحركة في هذا المقام كونها عارضة مادام التقاء الساكنين المحسوب سبباً لاعلال الحذف يزول بها ثم اننا نقول المرأتان رمتا ومضتا بحذف الالف لا مضاتا ولا رماتا . فالجدير بعلماء الصرف في مثل هذه المآزق ان لا يعولوا على تعليل ناقص بل ان يسندوا الامر الى ماعرفوه بالاستقراء من كلام العرب القدماء اصحاب اللغة فيشيروا الى مواضع حذف او اثبات احرف العلة دون ان يجتهدوا كل مرة في تحويل العلم النقلي الى علم عقلي . فهذا التحويل يؤاتيهم تارةً و يعصيهم تارةً أخرى كما رأينا .

ثم اني أعرض امراً آخر صرفياً لعل اهل النظر والتحقيق يستجيزون فيه تساهلاً ونسامحاً وارىد به بناء افعل التفضيل مما فوق الثلاثي او من الفعل المبني للمجهول فقد حظر الصرفيون ذلك ولكن الأمثلة في كلام فصحاء العرب اكثر من ان تحسب ندوراً اوشذوذاً عن هذا القيد . ومنها قولهم : العودُ أحمَدُ من حُمِدَ المجهول . وقولهم : هذا الكتاب اخصرُ من ذاك . هو اعطاهم للدينار . اننا أحوج الى امير فدّال الخ ببناء افعل التفضيل من الأفعال المزيدة اختصرَ واعطى واحتاج . فما رأي مجامعنا اللغوية في ذلك ؟

***

« في النحو » = اما النحو فيجب فيه قبل كل شيء تتبع المذاهب الضعيفة التي نكاد نراها مندسة في جميع ابوابه فيقضى عليها قضاء مبرماً و يجعل حكمها وحكم الممنوع واحداً بحيث لا يصح ان يحتج بحكمها احد حين يرتكب شيئاً منها لسهو او جهل او ضرورة .

وينبغي ان يدخل في هذا الحظر بابان سماعيان نص النحاة عليهما واولهما باب التضمين ومن أمثلته قولهم :

يا أيها الراكبُ المزجي مطيته سائلْ بني اسدٍ ما هذه الصوتُ

وكان حقه ان يقول ماهذا الصوت ولكنه ضمن الصوت معنى الضجة والجلبة فجاز له ان يقول هذه الصوت كما يقول هذه الضجة او الجلبة .

والباب الثاني المجاورة ومن أمثلته : هذا (جحرُ ضبٍّ خربٍ) بخفض خربٍ لمجاورته ضب وهو مخفوض وكان حقه الرفع فيقال خربٌ لانه نعت جحر وهو مرفوع . ومن أمثلة هذا الباب البيت المشهور :

وما حبُّ الديار شغفن قلبي ولكن حبُّ من سكن الديارا

قال شغفن لمجاورته الديار وكان الوجه ان يقول شغف قلبي بافراد الفعل وتذكيره لانه عائد الى حب وهو مفرد مذكر . وكل ذلك من فلتات كلام العرب التقطه مدونو اللغة وبنى عليه النحاة بابي التضمين والمجاورة فكانا مزلقة ومعثرة لبعض الاقلام او حجة لاهل التمحل والمماحكة فما أحرانا بالتصريح في ايصاد البابين ايصاداً محكماً لا يدع مقالاً لقائل . نعم ان النحاة اشاروا الى حظر القياس فيهما ولكن اشارتهم تلك لم تزل محتاجة الى تعزيز من قبل مجمع لغوي عام او مجامع لغوية متفقة الأحكام .

وهناك باب سماعي ثالث هو باب القلب وأراه أخف خطباً من بابي المجاورة والتضمين ولا بد ان يرى الباحثون فيه شيئاً يقبله الذوق والعقل وشيئاً آخر ينكرانه ولا يصعب عليهم ذكر علامات تفرق بين القسمين ثم اجازة القياس في المقبول منها وضعه في المكروه ومن امثلة المقبول في نظري (عرضت الحوض على الابل) والاصل : عرضت الابل على الحوض . وقول عنترة العبسي :

بطلٌ كأنّ ثيابه في سرحةٍ يحذي نعال السبتِ ليس بتوأم

قال : كأن ثيابه في سرحة اي شجرة عالية على القلب والاصل ان يقال : (كأن سرحة في ثيابه) . ومن أمثلة القلب المكروه قولهم : (خرق الثوبُ المسمارَ) برفع الثوب وجعله فاعلاً عوض ان يقال خرقَ المسمارُ الثوبَ .

واما باب النحت وهو باب سماعي رابع فقد مر الكلام عليه في المباحث الصرفية من هذا المقال :

بقيت لي كلمة في مسألتين من مسائل النحو : الاولى مسألة افراد الفعل مع الفاعل المثنى او المجموع ومع نائب الفاعل المثنى او المجموع . نحو : رحل الضيفان ورحل الضيوفُ وأُكرم الضيفان وأُكرم الضيوف . فقد اوجبوا الافراد في ذلك وحظروا تثنية الفعل وجمعه حظراً شديداً لئلا يكون للفعل الواحد فاعلان . ثم اوردوا من القرآن الكريم ومن كلام فصحاء العرب امثلة تخالف هذه القاعدة التي سماها بعضهم « لغة أكلوني البراغيث » لان في هذه الجملة مخالفة للقاعدة المذكورة . وسماها آخرون لغة : اسروا النجوى الذين ظلموا . او لغة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار : وخرّجوا امثال هذه الآيات على جعل جملة الفعل خبراً مقدماً لما بعده او على جعل الواو في الفعل علامة جمع لا ضمير جمع والاسم المرفوع بعده فاعلاً وكذلك لو ورد الفعل بصيغة التثنية فالالف فيه حينئذ علامة لا ضمير واقع فاعلاً او على جعل يتعاقبون ونحوه فعلاً وفاعلاً والاسم المرفوع بعده بدلاً من الضمير اللاحق به .

وقد قلت انه كثير ورود الفعل بصيغة التثنية والجمع مع الفاعل او نائب الفاعل المثنى والمجموع خلافاً للقاعدة النحوية مما يدل على انها قاعدة اغلبية لا مطردة وان ما خرج عنها لا يعد شاذاً او ضعيفاً بل فصيحاً مقبولاً . والذي أتذكره ان الامير ابا فراس الحمداني استعمل ذلك في ديوانه مراراً عديدة وهو ذو قدم راسخة في الفصاحة وسحر الكلام العربي فشعره مما يستأنس به ولو تقدم عصره قرنين لكان مما يحتج به كما يحتج كثيرون بشعر بشار بن برد ويحتج الجميع بمن قبله قليلاً وهم فصحاء العصر الأموي . وبما اني اكتب هذا المقال وانا مصطاف في جبل الاكراد بعيد عن كتبي وغيرها من الكتب أراني مضطراً الى إغفال ما كنت اود ايراده من الشواهد والأمثلة على هذا الامر وعلى غيره من محتويات الموضوع وانما اوردت من ذلك ما ساعدتني الذاكرة عليه واقتصرت من الملاحظات على ما استحضره ذهني لساعته ماعدا ذكر الأجناس الشاملة لأنواع البديع مما سيمر به القارئ فقد كنت مشيراً اليها في مذكرة خصوصية صحبتني في مصيفي .

كذلك رأيي في تثنية الفعل وجمعه مع الفاعل او نائب الفاعل الغير المفرد ولكنه

رأي لم اجسر على العمل به الى الآن لاني لا اجزم بصحته فهو قابل النقض والابرام فهل لأفاضل علمائنا فحص هذه المسألة وتمحيصها ·

واما المسألة الثانية التي أود ان اشير اليها فهي تناقض المعنى الممكن استخراجه من فعل مضارع منصوب بعد الفاء السببية في جواب النهي نحو : لا تفعلْ كذا فتندمَ · فقد يكون الندم مترتباً على فعلك ذلك الشيء وقد يكون مترتباً على عدم فعلك اياه · وهذا تناقض ظاهر · واذا كانت القرينة العقلية تساعد على تعيين احد النقيضين في بعض الجمل · فانها لا تساعد على تعيينه في جمل أخرى لانتفائها منها كالجملة التي اوردناها هنا ومن الأمثلة المشتملة على القرينة العقلية المساعدة قولهم : لا تقترب من النار فتحترق · اذ يفهم منه ان احتراقك مترتب على اقترابك من النار · وقولهم : لا تقترب من النار فتسلم فالمفهوم ان سلامتك مترتبة على عدم اقترابك من النار · ولعل معظم ما ورد من اقوال العرب في هذا الباب معلق على ايجاب القضية لا على سلبها · ومن ذلك قولهم : لا تطعم العبدَ الكراع فيطمع في الذراع · اي ان طمعه مترتب على اطعامه لا على عدم اطعامه · وقولهم : لا تكن رطباً فتعصر ولا يابساً فتكسر · اي ان انعصارك وانكسارك مترتبان على كونك رطباً او يابساً لا على عدم كونك بهاتين الصفتين · غير ان ترجيح الاثبات الذي الحه ساعة كتابة هذه السطور ولو صح لا يمنع وجه الاضطراب والالتباس في هذا الباب فلا بد لنا من معالجته باجتهاد لعلنا نهتدي الى ما يدفع الشبهات من طريقه وهي موضع حزازة في الصدر ·

* * *

« في العروض والقوافي » = في العروض جوازات ضعيفة مستهجنة يستندون فيها الى ما ورد من امثالها على ندور في الشعر العربي القديم وارى من الصواب ايصاد بابها تماماً وعدها خطأً محضاً لا جوازات ضعيفة على مثل ما اشرت به في المذاهب النحوية الضعيفة · ومن هذه الجوازات العروضية الضعيفة الاشباع والاختلاس في غير مواضعها المعروفة عند ارباب الفن · ومنها على ما اتذكر استعمال فَعِلن بكسر العين عوض فاعلن · في عروض السريع الى غير ذلك ·

ثم ان كثرة الزحافات والعلل في علم العروض واسماء دوائره الخمس واستخراج البحور

منها . كل ذلك مدعاة تعسير لطالب العلم لا تسهيل وتمهيد سبيل وهو امر يحس به جلياً كل من عانى هذا العلم تعلماً او تعليماً . فأي طالب لا يجد قولك له ان فاعلن يجوز حذف الفه في الموضع الفلاني اسهل على ذهنه وذاكرته واخصر لوقته من قولك له ان فاعلن في الموضع الفلاني يدخل عليه الخبن . و يكون قد تمنى في معرفة الخبن كيف يكون وكثيراً مايخلط بينه وبين غيره من الزحافات . وهكذا لو قيل له ان فعولن تحذف نونه جوازاً او وجوباً في الموضع الفلاني والموضع الفلاني فذلك اسهل عليه كثيراً من قولك له ان فعولن يدخله القبض وقس على ذلك خمسين او ستين تسمية من هذا القبيل ولو كانت تسع تسميات او عشراً لهان خطبها واحتمالها . ومن ثم ارى الاستغناء عن هذه التسميات الطويلة العريضة التي لبس تحتها طائل كبير مادام المتعلم يمكنه الوصول الى النتيجة المقصودة منها على طريق اسهل وارسخ في الذهن بحفظه مواضع التغيير في الاجزاء العروضية بحراً بحراً الا اذا كان له ميل خصوصي الى استيعاب تلك الحدود والمصطلحات القديمة او له غاية خصوصية من ذلك كارادة الاحصاء او التلذذ باثر فني من آثار السلف وكان في متسع من وقته وشواغله لقضاء هذه اللبانة فله ما يشاء . و يسرنا ان كثيرين من مؤلفي الكتب العروضية في عصرنا جروا في مؤلفاتهم هذا المجرى السهل ولعله عن قريب يصبح عاماً في مدارسنا .

واما علم القافية فالذي أراه فيه امكان التساهل في سناد التأسيس نحو قابلُ بضم اللام و ينقلُ بضم اللام . ومثله سناد الردف اذا اتصل بالروي حرف الوصل نحو بوصهِ وبعصه كما ورد في البيتين المشهورين :-

اذا كنتَ في حاجةٍ مرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصهِ

وان بابُ امرٍ عليك التوى فشاور حكيماً ولا تعصه

فان امثال ذلك واردة في كلام عدة فحول من القدماء والمولدين . واذا كانت الذاكرة لم تخنّي فالحريري في مقاماته وابو العلاء المعري في الرسائل المنسوبة اليه ارتكبا مراراً سناد التأسيس . ولكن المسألة مع ذلك تحتمل نظراً و بحثاً وتحتاج الى حكم المجامع العلمية . وعلى هذه النية عرضتها هي وبقية المسائل التي تناولتها في هذا المقال :

وكيفما كان الامر فان توصهِ وتعصهِ وما جرى مجراهما . وقابلُ و ينقلُ وما جاء

على وتيرتها أيسر تجوزاً وأقرب الى الذوق وأخف على السمع حسب رأيي من ارتكاب سناد التوجيه في نحو ادبْ بفتح الدال وسكون الباء . ويجبْ بكسر الجيم وسكون الباء في تقفية واحدة مما اولع به جلُّ شعرائنا اليوم واتاه كثيرون غيرهم من شعراء العصور السالفة ومن ارتكاب المخالفة بين الواو والياء في المردوف الساكن نحو غديرْ وصبورْ بسكون الراء فيهما . وبما ان اساس علم القافية الفطرة والذوق الطبيعي فمن منا لا يرى ان أذواق العامة وفطرتهم تشهد لي وتشاركني في عدم استحسان هذه الارتكابات فهل لأدبائنا ان يعملوا فكرهم في ذلك فلعلهم يتحملون قليلاً من العناء حين ينظمون في تخليص منظوماتهم من هذه الهجنة .

* * *

﴿ في علم البيان ﴾

« فنونه المعاني والبيان والبديع »

تعود مؤلفو الكتب البيانية ان يذكروا احوال المسند اليه في تقديم وتأخير . وتعريف وتنكير . وحذف وذكر . وافراد واجمال . واظهار واضمار . ثم يذكروا أحوال المسند في هذه الامور ثم يقولوا ان كثيراً من هذه الاحوال وقواعدها ومتعلقاتها لاتقتصر على المسند والمسند اليه بل تتعداهما الى سائر اجزاء الكلام كالمفاعيل وغيرها من الفضلات وكالمضاف اليه والمجرور بالحرف . فاذا كان الامر كذلك — وهو كذلك — أفليس الاسهل عليهم في التأليف والتصنيف والاسهل على منتجعي الفائدة من كتبهم وأضمن لعدم تشتت أذهانهم ان يعدل عن هذا التبويب القديم المعتاد الى تبويب آخر اقرب الى التلاؤم والتناسب بحيث تذكر مواضع الحذف والذكر ثم مواضع التقديم والتأخير ثم مواضع التعريف والتنكير وهلم جرا .

واحوال هذه الابواب تتناول المسندين وسائر اجزاء الكلام الا ما كان منها ينفرد ببعض دون بعض وهو شيءٌ قليل ينبه عليه المؤلف في موضعه . وأتذكر ان كتاب البيان المقرر للتدريس في معارف القطر المصري جارٍ هذا المجرى ولكنه شديد الاختصار الى حد النقص والخلل فهو لا يشفي غلة أديب ولا متأدب . ولا شك ان ذلك ليس قصوراً ولاتقصيراً من مؤلفيه الكرام بل اقتصاراً حملهم عليه المقترحون في مراجعهم الرسمية .

وفي كتب فنون البيان عندنا — المعاني والبيان والبديع — تداخلٌ لا ارى له وجهاً سديداً بل اراه مدعاة تشويش واعنات للذهن · ولعل علماءنا يتنبهون الى معالجته فيزيلوا مواضعه او بعضها ثم اذا تعذر عليهم ازالة سائرها نبهوا اليها الدارس وجعلوه على بصيرة من امره ·

فمن مواقع التداخل نوع البسط والايضاح في البديع فليسا الا من باب الاطناب في المعاني ومثل ذلك الاحتراس والايغال والتتميم فهي من الاطناب ايضاً وقد ذكرت في المعاني وفي البديع · والقلب في باب مخالفة الظاهر من ابواب المعاني هو انفس التشبيه المقلوب في البديع · والاستعارة التهكمية في باب المجاز المفرد من فن البيان مذكورة ايضاً في باب المجاز المرسل من هذا الفن لانها هي نفسها التي قوامها تسمية الشيء باسم ضده · ومذكورة في البديع باسم التهكم · ثم ان المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه هي اجناس كثيرة الفروع تستغرق فن البيان بجملته وتفصيله وقد وفاها هذا الفن حقها من التقسيم والتمثيل فما معنى اعادتها باسمائها في فن البديع باعتبارها انواعاً بديعية كغيرها من تلك الجزئيات مع انها اجل شأناً من ذلك بكثير فهي مصدر واساس القسم الاكبر من الانواع البديعية ·

ومن هنا يظهر للمتأمل وجوب ادخال تهذيب وتشذيب على كتب البيان عندنا لاجل التخلص من هذه المغامز ·

***

وصلت الى القاء كلمتي الخصوصية في فن البديع فأقول :

اول ما ظهر من أنواع البديع خمسة او ستة أنواع ثم اخذ المشتغلون فيه يستقرون عيون الكلام العربي نظماً ونثراً فيستخرج الواحد منهم عدة انواع يطلق على كل نوع منها اسماً و يعقبه آخر فيستخرج غيرها حتى أصبحت الأنواع البديعية اليوم من معنوية ولفظية نحو مئتي نوع · وهذه كثرة مزعجة نرى المتعلمين لا يطيقونها الا قليلين منهم ولهم في تذمرهم وتضجرهم عذر مقبول · لان المتأمل في هذه الانواع يرى بعضاً منها حطيط المنزلة لا يستحق ان يعنى به و يطلق عليه اسم خاص · وبعضاً آخر حسناً اولا بأس فيه ولكنه مشارك لغيره فليس له ان يستقل عنه في التسمية · وبعضاً ثالثاً هو من شروط

البلاغة الاساسية كالتهذيب والسهولة والانسجام والوضوح فكيف يحسب من جملة الانواع البديعية التي لا تخرج عن كونهـا شيئاً اختيارياً ولكنه مستملح مرغوب فيه لانه يزين الكلام اذا حذق الشاعر او الكاتب استعماله والا كان تافهاً وربما شوه القول وهجنه وجعله ثقيل الظل وخيم المرتع ·

وقد فكرت في ذلك ملياً وقلت ان هذا الفن أصبح معرضاً لناموس رد الفعل فهو الآن محتاج الى شيء من الاندغام والاندماج عوض ما وقع فيه من التمدد المفرط المحسوب مضلة ومتاهة ومن ثم اجتهدت في رد أنواعه الى اجناس قليلة يدخل تحت كل جنس منها عدة انواع فاذا أحاط الدارس بهذه الأجناس ومرن عليها واخطرها على باله حين ينظم او ينثر كان محيطاً بكل انواع البديع وان فاته شيء منها فهو شيء زهيد لا يعبأ به ذلك مع تخلصه من عناء الدرس والمزاولة لمئتي نوع وحفظ اسمائها وتعريفاتها وشواهدها وامثالها فلا يلقى من العناء في مزاولة هذه الأجناس والانتباه الى امثلة رئيسية منهـا سدس او سبع ما يلقاه من العناء ويخسره من الوقت في مزاولة تلك الأنواع وتوفيتها حقها على الطريقة المتبعة اليوم · وبعدما يستوعب الاجناس المذكورة اذا اراد الاكتفاء بها لم يحرمه اكتفاؤه شيئاً من جوهر البديع · واذا أراد ان يستقصي الانواع واسماءها وحدودها فله ان يأتي ذلك على مهل كما رأى من وقته متسعاً و يكون ذلك الاجمال قد مهد له سبيل تلك التفاصيل فيستأنس بهـا ذهنه وترسخ فيه لما يربطها من التآلف والتناسب بفضل تلك الاجناس التي احتضنتها وظللتها ·

ومع ذلك فاني لا ادعي ان ما قدمته هو حتماً الصواب كل الصواب وانه التقسيم الجامع المانع فقد يكون كذلك وقد يكون دون ما املته وتوخيتـه من الصواب التام غير بالغ حبة قلبه بل لا يزال يعوزه شيء من التعديل والتحوير · فاترك التتميم حينئذ لقلم غير قلمي وحسبي اني مهدت السبيل وفتحت الباب وجريت في باحة الدار شوطاً وان منعني العجز او التعب او كلاهما عن استقصاء مخادعها ودهاليزها ·

واليك الآن الاجناس البديعية او الامهات البديعية التي تنبهت اليها :

« الموافقة · المخالفة · الترتيب · المبالغة · الاستدراج · التلميح · حسن التعليل · الايهام · التدقيق · التوليد · الكلام الجامع » ·

اما الموافقة فتنطوي على الأنواع الآتية : انواع الجناس . المراجعة . التوشيح تشابه الأطراف . التفويف . التصدير . مراعاة النظير التمثيل . التوجيه . الترديد . التكرار . المناسبة . التشبيه . التفصيل . المشاكلة . الجمع . التصريع . تشبيه شيئين بشيئين . الاشتقاق . الاتفاق . المماثلة . التسهيم . التطريز . الترجيع . التفريع . السجع . التسميط . الالتزام . ائتلاف اللفظ مع المعنى ومع الوزن . ائتلاف المعنى مع المعنى . الحذف . التدبيج .

واما المخالفة فتنطوي تحتها الأنواع الآتية : الطباق . المقابلة . ايهام التضاد . المناقضة . العكس . التفريق . السلب والايجاب . الرجوع . الاستدراك .

واما الترتيب فينطوي تحته ما يأتي : الترتيب . الطي والنشر . ايهام التناسب . الاطراد . التقسيم . التفسير . الايضاح . حسن النسق . التشطير . التعديد . جمع المؤتلف والمختلف . المزاوجة . الجمع مع التقسيم . الجمع مع التفريق .

واما المبالغة فتشتمل على ما يأتي : التبليغ . الاغراق . الغلو . القسم . تجاهل العارف . الاستثناء . حصر الجزئي والحاقه بالكلي .

واما الاستدراج فيشتمل على ما يأتي : الافتنان . التذييل . الاستتباع . الادماج . حسن التخلص . عتابُ المرء نفسه .

واما التلميح فيدخل في دائرته ما يأتي : التلميح . الاشارة . الاكتفاء . التوجيه . الاقتباس . التضمين . الايداع . الإلغاز . براعة الطلب .

واما حسن التعليل ففيه ما يأتي : حسن التعليل . الالتفات . المذهب الكلامي . الاتساع . المغايرة .

واما الايهام فهذه فروعه : التوهيم . الابهام . المدح في معرض الذم . الذم في معرض المدح . التورية . الاشتراك . الاستخدام .

واما التدقيق فهذه فروعه : التشريع . الايغال . الاعتراض . الاحتراس . الفرائد . التنكيت . التكميل .

واما التوليد فهذه مشتملاته : التوليد . سلامة الاختراع . حسن الاتباع . واما الكلام الجامع ففيه الكلام الجامع وارسال المثل .

وعند التحقيق يظهر لنا ان هذه الاجناس المنطوية على هذه الانواع لا تقتصر على الانواع المختصة بفن البديع حسب تعريف هذا الفن بل تتناول معظم الاساليب البليغة التي تشير اليها فنون البيان الثلاثة المعاني والبيان والبديع ومن ثم يمكننا اضافة جنس ثاني عشر الى الاحد عشر جنساً المار ذكرها وهو جنس الكناية فانه يشتمل على الكناية والتعريض والارداف والايضاح والقول بالموجب ·

وبديهي اني حين اخترت لهذه الاجناس اسماءها قصدت فيها امتداد معناها اللغوي لكي تنطبق على ما تحتها من الفروع فلم اقتصر في اسم التوليد مثلاً على مدلوله باصطلاح فن البديع وهكذا حين اقول ان من فروع التوليد التوليد وكذا وكذا من الانواع اعني ان جنس التوليد وهو احد الاجناس التي استخرجتها وجمعت شتاتها يتفرع عنه نوع التوليد حسب تعريفه عند البديعيين كما يتفرع عنه كذا وكذا · وقس على ما ذكر قولي ان حسن التعليل فيه حسن التعليل اي ان هذا الجنس فيه نوع حسن التعليل البديعي الخ ·

ولا يلزمني هنا ان اورد على الانواع او على بعضها شواهد وامثلة تبينها وتوضح كيفية اتصالها باجناسها فان هذا بسط يخرج عن طوق عجالة كعجالتي الحاضرة · وانما يطالب به كتاب يصنف خصوصاً لهذا الغرض · على ان كل اديب ومتأدب يمكنه ان يمتحن الامر بنفسه الى المقدار الذي يشاؤه عارضاً على الاجناس التي ذكرتها امثلة من هذه الانواع إما من محفوظه واما مما يقع تحت يده من كتب البديع والادب · والله الهادي الى الصواب ·

اللاذقية : ادوار مرقص

عضو المجمع العلمي العربي

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ سليمان ظاهر
على اقتراح الاستاذ « المغربي »

ان اللغة هي اداة للتعبير عن مرادات النفوس واغراضها التي هي في تجدد مستمر ، والامم ليست سواء فيما يعرض لها من مقتضيات الحياة وفي مواد التفكير ، واخذ الفاقد عن الواجد من طبيعة العمران ومدنية الانسان ، واستكمال أمة من الامم وسائل علومها وحاجاتها دفعة واحدة غير معقول ، والعلوم والحاجات لا تتناهى فالاوضاع اللغوية والاتساع فيها للتعبير عن المتجددات من الضرورات التي لا مفر منها ٠

فلا جرم ان حصرها في منطقة ضيقة والوقوف فيها موقف التلقي عمن لم تتسع عندهم دائرة الحاجة الى متجدد الاوضاع اتساعها عمن خلفهم لهو ضرب من ضروب التحجير على جري الافكار في حلبة الاختراع والابتكار ، وصد للعقول عن ولوج ما لا يتناهى من ابواب المدركات والمعلومات ، وما كانت اللغة العربية الا كغيرها من اللغات مجيراها التجدد والاتساع ، ودأبها السير في التعبير عن الحادثات حسب الدواعي والمقتضيات ٠

واذا ساغ للامة العربية وهي في جاهليتها والتغلب على البسائط هو كل ما ترمي اليه من الاهداف وهي امة امية ٠ — اخذُ ما لا يستقصى من اسماء المسميات التي اضطرت اليها وما لم تضطر اليه مما كان له مرادف في لغتها ، وكان لها الوضع ، وكان لها النحت والتعريب والمجازات والكنايات والاستعارات وهي لم تكن امة علمية ولا صناعية ٠ ولا كان للحضريين منها ما كان للامم المعاصرة لها من اليونان والفرس والرومان من علوم وحضارات — واذا ساغ لها وقد استقبلت في عهد اسلامها ٠ وقد بلغت المدى البعيد من مستعذب بيانها ٠ علوّ بلاغة قرآنها ٠ وفي عهد ازدهار سلطانها وقد جاست خلال الديار ٠ وملكت الامصار ٠ حضارات الامم المغلوبة لها وعلومها ٠

اذا ساغ لها وهي في هذه التطورات اخذُ الكثير مما لم يكن له اسم ولا مسمى في لسانها ٠ واخذ مصطلحات الفنون الطارئة وهي القابضة على زمام العرفان والصولجان

— أفلا يسوغ لنا وأمرنا بيد غيرنا ولسان حاله ومقاله ينشد في ربوعنا قول قائلنا الاول :

(أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع)

احتذاء مثالهم واتباع طريقتهم في جاهليتهم واسلامهم . وما كان القوي في سلطانه . الا قويًا في لسانه . ومن غلبنا بايده ومنته . أفلا يغلب لغتنا بلغته . (ومن عزّ بزّ) .

وهذا باب التعريب مفتوح لنا على مصراعيه . والنحت والاشتقاق لم يكونا حجراً على اوائلنا . والنقل اللغوي من موضع الى موضع آخر حادث مما استعمله القرآن والاسلام وقد ضبط الكثير منه الائمة . ودرج على هذه السبيل في النقل العرفي بقليل من المناسبة علماء العرب في كثير من مصطلحات العلوم والفنون . ولم يذهب ذاهب الى حصر دائرة التعبير عن الأغراض بما سمع من العرب من حيث تراكيب الجمل ان حصر بمتابعتهم بها من حيث نوعها والجري على أساليبهم . واذا ضممنا الى ذلك ما تلقيناه عنهم من استعمال المطلق في المقيد والخاص في العام والعام في الخاص وما الى ذلك من ضروب التجويز ومما هو سنة من سنن اللغة تبين لنا ان مناحي التعبير أمامنا واسعة النطاق وان لغتنا كسائر اللغات الحية خاضعة لناموس التكامل .

وهذه لغات الامم تحمل الينا ما لا يحصى من اسماء المتجدد من فنون وصناعات وعلوم وهي تزاحم برطاناتها المستعجمة بيان لغتنا كما يزاحمنا حملتها على كل ناحية من نواحي حياتنا وعلى كل مرفق من مرافقها . والزمان غير متسع لنا لتخير الأوضاع لها من صابها . وهي تسابق في تدفق إتيها خطرات نفوسنا . ومجاري أنفاسنا . والحزم ان نتدارك الامر قبل بلوغ السيل الزبا والحزام الطبيين فنضع للجديد ما نجد سبيلاً الى وضعه من الالفاظ ونعرب ما لا تنبو عنه لغتنا . وما يصح اندماجه فيها . ولا نفوته خفتها ورقتها مع مراعاة أساليبها . ولا يذهب شيئًا من روعتها وروائها . ولا نأبى المولد اذا لم نجد بدأ منه . ولا الدخيل اذا لم نلق عنه بديلاً . والا فلا نأمن تشويه محاسنها بما يتسرب اليها من رطانات الغريب . ومن اندماج أساليبه باساليبها . ومن انقطاع الصلة بين عاميتها وفصحاها .

وبعد فان لها من اتساع المادة ومن مرونتها ومن سننها التي لا تماثلها فيها لغة من اللغات ما يساعد العاملين على انهاضها مع مراعاة سننها وقوانينها . والتقيد بما صرح به

الأئمة من منع او جواز . وان لا يحجر استعمال ما سكتوا عنه اذا ورد في كلام البلغاء سواء أكانوا ممن حصر الأئمة الاحتجاج باقوالهم ام كانوا من غيرهم ممن ذاعت شهرتهم في المنظوم والمنثور . وان لا يمنع استعمال ما تمس اليه الحاجة اذا لم يرد له نص لغوي ولا ورد في كلام البلغاء بضرب من التجوز او بالرجوع فيه الى قواعد الاشتقاق . وبعد هذا التمهيد أقول في الجواب على اقتراح حضرة الزميل العلامة المحقق الاستاذ المغربي .

اما عن الصنف الاول فيجواز استعمال تبدى بمعنى ظهر (١) لورودها في شعر ذلك العربي القح . (٢) لورودها في الحديث النبوي مرتين كما جاء في تاريخ الامام الطبري (جزء ٢ ص ٢٠٥ و ٢٠٩) من الطبعة المصرية . (٣) لاستفاضة هذا الاستعمال بشعر غير واحد من فحولة الشعراء فقد استعملها عمر بن ربيعة المخزومي من شعراء صدر الاسلام في قوله :

(فتبدت حتى اذا جنّ قلبي   حال دوني ولائذ بالثياب)

وابو تمام الطائي في قوله :

(اذا تبدى علي في كتائبه   لم يحجب الموت عن روح ولا بدن)

وابو سعيد الرستمي من شعراء اليتيمة في قوله :

(تبدت لنا والريح داج ظلامه)

الى كثيرين غيرهم . وما كان سكوت المعاجم عن ذكرها حجة على عدم الجواز . ودعوى استيعابها كل لغة العرب مدفوعة بما اورده الامام احمد بن فارس في كتابه الصاحبي قال: ذهب علماؤنا او اكثرهم الى ان الذي انتهى الينا من كلام العرب هو الاقل قال ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير . وأحر بهذا القول ان يكون صحيحاً .

ومدفوعة ايضاً بما زاده كل لاحق من رجال المعاجم عن سابقه من مفردات لم تذكر واشتقاقات أغفلت .

ولقائل ان يقول ان تركهم ما تركوه لعله ناشيء عن عدم استيثاقهم بصحته وباعراضهم عنه ايماء الى ذلك . والا فما كان ليفوتهم العلم باستعماله . وجوابه ان ما عرف من أمانتهم في النقل . واحتياطهم للغة من ان يتطرق اليها غير المسموع من العرب وبخاصة في الشعر السائر . يذكرهم في مطاوي ابحاثهم ما كان غير صحيح منه

او ما كان مولداً وما الى ذلك لدليل على صحة استعمال ما سكتوا عنه والا لم يتركوا التنبيه على فساد استعماله . وما كانوا اقل احتياطاً بتصحيح ما صح من الكلم المستعمل والحكم بفساد الفاسد منه من ثقات الحديث بنقل الحديث ومراعاة أسانيده وضروبه . ولعل المسكوت عنه مما لم يبلغهم وقد فات الكثير منهم الكلام الكثير وكم ترك الاول للآخر .

لم يذكر في المعاجم اقاح غير معتل مع انه ورد في قول ابي تمام الطائي :

(وتبسم العقل ابتسام اقاحه متزاهراً عن باكر الانداء)

ولا تقصّده بمعنى قصده او أقصده اي قتله الواردة في قول ابي الطيب المتنبي :

(تقصده المقدار بين صحابه على ثقة من دهره وامان)

فهل يحجر علينا ترك استعمال اللفظتين لانهما لم يذكرا في المعاجم وهل ابو تمام والمتنبي وهما الحجة في اللغة والبيان واليهما انتهت امرة الشعر والاول صاحب الحماسة وشعر القبائل والحافظ الكبير والثاني هو الذي شهد له ابن جني من الأئمة بسعة الاطلاع . هل هما اقل وثوقاً من اصحاب تلك المعاجم . وهل يستجيزان استعمال ما لا يجوز ان لم يكن لهما حريجة في النقل تمنعهما من ذلك الا يتخوفان شر الحسدة وتزييف النقدة الذين يحاسبونهما على الخطير والنقير .

وعن الثاني (١) بعدم جواز استعمال (أقص الخبر رباعياً) بمعنى قصه ثلاثياً لوجهين الاول لعدم النص عليه في المعاجم . والثاني لاحتمال تحريف أقصصته من أقصصته الوارد استعمالها في كلام الامام الطبري في موضع آخر من تاريخه (ص٣٧ جزء٣) من الطبعة المصرية . والاحتمال يبطل الاستدلال . (٢) وبعدم جواز استعمال تخيم بمعنى تخم لعدم وروده في كلام الفصحاء والمولدين والمحدثين الذين هم في زمانهم أقرب من زمان سلامة اللغة من الفساد . (٣) وبعدم جواز استعمال صدفة مكان مصادفة للعلة التي ذكرت في تخم .

وعن الثالث بلزوم الترخيص باستعماله وبخاصة ما يتعلق منه بالمصطلحات العلمية متابعة للأئمة باستعمال نظائره . قال العلامة ابن ابي الحديد في خاتمة شرحه لنهج البلاغة . « وقد استعملت في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة الفاظ القوم مع علمي بان العربية لا تجيزها . نحو قولهم المحسوسات . وقولهم الكل والبعض .

وقولهم الصفات الذاتيـة · وقولهم الجسمانيات · وقولهم إما اولاً فالحال كذا ونحو ذلك مما لا يخفى عمن له ادنى أنس بالأدب ولكننا استهجنا تبديل الفاظهم · وتغيير عباراتهم · فمن كلم قوماً كلمهم باصطلاحهم (ومن دخل ظفار حمّر) ·

اما لفظ كيفية فهي صحيحة لورودها في البيت المنسوب لامير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) :

كيفية المرء ليس المرء يدركها   فكيف كيفية الجبار ذي القدم

وورودها جمعاً في دعائه المعروف بدعاء الصباح وهو من ابلغ كلامه · قال في وصفه تعالى (وجلّ عن ملائمة كيفياته) ·

وعن الصنف الرابع بمنع استعمال المخابرة بمعنى المراسلة (١ً) لعدم النص اللغوي · (٢ً) لعدم ورودها في كلام فصحاء المسلمين الذين لا ارى مانعاً من الاحتجاج باقوالهم اذا كانوا ممن تباعدت عصورهم عن عصور فساد اللغة الاخيرة · (٣ً) لعدم الضرورة · (٤ً) لانتفاء علاقة المجاز بين معناها اللغوي والمعنى الحادث اذا حاولنـا تصحيح استعمالها بضرب من التجوز وذلك لانها من مادة خبرت الارض اي شققتها للزراعة فأنا خبير · ومنه المخابرة وهي المزارعة على بعض مايخرج من الارض (كذا في المصباح) · واصرح من هذا في المنع ما جاء في نهاية ابن الاثير قال (جزء ١ ص٣١٤) من الطبعة المصرية « وفيه : انه نهى عن المخـابرة · قيل هي المزارعة على نصيب معين كالثلث والربع وغيرهما · والخبرة النصيب · وقيل هو من الخبار (الارض اللينة) · وقيل اصل المخابرة من خيبر لان النبي صلى الله عليه وسلم أقرّها في ايدي اهلها على النصف من محصولها فقيل خابرهم اي عاملهم وانت خبير ان شيئاً من ذلك لا يناسب معنى المراسلة الجديد ·

وبمنع استعمال احتار مكان حار وتحير لعدم النص ولعدم ورودها في كلام الفصحاء · ولعدم الضرورة الداعية ·

وبجواز استعمال تفرج على الشيء للحاجة الداعية ولشيوع استعمالها · وبعدم التردد في جواز استعمال تنزه (١ً) لشيوع استعمال الفصحاء لها · (٢ً) لتصريح الزمخشري في الاساس بقوله « وخرجوا يتنزهون يتطلبون الاماكن النزهة · وهم في نزهة ونزه » وقال ابن قتيبة : ذهب بعض اهل العلم في قول النـاس (خرجوا يتنزهون) الى البساتين انه

غلط وهو عندي ليس بغلط لان البساتين في كل بلد انما تكون خارج البلد فاذا أراد احد ان يأتيها فقد أراد البعد عن المنازل والبيوت · ثم كثر هذا حتى استعمل في الخضر والجنان ·

وقال ابن القوطية وجماعة نزه المكان فهو نزه من باب تعب · ونزه بالضم نزاهة فهو نزيه · كذا جاء في المصباح وكأنها حقيقة عند الزمخشري بهذا الاستعمال لانه لم يذكرها في المجاز على طريقته في الاساس ·

وكيف كان فانه لامجال للتردد بالجواز بعد شيوع الاستعمال مع هذه النصوص الصريحة واذا كانت حقيقة في التباعد ولم تشأ ان نجعلها حقيقة في المعنى الثاني فهي مستعملة فيه مجازاً والمناسبة بين المعنيين جلية ·

وعن الصنف الخامس بجواز استعمال ما خف لفظه على السمع مثل فلم و بالون ان اقتضت الضرورة · وتعذر وضع ما يؤدي مؤداه من الفاظ اللغة العربية · واما ما ثقل لفظه فلا استجيز استعماله الا مع مراعاة مكان الحاجة والضرورة ومراعاة سنة العرب في تعريب الدخيل والباسه ديباجة العربي ولا ارى مانعاً من اقرار المستعملين على استعمال ما كان من الاول اذا تعذر ارجاعهم عنه ·

وعن الصنف السادس بجواز استعمال الاساليب او التراكيب الأعجمية اذا كانت جارية مجرى الاساليب او التراكيب العربية كالأمثلة التي اوردها الاستاذ المقترح ولا مجال للتردد في جواز استعمال نظائرها والا وقعنا فيما فررنا منه من الجمود وعلى هذه الطريقة نهج فصحاؤنا المتقدمون والمحدثون كما يتضح ذلك كال الوضوح لمستقري طبقاتهم وعصورهم ومحدثاتها من علوم وفنون وما اليهما مما تسرب اليهم من اختلاطهم بالامم المغلوبة والغالبة ·

وعن الصنف السابع بمنعه البتة الا ما كان عامياً فصيحاً مهجوراً او محرفاً بعد ارجاعه الى اصله الفصيح · ولو أجزنا فتح الباب لاستعمال كل عامي لاختلط الحابل بالنابل ولشوهنا محاسن الفصحى ·

كتاب الديارات

« تأليف ابي الحسن علي بن محمد الشابشتي »

نسخة محفوظة في دار الكتب الملوكية ببرلين وافق الفراغ منها في ليلة صباحها يوم الخميس السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وستمائة ·

ورقة ١٢٤ — ١٣٥ : ديارات مصر التي تقصد للشرب فيها والتنزه بها ·

فمنها « دير القُصير » — وهذا الدير في أعلى الجبل على سطح في قلته وهو دير حسن البناء محكم الصنعة نزه البقعة فيه رهبان مقيمون به وله بئر منقورة في الحجر يستقى الماء منها ، وفي هيكله صورة مريم في حجرها صورة المسيح عليه السلام والناس يقصدون الموضع للنظر الى هذه الصورة وفي اعلاه غرفة بناها ابو الحسن خمارويه بن احمد بن طولون لها اربع طاقات الى اربع جهات وكان كثير الغشيان لهذا الدير معجباً بالصورة التي فيه يشرب على النظر اليها وفي الطريق الى هذا الدير من جهة مصر صعوبة ، فاما من قبليه فسهل الصعود والنزول والى جانبه صومعة لا تخلو من جيس[1] يكون فيها وهو مطل على القرية المعروفة بشهران وعلى الصحراء والبحر وهذه القرية المذكورة قرية كبيرة عامرة على شاطيء البحر ويذكران موسى صلى الله عليه ولد فيها ومنها القته أمه الى البحر في التابوت ، فدير القصير هذا احد الديارات المقصودة لحسن موقعه وإشرافه على مصر واعمالها وقد قال فيه شعراء مصر وذكروا طيبه ونزهته ، ولابي هريرة بن ابي العصام فيه :

اذكرني يا دير من قد مضى   من اهل ودي ومصافاتي ·
كم كان لي فيك وفيهم معاً   من طيب ايام وليلات
اشكو الى الله مصابي بهم   وفقدنا اهل المروءات

ولمحمد بن عاصم في هذا الدير :

ان دير القصير هاج ادّكاري   لهو ايامي الحسان القصار
وزماناً مضى حميداً مريعاً   وشباباً مثل الرداء المُعار

(١) كذا في الاصل ولعل صوابه جليس ·

عرفتني ربوعه بعد نكر فعرفت الربوع بالانكار
فلو ان الديار تشكو اشتياقاً لشكت جفوتي وبُعد مزاري
ولكادت نحوي تسير لما قد كنت فيها سيّرت من اشعاري
اذ صعودي على الجياد اليه وانحداري في المنقات الجواري
بصقور الى الدماء صوادٍ وكلاب على الوحوش ضواري
منزلاً لست محصياً ما لقلبي ولنفسي فيه من الاوطار
منزلاً من علوه كسماء والمصابيح حوله كالدراري
فكأن الرهبان في الشعر الاسـ ـود سود الغربان في الأوكار
غربه ذي البحار والانهار في ثياب من سندس ذي اخضرار
غردت بيننا الطيور فطارت بفؤاد المتيم المستطار
كم خلعت العذار فيه ولم ار ع مشيباً بمفرقي وعذاري
كم شربنا على التصاوير فيه بصغار محثوثة وكبار
صورة من مصور فيه ظلت فتنةً للقلوب والابصار
أطربتنا بغير شدو فاغنت عن سماع العيدان والمزمار
واشاراتها الى من رآها بخضوعٍ وذلةٍ وانكسار
لا وحسن العينين والشفة اللا ياء منها وخدها الجلناري
لا تخلفت عن مزاري لدير هي فيه ولو نأى بي مزاري
فاقصرا عن ملامي اليوم اني غير ذي سلوة ولا اقصار
فسقى الله ارض حلوان فالنخل فدير القصير صوب العشار
كم تنبهت من لذاذة نومي بنعير الرهبان في الاسحار
والنواقيس صائحات تنادي حيّهْ قائماً على الابتكار
قبل ان يبلي الجديد الجديـ ـدان بليل معاقب لنهار
انما هذه الحياة عوار وعلى المستعير رد المعار .

« دير مار حنّا » — وهذا الدير على شاطئ بركة الحبش قريب من البحر والى جانبه بساتين انشأ بعضها الامير تميم اخو امير المؤمنين العزيز بالله عليهما السلام ومجلس على

عمد حسن البناء مليح الصنعة مصور انشأه الامير تميم ايضاً وبقرب هذا الدير بئر تعرف ببئر نجاتي عليها جميزة يجتمع الناس اليها و يشربون عندها فهذا الموضع من مواضع اللعب ومواطن اللهو والطرب نزه في ايام النيل وزيادته وامتلاء البركة حسن المنظر نزه البقاع وكذلك في ايام الزرع والبوار ولا يكاد يخلو من المتطرحين والمتنزهين وقد ذكرت الشعراء حسنه وطيبه ولابن عاصم فيه :

يا طيب ايام سمحت مع الصبي طوع الهوى فيهـا بسفح المنظر
فالبركة الغناء فالدير الذي قد هاج فرط صبابتي وتفكري
فاحثث كؤوسك ياغلام واعفني فلقد سكرت وخمر طرفك مسكري
وارى الثريا في السماء كأنها تاج تفصل جانباه بجوهر
فاشرب على حسن الرياض وغنني : انظر الى الساقي الاغن الاحور
فلعل ايام الحيـاة قليلة ولعلني قدرت ما لم يقدر

وقال ايضاً :

أأيامي بشاطي البركتين سقاك الله نوء المرزمين
لقد أذكرتني طربي ولهوي ووكلت الفؤاد بلوعتين
ترى ايامنا فيك المواضي يعود وصالها من بعد بين
سقى الله البقاع ملث قطر واعطش منزلاً بالجلهتين
وطل الطيلسان بصوب طل الى النخلات فالجميزتين
ودار على المدار رهام مزن يسير الى جنسان السروتين
وخص الربوتين فكم غزال ربيب بين تلك الربوتين
منازل قد شهدنا اللهو فيها باكرم معهدين ومألفين
فكم من بيعة عقدت لقصف وعزف في رياض البقعتين
وكم من مدنف قدحاز وصلاً ونالـ مناه وسط المنبتين

« دير نهيا » — ونهيا بالجيزة وديرها من احسن الديارات وأنزهها وأطيبها ، عامر برهبانه وسكانه وله في النيل منظر عجيب لان الماء يحيط به من جميع جهاته فاذا انصرف الماء وزرع أظهرت اراضيه غرائب النوار واصناف الزهر فهو من المتنزهات الموصوفة

والبقاع المشهورة وله خليج يجتمع اليه سائر الطيور فهو ايضاً متصيد حسن وقد وصفه الشعراء وذكرت حسنه وطيب موضعه . ولعباس بن البصري فيه :

يا من اذا سكر النديم بكاسه غربت لواحظه بسكر الفيق
طلع الصباح فاسقني تلك التي ظلت فشبه لونها بالزئبق
قلبي الذي لم يُبق فيه هواكم الا بقية نار شوق قد بقي
اوما ترى وجه الربيع وقد زهت أنواره بهاره المتألق
وتجاوبت أطياره وتبسمت اشجاره عن ثغر زهر مورق
لم يندها طلل الرذاذ ببرده حتى أفتح كل جفن مطبق
والبدر في وسط السماء كأنه وجه مليح في قباء ازرق
يا للديارات الملاح وما بها من طيب يوم مر لي بتشوق
ايام كنت وكان لي شغل بها واسير شوق صبابتي لم يطلق
يا دير تهيا ما ذكرتك ساعة الا تذكرت السواد بمفرق
والدهر غض والزمان مساعد ومقامنا ومبيتنا بالجوسق
يادير تهيا ان ذكرت فانني اسعى اليك على الخيول السبق
واذا سئلت عن الطيور وصيدها ووحوشها فاصدق وان لم تصدق
فالغُر والكروان والفارور اذ يشجيك في طيرانه المتحلق
اشهدت حرب الطير في غيطانه لما تحرق منه كل محرق
ورأيت للبازي سطوة موسر ولغيره ذل الفقير المملق
كم قد صبوت بغرتي في شرتي وقطعت اوقاتي برمي البندق
وخلعت في طلب المجون حبائلي حتى نسبت الى فعال الاخرق
ومهاجر ومكاير ومناقر قلق الفؤاد به وان لم يقلق
لو عاين التفاح حمرة خده لصبا الى ديباج ذاك الرونق
ياحامل السيف الغداة وطرفه امضى من السيف الحسام المطلق
رافق بعبدك لا تطل اشجانه وارفق به ياصاحب الثغر النقي

وكان ابن البصري هذا من الخلعاء المجان وله شعر يجري مجرى الهزل والطيب . وخدم ابا القاسم اونوجور بن الاخشيد فأحسن اليه وكساه وصار يركب معه وكان يلبس طيلساناً ازرق يتشبه بالقضاة وكان اونوجور قد حمله على برذون اصفر غليظ بطيء السير فكان اذا سار مع اقوام من اخوانه قال لهم صفوا لي موضعكم حتى الحق بكم وكان مليح المجالسة كثير المنادمة

« دير طمويه » — وطمويه في الغرب بازاء حلوان والدير راكب البحر وحوله الكروم والبساتين والنخيل والشجر فهو نزه عامر آهل وله في النيل منظر حسن وحين تخضر الارض فانه يكون بين بساطين من البحر والزرع وهو احد منتزهات مصر المذكورة ومواضع لهوها المشهورة . ولابن عاصم فيه :

واشرب بطمويه من صهباء صافية ... تزري بخمر قرى هيت وعانات

على رياض من النوار زاهرة ... تجري الجداول منها بين جنات

كأن نبت الشقيق العصفري بها ... كاسات خمر بدت في اثر كاسات

كأن نرجسها من حسنه حدق ... في خفية يتناجى بالاشارات

كأنما النيل في مر النسيم بها ... مستلم في دروع سابريات

منازلاً كنت مفتوناً بها يفعاً ... وكن قدماً مواخيري وحاناتي

اذ لا أزال ملحاً بالصبوح على ... ضرب النواقيس صباً بالديارات

الديارات المعروفة بالعجائب على ما ذكره اهلها ووصفوه عنها فمنها دير الخنافس وهو بين الموصل وبلد ... كثير الرهبان له يوم في السنة يجتمع الناس اليه من كل موضع فتظهر فيه الخنافس ذلك اليوم حتى تغطي حيطانه .

« دير الكلب » — وهو بين الموصل وبلد ... يعالج فيه من عضه كلب كلب فمن عضه كلب كلب بادر اليه فعالجوه منه برئ ومن مضت له اربعون يوماً من العضة لم ينجع فيه العلاج .

« دير القيارة » — وهو لليعقوبية على اربع فراسخ من الموصل في الجانب الغربي من أعمال الحديثة مشرف على دجلة تحته عين قير وهي عين تفور بماء حار تصب في دجلة

و يخرج منه القير فما دام القير في مائه فهو لين يمتد فاذا فارق الماء و برد جف وهناك قوم يجتمعون فيجمعون هذا القير يغرفونه من الماء بالقفاف ويطرحونه على الارض ولهم قدور حديد كبار وينخل له الرمل فيطرح عليه بمقدار يعرفونه وتوقد تحته حتى يذوب و يختلط بالرمل وهم يحركونه تحريكاً دائماً فاذا بلغ حد استحكامه قلب على الارض قطعاً مجمدة و يصلب و يحمل الى البلدان فمنه قير السفن والحمامات وغير ذلك مما يستعمل فيه القير والناس يكثرون القصد لهذا الموقع للتنزه فيه والشرب ويستحمون من ذلك الماء الذي يخرج معه القير لانه يقوم مقام الحمامات في قلع البثور وله قائم وكل دير لليعقوبية والملكية فعنده قائم فاما ديارات النسطور فلا قائم لها ٠

« دير برقوما » — وهذا الدير بميافارقين على فرسخين منها في جبل عال له عيد يجتمع الناس من كل موضع و يقصده اهل البطالة والخلاعة للشرب فيه وتحته برك تجتمع فيها الأمطار و برقوما هذا هو الشاهد الذي تزعم النصارى ان له سبعمائة سنة وانه ممن شهد المسيح وهو في خزانة خشب لها أبواب تفتح ايام أعيادهم فيظهر منه نصفه الاعلى وهو قائم وانفه وشفته العليا مقطوعان وذلك ان امرأة احتالت حتى قطعت أنفه وشفته ومضت بهما فبنت عليهما ديراً في البرية في طريق تكريت ٠

« دير باطا » — وهذا الدير بالشرق وهو دير حسن عامر نزه في ايام الربيع ويسمى ايضاً دير الحمار وشاهده يعرف بمر يكس وهو ناء عن دجلة وعن المدينة وله باب حجر ٠ ذكر النصارى ان هذا الباب يفتحه الواحد والاثنان حتى يتجاوز السبعة فان تجاوز السبعة لم يقدر احد منهم على فتحه ولا يفتحه حينئذ الا سبعة وذكروا ايضاً ان فيه غرابين تناسلا هنالك لا يخلو منهما فربما طرقه اللصوص فدخلوه فان حصل فيه احد منهم صعد الغرابان على برج الدير فاذا أقبل اليه احد ممن يطرقه او يقصده تلقاه الغرابان يصيحان في وجهه كالمنذرين له ٠ فيعلم ان في الدير قوماً فيرجع فان لم يكن في الدير احد لم يفعلا شيئاً من ذلك ٠

« دير برباربلبون بنواحي السن » — في هذا الدير كرسي الاسقف وفيه ايضاً بئر فمن لحقه بهق قصده واغتسل من البئر لم يبرح حتى يزول عنه ٠

« دير العجاج » — وهذا الدير بين تكريت وهيت عامر كثير الرهبان وخارجه

عين ماء تصب الى بركة هنـاك وفي البركة سمك اسود وهو طيب عذب الطعم وحوله مزارع وخضر تسقى من تلك العين ٠

« دير الجودي » — والجودي هو الجبل الذي استقرت عليه السفينة وبين هذا الجبل وجزيرة ابن عمر سبعة فراسخ وهذا الدير مبني على قلة الجبل يقـال انه بني منذ ايام نوح عليه السلام وزعموا ان فيه اعجوبة حدثني بها بعض نصارى الجزيرة وهي ان سطحه يشبر فيكون عشرين شبراً ثم يعاد قياسه فيكون ثمانية عشر شبراً ثم يعاد فيكون اثنين وعشرين شبراً · في كل دفعة يشبر يختلف عدده ومن اعتبر ذلك وقاسه وجده كما ذكر ٠

« كنيسة الطور » — وطورسينا هو الجبل الذي تجلى فيه لموسى عليه السلام وصعق فيه والكنيسة في اعلى الجبل مبنية بحجر اسود وعرض حصنه سبعة اذرع وله ثلاثة ابواب حديد وفي غربيه باب لطيف قدامه حجر لهم اذا ارادوا رفعه رفعوه وان قصدهم احد ارسلوه فانطبق على الموضع فلم يعرف مكان الباب وداخلها عين ماء وخارجها عين أخرى وزعم النصارى ان بها ناراً من نوع النار الجديدة التي كانت بالبيت المقدس يقدون منها في كل عشية وهي بيضاء ضعيفة الحر لا تحرق ثم تقوى اذا اوقد منها السرج وهو عامر بالرهبان والناس يقصدونه لانه من الديارات الموصوفة ٠

ولابن عاصم فيه :

يا راهب الدير ما ذا الضوء والنور فقد اضاء به في ديرك الطور
هل حلت الشمس فيه دون ابرجها او غيب البدر عنه فهو مستور
فقال ما حله شمس ولا قمر لكن تقرب فيه اليوم قور بر

« بيعة ابي هور » — وهذه البيعة بسر ياقوس من اعمال مصر عامرة كثيرة الرهبان لها اعياد يقصدها الناس وفيها على ما ذكره اهلهـا أعجوبة وهي ان من كانت به خنازير يقصد هـذا الموضع ليعالج به فيأخذه رئيس الموضع فيضجعه ويأتيه بخنزير فيرسله على موضع الوجع فيأكل الخنزير الذي فيه لا يتعدى ذلك الموضع فاذا تنظف الموضع ذر عليه من رماد خنزير فعل مثل هذا الفعل من قبل ومن زيت قنديل البيعة فيبرأ ثم يؤخذ ذلك الخنزير فيذبح ويحرق ويعد رماده لمثل هذه الحال ٠

« دير يُحنّس » — هذا الدير بدمنهور من اعمال مصر اذا كان يوم عيده اخرج

شاهده من الدير في تابوت فيسير التابوت على وجه الارض لا يقدر احد ان يمسكه ولا يحبسه حتى يرد البحر فيغطس فيه ثم يرجع الى مكانه ·

« بيعة اتريب » — وعيدها اليوم الحادي والعشرون من بؤنة يذكرون ان حمامة بيضاء تجيئهم في ذلك العيد فتدخل المذبح لا يدرون من اين جاءت ثم لا يرونها الى يوم مثله ·

وبنواحي اخميم دير كبير عامر يقصد من كل موضع وهو بقرب الجبل المعروف بجبل الكهف وفي موضع من الجبل شق اذا كان يوم عيد هـذا الدير لم يبق من الطير المعروف ببوقير شيء في ذلك المكان وهو به كثير حتى يجيء الى الموضع فيكون امراً عظيماً لكثرة هذه الطيور واجتماعها وصياحها عند ذلك الشق ثم لا تزال واحداً بعد واحد يدخل رأسه في ذلك الشق فيصيح و يخرج و يجيء غيره فيفعل كفعله الى ان تعلق رأس احدها و ينشب في الموضع فيضطرب حتى يموت فحينئذ يتفرق الباقي وترجع الى مواضعها فلا يبقى منها طائر · والله أعلم » هـ وهو آخر الكتاب . توفيق ابيكار يوس

آراء وأفكار

عدة الكاتب (١)

قالوا كتب الكتابَ وكتَّبه تكتيباً ورقمه رقماً وذبَره (ـُ) ذبراً وذبَّره تذبيراً وإكتتَبه ولمقه لمقاً ولموقاً ونمقه نمقاً ورسمه رسماً وإزدَبره وطرَسه وسطره سطراً ولقمه لقماً ونبقه نبقاً ورقّنه ترقيناً ووحاه يحيه وحياً وسفَره سفراً ورقَمه .

وقد نزّل المحاسب الرقم اي زقمه . ونقر في الحجر نقراً : كتب . وانتقر الشيء : كتبه يقال، ما ترك عندي نُقارة الا انتقرها اي ما ترك عندي شيئاً الا كتبه .

واودع كتابه كذا : كتبه فيه ، ووقع الكاتب في الكتاب أجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة وحذف الفضول . وز بر الكتاب كتبه وقيل كتابة غليظة وكذا زبّره تزبيراً وقد سطَرَ الكاتب سطراً : كتب وكذا خطّ بقلم او غيره وخطّ الشيء : كتبه بقلم او غيره . ورسم على كذا : كتب وخطّ .

ورشم (ـُ) رشماً ورشّم ترشيماً : كتب . ورقّش الصحيفة : سطّرها . وخطّط عليه اعماله ، سطرها . وعشّر المصاحف ، جعل العواشر فيها . ونفث القلم ، كتب . وقد عين العين تعييناً ، كتبها ومثله غين غيناً وكوّف كافاً ولوّم لاماً وظيأ ظاء وموّم ميماً ونوّن نوناً ويّأ ياء ، وفي التاج يأيتُ ياء حسنة . وصوّد صاداً وتيّأ تاء وذوّل ذالاً ووَوّى واواً وأوّاها الخ .

وهي الكتابة والتزبرة والسطر والنمي والنميمة والزبر ، والغيلُ وهو الخط تخطه على الشيء وقالوا اشهد على رسم القِبالة اي على كتابة الصحيفة وفي الاساس كل من تقبل بشيء مقاطعةً وكتب عليه بذلك الكتاب فعمله القِبالة والكتاب المكتوب عليه هو القَبالة .

واكتب فلاناً قصيدةً ، املاه اياها ، واستكتبه القصيدة ، استملاها . وأمللت الكتابَ على الكاتب املالاً وأمليته عليه إملاءً . القيته عليه اي قلته له فكتب عني . واستملاه استملاءً ، سأله الاملاء وفي اللسان استمليته الكتاب ، سألته ان يمليه عليه .

(١) ما لم يذكره الاستاذ الجندي اتماماً للفائدة .

والقى عليه القول ، أملاه · ودبر الكتاب ، اكتتبه وهو كالتعلم · والامالي ، الاقوال والمخصات وما يملى ·

وكاتبه مكاتبةً ، كتب احدهما الى الآخر — وفلاناً : كتب معه · وتكاتب القوم كتب بعضهم الى بعض ·

واكتب الرجل إكتاباً ، وجده كاتباً · واستكتبه اخذه كاتباً ·

وشكّل الكتاب وأشكله ، أعجمه كأنه أزال عنه الإشكال والالتباس · ومثله قيّده تقييداً اي شكله بما يزيل الاختلاط ويمنع الالتباس فهو كتاب مقيّد · وضبط الكاتب كتابه ، صححه وشكله · ورقم الكتاب ، أعجمه وبينه · ورقّن الخط ترقيناً ، أعجمه ليتبين — ونقطه · وأعجم الكتاب ، أزال عجمته وابهامه بوضع النقط والحركات والاعراب — وخلاف أعربه · وقيّد الخط ، نقطه وأعجمه وشكله · ونوّن الكلمة ، ألحقها التنوين ·

ونقط الحرف نقطاً ، أعجمه وجعل له نقطاً فهو ناقط والحرف منقوط · ومثله نقطه تنقيطاً — وثوبه بالمداد ، لطخه بنقطٍ منه · ووكت الكتاب يكت وكتاً وذبّره وذبَره ورقّن الخط · وقد عجم الكتابَ والحرف عجماً وأعجمه وعجّمه اي نقطه بسوادٍ والنقطة اسم من النقط — وعلامة شبه كرة صغيرة تجعل فوق الحروف المعجمة او تحتها ليتميز بعضها من بعض ج نقط ونقاط · ونقط عليه ، وضع عليه نقطة · وقد اهمل الحرف ضد اعجمه · وجرّد الكتابة تجريداً عرّاها من الضبط ·

وهذا كتاب مُدهمق اي لطيف · وخط رشيق ، ظريف · وكتاب التحاسين ، ما كتب بالتأني ومراعاة النظام والقاعدة خلاف المشق · والزفش ، الخط الحسن · وقد جود خطه ونمقه وحسنه وتأنق وتنوّق فيه ·

وطرّس الكتاب ، سوّده · والمسوّدة عند الكتاب والطباعين ما يكتب او يطبع ابتداءً بقصد المراجعة ويقابلها المبيّضة ·

وطرّس الكاتب تطريساً اعاد الكتابة على المكتوب · وجندر الكتاب ، امرّ القلم على ما درس ليتبين ·

ونسخ الكتاب ، نقل صورته المجرّدة الى كتاب آخر يقال ما نسخ هذا الكاتب

الكتاب بل مسخه وكذلك انتسخه واستنسخه ونقله نقلاً وقد استنسخ الكتاب ، طلب نسخه . والناسخ من صنعته نسخ الكتب . والنسخة ، الكتاب المنسوخ ج نسخ — والكتاب المنقول لانه قام مقامه .

وعمس الكتاب عمساً ، درس ومثله مح محّا ومحاحاً (ـُـ ـِـ) ومحوحاً ومحوحة . وامحّ إمحاحاً . وقد مصح الكتاب مصحاً ومصوحاً اي درس اوقارب ذلك . والاعور، الكتاب الدارس .

وقابل الكتاب بالكتاب ، قرأه عليه ليرى أهو منطبق عليه ام غير منطبق فيطبقه مثل عارض الكتاب بالكتاب وفض ختم الكتاب وفض الخاتم عن الكتاب ، كسره وفتحه .

وضرب على المكتوب ، ختم . وطان كتابه يطين طيناً ، ختمه بالطين ومثله أطانه . وقد ختمه اي جعل عليه الختم ومثله لطمه تلطيماً .

ووقّع العهد ، رسم عليه طغراء السلطان . وتوقيع السلطان ، طغراؤه . والموقّع . حافظ التوقيع — وكاتبه . والامضاء في اصطلاح التجار والكتاب اسم الرجل او علامته يكتبه بيده في ذيل الصك او الكتاب تثبيتاً له . والتوقيع ، ما يوقّع في الكتاب — والحاق شيء في الكتاب بعد الفراغ منه .

ولخّص الكتاب تلخيصاً ، احكمه .

ومسخ الكاتب ، صحّف فأحال المعنى في كتابته يقال فلان ماسخ لا ناسخ اذا كان ممن يكثر الخطأ في كتابته . وهذ اللفظ مصحف عن كذا ، اي مغير عنه ، والشطبة ، خط يمد على الغلط الواقع في الكلام وقد شطبه اي مد عليه خطاً .

وطلس الكتاب ، محاه ومثله لقمه وطرس الكلمة ، ازال كتابتها . وكشط الحرف ، ازاله عن موضعه . وطرمس الكتابة ، محاها وكذا اطمل الدفتر وانجل الصبي لوحه مثل نجله وقد نطلّس الكتاب اي انمحى . والمنجل شيء تمحى به الواح الصبيان .

ورمّل الكاتب خطه ترميلاً ، رش عليه الرمل ليشرب فضلة الحبر منه (مولدة) .

وسلاسل الكتاب ، سطوره يقال مااقوم سلاسل هذا الكتاب ومثله بابات الكتاب وكتاب مرقوم ، مسطور ببين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لاخير منه .

وحرّر الكتاب تحريراً ، قومه وحسنه باقامة حروفه واصلاح سقطه ، وصححه تصحيحاً ، ازال سقطه ٠

و يرادف الحق ، التوقيع والتذنيب ٠ والإزار عند اهل الديوان ما يكتب في آخر الكتاب من نسخة عمل او فصل في بعض المهات تقول ازّر الكتاب بكذا وصدّره بكذا وجمع الإزار آزرة وازر ٠

والمكتوب ، الرسالة تبعث من واحد لآخر ج مكاتيب ٠ وكذا المُلِظَّة مأخوذة من معنى الالحاح والملازمة ٠ والوصل ، الرسالة ترسلها الى صاحبك ج وصول (محازية) والمُنَمْنَل والمُنَمَّل ، المكتوب او المتقارب الخط ٠ والوَحيُ المكتوب ايضاً وكذا الملأك والملأكة والألوك والألوكة والمألُكة والمألُك والرسالة وهي الصحيفة التي يكتب فيها الكلام المرسل ج رسالات ورسائل ومثله الرسول ج رُسُل ورسْل وأرسُل ورسلاء ، والرَسيل ٠ والمرسوم ج مراسيم ومراسم ٠ والرَقيم والرَقين ٠ والمُغَلغلة وهي الرسالة المحمولة من بلد الى بلد تقول أبلغ فلاناً مغلغلة ٠

ويسمى جواب الرسالة الرَجْع والرُجعى والرُجعان والرُجعة والرَجوعة والمرجوع والمرجوعة ٠

والإسطار والأسطور والأسطير ، ما يُسطَر او يكتب ويستعمل في الحديث الذي لا نظام له والحكايات ج أساطير ٠

والمصحف مثلثة الميم ، الكرّاسة وحقيقتها مجمع الصحف او ما جمع منها بين دفتي الكتاب المشدود ج مصاحف ٠ والمصنَّفات والتصانيف ما صُنِّف من الكتب واحدها مُصنَّف وتصنيف ٠ والمَحْضَر ، السجل ٠

والفصل من الكتاب ، قطعة منه مستقلة منفصلة عن غيرها ج فصول و يطلق الفصل في الاصطلاح على طائفة من المسائل فصلت عن غيرها لغرض ٠ والمقالة ، القطعة من الكتاب ٠ الكرّاس الجزء من الكتاب يحتوي في الغالب على ثمان ورقات ج كراريس والكُرّاسة ، الكُرّاس وربما أريد بها مجموعة صغيرة دون الكتاب ٠ وقد كسّر الكتاب على عدة أبواب اي جعله عدة أبواب ٠

وحشّي الكتاب تحشية ، علّق عليه حاشية فالكتاب محشّى ٠ والتعليقة ما عُلّق

على حاشية الكتاب من شرح ونحوه ج تعاليق . والحاشية ، جانب الكتاب — وما علق على حاشيته من الشروح والزيادات ج حواش ومثل الحواشي التلويحات . وهذا كتاب مخدوم اي كثرت عناية الناس به فشرحوه وعلقوا عليه الحواشي . وقد ذيّل الصحيفة تذييلاً اي كتب شيئاً في ذيلها زيادة عما فيها .

ووقّع الرجل في اضعاف كتابه اذا وقع بين سطوره وحواشيه . والضعف واحد أضعاف الكتاب اي اثناء سطوره ومثل الأضعاف التضاعيف ويقال انفذته درج الكتاب وطيّه وثِنْيِه وضِمنه وعطفه . واطواء الكتاب ، اثناؤه .

وعنّى الكتاب تعنية ، وسمه بالعنوان وكذا علاّه تعلية وعنونه وعلونه علونة وعلواناً اي كتب على ظهره اسم المكتوب اليه . وعنّه وعنّنه وأعناه وعناه يعنوه عنواً . وهو العلوان سمي به لانه يعلو الكتاب وقيل الصواب العنوان ويسمى ايضاً العُليان والمعنّى يقال معنّى هذا الكتاب جميل . والصدر وهو عنوان الكتاب واوله .

وهي الصحيفة والصحيف والمألُكة والعجوز . والدرج وهو الصحيفة يكتب عليها وتُطوى او تُلف . والطومار والطامور ج طوامير . والرجل وهو القرطاس الابيض . والمجلة وهي الصحيفة فيها الحكمة .

وورق الكتاب قيل هو اسم لجلود رقاق يكتب فيها وهو مستعار من ورق الشجر ج اوراق . والقائمة ، الورقة من الكتاب ج قائمات وقوائم . واللائحة ، ورقة مفتوحة تدرج فيها الاعمال الحسابية او غيرها ج لوائح . والطلحية ، الورقة من القرطاس . والجُزازة ، ورقة تعلق فيها الفوائد ج جزازات . والمدرجة ، الورقة التي تكتب فيها الرسالة — وبدرج فيها الكتاب . والرقعة ، القطعة من الورق تكتب .

والإضبارة ، الحزمة من الصحف ج أضابير تقول عنده أضابير من الصحف وكذلك الضُبارة والضِبارة والإضمامة وقد ضبّر الكتبَ ضبراً اي جعلها اضبارة او جمعها . والدفتر جماعة الصحف المضمومة ج دفاتر .

ومقدمة الكتاب ، فصل يعقد في اوله ومثلها خطبته . وأمّ الكتاب ، الفاتحة او اصله . وديباجة الكتاب وترجمته ، فاتحته . وقد صدّر المؤلف كتابه اي جعل له صدراً اي ديباجة .

وفهرس الكتاب فهرسةً ، عمل له فِهرساً وهو الكتاب تجمع فيه اسماء الكتب — ودفتر في اول الكتاب او آخره يتضمن ذكر مافيه من الابواب والفصول ومواضعها منه ليسهل الوقوف على المطلوب منها وهو المتعارف الآن معرّب فهرست ج فهارس · والثبَت ، الفهرس الذي يجمع فيه المحدث مروياته وأشياخه قيل هو من اصطلاحات المحدثين ·

والصكُّ كتاب الاقرار بالمال وغيره ج صكوكٌ وأصُكٌّ وصِكاك · والوِصْرُ ، الصكُّ الذي يكتب فيه السجلات كالإصر ويطلق غالباً على كتاب الشراء وهوالمعروف اليوم بالحجة ج أوصار ومثله الوَصيرة والأُوصرُ والوَصرةُ · ويسمى الصك ايضاً ، ذكر الحقّ ج ذُكور الحق وذكور حقوق ·

ووضع الكتابَ وضعاً ، ألّفه وصنّفه · وسطّر الّف الاساطير · ونمّق الكتابَ سطّره منمقاً منسقاً مرتباً — او جمعه وجوّده · والمصنَّف ، مؤلف الكتاب · والغُفْل الكتاب الذي لم يسمَّ فاعله ·

ورقم الكاتبُ ، جعل على رقاع ديوان الخراج وتوقيعاته وحساباته علامة لئلا يتوهم انها بُيِّضت كي لا يقع فيها حساب وكذلك رقّن ترقيناً ·

ومرفعُ الكتب ، شيءٌ ترفع عليه ·

وجدول الكتاب جدولةً ، عمل له جدولاً وهي كلمة مولدة يراد بها شبكة من خطوط تحتوي مجموع قضايا على وجه مختصر يمكن الوقوف عليه دفعةً واحدة كجدول الكليات في المنطق وجدول الضرب في الحساب ·

وجمل الكتاب قودين ، طوى اعلاه على أسفله حتى صار نصفين · ويقال ان كتبه سفاتج اي رائحة رواج السفتجة · وان كتبه لي طبقة اي متواترة · وهذا كتاب مبروز اي منشور · وهذا قرطاس ذو أكلٍ اي صفيق ·

النبك : سالم خليل رزق

حول الجزء السابع والرابع
« من ارشاد الأريب[1] »

باشرت منذ عهد قريب بطبع كتاب (الإفصاح عن معاني الصحاح) لعالم الوزراء يحيى بن محمد بن هبيرة المتوفى سنة ٥٦٠ وهو كتاب جليل ذكر فيه مؤلفه ما اجمع عليه فقهاء المذاهب الأربعة وما اختلفوا فيه بصورة سهلة قريبة التناول فدعاني ذلك ان ابحث عن ترجمة المؤلف فوجدت من جملة من ترجمه العلامة ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة وهذا الكتاب منه نسختان خطيتان في المكتبة الظاهرية بدمشق فاستنسخت لي بواسطة بعض اهل الأدب والفضل ولما تلوتها وجدت في اواخرها مانصه :

وذكر ياقوت في كتابه معجم الأدباء ان الوزير عرضت عليه جارية فائقة الحسن وظهر له في المجلس من ادبها وحسن كتابتها وذكائها وظرفها ما أعجبه فأمر فاشتريت له بمائة وخمسين ديناراً الخ .

فهذه العبارة تفيد ولا ريب ان للوزير ترجمة في معجم الأدباء فتصفحت الجزء السابع الذي نجز منذ عهد قريب وكتب عنه السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي كلمة في (م ٧ ص ٢٣٣) وفيه حرف الياء فلم اجد ذكراً للمترجم في حين انه قد ذكر جميع من اسمه يحيى وذكر بعده من اسمه يزيد و يعقوب واليمان ويموت و يوسف و يونس .

فعدم ذكر ترجمة الوزير يحيى بن هبيرة بين هؤلاء مع ما لاحظه السيد محمد كرد علي من قصر التراجم فيه وفي الجزء الرابع الذي نشر بعده حيث قال هنا وقد حوى هذا الجزء الاخير ٢٠٧ تراجم ليست في طولها على مثال ما ورد للمشهورين من نوعها في الاجزاء السالفة . وقال في كلامه على الجزء الرابع (ص ٥٦٨) وقد لاحظنا في اكثر تراجم هذا الجزء اختصاراً لم يكن مألوفاً لياقوت ولعله كتبها ولم يعاود النظر فيها .

يجعلنا نشك في صحة نسبة هذين الجزءين لياقوت الرومي وان نغلب الظن انهما

---

(١) ارشاد الاريب الى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء لياقوت الرومي الذي نشره المستشرق (د . س مرجليوث) .

ملفقان لنقعها من باعها لحضرة الاديب مارجليوث علماً منه بشغفه في احياء هذا الكتاب الجليل ورغبته الشديدة في تتميم اجزائه ٠

فعسى ان يأتينا ناشره بما يزيل هذا الارتياب وعلى كل فأنا له من الشاكرين على ما بذله من الجهود في سبيل نشره له والمأمول منه ان يواصل البحث عن الجزء الخامس الذي لم يعثر عليه بعد فتكمل بذلك اجزاء هذا الكتاب وتتم فائدته ٠

حلب : محمد راغب الطباخ

عضو المجمع العلمي

مطبوعات حديثة

النهضة العلمية في المغرب الاقصى
« وشيء من آثارها الدالة عليها »

كنا نعلم أن في تونس من بلاد المغرب نهضة علمية ادبية . وكنا نتمنى مثلها للجزائر ومراكش فلم يخيب الله ظننا : فقد أخذ يبلغنا من وقت الى آخر : تارةً بالآثار العلمية القيمة التي يصنفها أبناء هذين القطرين العظيمين وتارةً بما نسمعه من افواه القادمين الى بلادنا من ذينك البلدين — وجود نهضة علمية وقيام علماء مصلحين يعملون على تنوير بلادهم وان كان الدهر فجعنا بعضو مجمعنا الكريم الاستاذ ابي شنب الجزائري فقد عوض الله تلك البلاد عنه بالاساتذة الحجوي والكتاني والرجراجي والجزولي وغيرهم من ابناء مراكش والجزائر . وان للاستاذ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (مندوب المعارف العامة في مملكة مراكش ووزيرها وأستاذ العلوم العالية بالقرويين) اهتماماً عظيماً بامر نشر العلم في تلك البلاد وتنبيه الافكار الى وجوب إحداث نهضة علمية تتمشى مع النهضات الاخرى في سائر الأقطار العربية وهو يعمل من دون ملل في هذه السبيل فيكتب ويؤلف و يخطب ويلقي المحاضرات الممتعة في الموضوعات المختلفة .

ومن آثار قلمه القيمة ما أهداه الى مجمعنا العلمي وهو :

(١) — كتاب (الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي) « التي المؤلف ملخص كثير منه بشكل محاضرات في نادي الخطابة الادبي بالمدرسة الثانوية بفاس . وموضوعه : كيف نشأ الفقه الاسلامي الى ان صار لما هو عليه الآن فبيّن فيه كيف كان فقه العرب ثم مرتبته من العلوم في الاسلام وأطواره الاربعة التي تطور فيها الاسلام :

(١) طور الطفولة . (٢) طور الشباب . (٣) طور الكهولة . (٤) طور المشيب والهرم .

ثم يعقب ذلك الطور العتيد طور التجديد هذا الى ما يتعلق بالاجتهاد والتقليد وقد وشح المؤلف كتابه بتراجم المجتهدين الثلاثة عشر مجتهداً وهم الذين دونت مذاهبهم في

صدر الاسلام وتراجم فقهاء الصحابة والتابعين ومن بعدهم من نخبة علماء المذاهب المقلدة وبالجملة فان مضمون هذا الكتاب فلسفة تاريخية اصولية للفقه الاسلامي وتاريخ لأشهر مشاهير فقهاء الاسلام ، ففيه تبيان لاصول الاجتهاد وتدريب عليه مع بيان اصول المذاهب الاربعة مملوء بالفوائد التي تتعلق بذلك جميعه .

فالقارئ الفطن يفهم مما تقدم فضل الاستاذ المؤلف ومبلغ الحاجة الى تأليفه لا في البلاد المغربية فقط بل في البلاد الاسلامية التي نهضت اليوم من مرقدها تبغي لنفسها مكاناً اجتماعياً راقياً يتلاءم مع الأمكنة التي تتبوءها أمم العالم .

هذا وكتاب (الفكر السامي) المذكور يتألف من اربعة ارباع كل ربع منهـا يتضمن طوراً من الأطوار الاربعة الآنفة الذكر .

وقد طبع منها ربعان فقط كل منها في جزء مستقل ، (الربع الاول) طور الطفولة من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم وفاته ، و (الربع الثاني) طور الشباب من زمن الخلفاء الراشدين الى آخر القرن الثاني .

أهدى المؤلف الى مجمعنا هذين الربعين او الجزئين : الاول منها في (١٦٠) صفحة والثاني في (٢٤٠) صفحة وقد طبعا في مطبعة النهضة بتونس وانا لنرجو ان يوفق المؤلف الى طبع الربعين الآخرين .

(٢) — ومن آثار الاستاذ الحجوي المهداة الينا (المحاضرة الرباطية في اصلاح تعليم الفتيات في الديار المغربية) وقد ألقى الاستاذ هذه المحاضرة في معهد الدروس العليا بالمؤتمر الذي انعقد برباط الفتح سنة ١٩٢٢ م وقد نشرتها جريدة (النهضة) التونسية ومن يوم القائها ونشرها تقدم تعليم البنات بسرعة مدهشة : حتى في المدينة التي كانت متعصبة كفاس كان عدد التلميذات ٣٧٤ فبلغ الآن نحو ١٤٠٠ تلميذة رغماً عن معارضة بعض الاعيان في ذلك عندما سمعوا المحاضرة تلقى جهراً في المؤتمر . وكل من يهمه موضوع المرأة المسلمة وتعليمها ينبغي له مطالعة هذه المحاضرة المفيدة وقد طالعتها واستفدت منها .

(٣) — رسالة جيدة الطبع والورق في (٤٦) صفحة تتضمن طائفة من المحاضرات التي ألقيت في معهد الدروس العالية وذلك حينما افتتحت ردهة المحاضرات السنوية بالعربية

والافرنسية بصورة رسمية في المعهد العلمي برباط الفتح وذلك في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٢٤ . وقد حضر الاحتفال المارشال ليوتي وهو الذي ترأس الحفلة وافتتحها بخطاب مسهب ارتجله ارتجالاً ففي هذه الرسالة مقدمة وصفت فيها تلك الحفلة والذين خطبوا فيها . وبعد المقدمة صورة خطاب الصدر الاعظم لدولة مراكش الفقيه سيدي محمد المقري ثم خطاب مندوب المعارف سيدي محمد الحجوي . ثم مسامرة (اي محاضرة) الفقيه السيد محمد السائح وموضوعها (رسو الارض بالجبال) . ثم مسامرة الشريف المؤرخ مولاي عبدالرحمن بن زيدان العلوي المكناسي وموضوعها (مبادي علم التاريخ) ثم خطاب الدكتور ليفي بروفنسال مدير القسم الخطي من المكتبة العلمية ومدير القسم العربي بالمعهد العلمي وهو ختام الحفلة . ومن مضامين هذه الرسالة يتبين للقارئ مبلغ النهضة العلمية في الشرق الاقصى وحسن اتجاهها الى ما يرقي الفكر ويثقف العقول .

(٤) — رسالة تتضمن محاضرة القاها الاستاذ الحجوي وزير المعارف المشار اليه في نادي المسامرات (المحاضرات) بحاضرة فاس وموضوعها (مستقبل تجارة المغرب) وقد ضمنها أفانين من الاحوال التجارية من الوجهة الدينية والاقتصادية والتاريخية وقد اول كلام المؤرخ ابن خلدون في تاريخه (ان التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة من المروءة) فقال ان المراد بها تجارة اولئك الضواطرة الذين ينزلون الاسواق وليس معهم من آداب التجارة وعلومها سوى الختل والخديعة . «المغربي»

كتاب الالبان

«للاستاذ عمر الترمانيني مدرس علم الألبان في مدرسة سلمية الزراعية»

«وصاحب مجلة (الزراعة الحديثة) وهو يقع في ٢٤٨ صفحة من القطع المتوسط»

هذا أحسن كتاب عربي رأيته في الالبان وما يصنع منها وقد بحث فيه المؤلف عن الحليب وبنائه وخواصه واستعمال المقاييس لمعرفة نسبة الماء والسمن فيه منعاً للغش وفرز الكشأة عنه والفرازات المستعملة لهذا الغرض والماخض والمعاجن اللازمة في صناعة الزبد ، ثم صنع انواع الجبن المختلفة وصنع اللبن الرائب والمشروبات التي أساسها الحليب الخ .

وقد وُفق المؤلف في سرد الأبحاث وَسلسلة الجمل ولم ينس ان يذكر المصنوعات التي تصنع في بلادنا مما لا يراه المرء في اللغات الاجنبية او يراه فيها مقتضباً كالجبنة الحلبية وجبنة قشقوال والجبنة الشركسية واللبن الرائب والسمن والكشك والجبنة السوداء (شنكليش) والأقط وغيرها ٠ ومن رأيي انه اسهب في ذكر بعض أنواع الجبن الاوربية مما يصعب جداً صنعه في اقاليم الشام وعلى العكس اوجز في ذكر بعض المصنوعات البلدية كاللبن الرائب مثلاً فهو لم يبحث عن إمكان صنعه بدقيق اللبن الرائب المجفف (وكثيراً ما أستحضر هذا الدقيق في البيت وأروب الحليب به) او باللاكتوجن اواللاكتو باسيلين وهما يردان من اوربة ٠

ولم يذكر المؤلف في بناء دور الحلابة ما يجب لاتقاء ارتفاع درجة الحرارة وهو امر هام في بلادنا وان كان لا يهم الاوربيين ٠ ولم يذكر ايضاً السم الذي تولده بعض الطفيليات في الجبن الطري لا سيا وهذه المسألة قد اشغلت ادارة الصحة كثيراً في ايامنا هذه ٠

ولغة الكتاب ناصعة في الجملة لكن هنالك بعض هفوات كثيراً ما يقع المؤلفون بمثلها كعدم اعرابه الفاظ الاوزان الفرنسية في بعض الأماكن وجعلها مؤنثة مع انها تستعمل مذكرة وكقوله حامض الكلوردريك والصحيح الحامض الكلوردريك وكايراد الجملة الآتية هكذا (فيها ٨٣٠/ ٣ كيلوغراماً) بنصب لفظة كيلوغرام والصحيح كسرها لان هذه الجملة تلفظ على الشكل الآتي (فيها ثلاثة كيلوغرامات وثمانمائة وثلاثون في الألف من كيلوغرام او من الكيلوغرام) ٠

وسمى كدرة القرازة او ثفلها او بقاياها اوحالاً والصحيح استعمال احد تلك الألفاظ (ص ٩٧) ٠ وقال ان الفرجنة بالفراجي مع انها تكون بالفرجون (ص ٢٢١) هذا اذا صح استعمال الفرجنة في هذا المقام ٠ واستعمل لفظة غُبيرات لما يسمى بالفرنسية (Spores) في علم النبات ٠ وهي لفظة كنت وضعتها منذ نحو ثماني سنوات في درس امراض الزروع ولا أظن ان احداً استعملها قبلي ٠ ولا أزال أراها موافقة لما وضعتها له ٠

وفي الخلاصة ان الاستاذ الترمانيني لم يكتف بالترجمة عن الاوربيين بل درس الصناعات المذكورة عملياً وخبرها بنفسه وحقق عن اصلح الألفاظ العربية في الكتب

القديمة فكتابه إذن يسمي كتاباً • وكنت رغبته في طبعه فطبعه ورغبته من جديد في تأليف كتاب موجز في الطيور الدواجن وتربيتها وهو من الأبحاث التي يدرّسها في سلمية فحبذا لو قام بهذا العمل وهو اهل لذلك • وحبذا ايضاً لو اقتدى به بعض معلمي تلك المدرسة كلٌ فيما يتقنه وأخص منهم الذين كنت أرسلتهم لتلقي الدروس الزراعية العليا في فرنسة عندما كنت مديراً للزراعة •

عضو المجمع العلمي

مصطفى الشهابي

القاموس العصري

« عربي انكليزي »

اعاد السيد الفاضل ايلياس افندي انطون الياس طبع هذا القاموس للمرة الثانية بعد ان نقحه واكمل ما كان في الطبعة الاولى من النقص واهدى مجمعنا نسخة منه فوجدناه مجلداً ضخماً يقع في نحو ٧٥٠ صفحة من الورق الصقيل والقطع الكبير والطبع المحكم ، مزيناً بالرسوم لايضاح اشكال بعض الحيوانات والنباتات والآلات والادوات ولعله اصبح بعد هذا التنقيح والاضافة اجمع القواميس العربية الانكليزية الموجودة واوفاها بالغرض لسد حاجة طلاب العربية من عارفي اللغة الانكليزية •

وقد جرى المؤلف الفاضل في اختيار الالفاظ العربية على قبول جميع الكلمات الشائع استعمالها بين العلماء والكتاب وعدها عربية فصيحة بدون ان يشير الى المولد والدخيل والمعرّب منها بعلامات خاصة ، وهو معذور على هذا التساهل لان مثل هذا القاموس لايتسع لمثل هذه البيانات • وانما اشار الى الكلمات المصرية الدارجة املاً بتعميم استعمالها بين العرب او بتمهيد السبيل لابدالها بما يؤدي مرامها من العربية الفصحى •

اما الالفاظ الانكليزية فقد اختار المؤلف اقربها الى مدلول الكلمات العربية وتوخى ان يفسر الكلمة بكلمة واحدة تقابلها بالانكليزية وليس كما فعل اكثر مؤلفي القواميس الاخرى من تفسير معنى الكلمة العربية بعبارة انكليزية وقد لاحظنا انه عند تفسير الكلمات غير المألوفة بالاستعمال لايكتفي بذكر مقابلها الانكليزي فقط بل يفسرها بمرادف مألوف ،

مثل قوله « حيدر » اسد — (Lion) · حذف ـ طائر كالبط صغير (Teal) · وهذا أسلوب حسن لايضاح المعنى وازالة الابهام ·

وفي هذا القاموس مزايا كثيرة تجعله راجحاً على غيره · وتوجب للمؤلف الحازم شكر طلاب اللغتين فانهم يجدون فيه كل ما يبتغون من السهولة والايضاح · (ف)

الجامعة العربية

« تأليف السيد انطونيوس جمل طبع في سانتياغو عاصمة تشيلي سنة ١٩٢٨ »

« ص ١٦٠ بحجم صغير »

مؤلف هذه الرسالة منشئ مجلة العواطف في سانتياغو ومن كتاب السور بين في المهجر · ذكر رحلته الى كثير من بلاد الجنوب في اميركا واجتماعه بطبقات مختلفة من الشاميين يدعوهم الى الجامعة العربية اوالى تأليف ولايات عربية متحدة دستورية فكتب مالقي في هذه السبيل بجرية دل بها انه تحرر من قيود كثيرة فكانت كتاباته مرآة انعكست عليها اخلاق الشاميين وراء البحار · وهي حرية بان ينظر فيها كل من تهمه مثل هذه الموضوعات الاجتماعية · م · ك

كتاب الفراسة لفليمون

« وجمل احكام الفراسة للرازي »

طبعها وصححها الشيخ محمد راغب الطباخ في مطبعته العلمية بحلب سنة ١٣٤٧ — ١٩٢٩ الاول في ٤٧ ص والثاني في ١٠·

هذا الفن من جملة ما خاض عبابه بعض علماء العرب وقلّ ما نشر منه وهو ان لم يكن من العلوم المقررة المحررة يفيدنا نشر بعض ما كتب فيه في الاطلاع على مذاهب القوم في هذا الشأن وأسلوبهم في وضعه وما استعملوه من مصطلحاته ولذلك يستحق الناشر الثناء على همته بنشر فراستي فليمون والرازي · م · ك

ابطال الاسلام

« تأليف السيد زكريا احمد رشدي الطبعة الثانية سنة ١٣٤٦ — ١٩٢٨ »
« مطبعة الرشديات بالاسكندرية ص ٩٥ »

للمؤلف عدة كتب في الاجتماع والتربية وهذا المختصر هو في سيرة الخلفاء الاول ابي بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم) وما تخلل ايامهم من المبادئ الاجتماعية الخطيرة بعبارات منسجمة وتنسيق جميل · وحبذا لو اكمل المؤلف هذه السلسلة المفيدة للناشئين واستوفى جميع رجال الاسلام على هذا الطراز · م · ك

سورية ولبنان

« على عهد الاحتلال والانتداب الافرنسي »
— من سنة ١٩١٩ — ١٩٢٧ ص ٣٣٦ —

La Syrie et le Liban sous l' occupation et le mandat français 1919-1927.
Berger-Levrault, Editeurs. Nancy-Paris-Strasbourg.

هذا كتاب بالافرنسية بل وثيقة رسمية في اعمال الانتداب الافرنسي في سورية ولبنان بدأه مؤلفوه بالكلام على جغرافية البلاد ومساحتها وحدودها ومناخها ومياهها وكيف كانت البلاد بعد الحرب العامة على عهد الاحتلال الانكليزي ثم الافرنسي ثم ايام الانتداب الافرنسي وكيف نظم الانتداب البلاد فقسمها الى اربع دول وكيف اصلح القضاء والمحاكم والسجون والامن العام والمالية والمسكوكات والتعليم والآثار القديمة والاشغال العامة من السكك الحديدية والكهربائية والمياه والبلديات والكمارك والزراعة والتحريج والصناعات والتجارة والاصطياف والاوقاف والصحة والشرطة الخ · و بالجملة فكل ما له علاقة بتنظيم البلاد بالنظام الاخير · كل ذلك بالارقام التي تنطق بصراحة وحبذا لو تصدى بعضهم الى نقله الى العربية ليستفيد منه ابناء البلاد ايضاً · م · ك

الجزء ٩ المجلد ٩

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) آب : سنة ١٩٢٩ م الموافق صفر وربيع الاول سنة ١٣٤٨ ﻫ

عبد الحميد الكاتب (١)

منشؤه واصله

هو عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري من عامر بن لؤي . ولؤي ينتهي اليه عدد قريش وشرفها ومن ولده عامر بن لؤي وولده حسل ومعيص . وقد قيل في نسبه انه عبد الحميد بن يحيى بن سعد بن عبد الله بن جابر بن مالك بن بجر بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب . ومعظم الروايات ترجح ان والده كان من الموالي . واذا صح ذلك كان من اصل غير عربي . اللهم الا اذا ثبتت سلسلة نسبه التي انتهت بابن عامر بن لؤي بن غالب . وفي رواية ان جده من سبي القادسية يتلون عامر بن لؤي . وان كان اصله من سبي القادسية فهو فارسي الاصل لا محالة . واذا قلنا بانه من اصل فارسي فيكون جده انضم الى عامر بن لؤي ، وقد ينضم الرجل الى غير قبيلته بالحلف والموالاة فينتسب اليهم . والاصطخري يقول ان عبد الحميد كان ممن يصلح من الفرس للدواوين من الكتاب والعمال والادباء . وكان له في بني أمية ولاء ينسب اليهم فنسبته الى عامر نسبة ولاء اذاً .

وانت تعلم ان المولى عند العرب دون الحر الصريح ، وفوق العبد الرقيق في المرتبة . والمولى كالقريب ينزل منزلة ابن العم يجب على صاحبه ان ينصره و يرثه اذا مات ولا وارث

(١) المحاضرة التي ألقاها الاستاذ السيد محمد كرد علي في ردهة المجمع العلمي العربي بتاريخ ١٤ كانون الاول سنة ١٩٢٨ م .

له ، ومنه حديث الزكاة « مولى القوم منهم » والمولى هو الصاحب والقريب والجار والحليف والجمع موالي . ويكون المولى مولى عتاقة ومولى تباعة ، فمولى العتاقة هو الذي يكون عبداً او اسيراً فيعتقه صاحبه فيصبح المعتَق للمعتِق مولىً . ومولى التِّباعة هو من يصطنع او يحالف اي يستتبع . ومن الولاء ايضاً مولى الرحم من يتزوج في قبيل فينسب الى قبيلهم . ودية المولى نصف دية الحر وكذلك حكمه في العقوبات يناله منها نصف ما ينال الحر . اما في المواريث فمولى العتاقة يورث مولاه ولا يرث منه ، ومولى التِّباعة لا يرث ولا يورِّث . وحكم مولى الرحم كحكم الاحرار يرث و يورِّث .

وكان الموالي في الجاهلية من اجناس ونحل مختلفة ، فلما كان الاسلام أصبح غير المسلمين ذمة . وكانت في الجاهلية دية المولى وهو الحليف خمساً من الابل ودية الصريح عشراً . والصريح الخالص النسب . والولاء بفتح الواو القرابة ، و بالكسر ميراث يستحقه المرء بسبب عتق شخص في ملكه او بسبب عقد الموالاة . اذا عرفت هذا فليس أمامك مايمنع من ان تجعل عبدالحميد من اصل عربي وان كان جده مولى تباعة لا مولى عتاقة كأن يكون قد تزوج من بني عامر وانضم اليهم بسبب . هذا على شريطة ضعف الرواية القائلة بان أجداده من سبي القادسية . وهناك تكون الفارسية أعلق ببيته من شعرات قصه .

وكان بنو أمية كثيراً ما يعتمدون على الموالي في كتابتهم ودواوينهم ، فلم تمنعهم اصولهم من تولي أهم مناصب الدولة . فقد ذكر ابن جرير الطبري ان من كتاب معاوية مولاه عبد الرحمن بن درّاج . وكان على ديوان الرسائل لعبدالملك بن مروان ابوالزعيزعة مولاه ، وكتب للوليد على ديوان الخاتم شعيب العماني مولاه وعلى ديوان الرسائل جناح مولاه وعلى المستغلات نُفَيع بن ذؤيب مولاه . وكان يكتب لمسلمة سميع مولاه وعلى ديوان الرسائل الليث بن ابي رقية مولى الحكم بنت ابي سفيان وعلى ديوان الخاتم نُعيم ابن سلامة مولى لاهل اليمن من فلسطين . وكان يكتب لعمر بن عبد العزيز الليث بن ابي فروة مولى أم الحكم بنت ابي سفيان وكتب له اسماعيل بن ابي حكيم مولى الزبير . وكتب للوليد بن يزيد على ديوان الرسائل سالم مولى سعيد بن عبد الملك وكان عمرو ابن الحارث مولى بني جُمَح يتولى ليزيد بن الوليد الناقص ديوان الخاتم — وكان من الموالي على ديوان الرسائل لمروان بن محمد عثمان بن قيس مولى خالد القسري .

أدبه وتأديبه

لا جرم ان ما اتصل بنا من اخبار عبد الحميد لم تصور لنا منه صورة صحيحة تامة ، فما عرفنا مولده ولا البلد الذي ولد فيه من بلاد الشام ، ولا نوع دراسته وأساتذته . ولكننا عرفنا انه شامي عاصر بعض الخلفاء من الأمويين ممن أقاموا العدل ، ودوّخوا البلاد وعمروها بالاحسان ، وكانوا أمة وحدهم في الخير وفي دمهم انتقلت سياسة الملك وحكم الرعية . مثل سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك . و يقول ابن خلكان ان عبد الحميد كان من اهل الأنبار وسكن الرقة فان صحت روايته كان عراقياً غير شامي . وأطلق عليه ابن عبد ربه اسم عبد الحميد الاكبر وعده ممن نبل بالكتابة وكان قبل خاملاً وقال انه كتب لعبد الملك بن مروان وليزيد ثم لم يزل كاتباً لخلفاء بني أمية حتى انقضت دولتهم . وفي هذا القول نظر لان عبد الملك تولى سنة خمس وستين وتوفي سنة ست وثمانين فلا تكون سن عبد الحميد يوم مقتله اقل من سبعين او خمس وسبعين وهذا يناقض ما سيمر بك من انه غمز عليه سنة ١٣٢ وهو عند ابن المقفع ولم يعرف الموكلون بالقبض عليه ايهما عبد الحميد ، وابن المقفع اذ ذاك كان دون الثلاثين من العمر فلا يعقل الا ان يكون صاحب الشرطة العباسي عارفاً على الأقل بان صاحبه شيخ هرم . ونميل الى ان عبد الحميد كتب اولاً لهشام بن عبد الملك الذي ولي سنة ١٠٥ ومات سنة ١٢٥ ثم لمروان .

والارجح ان عبد الحميد تخرج بالكتابة بسالم مولى هشام وكاتبه وكان سالم ختنه أي صهره زوج اخته ، وكان سالم احد الفصحاء البلغاء ، وقد نقل رسائل ارسطاليس الى الاسكندر ونُقل له وأُصلح هو ، ولسالم رسائل مجموعة في نحو مائة ورقة . و بهذا يقال ان عبد الحميد اخذ عن رجل بليغ يعرف الاستخراج من ادب اليونان وسياستهم . ولم يثبت انه كان يعرف اليونانية كما وهم بعض أساتذة العصر ، وربما شدا شيئاً من الارمنية مدة مقامه في ارمينية كاتباً لمروان . والارمنية قلما نفعته في تكوين ملكته . وارمينية كانت في انحطاط ، بيد انها لم تأت في باب المدنيات ، ولا في عصر من عصورها بشيء يقرب من المدنية الفارسية .

كتب عبد الحميد قليلاً عن هشام بن عبد الملك كما عرف من رسالة كتبها عن هشام الى يوسف بن عمر الثقفي وهو باليمن ، وقد كان على اليمن منذ سنة ١٠٧ اي ان ديوان هشام كان المدرسة الاولى التي تخرج باساتذتها عبد الحميد في علوم الانشاء . الا اذا صح انه كتب من قبل لعبد الملك بن مروان وهو بعيد . ويمكن ان يقال من ثم انه كان من اول نشأته على اتصال مع من يعرف الخلفاء ، وما يقتضي لخدمة الحكومات من الأدوات . وذكروا انه حدث عن سالم بن هشام ولعله سالم مولى هشام وحدّث عنه خالد بن برمك .

وقالوا ان عبد الحميد كان في حداثته معلماً في الكوفة ، ولعله مرن على حفظ مسائل كثيرة من تأديبه الاطفال زمناً . والمؤدبون كانوا طبقة راقية في القرون الاولى للاسلام ، لان المرء لا يضع في الرجل ثقته ويلقي اليه بمقاليد ابنه الا اذا آنس منه كفاءة وحسن اخلاق . وكانت الكوفة لما القى بها عصا الترحال لاول امره محط رحال رجال العلم في الدين واللغة والنحو والصرف ، ولاشك انه ثافن اهل البلاغة فيها وأخذ عنهم ، وهناك حدث له غرام بتمثل كلام علي ابن ابي طالب ، فقد سئل ما الذي خرجك في البلاغة فقال : حفظ كلام الاصلع يعني علي ابن ابي طالب . وكانت الكوفة من البلدان التي احبها امير المؤمنين واحب اهلها واحبوه .

وفي زمن لم نتثبته كثيراً اتصل بمروان بن محمد وهو والٍ على ارمينية يحارب الخارج فيها على الخلافة ، فكتب عنه وحظي عنده ، وانقطع اليه ، ولما عقدت البيعة لمروان في الشام سجد مروان واصحابه شكراً لله . الا عبد الحميد فقال له مروان : لم لا سجدت . فقال : ولِمَ اسجد على ان كنت معنا فطرت عنا يعني بالخلافة . فقال : اذاً تطير معي فقال : الآن طاب السجود وسجد . وكان كاتب مروان طول خلافته .

ترى هل يكون الاختلاف في نسب عبد الحميد سبباً يدعونا الى ان نرجح ان اجداده كانوا من سبي القادسية . والاصح ان يقال سواء صحت هذه النسبة ام لم تصح ، بانه تأثر لا محالة بعادات الفرس وعرف اساليبهم في الكتاب والخطاب . يؤيد ذلك ما رواه ابو هلال العسكري قال : « فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل الى لغة اخرى امكنه فيها من صنعة الكلام ما امكنه في الاولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخرج امثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها الى اللسان العربي » . وعلى كل فإن

الحال الذي جال فيه عقل عبد الحميد كان فسيحاً بالنسبة لعصره واهل طبقته ، وكان من اتصل بهم قبل ان يلي الكتابة عن الخليفة جماعة من المنظور اليهم في الامة . ولهذا ولغيره اي لمولده في الشام وتنقله في البلاد دخل كبير في اتساع عقله وتجاربه .

* * *

أخلاقه وعاقبة امره

كان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية يعد من أعاظم رجال الأمويين شهامة وحزماً وادباً ، وكان يحب عبد الحميد حباً جماً ، ويرفع منزلته بين الكتاب والعمال « ولا يرى الدنيا الا به » لعلمه بنبوغه وتفرده في صناعته ، وذهابه بفضل البلاغة وما ينبغي لها ، حتى عرض عليه لما أيقن ان امره أدبر ، وهزائمه تواترت ، وسلطانه صائر الى الزوال ، ان يكون مع اعدائه لتسلم حياته ، قائلاً انا نجد في الكتب ان هذا الامر زائل عنا لا محالة ، وسيضطر اليك هؤلاء القوم يعني ولد العباس لأدبك ، وان إعجابهم بك يدعوهم الى حسن الظن بك ، فاستأمن اليهم ، واظهر الغدر بي ، فلعلك تنفعني في حياتي او بعد مماتي . فقال له : وكيف لي بان يعلم الناس جميعاً ان هذا عن رأيك ، وكلهم يقول اني غدرت بك وصرت الى عدوك . وأنشد :

وذنبي ظاهر لا شك فيه لمبصره وعذري بالمغيب

وأنشد ايضاً :

اسر وفاء ثم أظهر غدرة فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال يا امير المؤمنين : ان الذي امرتني به أنفع الامرين اليك ، وأقبحهما بي ، ولكني اصبر حتى يفتح الله عليك او أقتل معك . وهكذا تجلت في عبد الحميد فضيلة الوفاء العربي ، فآثر ان يقتل مع صاحبه على ان يتخلى عنه يوم الكريهة والشدة . وتجلت فيه خلة الشجاعة والاعتقاد بالأقدار فهو الرجل الذي شارك سيده في سعادته وبلائه .

وربما كان عبد الحميد ينجو من الهلاك بايدي العباسيين لو سار بسيرة غيره من رجال مروان ، ان صح ما روي من انه لما زال امر مروان اتى المنصور بخواص مروان ، وفيهم عبد الحميد والبعلبكي المؤذن وسلام الحادي فهم بقتلهم جميعاً فقال سلام : استبقني

يا امير المؤمنين فاني احسن الحداء . قال : وما بلغ من حدائك . قال : تعمد الى إبل فتظمئها ثلاثة ايام ثم توردها الماء ، فاذا بدأت تشرب رفعت صوتي بالحداء ، فترفع رؤوسها وتدع الشرب ، ثم لا تشرب حتى أسكت . فأمر المنصور بابل ففعل بها ذلك فكان الأمر كما قال ، فاستبقاه وأجازه وأجرى عليه . وقال له البعلبكي : استبقني يا امير المؤمنين فاني مؤذن منقطع القرين قال : وما بلغ من أذانك . قال : تأمر جارية فتقدم اليك طستاً ، وتأخذ بيدها ابريقاً ، وتصب الماء على يدك . فأبتدئ بالأذان فتدهش ويذهب عقلها اذا سمعت أذاني ، حتى تلقي الابريق من يدها وهي لا تعلم ، فامر المنصور جارية ففعلت ذلك واخذ البعلبكي الأذان فكانت حالها كما وصف . وقال عبد الحميد : ياامير المؤمنين فاني فرد الزمان في الكتابة والبلاغة . فقال : ماعرفني بك ، انت الذي فعلت بنا الأفاعيل ، وعملت لنا الدواهي . وامر به فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه . و يروى انه سلمه الى عبد الجبار فكان يحمي له طستاً ويضعه على بطنه حتى قتله .

واختلفوا في مقتل عبد الحميد فاليعقوبي يقول انه تخلف بمصر واستتر حتى دُل عليه صالح بن علي . وزاد غيره انه لما انهزم اختبأ في كنيسة في بوصير من ارض مصر وقال آخرون : انه اختفى بالجزيرة عند عبد الله بن المقفع فغمز عليه وكان صديقه وفاجأهما الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا : أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما انا خوفاً على صاحبه . واوشك الجند ان يقتلوا ابن المقفع ، لولا ان صاح بهم عبد الحميد قائلاً ترفقوا بنا ، فان لكل منا علامات ، فوكلوا بنا بعضكم وليمض البعض الآخر الى من وجّهكم فيذكر له تلك العلامات ففعلوا وأخذوا عبد الحميد .

وفي رواية ان عبد الحميد لم يختبئ في الجزيرة عند ابن المقفع بل قبض ساعة قتل مولاه مروان ، وان عامر بن اسماعيل المسلي لما قتل مروان ظفر بعبد الحميد كاتبه فعرض عليه رؤوس القتلى ، لانه قتل في ستة او سبعة من خواصه ، وكانوا معه فعرفه رأسه وحمل عبد الحميد الى ابي العباس ، فسلمه الى عبد الجبار صاحب شرطته فقتله . وهنا ايضاً اضطراب في رأي من ترجموا لعبد الحميد في نهاية امره ، كما وقع الاختلاف في اصله ، ولم يعقل انه تخلف عن سيده في الجزيرة والارجح انه قتل في مصر .

***

بلاغته وأسلوبه

كان عبد الحميد على ما قال صاحب العقد الفريد اوّل من فتق اكمام البلاغة ، وسهل طرقها ، وفك رقاب الشعر . ضربت الأمثال ببلاغته وقد أشار البحتري الى ذلك في قصيدته الى محمد بن عبد الملك قال :

وتفننت في البلاغة حتى　　عطل الناس فن عبدالحميد

وقال ابن الرومي لابي الصقر :

لو ان عبدالحميد اليوم شاهده　　لكان بين يديه مذعناً وسنا

وقال ابن اسفنديار الكاتب :

وهو في الحذق والبلاغة في النـ　　طفيل عَبد الحميد في الكتاب

وقال ابو اسحق الصابي :

أنسيتم كتباً شحنت فصولها　　بفصول درّ عندكم منضود
ورسائلاً نفذت الى اطرافكم　　عبد الحميد بهن غير حميد

وقال ابراهيم بن عباس الصُّولي وقد ذكر عبد الحميد عنده : كان والله الكلام معاناً له ، ماتمنيت كلام احد من الكتاب قط ان يكون لي مثل كلامه . جاء عبدالحميد بطريقة جديدة في الكتابة العربية ، شرعها لكل من يحمل القلم بعده ، فنقل الانشاء من طور الى طور لم يكد يتغير حتى عهد ابن العميد ، ولذلك يحق ماقالوا افتتحت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد .

وتعلمون انه قلما عهد التطويل في الرسائل على عهد الراشدين والأمويين ، فكانت تأتي رسائلهم على الأغلب في السطر والسطرين والثلاثة . وفي رسائل عمر بن عبدالعزيز أواخر المئة الاولى نموذج ظاهر من هذا الأسلوب العجيب ، واذا طالت الرسالة كما هو الحال في الرسالة المنسوبة لعلي بن ابي طالب الى الأشتر النخعي فانها تكون بمثابة قانون يضعه الخليفة للادارة والسياسة والقضاء اي تحتوي على أغراض شتى لاتتسع لها السطور القليلة . فجاء عبدالحميد وابتدع أسلوبه الجديد الخاص به ، وكان ذلك عقبي تشعب أغراض الخلافة ، وامتداد عمرانها ، وانبساط ظل سلطانها ، فعبد الحميد نهج للكتاب

سبل الانشاء ، واعلى في العالمين ذكرهم وشرّف صناعتهم ، وكانت قبله في الغالب لا تعد عملاً شريفاً من أعمال الدولة ويتولاها على الأغلب الموالي ومن اليهم . فوقر هذا الفن الصعب في النفوس حتى كانت جودة الانشاء تنقل صاحبه من دواوينه الى ارقى دواوين الملك ، فكان لا يلي الوزارة غالباً الا من يعد في الذروة من طبقة الكتّاب .

كان عبد الحميد اول من أطال الرسائل ، واستعمل التحميدات في فصول الكتب فتابعه الناس على طريقته . والتحميد حمدك الله عز وجل مرة بعد مرة ، وكثرة حمد الله سبحانه بالمحامد الحسنة وهو أبلغ من الحمد . وربما سبق عبدالله ابن المقفع الى التحميدات ولكنها لم تشتهر كما اشتهرت من ديوان عبد الحميد ، وهو ديوان الخلافة يتناقل الناس عنه اكثر مما يتناقلون عن غيره .

ولم يكن عبد الحميد يطيل كل مرة في رسائله ، بل يطيل مرة ويوجز مرات ، لكنه الى التطويل اميل . فصاحب هذا الانتقال في الكتابة حافظ على ايجازها ماامكن ، لكن الزمان اقتضاه احياناً الاسهاب ، فأسهب وأجاد في الطريقتين ، خصوصاً اذا كانت الحال تقتضي ذلك ، مثل كتابه الى ابي مسلم الخراساني الذي كتبه على لسان محمد بن مروان لما ظهر ابو مسلم بدعوة بني العباس ، فكتب كتاباً يستميله ويضمنه ما لو قرئ لأوقع الاختلاف بين اصحاب ابي مسلم ، وكان من كبر حجمه يحمل على جمل ، ثم قال لمروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره ، فإن يك ذلك والا فالهلاك . فلما ورد الكتاب على ابي مسلم لم يقرأه ، وامر بنار فأحرقه ، وكتب على جزازة منه الى مروان :

محا السيف اسطارَ البلاغة وانتحى عليك ليوث الغاب من كل جانب
فان يقدموا نُعمل سيوفاً شحيذةً يهون عليها العتب من كل عاتب

وقالوا ان من جملة فقرات هذا الكتاب « اذا أراد الله اهلاك نملة انبت لها جناحين » ومعنى قول الراوين ان كتابه من كبر حجمه حمل على جمل انه كان مكتوباً على رق . وفي الرقوق تكتب الاسطر القليلة على الأغلب . وربما دعت كثرة الرقوق التي تضمنت هذا الكتاب ان لا ينهض رجل بحملها بل حملت لثقلها على جمل . وليس في هذا التطويل المأثور عن عبد الحميد من عيب لان البلاغة تقضي بذلك . فقد قال ابن

قتيبة : وليس يجوز لمن قام مقاماً في تحضيض على حرب ، او حمالة بدم ، او صلح بين عشائر ، ان يقلل الكلام ويختصره ، ولا لمن كتب الى عامة كتاباً في فتح او استصلاح ان يوجز . ولو كتب كاتب الى اهل بلد في الدعاء الى الطاعة ، والتحذير عن المعصية ، كتاب يزيد بن الوليد الى مروان حين بلغه عنه تلكؤه في بيعته (اما بعد فاني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، فاعتمد على ايها شئت والسلام) لم يعمل هذا الكلام في انفسها عمله في نفس مروان . . لكن الصواب ان يطيل ويكرر ، ويعيد ويبدي ، ويحذر وينذر اه . وهكذا جرى عبد الحميد في رسالة ابي مسلم الخراساني ، فأطال وحمدت اطالته ، كما أطال في نصيحته الى عبد الله ولي عهد مروان فقد كتب كتابه هذا في نحو ثلاثين صفحة من الصفحات المتوسطة فوضع ببيانه الرائع خططاً حربية وطرقاً جديدة في النظام والادارة والسياسة ، وقواعد مهمة في التربية ولا سيما في تربية الملوك والعظماء ، واصولاً كلية في علم النفس والعادات المستحبة ومعاملة المرؤوسين وطلاب الحاجات وارباب السعايات واصحاب الاخبار .

نموذجات من مختصر رسائله

واذا جئنا نتعرف عبد الحميد في مطالبه وحاجاته ، وشفقته على نفسه وولده ورحمه ، فلدينا مما ابقت الايام عليه من رسائله نموذجات يتجلى لنا فيها روحه ، منها ما كتبه الى مروان في حاجة : « ان الله بنعمته عليّ لما رزقني المنزلة من اميرالمؤمنين جعل معها شكرها مقروناً بها ، فهي تنمى بالزيادة ، والشكر مصاحب لها ، فليست تدخلني وحشة من ابتناء حاجتي ، وانا اعلم انه لو وصل الى امير المؤمنين علم حالي اغناني عن استزادته ، ولكني تكنفتني مؤن استنفدت ما في يدي ، وكنت للخلف من الله منتظراً ، فاني انما انقلب في نعمه ، وأتمرغ في فوائده ، وأعتصم بسالف معروفه كان عندي » .

ومنها ما أنشأه الى اخ له في مولود ولد له وهو اول مولود كان : « اما بعد فان مما أتعرف من مواهب الله نعمة خصصت بميزتها ، واصطفيت بخصيصتها ، كانت أسرّ لي من هبة الله لي ولداً أسميته فلاناً ، واملت ببقائه بعدي حياة وذكرى ، وحسن خلافة في حرمي ، واشراكه اياي في دعائه ، شافعاً لي الى ربه ، عند خلوته في صلاته وحجه ، وكل موطن من

مواطن طاعته ، فاذا نظرت الى شخصه تحرك به وجدي ، وظهر به سروري ، وتعطفت عليه مني أنسة الولد ، وتولت عني به وحشة الوحدة ، فانا به جذل في مغيبي ومشهدي ، أحاول مس جسده بيدي في الظُلَم ، وتارةً أعانقه وأشفه ، ليس يعدله عندي عظيمات الفوائد ولا منفسات الرغائب . سرني به واهبه لي على حين حاجتي ، فشدبه أزري ، وحملني من شكره فيه ماقد آدني بثقل حمل النعم السالفة اليّ به ، المقرونة . راؤها في العجب بمارأت مايدركني به من رقة الشفقة عليه ، مخافة مجاذبة المنايا اياه ، ووجلاً من عواصف الايام عليه . فأسأل الله الذي امتن علينا بحسن صنعه في الأرحام ، تأديبه بالزكاة وحرسه بالعافية ، ان يرزقنا شكر ما حملنا فيه وفي غيره ، وان يجعل مايهب لنا من سلامته ، والمدة في عمره ، موصولاً بالزيادة ، مقروناً بالعافية ، محوطاً من المكروه ، فانه المنان بالمواهب ، والواهب للنى ، لاشريك له . حملني على الكتاب اليك لعلم ماسررت به علمي بحالك فيه ، وشركتك اياي في كل نعمة أسداها اليّ ولي النعم ، واهل الشكر اولى بالمزيد من الله جلّ ذكره والسلام عليك » .

ومنها ما انفذه الى اهله وهو منهزم مع مروان من فلسطين وهو آخر حرب وموافقة كانت له . وكانوا ينزلون بالقرب من الرقة بموضع يعرف بالحمراء يعزيهم عن نفسه « اما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور ، وجعل فيها اقساماً مختلفة بين اهلها ، فمن درت له بحلاوتها وساعده الحظ فيها ، سكن اليها ورضي بهـا وأقام عليها ، ومن قرصته باظفارها وعضته بانيابها ، قلاها نافراً عنها ، وذمها ساخطاً عليهـا ، وشكاها مستزيداً لها ، وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحليناها ، ثم جمحت بنا نافرة ، ورمحتنا[1] موليـة ، فملح عذبها ، وخشن لينها ، فأبعدتنا عن الاوطان ، وفرقتنا عن الاخوان ، فالدار نازحة والطير بارحة . وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعداً ، واليكم صبابة ووجداً ، فان تتم البلية الى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا ، وان يلحقنا ظفر جارح من أظفـار من يليكم نرجع اليكم بذل الإسار ، والذل شر جار ، نسأل الله الذي يعز من يشاء ، و يذل من يشاء ، ان يهب لنا ولكم ألفة جامعة ، في دار آمنة ، تجمع سلامة الأديان والأبدان ، فانه رب العالمين وارحم الراحمين » .

---

(١) رفستنا

وفي رواية انه ختم هذه الرسالة هكذا : « فدارنا نازحة ، وطيرنا بارحة ، قد اخذت كل مااعطت ، وتباعدت مثل ماتقربت ، واعقبت بالراحة نصبا ، وبالجذل هما ، وبالامن خوفاً ، وبالعز ذلاً ، وبالجدة حاجة ، وبالسراء ضراء ، وبالحياة موتاً ، لا ترحم من استرحمها ، سالكة بناسبيل من لاأوبة له ، منفيين عن الاولياء ، مقطوعين عن الاحباء ٠»

ومن رسائله المختصرة ما كتبه عن مروان الى هشام يعزيه بامرأة من حظاياه ٠ « ان الله تعالى امتع امير المؤمنين من انيسته وقرينته ، متاعاً مده الى اجل مسمى ، فلما تمت له مواهب الله وعاريته ، قبض الله العارية ، ثم اعطى الله امير المؤمنين من الشكر عند بقائها ٠ والصبر عند ذهابها ، انفس منها في المنقلب ، وارجح في الميزان ، واسنى في العوض ، فالحمد لله وانا اليه راجعون » ٠

وكتب موصياً بشخص وهي من مختصراته « حق موصل كتابي اليك كحقه عليّ ، اذ جعلك موضعاً لامله ، ورآني اهلاً لحاجته ، وقد أنجزت حاجته ، فصدق امله » ٠

وكتب عن هشام بن عبد الملك الى يوسف بن عمر وهو باليمن في السلامة « اما بعد فان امير المؤمنين كتب اليك وهو في نعمة الله عليه ، وبلائه عنده في ولده واهل لحمته والخاص من اموره والعام والجنود ، والقواصي والثغور ، والدهماء من المسلمين ٠ على مالم يزل ولي النعم يتولاه من امير المؤمنين ، حافظاً له فيه ، ومكرماً له بالحياطة لما الهمه الله فيه من امر رعيته ، وعلى اعظم واكمل ما كان يحوطه فيه ، ويذب له عنه ٠ والله محمود مشكور اليه فيه مرغوب ٠ أحب امير المؤمنين لعلمه بسرورك به ، ان يكتب اليك بذلك لتحمد الله عليه وتشكره به ٠ فان الشكر من الله باحسن المواضع وأعظم المنازل ، فازدد منه تزدد به ، وحافظ عليه تحفظ به ، وارغب فيه يهد اليك مزيد الخير ونفائس المواهب وبقاء النعم ٠ فاقرأ على من قبلك كتاب امير المؤمنين اليك ، ليسر به جندك ورعيتك ، ومن حمله الله النعم بامير المؤمنين ليحمدوا ربهم على مارزق الله عباده من سلامة امير المؤمنين في بدنه ، ورأفته بهم ، واعتنائه بامورهم ، فان زيادة الله تعالى لشكر الشاكرين والسلام » ٠

ومن رسالة كتب بها عن مروان لفرق العرب ، حين فاض العجم من خراسان بشعار السواد قائمين بالدولة العباسية ٠ « فلا تمكنوا ناصية الدولة العربية ، من يد الفئة العجمية ، واثبتوا ريثما نجلي هذه الغمرة ، ونصحو من هذه السكرة ، فسينضب السيل ،

وتمحى آية الليل ، والله مع الصابرين ، والعاقبة للمتقين » .

ومن رسائله المفردات رسالته في الشطرنج والتنفير من اللعب به : « اما بعد فان الله شرع دينه بانهاج سبله ، وايضاح معالمه باظهار فرائضه ، وبعث رسله الى خلقه ، دلالة لهم على ربوبيته . واحتجاجاً عليهم برسالاته ، ومقدماً اليهم بانذاره ووعيده ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينة ، ثم ختم بنبيه صلى الله عليه وحيه ، وقفى به رسله ، وابتعثه لاحياء دينه الدارس مرتضياً له ، على حين انطمست له الاعلام مختفية ، وتشتتت السبل متفرقة ، وعفت آثار الدين دارسة ، وسطع رهج[1] الفتن ، واعتلى قتام[2] الظلم ، واستنهد[3] الشرك ، واسدف[4] الكفر ، وظهر اولياء الشيطان لطموس الاعلام ، ونطق زعيم الباطل بسكتة الحق ، واستطرف الجور واستنكح[5] الصدوف عن الحق ، واقمطر[6] تلهب الفتنة ، واستضرم لقاحها ، وطبقت الارض ظلمة كفر ، وغياية فساد ، فصدع بالحق مأموراً ، وبلغ الرسالة معصوماً ، ونصح الاسلام واهله دالاً لهم على المراشد ، وقائداً لهم الى الهداية ، ومنيراً لهم اعلام الحق ضاحية[7] ، مرشداً لهم الى استفتاح باب الرحمة ، واعلان عروة النجاة ، موضحاً لهم سبل الغواية زاجراً لهم عن طريق الضلالة محذراً لهم الهلكة موعزاً اليهم في التقدمة ضارباً لهم على الحدود على ما يأتون من الامور ويخشون وما اليه يسارعون ويطلبون صابراً نفسه على الاذى والتكذيب داعياً لهم بالترغيب والترهيب حريصاً عليهم متحنناً على كافتهم عزيزاً عليه عنتهم[8] رؤوفاً رحيماً تقدمه شفقته عليهم وعنايته برشدهم الى تجريد الطلب الى ربه فيما فيه بقاء النعمة عليهم وسلامة اديانهم وتخفيف اواصر الاوزار عنهم حتى قبضه الله اليه صلى الله عليه ناصحاً منتصحاً اميناً مأموناً قد بلغ الرسالة وادى النصيحة وقام بالحق وعدل عمود الدين حتى اعتدل ميله وذل الشرك واهله وانجز الله له وعده واراه صدق اصابته في اكماله للمسلمين دينه واستقامة سنته فيهم وظهور

---

(١) الرهج الشغب او الغبار . (٢) القتام كسحاب الغبار . (٣) استنهد طلب ان ينهض . (٤) اسدف الليل اظلم . (٥) استنكح غلب . (٦) اقمطر اشتد . (٧) ضاحية علانية . (٨) يقال وقع فلان في العنت اي فيما شق عليه .

شرائعه عليهم قد ابان لهم موبقات الاعمال ومفظعات الذنوب ومهبطات الأوزار وظلم الشبهات وما يدعو اليه نقصان الاديان وتستهويهم به الغوايات واوضح لهم اعلام الحق ومنازل المراشد وطرق الهدى وابواب النجاة ومسالك العصمة غير مدخر لهم نصحاً ولا مبتغ في ارشادهم غنماً .

فكان مما قدم اليهم فيه نهيه ، وأعلمهم سوء عاقبته ، وحذرهم امره ، وأوعز اليهم ناهياً وواعظاً وزاجراً ، الاعتكاف على هذه التماثيل من الشطرنج والمواصلة عليها لما في ذلك من عظيم الاثم ، وموبق الوزر ، مع مشغلتها عن طلب المعاش ، وأضرارها بالعقول ومنعها من حضور الصلوات في مواقيتها مع جميع المسلمين .

« وقد بلغ امير المؤمنين ان أناساً ممن قبلك من اهل الاسلام ، قد الجأهم الشيطان بها ، وجمعهم عليها ، والف بينهم فيها ، فهم معتكفون عليها ، من لدن مصبحهم الى مسائهم ، ملهية لهم عن الصلوات ، شاغلة لهم عما أمروا به من القيام بسنن دينهم ، وافترض عليهم من شرائع أعمالهم ، مع مداعبتهم فيها ، وسوء لفظهم عليها ، وان ذلك من فعلهم ظاهر في الاندية والمجالس ، غير منكر ولا معيب ، ولا مستفظع عند اهل الفقه ، وذوي الورع والأديان والاسنان منهم ، فاكبر امير المؤمنين ذلك وأعظمه وكرهه واستكبره ، وعلم ان الشيطان عندما يئس من بلوغ ارادته في معاصي الله عزّ وجل بعقر المسلمين وجمعهم صُراحاً وجهاراً ، أقدم بهم على شبهة مهلكة ، وزين لهم ورطة موبقة ، وغرهم بمكيدة حبله ، ارادةً لاستهوائهم بالخدع ، واجتيالهم[1] بالشبه والمراشد الخفية المشكلة ، وكل مقيم على معصية الله صغرت او كبرت مستحلاً لها ، مشيداً بها ، مظهراً لارتكابه اياها ، غير حذر من عقاب الله عزّ وجل عليها ، ولا خائف مكروهاً فيها ، ولا رعيب من حلول سطوته عليها ، حتى تلحقه المنية فتختلجه[2] وهو مصر عليها غير تائب الى الله منها ، ولا مستغفر من ارتكابه اياها . فكم قد أقام على موبقات الآثام ، وكبائر الذنوب ، حتى مد به مخرم[3] اياه .

(١) اجتالتهم الشياطين صرفتهم عن هداهم الى ضلالتها وفي الحديث خلق الله عباده حنفاء فاجتالتهم الشياطين . (٢) تنزعه . (٣) المخرم كمجلس المنقطع .

« وقد أوجب امير المؤمنين ان يتقدم اليهم فيما بلغه عنهم ، وان ينذرهم ويوعز اليهم ويعلمهم ما في أعناقهم عليها وما لهم في قبول ذلك من الحظ وعليهم في تركه من الوزر فآذن[1] بذلك فيهم وانشده في اسواقهم وجميع انديتهم واوعز اليهم فيه وتقدم الى عامل شرطتك في انهاك العقوبة لمن رفع اليه من اهل الاعتكاف عليها والاظهار للعب بها واطالة حبسه في ضيق وضنك وطرح اسمه من ديوان امير المؤمنين وافطمهم عما نهجوا به من ذلك والتمس بشدتك عليهم فيه وانما كان بالعقوبة عليه ثواب الله وجزاءه واتباع امير المؤمنين ورأيه ولا يجدن احد عندك هوادة[2] في التقصير في حق الله عز وجل والتعدي لاحكامه فتحلّ بنفسك ما تسوءك عاقبته وتتعرّض به لغيرة الله عزّ وجل ونكاله واكتب الى امير المؤمنين ما يكون منك ان شاء الله والسلام » .

ولقد أدركتم رعاكم الله ان عبدالحميد في رسالته هذه أشبه الوعاظ والفقهاء بلهجته هنا فقد رأيناه يكسو كلامه حلة من حلل الزهد ، ويدخل مدخلاً دينياً اورد فيه البراهين على قضيته ، لينزع من النفوس حب التلهي بلعب يقطع صاحبه عن العمل ، وذكر لهم ان اللاعبين بالشطرنج يذكرون خلال لعبهم الفاظاً لا تليق بالالسن ان تلوكها ولا بالاسماع ان تنصت اليها ، وعرفنا من رسالته بعد هذا ان أناساً من المنظور اليهم من الفقهاء وغيرهم من الائمة كانوا مولعين بهذا اللعب منذ اوائل القرن الثاني . جاءهم من العجم كما جاءهم العود وغيره من أدوات الطرب والتلهي .

ومن رسالة له في وصف الصيد كتب بها الى مروان فيما يظهر[3] :

« ... خرجنا الى الصيد بأعدى الجوارح ، وأثقف الضواري ، اكرمها اجناساً ، واعظمها اجساماً ، واحسنها الواناً ، واحدّها اطرافاً ، واطولها اعضاءً ، قد ثقفت بحسن الادب ، وعودت شدة الطلب ، وسبرت اعلام المواقف ، وخبرت المجاثم ، مجبولة على ما عوّدت ، ومقصورة على ما أدبت . ومعنا من نفائس الخيل المخبورة الفراهة ، من

(١) آذن أعلم . (٢) هوادة لين ورفق . (٣) من كتاب اختيار المنظوم والمنثور استشهد بها الاستاذ محمد بهجة الاثري في كتابه المجمل في تاريخ الادب العربي .

الشِّهرية[١] الموصوفة بالنجابة ، والجري والصلابة . فلم نزل باخفض سير واثقف طلب ، وقد امطرتنا السماء مطراً متداركاً فرّبت الارض منه ، وزهر البقل ، وسكن القتام من مثار السنابك ، ومتشعبات الاعاصير ، مهلة انمرنا غلوات ، ثم برزت الشمس طالعة ، وانكشفت (من) السحاب مسفرة ، فتلألأت الأشجار ، وضحك النوار ، وانجلت الابصار ، فلم نر منظراً أحسن حسناً ، ولا مرموقاً اشبه شكلاً ، من ابتسام نور الشمس عن اخضرار زهرة الرياض . والخيل تمرح بنا نشاطا وتجذبنا اعنتها انبساطا ثم لم نلبث ان علتنا ضبابة تقصر طرف الناظر وتخفي سبيل السلام تغشانا تارة وتنكشف أخرى ونحن بارض دمثة التراب أشبة[٢] الأطراف مغدقة الفجاج مملوءة صيداً من الظباء والثعالب والأرانب فأدانا المسير الى غابة دونها مألف الصيد ومجتمع الوحش ونهاية الطلب قد جاوزناها ونحن على سبيل الطلب ممعنون وبكل حرة[٣] جونة متفرقون فرجع بنا العود على البدء وقد انجلت الضبابة وامتد النظر فاذا نحن برعلة من ظباء وخلفة آرام يرتعن آنسات فداخلتهن الضبابة عن شخصنا واذهلهن انيق الرياض عن استماع حسنا فلم نهج الا والضواري لاحقة لهن من بعد الغاية ومنتهى نظر الشاخص ثم مدت الجوارح اجنحتها واجتذبت الضواري مقاودها فامرت بارسالها على الثقة بحضرها وسرعة الجوارح في طلبها فمرت تخف خفيف الريح عند هبوبها تسف الارض سفاً[٤] كاشفة عن آثارها طالبة لخيارها حارشة[٥] باظفارها قد مزقتها تمزيق الريح الجراد فمن صائح بها وناعر وهاتف بها وناعق يدعو الكلب باسمه ويفديه بابيه وامه وراكض تحت مغره وخافق يطلبه الرمح وطامح عينه وسانح قد عارضه بارح قد حيرتنا الكثرة والجأتنا القدرة حتى امتلأت ايدينا من صنوف الصيد والله المنعم الوهاب .

ثم ملنا — يا أمير المؤمنين — بهداية دليل قد احكمته التجارب ، وخبر أعلام المذانب[٦] الى غدير افيح ، وروضة خضرة ، مستأجمة بتلاوين الشجر ملتفة بصنوف الخمر[٧]

---

(١) بكسر الشين ضرب من البراذين . (٢) أشبة ملتفة . (٣) ارض ذات حجارة سوداء . (٤) السفيف المرور على وجه الارض . (٥) صائدة . (٦) مسائل الماء .
(٧) الخمر الشجر المتكاثف والمستأجمة كثيرة الشجر الملتف .

مملوءة من انواع الطير لم يذعرهن صائد ولا اقتنصهن قانص تخفق لها بالطبول وصفر بتنفير الخنف فثار منها ماملأ الأفق كثرتها وراعت الجوارح خفقات اجنحتها ثم انبرت البزاة لها صائدة والصقور كاسرة والشواهين ضاربة يرفعن الطالب لها ويخفضن الظفر بها حتى سئمنا من الذبح وامتلأنا من النضح[1] كأنا كتيبة ظفرت ببغيتها وسرية نصرت على عدوها والحقت ضعيفها بقويها وغلبت محسنها بمسيئها لا نملك انفسنا مرحاً ولا نستفيق من الجذل بها فرحاً بقية يومنا والله المنعم الوهاب ·

ثم غدونا — يا أمير المؤمنين — الى ارض وُصف لنا صيدها بالكثرة ورياضها بالنزهة فزل واصفها عن الطريقة واعتمد بنا على غير الحقيقة فأتيناها فلم نر صيداً ولا عشبا ولا نزهة ولا حسنا فجعلنا نسلك منها حزوناً ووعورا وجدوباً وقفرا حتى قصر بنا اليأس عن الطلب وقطع بنا عن الطمع النصب · فبينا نحن كذلك اذ بدا لنا جأب[2] قد أوفى بنا على حائل دل على غابة من ورائها حمير وحش كثيرة فأمماها فلما اطرفنا مشياً وتقريباً الى عاناته[3] توالى نهيقه وكثر شهيقه فالتفتن اليه فرمقن بأعينهن منا ما استكثرن شخصه واستهولن امره حتى اذا كنا برأى ومسمع انجذبن موليات وهربن مسيئات فأجهدنا الركض في طلبهن نتبع آثارهن ونستشف بلاء بين احفار ودكادك[4] وأخاديد حتى اشفى بنا الطلب لها على واد هائل سائل بجنبتيه غابة أشبة قد سبقن اليها واستخفين فيها فنظمناها بالخيل نظم الخرز · ثم اوغلت عدة فرسان في نقضها ومعرفة احوالها والطبول خافقة والاصوات شاهقة فكان وكان والحمد لله على كل حال اه :

ومن رسالة له في الفتنة[5] : « ففي طاعة الامة في الاسلام ومناصحتهم على امورهم والتسليم لما أمروا به فهم كل نعمة فاضلة وكرامة باقية وعافية مجللة وسلامة ظاهرة

---

(١) النضح البلل · (٢) حمار وحشي · (٣) العانة الاتان والقطيع من حمر الوحش ·
(٤) جمع دكدك وهي الارض فيها غلظ · والاخاديد جمع أخدود وهو حفرة مستطيلة في الأرض · (٥) مقتبسة من الجزء الرابع من كتاب التذكرة الحمدونية المخطوطة المحفوظة في دار الكتب العامة في الاستانة ·

وباطنة وقوة باذن الله مانعة وفي الخلاف لهم والمعصية عليهم ذهاب كل نعمة وتفرق كل كرامة ومحق كل قنية وهلاك كل سلامة وألفة وموت كل عز وقوة والدعاء بكل بلية ومفارقة كل ضلالة واتباع كل جهالة وإحياء كل بدعة وإماتة كل سنة واجلاب كل ضرر على الامة وإدبار كل منفعة والعمل بكل جور وباطل وفناء كل حق ۰ وبمعصية خليفة الله لا يزال رجل من المسلمين يضرب بسيفه الذي بيديه سيف اخيه الذي كان يعتمد عليه ويوهن عضده ويهدم حصنه ويفل عدده ويهلك ثروته ويسطب من يدعوه ويفزع اليه ويكثر بمكانه ويحرسه من غفلته عن الاعداء اذا غفل ويكون عمثاله من خلفه فلا يزال بالمعصية منهم والاختلاف دم يهراق بغير حقه وطفل من ابناء المسلمين قد يتم من ابيه ومذلة قد دخلت عليه ونعمة قد زالت عنه ووحشة قد أحدثت ضغائن في القلوب قد نشبت وشحناء قد ظهرت وأوتار قد بقيت وعداوة في الانفس قد استقرت وخوف قد ظهر وسبل قد قطعت وامرأة قد أرملت وصبية قد يتمت ۰ وبلاد عامرة قد خربت وعدد قد نقص وبلايا قد عمت وشملت وعدو قد شمت ومنافق قد رفع الى ما كان يؤمل رأسه وعدو من المشركين قد طمع وقوي بعد ضعف وعز بعد مذلة ورعية قد صاحت وناعية قد ولولت وحميم قد قتل حميمه ومودة قد صارت عداوة واجتماع من الاهواء قد عاد الى فرقة وارحام قد تقطعت ۰

« فانظروا يا معاشر المسلمين ماذا تفعل الفتنة والمعصية وكيف يدب الشيطان لها ويسعى فيها ويحتال بخديعته ومكره ولطف مسالكه حتى يلهبها ويشملها ويرفعها من قلتها الى الكثرة ومن صغرها الى كبرها فانه انما يبدو الظفر على الولاة ثم يترامى الى الشكاة والسخطة والغضب وزين لهم القتال فبلغ الهلاك الاعظم والشد الاكبر بطرق امر صغير الخطر في الظاهر عظيم البلية في الباطن فلا يزال الرجل ينظر منهم الى قاتل ابيه واخيه وحميمه وذوي قرابته واهل مودته والنافع كان ثم تحمل العداوة في قلبه والضغينة العظيمة عليه ويستمد للنقمة منه وطلب الذحل عنده . فبثت تلك الضغائن في الابناء بعد الآباء فانظروا يا اهل الاسلام من اين دب الشيطان بلطيف مسالكه وعلى اي شيء ورد والى اي امر تسامى حتى عم بالمعصية اهل الاسلام عامة اه ۰

واستفدنا ايضاً من هذه الرسالة ان البلاد كانت تموج بالفتن اواخر عهد الخليفة

مروان بن محمد الأموي وان عبد الحميد يريد بتأثير قلمه ان ينزع اهل الاقطار من التردي في مهالكها . وكم كتب من مثلها منذ نادى اهل خراسان بشعار العباسيين ياترى ؟ . وما نظن الا ان مجموعة رسائله تبلغ اكثر من الف ورقة لا كما قال بعضهم . وقد عرفنا بهذا النموذج الضئيل الذي بقي من ذاك التراث العظيم ان صاحبنا كان بعيد النظر في السياسة شديد الغيرة على سلطان بني أمية عارفاً بما سيحل بالدولة وود لو يحيل لها بمخرج ينجيها ولو ببعض الشيء من المأزق الذي صارت اليه فأراد سيده ان يعمد الى الزواج السياسي ويتقرب من بني هاشم بالاصهار اليهم .

قال لمروان حين رأى علو امر بني العباس : أتتهمني يا امير المؤمنين فيك قال : لا . فقال له : أرأيت ابراهيم بن محمد بن علي ألبس ابن عمك قال : بلى . قال : فاني ارى اموره تنبغ(1) عليك فانكحه وانكح اليه ، فان ظهر كنت قد اعلقت بينك وبينه شيئاً ، وان كفيته لم تَمُنّ بصهره . فقال : ويحك والله لو علمته صاحب الامر لسبقته اليه ولكن ليس هو بصاحبه فقال له : وما يضرك من ذلك وهو من القوم الذين تعلم ان الامر منتقل اليهم لا محالة وان الصواب ان تعلق بينك وبينهم شيئاً . قال مروان : والله اني لاعلم ان الرأي فيما تقول ولكني اكره ان اطلب النصر باحراح النساء .

وكان عبد الحميد يقول : اكرموا الكتاب فان الله عز وجل اجرى ارزاق الخلق على ايديهم . وكان يقول : ان كان الوحي ينزل على احد بعد الانبياء فعلى بلغاء الكتاب . ومن غرر كلامه : القلم شجرة ثمرها الالفاظ . والفكر بحر لؤلؤه الحكمة . ومن كلامه « خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ومعناه بكراً . ويروى انه مر بابراهيم بن جبلة وهو يكتب خطاً رديئاً فقال : أتحب ان يجود خطك قال نعم . قال : أطل جلفة قلمك واسمنها وحرف قطتك وايمنها . قال : ففعلت ذلك فجاد خطي . وذكر صاحب الصناعتين ان عبد الحميد كان اذا استجبر الكاتب في كتابه فكتب خبرك وحالك وسلامتك . فصل بين هذه الاحرف ويقول قد استكمل كل حرف منها آلته . ووقع الفصل عليه .

وكان كثيراً ما ينشد :

---

(1) تثور وتفشو .

اذا خرج الكتاب كانت دُويّهم   قسيًا واقلام الدوي لها نبلا

ومما اختير له من الشعر وهو في طبقته مما لا يتناسب مع كتابته قوله :

ترحل ما ليس بالقافل   واعقب ما ليس بالزائل
فلهفي على خلف قادم   ولهفي على سلف راحل
سأبكي على ذا وابكي لذا   بكاء مولهة ثاكل
فتبكي من ابن لها قاطع   وتبكي على ابن لها واصل
فليست تفتر عن عبرة   لها في الضمير ومن هامل
تقضت غوايات سكر الصبا   ورد التقى عن الباطل

ومن شعره :

كفى حزناً اني ارى من احبه   قريباً ولا غير العيون تترجم
فاقسم لو ابصرتنا حين نلتقي   ونحن سكوت خلتنا نتكلم

« البحث صلة »

كتاب المداخلات

او المداخل

— ٢ —

٦ | (باب الأما) — قال: اخبرنا ثعلب عن عمرو بن ابي عمرو عن ابيه قال الأما[١] النعشة والنعشة النهضة والنهضة[٢] العتبة والعتبة[٣] حمارة الطنبور والحمارة واحدة الحمائر وهي حجارة تجعل حول الحوض وانشدنا[٤] ابو عمرو .

ومبلد[٥] بين موماة ومهلكة قطعته بعلاة الخلق عليان

كأنما الشحط في اعلى حمائره سبائب الريط من قزٍّ وكتان

أراد مبلداً وهو الحوض القديم وعلاة الخلق قوية الخلق والعلاة سندان الحداد ، عليان سريعة والشحط ذرق الطير شبّهه بشقاق[٦] بيض فقال هذا الماء على بعده وهجر الناس له[٧] قد جئته واستقيت منه . والحوض[٨] الحركة والحركة[٩] منع البحر الصيد

(١) في الاصل بالموضعين ممدوداً مصحفاً . ولما تقال للعاثر دعاء له بالانتعاش .

(٢) النهض والنهضة العتبة اي الغليظ من الارض تبهر فيه الدابة .

(٣) كما في مختصر الوجوه ص٧٦ وفي المعاجم العتبة العيدان المعروضة على وجه العود منها تمد الأوتار الى طرف العود . وانظر لمعاني الحمارة مختصر الوجوه ص ٣٣ والتاج .

(٤) هذا قول ابي عبدالله العباسي راوي المداخل عن ابي عمر . (٥) البيتان في التاج واللسان (بلد ، حمر) عن ابن الاعرابي بلفظ جاوزته بعلاة الخ قال اصله مُلْبِد فقلب وهو اللاصق بالارض . والمبلد بكسر اللام وتفتح الحوض القديم والعليان بالكسر وتفتح الناقة المشرفة والمعنى سريعة (وهذا مما زيد على المعاجم) . (٦) جمع شِقّة القطعة من الثوب .

(٧) في الاصل (اليه) مصحفاً . (٨) هذه (زيادة) ففي اللسان والتاج عن الأصمعي اني لأدور حول ذلك الامر واحوّض (مشدداً) حوله بمعنى . (٩) (هذا مما زيد على المعاجم) كما مر في الباب الاول والحركة بمعنى منع البحر الصيد في مختصر الوجوه ص٣٤ وفي التاج يقال حرك البحر يحرك اذا قلّ صيده وذلك في زمن الصيف وهي ايام الحُراك .

والصيد[١] الماء يصاب بلا طلب والطلب البعد والبعد الملاك والملاك الفناء والفناء[٢] الثناء في بعض اللغات والثناء (المدح و) الذم والمدح خلاف الذم والذم جمع ذَمّة وهي البئر القليلة الماء وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي[٣] .

ارجي نائلاً من سَيب رب   له نعمي وذَمّته سِجالُ

و يروى وذِمته بالكسر . قال ومن روى بالفتح اراد ماء البئر يعني قليلَه وكثيرَه وسِجال مع فتح الذال الدلاء واحدها سَجل وهي الدلو الكبيرة ومن روى بالكسر اي كسر الذال أراد عقده محكم وسجال من سَجّل اذا فسق[٤] .

١٧ (باب البرطيل) — قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي وعن عمرو عن ابيه قال : البِرْطيل الحجر والحجر الذهب والذهب[٥] مكيال لاهل اليمن والمكيال المجازاة يقال كِلْتُ له اكيل كيلاً اذا جازيته والكيل السعر يقال كيف الكيل عندكم اي كيف السعر وانشدنا ثعلب عن عمرو عن ابيه[٦] :

فان يك في كيل اليمامة عسرة   فما كيل ميافارقين بأعسرا

---

(١) الموجود في اللسان ومستدرك التاج عن ثعلب صدنا ماء السماء أخذناه فهذه مما زيد على المعاجم و يأتي في الباب (الـ ١٨) .

(٢) اي بالفتح فيها وليست في اللسان والتاج بل الموجود فيهما هذه اللغة في فِناء الدار وثِنائها فهذه مما زيد على المعاجم . (٣) كما في اللسان (ذم) سجل ابن سيده قد يجوز ان يعني به الغزيرة والقليلة الماء اي قليله كثير ورواه الاصمعي بالكسر اي عهده محكم من قولك سجّل القاضي لفلان بماله اي استوثق به . (٤) لم أقف على هذا المعنى وكلامه يقتضي « اذا أحكم » . (٥) كما في اللسان والقاموس وفي مستدرك التاج ورأيت في هامش نسخة لسان العرب ماصورته في نسخة التهذيب بسكون الهاء . اقول لا يوجد على هامش المطبوعة . وابو عمر الزاهد ثقة . (٦) البيت في البلدان ومعجم ما استعجم رسم «ميافارقين» ولفظ الاخير أنشد ثعلب عن عمرو عن ابيه فان الخ . قال والكيل هنا السعر يقال كيف الكيل عندهم اي كيف السعر والكيل المجازاة كلت له اي جازيته اه فكأنه من المداخل وعمرو هو ابن ابي عمرو الشيباني المتوفى سنة ٢٣١ هـ .

١٨ (باب الجُحال) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال سألت اعرابياً وما رأيت أفصح منه مذ ثلاثون سنة فقلت له ماالجُحال[١] قال القشب قلت فما القشب قال الذُعاف قلت فما الذعاف قال الذئفان[٢] قلت فما الذئفان قال الذيفان[٣] قلت فما الذيفان[٣] قال الأرقد[٤] قلت فما الرقد[٤] قال الجوزل قلت فما الجوزل[٥] قال الحرسم[٦] قلت فما الحومم[٦] قال السّمّ قلت فما السم قال ثقب الابرة قلت فما الابرة قال رأس الرّوق قلت فما الروق قال المدري قلت فما المدرى قال قرن الجارية قلت فما الجارية قال الخولة[٧] قلت فما الخولة قال الظبية[٨] قلت فما الظبية قال الجراب الصغير قلت فما الجراب قال بَدَن (٩) البئر قلت فماالبدن قال الدرع الحديد[١٠] قلت فما البدن ايضاً قال الرجل[١١] المتماسك في جسمه · قال ابو عبد الله[١٢] العباسي وسمعت بعض اصحاب ابي عمر رحمه الله يقرأ عليه في غير نسختنا قلت فماالبدن قال الشيخ[١٣] المسن قلت وما البدن[١٤] ايضاً قال الثيتل قلت وما الثيتل قال الحطان[١٥] قلت وما

(١) بتقديم الجيم (وكان في الاصل بتقديم الحاء عليها) السم كالقشب محركاً ·

(٢) في الاصل الذيقان مصحفاً والذئفان بالكسر والهمز السم · (٣) في الاصل الذيمان مصحفاً والذيفان بالفتح ويكسر ويحرك السم · (٤) الأرقد والرقد لم اجدهما ولا مصحفاتها بمعنى السم · (٥) السم : ابو عبيدة لم نسمعه الا في شعر ابن مقبل · (٦) كان في الاصل الحرشم مصحفاً · وحرمم كزبرج وضفدع السم القاتل ولكن الحاء غير ثابت والثابت جُرْنُم كقنفذ مقيداً بخط اللحياني قال الأزهري وهو الصواب وكذا رواه كراع ايضاً وضبطه بعضهم بالحاء ورده الازهري · (٧) لم اجد من معاني الجارية شيئاً يوافق المقام اللهم الا ان يكون الخولة وردت بمعنى الخوَل « محركاً نعمة الله » وهي معني الجارية في مختصر الوجوه ص٢٣ وغيره · (٨) كا في المعاجم · (٩) يريد جوفها من الاعلى الى الأسفل ·

(١٠) كذا باللسان ولا بأس به · (١١) لم أجد المعنى في المعاجم الحاضرة فهذه مما زيد على المعاجم · (١٢) هو الحسين بن احمد بن بريهة راوي المداخل تقدم في المقدمة ·

(١٣) يوجد المعنى · (١٤) البدن والثيتل الوعل المسن « اللسان والتاج » ·

(١٥) التيس من ح ط ط ·

الحطّان قال البغبيغ [١] قلت وما البغبيغ قال العلهب [٢] قلت وما العلهب قال تيس الجبل . وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

قد(٣) قلتُ لما بدت العُقاب   وضمّها والبدنَ الحِقابُ
جِدّي لكل عمل ثواب   الرأسَ والاكْرُعُ والإهابُ

١٩ (باب العريج) — قال اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال العريج كلب الصيد والصيد [٥] اخذ الشيء بلا تعب يقال صدت ظبياً وصدت بيضةً وصدت كمأةً اذا اخذته بلا تعب والاخذ [٦] نجوم منازل القمر كل ليلة والقمر بؤبؤ [٧] العين والعين [٨] خاصة الملك ووليه . قال ابن الاعرابي ومنه خبر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه كان يطوف بالبيت فقال له رجل ياامير المؤمنين ان علياً لطمني فقال له عمر يا اباالحسن أَلطمتَ عين هذا الرجل . قال نعم . قال فلِمَ يا اباالحسن ؟ فقال : لاني رأيته ينظر الى حرم المسلمين في الطواف فقال له احسنت . ثم اقبل على الملطوم فقال وقعت عليك عين من عيون الله تعالى . قال ثعلب فسألت ابن الاعرابي عنها فقال خاصة من خواص الله وولي من اوليائه وحبيب من احبائه . والعين الركية والركية [٩] اصل الصلّيانة اذا قطعت والقطع [١٠] الخنق وهو مصدر خنقته خنقاً قال القاضي والاصل في الصلّيانة شجرة تأكلها الخيل عند عدم العلف ويقال لاصول الصلّيان الدِندِن وانشد الخليل بن احمد «لحسان» (١١) :

---

(١) تيس الظباء السمين . (٢) التيس الطويل القرنين . (٣) اللسان يصف وعلاً وكلبة اسمها عُقابُ والحِقاب جبل بعينه . يقول اصطادي هذا التيسَ وأجعل ثوابكِ الرأس والاكرُع والإهاب . (٤) غيره الكلاب الضخم . (٥) تقدم في الباب (الـ ١٦) انه الماء يصاب بلا طلب . (٦) نجوم الاخذ منازل القمر لان القمر يأخذ كل ليلة في منزل منها وهي نجوم الانواء «التاج» . (٧) بياض المقلة كما في مختصر الوجوه ص ٩٠ . (٨) هذا بعينه لفظ مختصر الوجوه (ص ٧٨) والعجب ان المعنى فات «التاج» فهذه مما زيد على المعاجم .
(٩) لم اجد المعنى في المعاجم لا معتلاً ولا مهموزاً (فهذا مما زيد على المعاجم) .
(١٠) قطع الرجل الحبل او بحبل اختنق فالقطع الاختناق وإطلاق الخنق تجوّز بل زيادة . (١١) من معروف شعره راجع ديوانه ليدن (ص ٦٩) .

المال يغشى رجالاً لا طباخ بهم كالسيل يغشى اصول الدندن البالي

قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي يقال خنقته(١) وقطعته وذعته وذعطته وذرعته قرئت هذه اللفظة على ابي عمرو وأنا اسمع وحلقته وزردمته وفطأته وسأبته وسأته . قال وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

ولا تزال بكرة قطاره يسأتها بجبلها عماره

قال ابو عمرو البكرة التي يستقى (٢) عليها مسكّنة الكاف لا غير فاذا حركت فهي جمع باكر مثل جاهل وجهلة .

• ٣ (باب السندل) — قال واخبرنا ثعلب عن عمرو عن ابيه قال السندل(٣) جورب الخف والخف الجمل(٤) المسن والجمل دابة في البحر يقال لها الكُبع(٥) طويلة الوجه هائلة من دواب البحر ومنه قول الجارية للجارية تُسابّها يا وجه الكُبع والبحر الماء الملح والملح(٦) الارضاع يقال ملحنا في بني فلان ولحنا اي ارضعناهم ورضعناهم والارضاع(٧) الوصال يقال ارضعت الشيء بالشيء اذا واصلته وانشدنا ثعلب عن عمرو عن ابيه :

وترضع(٨) حاجة بلبان اخرى كذاك الحاج ترضع باللبان

---

(١) كلمات الخنق توجد كلها في المخصص (٦ : ١١٥ و١١٦) . زعته عن العين زعتاً وكان في الاصل دعته مصحفاً . وقطعته كأنه يراه متعدياً فهذه مما زيد على المعاجم وذرعته (في الاصل درعته وهو ايضاً بمعنى خنقته) وابو زيد زرعته له وضعت عنقه بين ذراعي وعضدي فخنقته . وحلقته اصبت حلقه وزردمته وزردبته فارسية اصله أزار دمه بمعنى وجع النفس (وغلط ابن سيده في تفسيره) . وفطأته ضربته على ظهره مثل حطأته وقيل هو الضرب في اي عضو كان ومعنى الخنق (هذا مما زيد على المعاجم) وسأبته وسأته خنقته حتى مات . (٢) بالاصل يسقى . (٣) اهمله الجوهري والمجد والصاغاني وهو في اللسان ومستدرك التاج (٤) كما في المعاجم . (٥) في اللسان والتاج الكُبع جمل البحر وجمل الماء قيل انه البجع والحوصل . (٦) انظر الكامل لبسيك ص٢٨٤ . (٧) لم اجد الارضاع للمواصلة في المعاجم (فهو مما زيد على المعاجم) . (٨) البيت في اللسان «لبن» وأرضع الخ عن ابن سيده .

٣١ (باب الدفو) — اخبرنا ثعلب عن ابن نجدة عن ابي زيد قال الدفو (١) غير مهموز القتل والقتل مزج الشراب والمزج (٢) المسل والمسل اضطراب القصبة اذا حركت والقصبة النالة (٣) والنسالة وسط الجدل والجدل القصر والقصر المنع يقال قصر جاريته اذا منعها من التبرج فهو قاصر وهي مقصورة وقصيرة وقصورة (٤) وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

وانتِ (٥) التي حببتِ كل قصيرة ... اليّ وما تدري بذاك القصائرُ
عنيتُ قصيرات الحجال ولم أرد ... قصار الخطا شرُّ النساء البهاتر

البهاتر القصائر ومثله البحاتر ·

٣٢ (باب القطاج) — قال اخبرنا ثعلب عن عمرو بن ابي عمرو الشيباني عن ابيه قال القطاج (٦) قلس السفينة والقلس (٧) ما يخرج من فم الصائم من الطعام والشراب والشراب الخمر والخمر الخير والعرب (٨) تقول ماعند فلان خل ولا خمر اي شر ولا خير والخير الخيل ومنه قول الله عز وجل (اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب والخيل (٩) الظن والظن (١٠) القسم قال واخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء قال من العرب من يقول اظن ان زيداً لخارج يعني والله ان زيداً لخارج وانشدنا (١١) عن سلمة عن الفراء :

اظن لا تنقضي عنا زيارتكم ... حتى يكون بوادينا البساتينُ

٣٣ (باب القطامي ١٢) — اخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء قال القطامي النبيذ والنبيذ (١٣) الملقوط في الصبيان والملقوط الثوب المرفوُّ والمرفو المسكَّن وانشدنا ثعلب

(١) الاجهاز على الجريح · (٢) المعروف بالكسر ويفتح · (٣) النسالة وسط القربة وجوفها كالقصبة · (٤) كما في المعاجم · (٥) من معروف شعر كثيّر عزة · والبحترة والبهترة القصيرة · و يروى البحاتر · (٦) بالفتح و يكسر · (٧) اي خروج مايخرج الخ فانه في الاصل مصدر · (٨) مثل انظره في المستقصى (خط) وجمهرة ابي هلال بطبعتيه ١٩٣ و٢ : ٢١٩ · (٩) مصدر خاله كذا · (١٠) المعروف انه يأتي بمعنى العلم واليقين · في اللسان والتاج · ومعنى القسم (وهذا مما يزيد على المعاجم) · (١١) ثعلب · (١٢) بالفتح و يضم النبيذ للشديد · (١٣) والمنبوذ ولد الزنا الملقى على الطريق كما في التاج ·

عن سَلَمة عن الفراء عفي عنه .

رَفَوْني وقالوا يا خويلد(١) لا تُرَعْ . فقلتُ وانكرتُ الوجوه هُمُ هُمُ

والمسكَّن المقوَّم من الرماح بالسكَن (٢) والسكن النار والنـار السِمَة قال وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

حتى (٣) سقوا آبالهم بالنار والنار قد تشفي من الأُوار

الآبال جمع إبل والأُوار العطش وأُوار الحر شدته واول(٤) مايستقبلك منه يقول هذه إبل(٥) اسم سمتها النار فتقدم شرفه اهلها عند الورد فقد شفي أُوارها .

٣٩ (باب القتَع) — قال واخبرنا ثعلب عن عمرو عن ابيه قال القتع (٦) الدود والدود(٧) الحصف والحصف(٨) إحكام فتل الحبل والحبل العهد والعهد العقد والعقد(٩) الجمل القصير القوائم الطويل السنام فاذا (١٠) مشى مع الجمال قصَّر عن طولها واذا برَك معها طالها لطول سنامه وانشدنا ثعلب عن عمرو عن ابيه :

---

(١) اسم ابي خراش الهذلي صاحب البيت قال التبريزي رفوني خدعوني وقالوا لا بأس عليك و يقال سكَّنوني ذكر قوماً قعدوا له على طريقه وقد عاد من الحج ليقتلوه . تهذيب الالفاظ ص١١٩ و٥٨١ والخزانة ١ : ٢١١—٢١٣ .

(٢) محركاً النار وكل مايسكن اليه وفيه وبه .

(٣) كذا في اللسان وفي الكتاب الكامل « لبسيك ص٢٧٩» قد سقيتْ آبالهم .

(٤) في الاصل اقل مصحفاً . (٥) العبارة بحيث ترى قلقة البنية والمغزى واضح اي ان هذه إبل عليها سمة النار لاربابها فعرفوابها فتقدَّم شرفهم عنداهل الماء سقي إبلهم الماء عند الورد . (٦) محركة دود حمر تأكل الخشب والواحدة قتعة وقيل هي الأرضة .

(٧) في التاج بثر صغار تقيح ولا تعظم وربما خرجت في مراق البطن أيام الحر هذا معنى الحصَف وليس من معاني الدود في شيء (وهذا مما زيد على المعاجم) .

(٨) المعروف بهذا المعنى الإحصاف (وهذا مما زيد على المعاجم) .

(٩) في اللسان والتاج العقد الجمل الموثق الظهر (وهذا مما زيد على المعاجم) .

(١٠) مثل هذا في اللسان (لكلك) عن ابي علي .

ارسلتُ(١) فيها زَجِلاً أُكالِكا يقصرُ يمشي ويطولُ باركا

قال ثعلب الزَّجَل الصوت والزَّجِل من الجمال الذي يصيح والأُكالك العظيم الخَلْق ٠

٣٥ (باب القيم) — قال واخبرنا ثعلب عن عمرو عن ابيه قال القيم السنّور والسنّور السيد قال ابو عمرو الشيباني وأُتي اعرابي بعض القبائل فقال مَن سنّوركم يابني فلان قال فزمّ القوم ٠ فقال رجل منهم أقولها يابني فلان ؟ قالوا قلها انت لها قال انا سنّورهم اي سيدهم قال ابو عمر قلت لثعلب كيف سموا السيد سنّوراً قال لان عظم حلق الفرس يقال له السنور (٢) وهو أعز موضع في الفرس لانه مستقر رأسه والسيد الرئيس والرئيس الشاة التي عقر(٣) رأسها والشاة الثور والثور (٤) ظهور الحصبة والحصبة حصاة الجمرة والجمرة الفحمة والفحمة القسورة والقسورة ظلمة اول الليل والاول يوم الاحد قال ابو عمر وأنشدنا ابوموسى الحامض عن ثعلب :

أؤمل ان اعيش وان يومي باولَ او باهونَ او جبارِ
او التالي دُبار فان أُفُته فمؤنس او عروبة او شيار

قال ابو عمر قال لي ابو موسى(٥) قلت لثعلب هذا الشعر موضوع قال لم قلت لان جبار ومونس وشيار تنصرف فقال الشعر يحتمل ما لا يحتمله الكلام ٠ قال والاول يوم الاحد والاهون يوم الاثنين والجُبار يوم الثلاثاء والدُبار يوم الاربعاء والمؤنس يوم الخميس وعَروبةُ يوم الجمعة وشِيارُ يوم السبت فأول الايام الأحد واول الاسبوع السبت ٠ قال هذا كان عند العرب ٠ قال ابو عمر أخبرني الكديمي عن رجاله عن ابن عباس قال ان الله تعالى خلق الجنة يوم الخميس وسماه مونساً ٠

---

(١) في اللسان قَطِياً وهو الجمل المائج والثاني والرابع ، من الذريحيات جعداً آركا ، كأنه مجلل دَرانكا ، والكالك الجمل المكتنز اللحم ٠

(٢) كذا في التاج عن ابن الاعرابي ٠ غيره السنورة فقارة العنق من اعلى ٠

(٣) اصيب ٠ (٤) في اللسان والتاج الثور ثوران الحصبة وثارت بفلان ثوراً وثؤراً وثواراً وثوراناً انتشرت وحكى الحياني ثار الرجل ثوراً ظهرت فيه الحصبة وهو مجاز ٠

(٥) رواية ابي موسى عن ثعلب توجد في اللسان (عرب) ٠

٣٦ (باب البرطنج) — قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال البرطنج (١) الحزام العريض والعريض الجَدْي والجدي النجيم والنجم الذي تعرف به الكعبة والكعبة البيت المربّع والبيت المرأة قال وأنشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال :

لم يختر البيت على التغرّب ولااعتناق رحله عن مركب

فهو مُمَرٌّ كقاط (٢) القِنَّب

٣٧ (باب القَسْوَرَة) — قال ابو عمرو : واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال (٣) القسورة ظلمة الليل والليل فرخ الكَرَوان والكروان ضرب من الطير والضرب(٤) الرجل بين الرجلين لا طويل ولا قصير والقصير الممنوع يقال قصره قصراً اي منعه منعاً والمنع السرطان وقد مضى ذكره (٥) والسرطان داء يعرض في الساق و يجوز (٦) بالفتح والساق النفس والنفس (٧) الدم والدم الطلاء بالقطران والطلاء (٨) الخيط وأنشد ثعلب عن ابن الاعرابي فقال :

ما زال مذ فرّق عنه (٩) خُلُبُه

٣٨ (باب المُلْج (١٠) اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الملج احلام (١١)

---

(١) فاتت اللسان والتاج والمعرّب للجواليقي ولأدّي شير · وذكرها ابن دريد في كتاب السرج واللجام له وهذا لفظه : البَرْطنج حزام يُشدّ فوق السرج اه وهي فارسية اصلها (برتنگ) بمعنى الحزام الاعلى (وهذا مما يد على المعاجم) · (٢) الحبل الصغير يكاد يقوم من شدة فتله · (٣) مضى اكثر الباب · (٤) طرفة : «أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه» ·

(٥) في الباب الاول · (٦) ظاهره إن لم يكن مصحفاً أنه يجوز بالفتح وان كان الاصل تحريكه ولم أجده في المعاجم (وهذا مما زيد عليها) · (٧) مشددة لغة في الدم المخفف وهذا ليصح قوله والدم الطلاء فانه مشدد · (٨) في التاج الطلاء الحبل الذي يشد به رجل الطلى وفي اللسان الطلي والطِلْو والطلوة والطَلْي والطُلْية والطاية ·

(٩) بالضم الحبل الصغير قال : كالمسد اللدْن أمرّ خُلُبه «اللسان» ·

(١٠) الباب نقله الحاج خليفة في رسم المداخل ·

(١١) اي أضغاث الأحلام ·

نائم واحلام نائم ثياب غلاظ كانت تعمل بالمدينة واحدها ثوب والثوب (١) القلب والقلب العقل والعقل الرقم والرقم الروضة والروضة(٢) الماء يبقى في الحوض وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي : وروضةٍ سقيتُ منها نضوتي

٣٩ (باب فسوة الضبُع) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال فسوة (٣) الضبُع شجرة تحمل كالخشخاش حملاً لا يتحصل منه شيء قال ابو عمر الزاهد و يجوز (٤) الخشخاش بكسر الخاء والخشخاش (٥) الكتيبة والكتيبة الطبيَّة (٦) اذا جمعت طبيةُ ها والطبية الجراب والجراب(٧) الفج والفج النهَر(٨) والنهَر الدم المدال والمدال(٩) التراب وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

(١) في قول امرىء القيس : (فسُلّي ثيابي من ثيابك تنسلِ) قال النحاس في شرحه ص١٩ يعني قلبه من قلبها قال الله عزوجل (وثيابك فطهّر) ومثله قول عنترة : (فشككت بالرمح الطويل ثيابه) •

(٢) قدرما يغطي ارض الحوض من الماء والشطر في اللسان ايضاً ومثله لحميان السعدي :

(وروضة في الحوض قد سقيتها نِضوي وارض قد ابت طويتها)

(٣) هذا قول ابن خالويه كما في اللسان • وغيره : ضرب من الكمأة • ابو حنيفة : هي القعبل •

(٤) هذه مما زيد على المعاجم •

(٥) اللسان عن الصحاح الجماعة عليهم سلاح ودروع •

(٦) ان لم تكن تصحيف الظبية فانها كغنية الناقة المسترخية الاطباء والظبية (الثانية) حياؤها (مختصر الوجوه ص٧٠) وانما رجحنا الطبية لانا رأينا باب المعاجم لنظمهم في هذا المقام المكتوبة الناقة او البغلة التي شد حياؤها بالكُتبة لئلا ينزى عليها والمذكور في اللسان الكتيب للقربة المشدودة الفم فالكتيبة بالمعنى (وهذا مما زيد على المعاجم) •

(٧) لم أجده بالمعنى (وهذا مما زيد على المعاجم) وقد مرّ في الباب (الـ١٨) ان الجراب بدن البئر اي جوفها •

(٨) غيره الماء الجاري في الانهار •

(٩) لا يوجد المعنى فهذه مما زيد على المعاجم •

أحثو (١) التراب على محاسنه وعلى غراوة وجهه النضر

قال الغراوة الحسن وانما سمي الغَرِيّ غَريّاً لحسن من فيه . قال أحثُوْ إخبار ليس أمراً ولو كان أمراً كان مجزوماً مضموم الالف .

٣٠ (باب الفواس(٢) — واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الفواس (٢) تشنيج سعف النخل والسعف(٣) جهاز العروس والعروس المعروف(٤) او المرأة وضده المنكر والضد الخلاف والخلاف الكُمّ يقال جعلته في خلافي اي في وسط كُمِّيْ وانشد ثعلب عن ابن الاعرابي :

الا (٥) يزعزاع يسلي همي يسقط منه فتخي في كمي

تم الكتاب بفضل الملك الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) في الاصل على محاسن وجهه مصحفاً ومختلّ الوزن والبيت من كلمة من خير شعر العرب أنشدها المفضل لامرأة ترثي ابناً لها ومطلعها :

يا عمرو مالي عنك من صبر يا عمرو يا أسفي على عمرو
لله يا عمرو وأي فتى كُفنتُ يوم وضعتُ في القبر
أحثو التراب على مفارقه وعلى غضارة وجهه النضر

وهي (٣٣) بيتاً انظرها في زهر الآداب للحصري (الرحمانية ٢ : ١٠٦—١٠٨) .

(٢) لم أجد المعنى لهذه الكلمة ولا لشيء من مصحفاتها معنى ولم يذكر معظم اللغويين مادة (ف و س) اصلاً . (٣) كذا في مختصر الوجوه . (٤) يريد الزوج اي الرجل . (٥) الشطران مصحفان في الاصل وهما من رجز روى ابن طاهر في باب بلاغات النساء من كتاب المنثور والمنظوم (ص ١١٣) عن الكلبي . امرأة يقال لها ام الورد تزوجت برجل فيجزعنها فتقدمت الى والي اليمامة فقالت له : والله مايسكني بضم ولا بتقبيل ولا بشم الا زعزاع يطيح منه فتخي في كمي قال ففرّق بينهما الى آخر الخبر ولكن في أضداد الجاحظ في باب مساوي العنّين ان هذا الخبر والاشطار في العجاج بزيادة (يطير منه حزني وغمّي) . وفي محاضرات الراغب (٢:١١٩ سنة ١٣٢٦ ه) من غير عزو بزيادة ليس بهذا امرني أمي في الاول وفي الآخر لمثل هذا ولدتني أمي .

قال مصحح الكتاب: وهذه زيادات على كبار المعاجم: كاللسان والتاج وغيرهما مرتبة · وذلك ان هذه المعاجم لم تأخذ حوشيّ اللغات وشواذّها المروية عن ابي عمر بطريق ابن خالويه وابي الطيب اللغوي واسحق بن محمد الآمي صاحب (الوجوه) الا قليلاً ولهذا ترى بعضها مدوّنة في مختصر الوجوه مع ان صاحبه ألغي عويصها بالمرة ولكن لما كان صاحب الوجوه اكثر من النقل عن يواقيت ابي عمر بقي في مختصره ايضاً بعض اشياء ·

وهذه الزيادات في صور الكلمات وصيغها تارةً وأخرى في خصوصيات معانيها ، ولا ادعي البراءة فربما يكون نظري شذ عن بعض ما في هاتيك المعاجم فحسبته فائتاً وهو موجود ، والعصمة لله وحده ·

الباب

١٩ فطأته بمعنى خنقته
٩٠ السِرْب اسنان الجارية
٢٩ الكتيبة الناقة جمع حياؤها وشد بالكُتبة
٢٩ الجراب الفتح (؟)
١١ الإفت اليفنة (؟)
٢٦ البرطنج الحزام العريض
٧ الحاجة الشوكة
المقدمة الخُواج بمعني الجوع
٢ الديباج الناقة اللينة المس
١٠ السرج الحسن
٣ السلاح شحم الإبل
٣ الخوخة الثوب الأحمر
٢٤ الدود الحصف (؟) ·
١٨ الأرقد او الرقد السمّ
٨ الرماد الهلاك
١٦و١٨ الصيد الماء وكل ما يصاب بلا تعب

الباب

٢٤ العقد الجمل القصير القوائم الطويل السنام فاذا مشى مع الجمال قصر من طولها واذا برك معها طالها الطول سنامه
٨ الحُرّ حي من العرب
٨ الحُرّ الرماد
١ المطر كثرة السواك
١ النفس الماء
٣٠ الفواس (ان لم يكن مصحفاً) تشنج سعف النخل
٢٩ الخشخاش (بالكسر)
٢ الابيض عرق في القفا
١٦ الحوض الحركة
٢٧ السرطان (بالفتح) هذا الداء المعروف
٤ الجم النخل الذي يحمل رطباً كبير النوى
٢٠ الارضاع المواصلة
١٩ قطعته بمعنى خنقته

الباب		الباب	
٢٤	الحصف إحكام فتل الحبل	١٨	البدن الرجل المتماسك في جسمه
٢	سرقة الحرير بفتح الراء وكسرها واحدة السرق	٨	الجنّة طبق الخيزران
٨	الشولقيّ الطفيلي	٢٢	الظن القسم
١و١٦	الحركة منعُ البحر الصيدَ	١٩	العين خاصة الملك ووليه
٣	الفرسكة بالتاء الخوخة	٩	الحياء فرج المرأة
٢٩	المُسال التراب	١٩	الزكية اصل الصدّيانة
١٥	العرام النخلة	١٦	العليان الناقة السريعة
٣	الشحم البياض	١٦	الفناء هو الثناء لغة

تم ولله الحمد على ذلك سلخ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٦ (مايو سنة ١٩٢٨) بعليكرة (الهند) على يد العاجز

عبد العزيز الميمني
الراجكوتي

الاندلس

- ٣ -

« عبرة وذكرى »

قسمنا الحكم الأموي الى ثلاثة أدوار : (١) الولاية (٢) الامارة (٣) الخلافة . وتكلمنا عن الدورين الاولين ، ونحن الآن متكلمون عن الدور الثالث وهو الخلافة . نبدأ بالاحداث السياسية ، ثم نثني بالاعمال العمرانية ، على ما اخذنا به نفسنا من قبل .

الحالة السياسية قبل عبدالرحمن الناصر : قلنا : ان الأمويين كان قد التاث امرهم بعد عبد الرحمن الاوسط ، فدب الضعف والدسائس الى جهاز الدولة ، واخذت الفتن والفوضى بخناقها ، وجعل اعداء الدولة الاموية يرقبون زوالها في الغرب ، بين حين وحين ، كما زالت من قبل في الشرق .

وبينا العرب وامرهم عليهم غمة : يزدادون فرقة فيزدادون ضعفاً ، والاسبان : يزدادون وحدة فيزدادون قوة ، اذ بعبد الرحمن بن محمد المقتول ابن عبدالله ، يبايع له بالامارة بعد جده عبد الله .

ومحمد هذا ، كان قتله اخوه المطرف بن عبدالله بعد ان أبصر عبدالرحمن النور بيوم واحد . فنشأ عبدالرحمن في حجر جده عبد الله . وبويع له بالامارة وهو شاب في الثالثة والعشرين من عمره . وبالحضرة اعمامه واعمام ابيه ، فلم يختلفوا فيه .

وما ادري كيف اتفقوا على مثله فتى ، في زمان كان فيه الاب يقتل ابنه في اقل من الامارة . ولعل قومه رأوا ما كانت عليه دولتهم من القلق والاضطراب ، وشعروا بما كان يهددها من زوال ، وآنسوا بعبد الرحمن مضاء العزيمة والحزم ، فجمعهم اليه ولو الى حين ، خوفهم من سوء العقبى .

واذا كان الامر قد آتاه من هذه الوجهة ، فقد قامت في وجهه من وجهات أخرى مصاعب جمة ، لا تقل شيئاً عما كان لقيه جده عبد الرحمن الداخل . خوارج متوثبة عليه في الداخل ، والاعداء متربصة به الدوائر في الخارج ، الاسبان من الشمال ،

والفاطميون من الجنوب . فكان عليه ان يضرب بسيف جده الداخل ، فيقاتل اهل البلاد من قومه ، ومن الاسبان ، وان يقاتل الفاطميين بدلاً من العباسيين الذين قاتلهم جده .

سياسته : رأى عبد الرحمن ان سياسة الضعف والتردد التي سار عليها الامراء المتأخرون من بني أمية ، قد أدت الى تفكك عرى الوحدة القومية ، فكان من وراء ذلك جماح العرب ، وطماح الاسبان ، فأخذ من امره بالحزم والشدة . غير انه حزم كانت تتقطع له نياط القلوب ، وشدة كانت تقشعر لهولها الابدان ، في كثير من الاحيان .

اظهاره الخلافة : ومن حزمه انه كان يهتبل الفرص فلا يتركها تمر مر السحاب . بلغه سنة ٣١٧ ان المقتدر بالله العباسي قد قتله مولاه مونس المظفر ، فبادر عبد الرحمن فأعلن الخلافة واتخذ لنفسه القابها : تسمى بامير المؤمنين ، وتلقب بالناصر لدين الله ، وضربت السكة باسمه ، وخطب له على منابر البلاد ، وبعث الى الجهات بمنشور جاء فيه :

« اما بعد ، فانا أحق من استوفى حقه ، وأجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله ما ألبسه . للذي فضلنا به ، وأظهر أثرتنا فيه ، ورفع سلطاننا اليه ، ويسر على أيدينا دركه ، وسهل بدولتنا مرامه . وللذي اشاد في الآفاق من ذكرنا ، وعلو امرنا ، واعلن من رجاء العالمين بنا ، وأعاد من انحرافهم الينا ، واستبشارهم بدولتنا . والحمد لله ولي الانعام بما أنعم به . واهل الفضل بما تفضل علينا فيه .

وقد رأينا ان تكون الدعوة لنا بامير المؤمنين . وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك . اذ كل مدعو بهذا الاسم منتحل له ، ودخيل فيه ، ومتسم بما لا يستحقه ، وعلمنا ان التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك ، حق اضعناه . واسم ثابت اسقطناه . فأمر الخطيب بموضعك ان يقول به . وأجر مخاطبتك لنا عليه ، ان شاء الله . والله المستعان . »

ولسنا نقف عند ما قاله مؤرخونا من ان قتل الخليفة العباسي هو الذي دعاه الى اعلان الخلافة ، فلقد كان ذلك سبباً من الاسباب لا السبب كله ، والا فقد قتل قبل المقتدر غير واحد من الخلفاء العباسيين ، فما تحرك أموي في الغرب بدعوة ، ولا طالب من الخلافة بحق . ذلك ان القوم كانوا يعدون الخلافة الصحيحة خلافة المشرق ، فكان كل

عزيز منهم يرمي بابصاره اليها ، وكانوا يرون في امارة الاندلس مدرجة الى العودة الى الملك القديم . وحسبنا على ذلك ان عبدالرحمن الداخل، خرج من الشام طريداً مشرداً ، لا ملك له فيه ، فأسس في الغرب الملك الذي رأينا غير انه ما برح يتشوق الى الشام وبعد نفسه في الاندلس غريباً .

وقد هم غير واحد من أمية بغزو المشرق والعودة اليه ، لولا ان شغلهم من الحروب والفتن ماذكرت بعضه ، فلما يئس عبد الرحمن الناصر من امر المشرق ، وقد توسطت بينه وبين خلافتها خلافة جديدة ، هي الخلافة الفاطمية بالمغرب ، رأى ان يكتفي بالاندلس ، يعلن فيها خلافته ، ويمشي بها رجوعاً الى ناحية المشرق على قدر ما يمتد معه الفتح .

اذا لم تستطع امراً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

ونحن بعد ، نجمل اعلان هذه الخلافة في أسباب خمسة :

١ — مكانة عبد الرحمن الناصر وطموحه

٢ — وقوف آماله عن غزو المشرق

٣ — قيام الخلافة الفاطمية وتوسطها بينه وبين الخلافة العباسية جرثومة الخلافة ، وانشغاله عن هذه بتلك .

٤ — ضعف الخلافة العباسية والتياث امرها .

٥ — قتل المقتدر العباسي

والسبب الخامس هو حجة ظاهرة انتحلها عبد الرحمن يتذرع بها ، وهو انه لم ينتزع الخلافة من صاحبها انتزاعاً ، وان كانت حقه ، ولكنه وجدها عاطلة تائهة فآواها وحلاها . أسلوب من أساليب الحيل السياسية من قبل ومن بعد .

حروب عبد الرحمن وقمعه للفتن : نهض عبدالرحمن الى الحرب يباشرها بنفسه ، فقاتل الثوار وهم كثر ، في غير موطن قتالاً متواصلاً ، وكان أشدهم عليه بنو حفصون ، واولهم عمر . قال ابن خلدون : وهو اول ثائر كان بالاندلس ، وهو الذي افتتح الخلاف بها ، وفارق الجماعة ايام محمد بن عبد الرحمن في سنة ٢٧٠ . خرج بجبل يشتر (   )

من ناحية رَيُّه ومالقة ، وانضم اليه الكثير من جند الاندلس . وابتنى قلعته المعروفة هناك . واستولى على غرب الاندلس الى رُندة ، وعلى السواحل من الشيجة الى البيرة .

ومهما يكن من النظر في قول ابن خلدون ، من ان ابن حفصون هو اول ثائر ، فان الرجل كان قد مر عليه وهو ثائر عشرات من السنين ، قاتل فيها اربعة امراء من الأمويين : محمداً والمنذر وعبدالله وعبدالرحمن ، وراسل ابن الاغلب بافريقية ، واظهر دعوة بني العباس ، وخالص ملك الجلالقة ، وأعلن دعوة عبيد الله المهدي . فكان ابن حفصون هذا رجلاً قد عشش الخلاف في رأسه ، وفرّخت الفتنة في قلبه ، فرماه الله بعبد الرحمن ، فما زال به حتى راجع طاعة بني أميــة . ثم تغلب عبد الرحمن على أبنائه من بعده : سليمان وجعفر وحفص أبناء عمر بن حفصون . بعدما تكرر من نكثهم ورجوعهم . فانقرض امر بني حفصون بعد ثورات دامت خمساً واربعين سنة من ٢٧٠— ٣١٥ .

ولم يشغله قتال الثوار ، عن الاسبان والفاطميين . فكانت ايامه كلها جهداً وعناء يلاقي من عنت الخوارج ، وتمرد العصاة ، وطمع ملوك الأطراف من المسلمين ، وقتال امراء النصارى في استوريا ، ونوارة ، وملكي [لاون] اوردنيو الثاني ، ورامير [ردمير] الثاني ، ومحاربة الفاطميين في إفريقية بعد ظفرهم بالادارسة ، وايغالُ جنوده الى السودان المصري . ومع هذا فقد خرج من معظم تلك الحروب ظافراً . فدوخ البلاد ، واخمد الفتن . وظفر بالمنتقضين عليه ، لم يراع منهم كبيراً ولا صغيراً ، قريباً كان او بعيداً ، قتل اخاه القاضي بن محمد ، وابن عم ابيه محمد بن عبد الجبار ، عند ما آنس منهما نية الانتقاض عليه ، بل قتل ابنه عبد الله بن عبد الرحمن لمثل ذلك .

فاستقامت له الاندلس بعد سبع وعشرين سنة ، قضاها في قتال كان يشهد اكثره بنفسه ، الى ان كان عام الخندق ، في آخر الربع الاول من القرن الرابع ، يوم اوقع رامير ملك لاون واشتورش بالمسلمين فقتل منهم خمسين الفاً . فقعد عبد الرحمن بعد ذلك عن الغزو بنفسه ، وصار يردد الصوائف في كل عام . فبلغ من بلاد الفرنجة مالم يبلغه غيره . وراسله ملوك النصارى ، واوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومية والقسطنطينية مهادنة له ، وتزلفاً الى مرضاته . وجلس للوفود مجلساً عاماً كان من الايام المشهود في تاريخ العرب ، ظهرت فيه الخلافة الاندلسية في مظهر من الابهة والعظمة والفخامة ، ليس بعده غاية .

وعرضت الجيوش ، وأنشدت الاشعار ، وألقيت الخطب ، فشهدت الوفود مشهداً ترك في نفسها اثراً كبيراً من قوة الدولة ونظامها ·

واتاه الملوك المتاخمون لبلاد المسلمين في الاندلس · وسما الى ملك العدوة فاخذ سبتة ، ونقل الفرضة من ايدي اهلها ، واطاعه بنو ادريس امراء العدوة ، وملوك زناتة والبربر · وفتح طليطلة ، وقرمونة [1] ، واشبيلية ، وكثيراً من البلاد العاصية والبلاد المستقلة ·

ومما يعد له في الدماء ، ومكارم الاخلاق ، و يجمل بالامراء من اصحاب الوطنية الحق ان يقتدوا به ، ما كان منه نحو اردون (اردونيو) ملك لاون [2] وقد غزا بجيوشه ماردة ،

(١) قرمونية او قرمونة وهو الاكثر ، كورة بالاندلس يتصل عملها باعمال اشبيلية غربي قرطبة وبينها اثنان وعشرون فرسخاً ، وشرقي اشبيلية وبينها سبعة فراسخ · قديمة البنيان · عصت على عبدالرحمن بن محمد الاموي فنزل عليها بجنوده حتى افتتحها وخربها ثم عادت الى بعض ما كانت عليه ·

قال ابن صارة الاندلسي في بعض ملوك العرب — ولعله الناصر — وكان قد فتح قرمونة :

اظلّ على قرمونة متجلياً ⠀⠀ مع الصبح حتى قلت كانا على وعد
فارملها بالسيف ثم اعارها ⠀⠀ من النار اثواب الحداد على النقد
فياحسن ذاك السيف في راحة العلى ⠀⠀ ويا برد تلك النار في كبد المجد

(٢) أردنيو (Ordogno) اسم عدة ملوك من ملوك استورياس ولاون ، اشهرهم اردنيو الثاني ملك من سنة ٩١٢—٩٢٣ هجر اوفيادو وأقام بلاون واخذ طلبيرة وخربها وحارب عبدالرحمن الناصر سنة ٩١٦ ومضى لمساعدة نوارة وانكسر في واقعة فال جنكو يرا سنة ٩٢٢ · وقال ابن خلدون : وفي اول المئة الرابعة للهجرة ملك على الجلالقة اردون ابن رذمير بن برمند بن قريوله بن اذفونش بن بيطر وخرج سنة ٣٠٢ الى الثغر الجوفي لاول ولاية الناصر وعاث في جهات ماردة واخذ حصن الحنش وبعث الناصر وزيره احمد ابن عبدة في العساكر الى بلاده فدوخها ثم أغزاه ثانية ٣٠٥ فنكث ? وقتل ? ثم اغزى بدراً مولاه فدوّخ ورجع ثم غزا بنفسه بلاد جليقية ٣٠٨ واستنصر اردون بشانجة بن

فنهبها وعاث فيها ، واخذ حصن الحنش وانتهى الخبر الى عبدالرحمن وهو مشغول بمحاربة الفاطميين بافريقية ، فلم يعقه ذلك ، ولا منعه ان ماردة كانت ثائرة عليه ، من ان يوجه الى نصرتها وزيره احمد ابن ابي عبيدة[1] فيهزم الاسبان ، ويغنم منهم غنائم كبيرة و يسبي فيهم سبياً كثيراً .

استألف الناصر جيرانه بعهود عقدها بينه وبينهم ، منهم اردن (اردونيو) الثاني ملك ليون و (شانجه) سانكو ملك نافار البشكنس .

كان عبد الرحمن من الملوك الذين لايجود الزمن بامثالهم الا قليلاً . ما نقول هذا عصبية قومية بل حقيقة تاريخية ، اعترف بها مؤرخو الغرب فأوسعوا لاسم عبد الرحمن مجالاً في كبيرات معلماتهم على قلة ما يفعلون ذلك برجالنا .

وعبد الرحمن الناصر كان عظيماً في كل شيء . في تدبيره وفي همته ، وفي حربه وفي بأسه ، وفي فتكه وفي عفوه ، وهو ما اشرنا اليه . وفي مناصرته للعلم ، ومعاضدته للعمران ، على ما نذكره في موضعه . واذا كان يعد عليه انه قتل ابن عم ابيه ، وقتل اخاه ، بل قتل ابنه ، فهذا امر لا يعنينا كثيراً لانه من الامور الخاصة ، وهو أعلق من حيث العواطف بنزعة الرحمة والشفقة ، منه بباب الحزم والسياسة ، بل قد يكون الحزم والسياسة في ما فعل ، على هول ما فعل وفظاعته .

غير ان ما نعده عليه ، ونؤاخذه به ، مما يرجع الى السياسة العامة ، و يتعلق بحياتنا القومية ، هو انه أضعف العصبية العربية ، بتقديمه الموالي على العرب ، وتأميرهم عليهم ، على نحو مافعل العباسيون في بغداد . فكان ذلك زائداً في تفكيك عرى الامة وتخاذلها ، وفي بعد الشقة بين ابنائها ، وقيام بعضهم على بعض ، وفي ضياع الرهبة من القلوب ، امر اذا حال سلطانه دون ظهوره في ايامه ، فقد كان ضرره بعد ذلك خطيراً .

غرسية ملك البشكنس (البسكة) وصاحب بمبلونة فهزمهم الناصر ووطئ بلادهم وخربها وفتح حصونهم وهدمها وردد الغزو بعد ذلك في بلد غرسية الى ان هلك اردون وولي بعده ابنه غرويلة سنة ٣١٣ .

(١) وفي دائرة المعارف الجزء الثالث ص ٤٠ وفي ما مر معنا من كلام ابن خلدون احمد بن عبده .

وفاته وولايته : توفي عبد الرحمن سنة ٣٥٠ (٩٦١) فكانت ولايته خمسين سنة قمرية .

الحكم : انتهى اليه الامر بعد ابيه عبد الرحمن الناصر ، فمهد الامور على السنة التي كان استنها ابوه ، من عقد المعاهدات مع جيرانه ملوك الاسبان . ذلك بعد ان حارب بعضهم ، ونكث البعض الآخر عهده الذي كان عقده مع ابيه . فظهر عليهم ، ودفع عاديتهم ، واوغل في بلادهم ، فاحتل بعضها . وشرط عليهم في المعاهدات التي عقدها معهم شروطاً كانت في مصلحة المسلمين ، فنزلوا على حكمه ، وقبلوا بها واخلدوا الى السكينة . فأمن جانبهم .

وظهر النورمان او المجوس على لغة العرب في مياه لشبونة ، وعاث فرسانهم فساداً في الثغور ، فقاتلهم الاهلون الى ان وصل الاسطول الذي أرسله الحكم ففروا وأخلوا البلاد . ثم التفت الى المغرب الأقصى وكان صاحبه الحسن بن كنون — آخر ملوك الادارسة — قد نكث عهد قومه مع الناصر وحالف العبيديين ، فلما عاد جوهر قائد العبيديين من افريقية الى مصر ، عاد الحسن فخالف الحكم . ثم ثار بلكين بن زيري امير صنهاجة وزحف الى المغرب فدخل الحسن في طاعته ونبذ طاعة الأمويين مرة ثانية . فلما رجع بلكين الى افريقية ارسل الحكم الى الحسن جيشاً ضخماً عبر البحر من الجزيرة الخضراء الى سبتة ، فتغلب على الحسن وجيء به الى قرطبة . وسار الجيش الى فاس فامتلكها وأضافها الى بني أمية وقطع دعوة العلويين من تلك البلاد .

اخلاق الحكم : كان الحكم عالماً عارفاً بالتاريخ والشريعة ، حتى قيل عنه انه اعلم بني أمية . جلب له ابوه مشايخ العلماء وجلتهم في الشرق والغرب ، فتخرج بهم وكانت له تعليقات بخطه على كثير من كتبه وينسب اليه شعر رائق :

وفاته وخلافته : توفي الحكم ثاني صفر سنة ٣٦٦ فكانت خلافته ست عشرة سنة .

***

هشام المؤيد بالله : ولي بعد ابيه الحكم، وسنه عشرة اعوام وأشهر. فكان له من الخلافة اسمها ولقبها ، والامر كله لابي عامر محمد بن عبدالله بن ابي عامر، مؤسس الحجابة العامرية[1] بل دولة بني عامر كما كانوا يسمونها .

دولة بني عامر : مبدأ امر ابي عامر: انه ورد شاباً من طُرُش (تور كس) من الجزيرة الخضراء الى قرطبة . فطلب العلم والادب وسمع الحديث وتميز في ذلك . وكانت له همة يحدث بها نفسه بادراك معالي الامور ، ولم تزل حاله تعلو منذ ورد قرطبة ، الى ان تعلق بوكالة السيدة صبح[2] ام هشام المؤيد بن الحكم المستنصر والنظر في اموالها وضياعها ، فزاد امره في الترقي معها ، الى ان رغبت الى الخليفة في توليته القضاء فولاه ، فظهرت نجابته ، فترقى الى ولاية الزكاة والمواريث باشبيلية . فلما توفي الحكم ، وهشام صغير ، وخيف الاضطراب ، ضمن ابو عامر لصبح سكون الحال وزوال الخوف واستقرار الملك لابنها . وكان ابو عامر قوي النفس . وساعدته المقادير ، وأمدته المرأة بالاموال ، فاستمال العساكر اليه ، وجرت أحوال على قدمه فيها ، حتى صار صاحب التدبير ، والمتغلب على الامور . وحجب هشاماً ، وتلقب بالمنصور ، وامر بالدعاء باسمه على المنابر عقب اسم الخليفة ، ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه ، فحطهم عن منازلهم ، وقتل بعضهم ببعض . كل ذلك عن امر هشام وخطه وتوقيعه ، حتى استأصل شأفتهم ، ومزق جموعهم ، لا مستثنياً أموياً ولا ولداً ، بدأ بالمغيرة بن عبد الرحمن الناصر اخي الحكم فقتله ليلة البيعة لهشام ، بمالأة الحاجب جعفر ، وقاتل حماه غالباً مولى الحكم فقتله . وحمل جعفراً على نكبة الصقالبة الخصيان فنكبهم وشردهم ، وكانوا ثمانمائة او يزيدون . ثم قبض على جعفر نفسه فسجنه حتى مات ، وقتل ابنه عبدالله بن ابي عامر . ومضى يقتل من يخشى منهم من بني أمية وزعماء القبائل ، يُظهر انه يفعل ذلك حماية للمؤيد وشفقة عليه . حتى افنى من

(١) لما قسم بنو أمية خطط الوزارة بالاندلس جعلوا بين الوزراء والخليفة رسولاً يتردد بينهم في المهام سموه باسم الحاجب فارتفع عن الوزراء بمباشرته للسلطان في كل وقت وعلا مجلسه عن مجالسهم وكان يحجب السلطان عن الخاصة والعامة . فأشبهت خطته رئاسة الوزارة . (٢) وهي شعرانية نافارية .

يصلح منهم للولاية والرآسة ، ثم شرد باقيهم عن البلاد ، وجردهم من الأموال ، فدانت له أقطار الاندلس كلها وأمنت به ، ولم يضطرب عليه شيء منها ايام حياته لعظم هيبته ، وفرط سياسته . واستوزر جماعة من اهل العلم والأدب . ولم يزل ابو عامر طول ايام مملكته مواصلاً لغزو الروم (الاسبان) مفرطاً في ذلك لا يشغله عنه شيء . و بلغ من حبه للغزو انه ربما خرج للمصلى يوم العيد فحدثت له نية في ذلك فلا يرجع الى مقره ، بل يخرج بعد انصرافه من المصلى كما هو من فوره الى الجهاد فتتبعه عساكره وتلحق به ، اولاً فاولاً . فلا يصل الى اوائل بلاد الروم الا وقد لحقه كل من أراده من العساكر . غزا في ايام مملكته نيفاً وخمسين غزوة ، وفتح فتوحاً كثيراً ، ووصل الى معاقل قد كانت امتنعت على من كان قبله ، وملأ الاندلس غنائم وسبياً من بنات الروم واولادهم ونسائهم .

وفي ايامه تغالى الناس بالاندلس فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلي والدور ، وذلك لرخص اثمان بنات الروم ، فكان الناس يرغبون في بناتهم بما يجهزونهن به مما ذكرنا . ولولا ذلك لم يتزوج احد حرة .

قال المراكشي صاحب تاريخ الاندلس الذي نقلنا عنه معظم هذا الفصل : بلغني انه نودي على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة وكانت ذات جمال رائع فلم تساو اكثر من عشرين ديناراً عامرياً .

كانت وفاة ابي عامر المنصور باقصى ثغور المسلمين بموضع يعرف بمدينة سالم سنة ٣٩٣ بعد ان ملأ الاندلس بحديث انتصاراته وفتوحاته ، في الجنوب والشمال ، واغنى البلاد بالغنائم والاموال .

وابو عامر من اجلّ ملوك الاسلام عظمةً وشأناً ، واكبرهم فتحاً واعظمهم سلطاناً ، استوثق له ملك المغرب وملك العدوتين ، وكان من امكر رجال السياسة واشدهم استبداداً على عدل في الرعية ، ونصفة في الاحكام . وقد طالت امارته نحواً من سبع وعشرين سنة . وخلفه ولده عبد الملك المظفر ابو مروان وكان مقتفياً اثر ابيه في الجهاد تحرش ملوك الاسبان بحدود المسلمين لاول ولايته ، فأوقع بهم بما مكّن من هيبته في قلوبهم ، فاخلدوا الى السلم . فكانت ايام المظفر على قصرها اعياداً في الخصب والامان . توفي سنة ٣٩٨ قيل مسموماً سمه اخوه عبد الرحمن فكانت ولايته سبع سنين . فخلفه اخوه عبد الرحمن ، لذا

وتلقب بالناصر لدين الله . ولم يقف به الامر عند الحجر على الخليفة ، والاستبداد بالسلطان، كما فعل ابوه ثم اخوه ، بل حاول ان يستأثر بما بقي من رسوم الخلافة ومظاهرها . فاكره هشاماً ان يعهد اليه في الخلافة من بعده ، واستكتبه عهداً موثقاً بانه لما « لم يجد عنه مذهباً ، ولا الى غيره معدلاً ، خرج اليه من تدبير الامور في حياته ، وفوض اليه الخلافة بعد وفاته ، طائعاً مختاراً مجتهداً ، وامضى امير المؤمنين هذا واجازه وانفذه ، ولم يشترط فيه ثُنْيا ولا خيارا ، واعطى على الوفاء به ، في سره وجهره ، وقوله وفعله ، عهد الله وميثاقه وذمة نبيه (صلى) وذمة نفسه ، ان لايبدل ولايغير ولا يحول ، واشهد على ذلك الله والملائكة وكفى بالله شهيداً . واشهد من اوقع اسمه في هذا وهو جائز الامر ما في القول والفعل ، بمحضر من ولي عهده المأمون ابي المظفر بن المنصور وفقه الله تعالى وقيد له ماقلده ، والزمه نفسه مافي الذمة . وذلك في شهر ربيع الاول سنة ثماني وتسعين وثلاثمائة . »

هذا ما كتبه صاحب الحق الموروث في الخلافة الاموية الاندلسية طائعاً ... مختاراً ... ومجتهداً ! ؟ وقد علمتنا الحرب وما عقبها قيمة الطواعية والاختيار والاجتهاد في ما يكتبه المستضعفون والمعينون والمرتزقة من المضابط في مثل هذه الحوائق .

عظمت هذه البيعة على الناس عامة ، وانصار الامويين خاصة ، فكانت صفقة هائلة دفع فيها ولي العهد المأمون ، ابو المظفر بن المنصور ، حياته ثمناً لها .

***

القوضى وخلفاء الفتنة : وكان امراً مقدوراً ان يتفق الناس على خلع هشام المؤيد ، بعد ان رأوا من حاله ما رأوا ، وبعد ان أصبح أضحكة الخلفاء . فبايعوا لمحمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر وذلك في ١٨ جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ (١٠٠٩) .

محمد بن هشام : قام محمد هذا بقرطبة فالتف حواليه الغاضبون من قريش عامة ، والامويين خاصة . والعرب ولاسيما اليمانية . اولئك ، لما عظم عليهم من استبداد البربر بالامر منذ ايام الناصر الى آخر دولة العامريين ، واليمنية لما ركب اكتافهم من تحكم القيسية الذي طال عليهم امده .

تلقب محمد بالمهدي ، واخذ المؤيد فحبسه ، وبلغت انباء هذه الفتنة عبد الرحمن .

العامري وكان بجليقية غازياً ، فقفل راجعاً الى قرطبة ، فلما قرب منها انفض عنه جمعه ، وخذله حتى البربر : انصار الدولة العامرية ، لسوء تدبيره ، ووثب به الثائرون فاحتزوا رأسه وحملوه الى المهدي . وكان عبد الرحمن قد قتل اباه هشاماً ، فانقرضت به دولة العامريين سنة ٣٩٩ .

واشتد المهدي على البربر انتقاماً منهم ، وتقرباً الى العرب فأبعدهم عنه ، وامر بهم ان لا يركبوا ولا يحملوا سلاحاً ، وصادرهم وثارت بهم الدهماء فانتهبت دورهم .

فأئتمر البربر بينهم بخلع المهدي ومبايعة هشام بن سليمان الناصر ، ففشا الامر ، وتغلب عليهم المهدي فأزعجهم عن قرطبة وجاء بصاحبهم هشام بن سليمان ، واخيه ابي بكر ، وغيرهما من الزعماء ، فضرب اعناقهم .

واجتمع البربر بظاهر قرطبة ، ولحق بهم سليمان بن الحكم ابن اخي هشام المقتول ، فبايعه اصحاب عمه ، ولقبوه بالمستعين . ونهض به اصحابه الى طليطلة ، واستجاشوا بصاحب قشتالة فكان الى اجابتهم — على جاري العادة — سريعاً ، أمدهم بالجند والمال ، فسار سليمان الى قرطبة في جمع من البربر والنصارى ، فانكسر المهدي بعد معركة قتل فيها من رجاله خلق كثير ، فيهم الأئمة والعلماء ، وفر من قرطبة فدخلها سليمان وذلك من شوال سنة ٣٩٩ نفسها .

فكانت خلافة محمد المهدي بضعة اشهر .

سليمان بن الحكم : ولي الامر بعد ان تغلب على المهدي :

اما المهدي فلحق بطليطلة واستجاش في نوبته بسانجة اوشانجة (سانكه الثالث ملك نوارة وقسطيلة) فأنجده . فكر المهدي راجعاً الى قرطبة فكشف عنها المستعين . ففر هذا باصحابه ودخل المهدي قرطبة وجدد البيعة لنفسه . وذلك في منتصف شوال من السنة المذكورة .

فكانت خلافة المستعين هذه ، اياماً معدودة من شهر شوال .

محمد بن هشام : فلما عادت هذه الخلافة الحائرة الى محمد المهدي مرة ثانية ، خرج في جيشه وجيش الاسبانيول — الذي أمده به صاحب قشتيلية — لقتال المستعين ،

وكان المستعين قد لحق بشاطبة ونفرق اصحابه في البلاد يعيثون فيها فساداً ٠ وانكسر المهدي وعاد الى قرطبة مدحوراً ولحق به المستعين فحاصرها ٠

هشام بن الحكم : واشتد الامر على المهدي فرأى ان يعيد هشاماً المؤيد بل المقيد ، صاحب العامريين ، وسجين المهدي نفسه ، وهو الذي كان قبل الفتن ٠ وقام المهدي في حجابته تسكيناً للثورة ، وذلك في ذي الحجة سنة ٣٩٩ ٠ فلم يفل ذلك من غرب الفتنة ، ولا رفع الحصار عن قرطبة ٠ فوثب الصقالبة على المهدي صاحب الحجابة بعد الخلافة فقتلوه دفعاً للفتن ٠ وذلك يوم الاحد السابع من ذي الحجة سنة ٤٠٠ ٠

وسعى المؤيد في ان يصرف اليه البربر عن المستعين ، فلم يوفق ٠ وتعهد المستعين لالفونس الخامس ان يسلمه ما فتحه الحاجب المنصور من حصون قسطيلة ، ان هو أعانه على خلع المؤيد ٠ وبلغ الخبر المؤيد فرأى ان يدخل مع المستعين ابن عم ابيه في المناقصة ٠ فتعهد لالفونس ان ينزل له عن هذه الحصون فوراً ان هو لم ينجد المستعين ٠ ورأى الفونس في مناقصة المؤيد صفقة اربح من صفقة المستعين ، هذا يسلمه الحصون تسليماً معلقاً ، وهو يحتاج الى قتال يقاتله معه ، والمؤيد يسلمها ناجزة من غير قتال ، فرغب في الثانية عن الاولى ، وأجاب المؤيد الى طلبه ، وتسلم الحصون ٠

وعاد المستعين يضيق على قرطبة الحصار ٠ ثم اقتحم الزهراء ، وما زال بقرطبة يراوحها القتال ويغاديها ، وينأى احيانا عنها ثم يدانيها ، حتى استولى عليها بعد معارك طويلة ، وقتال اتصل الى منتصف شوال سنة ٤٠٣ ٠ كان يكون مرة له ومرة عليه ٠

سليمان بن الحكم : عاد المستعين الى قرطبة في ذلك التاريخ ، فعادت الخلافة اليه . وكأن الخلافة كانت في الغرب في ذلك العهد ، موقوفة على من يملك قرطبة ، كما كانت في الشرق ، موقوفة في الغالب على من يملك الحرمين ٠ وقبض سليمان على هشام المؤيد واخفاه ثم قتله سراً ٠ واتى البربر اصحاب المستعين من الافاعيل في الزهراء وقرطبة ، ما قضى على شطر كبير من الحضارة والعمران ، وانزلوا انواع المعرة واصناف العذاب بالسكان ، الشيوخ والاطفال والرجال والنسوان ٠ وتفرق البرابرة على الولايات الاندلسية يقتسمونها بينهم ، ويتحكمون فيها في الناس ، ووثب بعض العرب كل منهم في ناحية

استولى عليها ، فكان ذلك مبدأ ملوك الطوائف .

غير ان المستعين تعوّض عن تلك الولايات الضائعة ، والسلطان المضطرب ، لقباً جديداً هو الظافر . اضافه على اسمه الكريم الى لقبه القديم ، يقوّي به ملكه الضئيل . فاصبح سليمان بن الحكم : المستعين الظافر . المستعين ! وبمن ؟ بالفونس عدو وطنه ، وبالبرابرة اعداء قومه . والظافر ! وعلى من ؟ على ابناء عمومته لحمًا ، وعلى ذوي قرابته وقومه ، دماً عصبية .

ولم يطل امره حتى تغلب عليه ابن حمود العلوي وقتله بيده في المحرم من سنة ٤٠٧ هـ ١٠١٦ م .

(لها بقية) عارف النكدي

حول كتاب

من كتب الجاحظ

قد خدم العلامة محمد راغب الطباخ العلوم الاسلامية خدمة كبيرة بنشر كتاب[1] الدلائل والاعتبار للجاحظ اذان كل كتاب من قلم هذا الفيلسوف الشهير يزيد في تقديرنا لترقي العلوم في زمانه وليس قصدي هنا تقريظ الكتاب ولا المؤلف وكانت نسخة من هذا الكتاب في مكتبة المتحف البريطاني تحت رقم ٥٣٨٣٣٦ وعزم صديقي المستر جيب (Gibb) احد اساتذة المدرسة الشرقية في لندرة على نشرها فأخذ منها نسخة لهذا السبب ولكن لما زار مصر حديثاً اهداها الى العلامة احمد زكي باشا . ولما كانت الطبعة منقولة عن نسخة واحدة أحببت مقابلتها بالنسخة اللندنية وهذا ما وجدته : اولاً ان للنسخة اللندنية مقدمة ليست في المطبوعة وهي ايضاً اقل حجماً بكثير وتنتهي في وسط المطبوعة تقريباً ومع هذا ان اكثر العبارات مقتضبة ولكن لا شك انها الكتاب نفسه فرأيي ان الناسخ اقتصر على ماظنه مؤدياً للمراد . ورجائي انه سيكون نافعاً أن انشر ما نقص من اول الكتاب ولقد صححته على حسب الطاقة لان التحريف كثير من الكاتب الجاني الذي كتب النسخة اللندنية ولاجل ان يرى الاختلاف بين النسختين في الألفاظ نقلت ايضاً قسماً من اول النسخة المطبوعة للمقابلة بينهما مع الاشارة في ذيل الصفحات الى تصحيح ما أمكن تصحيحه .

ف . كرانكو

وهذا هو الفصل المنقول من اول النسخة اللندنية :

« كتاب العبر والاعتبار تأليف ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ »

بسم الله الرحمن الرحيم

والسلام على عباده الذين اصطفى . قال ابوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ :

---

(١) المجمع : راجع تقريظ هذا الكتاب في مجلة المجمع من المجلد الثامن ص ٤٤٠ .

الحمد لله الذي سمك السماء بقدرته ، وجعل الارض مهاداً بحكمته ، ونظم ما بينهما ببراهين بادلة(١) خالق الامور المتعادية ، والآلات المتباينة ، والجواهر والاعراض المختلفات والمتفقات من نور وظلمة وذي سكون وحركة وانس ووحشة وخفاء(٢) ورقة وضعف وقوة ونوم ويقظة وضحك وبكاء وغضب ورضاء الذي أخفى النفوس في الأجسام والطفها فيما ترى ثم دبرها بما يحسن (٣) ويشاهد والذوق (٤) واللمس والشم ، وأيدها بالأيدي والأرجل الحوامل العوامل ، ومكنها من المعرفة والحجة وجعل ما وهب لها من ذلك حجة لها ان شكرت ، وحجة عليها ان كفرت ، وشاهداً بتبصيرها ان قصرت . والحمد لله الاحد الواحد الكريم الماجد ، الذي لا تشتمل عليه المشاعر ، ولا تحجبه السواتر ولا تدركه الخواطر ، الاول لا تأويل عدد ، الآخر لا بمعنى غاية بعد الشاهد من غير مماسة ، البائن لا عن مسافة الظاهر لا للابصار ، والباطن لا من غير طول الذي دل على نفسه بآيات قدرته ، الموجود في بريته ، واستشهد على لطفه بفعله ، وجعل الحجاب بينه وبين خلقه ، ضعفهم عن ادراك قدرته ، فذاته مجهولة الا له وآياته معلومة بين خلقه معروفة لما وهب لهم من تبصرة هدايته ، ليس سواه إله ولا غيره رب معبود الذي حجب الابصار عن رؤيته ، وليس للعقول سبيل الى معرفته ، وأخرس الألسن عن تحديد كنه صفته ، فلا أعين المؤمنين تدركه ، ولا أنفس الكافرين تجحده وتنكره .

والحمد لله الذي خلق فأحسن الخلقة ، ونظر فأتقن النظرة ، وفتق الافهام للمعرفة ، وذلل الجوارح للطاعة ، وهدى الى طريق النجاة والسلامة ، وزجر عن سبيل الضلالة والجهالة ، ثم مد لخلقه حبل الامهال ، وبسط لهم في النظرة ووعدهم المغفرة والإقالة ، حتى ارعوى مرعو واهتدى(٥) مهتد بعد التحير والتهور ، تتميماً للنعمة وزيادة في الاعذار لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً . فنعوذ بالله الكريم من غلبة الشقوة ، ونسأل الله العظيم الزيادة من البصيرة والمنفعة بالعلم وان لا يجعل شيئاً منه وبالاً في الآخرة وهو على كل شيء قدير . اما بعد فانه ليس باهل البر والتقى

(١) كذا ولعلها وادلة . (٢) لعل صوابه وجفاء . (٣) لعل الصواب يحس . (٤) لعل صوابه بالذوق . (٥) بالاصل : اتهدي .

ولا بذي الغباوة والرّدى غناء عن التواعظ والدلالة على امكنة الخير والتواصي والتناهي عن الشر لما في ذلك من التذكرة والتبصرة والتأديب والتهذيب والبركة والمنفعة ولو كان بين عدو الله ابليس الضامن احتناك الذرية الضعيفة الا قليلاً وبين قلوب العباد اغلاق سوى الذكر لله تعالى لوجب طلب مفاتيحها علينا بتحمل المشاق وركوب الاخطار والتغلغل الى خفي اماكنها لنأمن كيد عدونا الذي يجري مجاري الدم منا و يرانا من حيث لا نراه وله تسلط على سويداء القلوب وحرص على استزلالنا لنعطب فأوجب الاعداء عباد الله بان يحذر من ليس يحرس من كيده حارس سوى التعوّذ بذي الجلال والاكرام والفزع الى تلاوة كتبه وترديد اسمائه الحسنى والتعلق بذكره واللهج والعزم بالالتجاء اليه فليكن بالك ايها الانسان المخلوق من ضعف وطين وماء مهين معتنياً بذكر الله تعالى ومتوطناً بالفزع اليه ومسألة النجاة من كيد عدوك وعدوه والسلامة من خيله ورجله ومكر جنوده فان لهم أفواهاً والسنة تلتقم القلوب والاسماع وصوراً مختلفة الفعل لا تتراءى للأبصار ومداخل لطيفة تصل الى النفوس بمراده من الاضلال والاستزلال واعجب واعجب ايها الانسان ممن جهل معرفة الواحد الخالق الرحيم الرحمن وقد أراك الآيات والبينات في الآفاق وفي نفسه والنماء والنقص في أحواله وفي أهله وجسمه واوجه الامور التي تتم بها منافعه والمآرب التي اليها تتناهى مصالحه وكيف تهيأ له قبل خلقه مفروغاً منها قبل خروجه الى الدنيا متممة مكملة وهو في ظلمة الرحم مصنوعة منظومة على أتم صفة قبل تكوينه وانه لم يمهدها لنفسه ولا ادعى ابوه تمهيدها ولا أمه ولا احد من أبناء جنسه ثم ليس منها على كثرتها شيء الا وهو مركب تركيباً لم تكن المصلحة تتناهى الى ما دونه ولا تتجاوز ما فوقه ولا ترغب من شيء منه وان الطبائع جميعها لتشهد انها لم تصنع ذلك وتعترف بالعجز عنه • ولو ادعت خلاف ذلك لانقطعت اسباب الحقيقة عن دعواها وشهد بالمحال عليها عجزها واثر الضرورة المحيط بها •

قال ابو عثمان ونحن ذاكرون اشياء من شواهد آثار الصانع في صنعته ومنبهون على أسرار قد أودعها ما يشاهده من فطرته تضطر الى معرفته وتشهد بوحدانيته وتخبر عن جلال عظمته وكمال قدرته وواصفون أعلاماً وآيات و براهين واضحة شهدت بها الفطائر

وتهتف بذكرها الغرائز وتعرفها الطبائع ولا ينكرها (١) ولا تدفعها العقول بمقدار وسع الطاقة ومبلغ الجهد وما وهب الله لنا من العلم وما توفيقنا الا بالله عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم ليزول الشكوك عن قلوب المرتابين ويتجدد نور اليقين في صدور المؤمنين وحسبنا الله ونعم الوكيل ·

وقد ألف مثل كتابنا هذا جماعة من الحكماء المتقدمين فما أوضحوا معانيه ولا بينوا المشكل منه فمنهم جبريل بن نوح الأنباري لانه صدر كتابه بغير خطبة ولا مقدمة ورتبه ترتيب الفلاسفة وصدره بكلام منغلق ونظمه نظماً غير متسق فكأن لم يألف (٢) وقبله الف في معناه تودرقوس (٣) أسقف طرسوس كتاباً وضعه في زمان بلنسيانوس (٤) عظيم الروم الذي كان ينسب بالقول بالدهر والعصبية لدين الكفر وكان هذا الملك من اهل التلبيس والتدليس وسمى تودرقوس (٥) كتابه كتاب التدبر ونقله من اخذه عنه من السريانية الى العربية فلم يقع بفساد النقل حيث ينبغي ان يقع من الايضاح والشرح وأفسده بتأول الالسنة وسوء العبارة ·

ومنها كتاب نظمه ثاوريطوس (٦) أسقف قورس كتبه باليونانية ونُقل بعده الى السريانية ثم الى العربية فجرى مجرى الاول المفسود بتداول النقل والعبارات ·

ومنها كتاب ألف في ايام بني أمية نظمه يسوعبخت (٧) مطران فارس وكتبه بالفارسية فاكسبه استغلاقاً · وقد جمعنا في كتابنا هذا محاسن ماوجدنا في هذه الكتب وزيادة بمقدار الطاقة والتوفيق من الله جل ذكره وشرحنا ما نقلنا عن غيرنا وبينا القول فيما زدنا ورتبناه ترتيباً يؤنق السمع ويسر القلب ويبسط السامع ويوجب الحجة على المخالف وما توفيقنا الا بالله ·

(٨) قال ابوعثمان الجاحظ : ان أناساً لما جهلوا الاشياء التي في الصنعة تدل على

---

(١) بالاصل ينكرها · (٢) لعل صوابه يؤلف · (٣) بلا نقط بالاصل ·

(٤) بالاصل : بلسانوس · (٥) لعل الصواب يستينيانوس (Justinianus)

(٦) لعل الصواب ثاوفرسطس (Theophrastos) · (٧) بالاصل سوعحب كما ترى ·

(٨) من هنا نبتدئ النسخة المطبوعة ·

الصانع سبحانه والاسباب والمعاني التي في الخلقة وقصروا عن تأمل الحكمة لاشتغالهم بلذات نفوسهم وشهواتهم وما آثروا من امر الدنيا خرجوا الى الجحود والانكار والبهت والتكذيب فأنكروا خلق الاشياء وزعموا انها لم تزل هكذا موجودة وانها على الاهمال لا على القصد والعمد والتدبير والتقدير فكانوا فيما يشاؤون من الأدلة و يرون من العالم بمنزلة من دخل داراً وهو اعمى ليس معه قائد يخبره بما فيها و يصف له حسن فرشها واتقان بنائها وما قد أعد فيها من المآكل والمشارب والملابس والمنافع والمصالح فأقبل يسعى وحده ويمشي على وجهه .فعثر بشيء في طريقه فدميت قدمه فظن ان ذلك الشيء الذي عثر به مما وضع في غير حقه وهو جاهل بالمعنى الذي وضع ذلك الشيء قبل مروره وضجر وذم الدار وعاب بانيها وانكر حكمته وتسخط فعله الخ .

وفي آخر النسخة اللندنية : وافق الفراغ من تحصيل هذا الكتاب يوم الثلوث (١) سابع شهر شعبان سنة ١٢٥٨ .

(١) كذا في الاصل .

السعادة والاسعاد

هو مخطوط في الاخلاق وقع لي في جملة ما يعرض على المجمع العلمي من الاسفار فرأيته في ٤٤٦ صفحة صغيرة لاتكون واحدتها اكثر من ١٨ سطراً والسطر الواحد بين ٧و٩ كلمات الا ان في هذه المخطوطة نقصاً من اولها ومن آخرها وعند الصفحة ١٨٠ تم الجزء الاول . ومن العبارة المذكورة هناك عرفنا اسم الكتاب والعبارة هكذا « تم النصف الاول من السعادة والاسعاد ولله الحمد على الهداية والارشاد » . وجاء في الصفحة التالية « طالع فيه واحتوى على بعض معانيه أفقر عباد الله تعالى الفقير عثمان بن المرحوم ... محمد السكري غفر الله له .... » . وتغلب الصحة على الرسم في هذا المخطوط والغالب انه يرجع عهد كتابته الى القرن السابع او الثامن وهو بخط مشرق مقروء . وتجد ثلاث نقط على حرف السين من فوق ومن تحت وبعض الصفحات لا تخلو من خرم عولج بالصاق ورق عليه .

لم نهتد الى عصر المؤلف ولكن رأيناه يقول قال ابوالحسن وهو كنية المؤلف ، والمؤلف هوابوالحسن بن ابي ذر ، و يستشهد مرات بحكيم الاسلام ولا نعرف من يعني بحكيم الاسلام . و يستشهد بغريغورس فان كان غريغوريوس هو الفرج بن اهرون المعروف بابن العبري صاحب تاريخ مختصر الدول المشهور المتوفى سنة ٦٨٥هـ ١٢٨٦م فيكون الكتاب مما ألف أواخر القرن السابع او الثامن للهجرة . ولغريغوريوس هذا كتاب في الشرح المدني والفلسفة وكان يعرف اليونانية فيكون نقل غريغوريوس عن الاصل اليوناني او عن ترجمات أخرى كتبت قبل عهده .

وقد اكثر المؤلف من الاستشهاد باقوال أفلاطن وارسطو وغيرهما من فلاسفة يونان في الاخلاق حتى ليظن ان المؤلف يوناني او من اتباع اليونان في مذهبه . ويقل جداً الاستشهاد في كلامه باقوال السلف والآيات والاحاديث ولكنها تذكر كل مرة بالصيغة التي يذكرها بها المسلمون في العادة ولكنه قد يقدم عليها أقوال حكماء يونان كأنه يأتي بها بالعرض .

***

الكتاب فصول وأبواب كثيرة بدأ — بعد هذا الجزء الكبير من الاول — بتقسيم السعادة الى انسية وعقلية ومما قاله في هذا الفصل : « من قول متقدمي الفلاسفة قال أرسطوطيلس قال قوم بان السعادة هي اللذة وظن آخرون انها اليسار وظن آخرون انها الكرامة قال وكان بعضهم ينتقل في ذاته من شيء الى شيء فكان يرى اذا مرض ان السعادة هي الصحة وكان يرى اذا افتقر انها اليسار . قال وقال بعضهم ان التمام هو الراحة وقال بعضهم السعادة حسن الفعال مع الفضيلة الى منتهى العمر فتبلغ (؟) ماقاله هؤلاء في السعادة . قال ارسطوطيلس الذي قاله في السعادة من حكينا قوله ليس بصواب ومما يتبين ان السعادة ليست اللذة ان الكثير من اللذات ضارة وقبيحة والسعادة اقصى المختارات . قال ومما يتبين انها ليست باليسار ولا بالكرامة ان اليسار والكرامة من الخيرات الخارجة والخير الذي هو اولى بمعنى الخير هو الذي يكون في النفس لا خارجاً منها قال واقول السعادة مطلوبة لذاتها واما خير الفعال وكل فضيلة فانا انما نريدها من اجل السعادة قال وكذلك اليسار والكرامة انما نريدهما من اجل السعادة . قال ومحال ان يكون الحرص والتعب من اجل الراحة قال وأقول ليس الفعل من اجل الراحة لكن الراحة من اجل الفعل اذ كنا لانقدر على ادامة الفعل لما يلحقنا من التعب . قال وأنواع التعب كثيرة وهي المضرة بها اكثر من المنفعة ومما يتبين انه ليس الغرض اللذة انه لوكان الغرض اللذة لم يجز ان يضطرهم الى الحزن بسببها وانه ليست من لذة بدنية الا والحزن يتقدمها وكثيراً ما يتعقبها .

« ماقاله أفلاطن في السعادة الأدبي(؟) وانها بم تقوم . قال افلاطن سعادة الانسان في حياته هي ان تكون حياته فاضلة قال وذلك بان يحيا مدة ما تكون له من الحياة على أحسن الأحوال . قال وان السعادة لا تحصل للانسان الا بان يكون سعيداً ببدنه وسعيداً بنفسه وسعيداً بذات يده . قال وذلك بان تصير له الخيرات البدنية والخيرات النفسية والخيرات الخارجة من النفس ومن البدن . قال ولن يستتم له ذلك الا بالخلاص من الشرار . قال والشر شر لك غريب واهلي والاهلي هو الذي ينبعث من داخل والغريب هو الذي يرد عليه من خارج قال ونقول اول المرقاة الى الخير مفارقة الشر وأقبح الظلم ظلم المرء لنفسه وذلك بان يحرمها الخير ويوقعها في الشر » .

وعلى هذا المنحى نقل بعد ذلك ما قاله ارسطوطيلس في السعادة الانسية في صفحات غير قليلة ثم جاء « القول في علاج الآفات المؤدية الى الشقاء المانعة من السعادة » وهنا بدت شخصية المؤلف فقال في هذا الباب : « وأقول العلاج من العلل انما يكون برفع الاسباب المولدة للعلل وكل شيء انما يرتفع و يزول بضده فمن الواجب ان يعلم الانسان الاسباب المولدة للشقاء وان يعلم الاسباب التي يقابل كل سبب من أسباب الشقاء ليكون علاج كل سبب بما يقابله و يزيله . وأقول الاسباب التي ذكرناها وان كانت كثيرة فانها تنضم الى سببين الجهل والجور وبيان ذلك ان احد الاسباب تسلط النفس الشهوانية على النفس الناطقة وتسلط الغضبية على النفس الناطقة ، واي هاتين النفسين تولت السياسة وتدبير البدن كان مجراه على الجهل الصرف لانه ليس لواحد منهما بصيرة ولا معرفة ، واحد الاسباب اعتياد العادات الفاسدة ، ومن البين ان ذلك انما يكون من الجهل والجور . واحد الاسباب الأماني وهي تمني ان لايضر الضار ولا يشين القبيح انما يكون من الجهل ، وقد قيل نعوذ بالله من طمع في غير مطمع . واحد الاسباب العمل على الخاطر الذي لم يصححه الفكر وهل يكون ماهو هكذا الا الجهل . واحد الاسباب التدبير الرديء وهذا ايضاً بين انه يكون من الجهل وكذلك التربية الرديئة فانها انما تكون من التدبير الرديء واما البنية الرديئة فانها لا تؤدي عندي الى الشقاء وذلك انه ليس الشقاء رداءة البنية كما انه ليس السعادة جودة البنية لكن الشقاء ان لايعيش على قدر حالة الحياة التي هي أفضل لكن الحياة التي هي أردى اه . »

وهكذا اخذ يوالي براهينه في السعادة ثم اخذ ينقل عن ارسطو في الجميل والقبيح ونقل قصة النعمان بن المنذر المشهورة في يومي نعيمه وبؤسه وعنى للخير والشر وأورد الأمثلة . وعنى لاقسام الاشياء وفيه بيان الخير المطلق والشر المطلق وبيان ماليس بخير ولا شر . وذكر أقسام الخيرات وحدّ الخير وبين الصناعة والمذهب والبدعة والهوى وما الى ذلك من الخير والشر والنافع واللذيذ والساذج والسليم والاشياء اللذيذة والمؤذية وذكر القول في الحواس وهل يتفاوت حالها في الاذى واللذة والوحشة والالتذاذ والتأذي والانفعال النفساني والانفعال الجسماني وأبان الفرق بين الانفعال وبين الفعل والفرق بين النظر وبين الفكر وأورد أنواع اللذة وأبان ان للانسان لذة يختص بها وانها

انما هي لذة المعرفة وبيان العلة في انه لمَ صار للانسان لذات مختلفة . وجمع في هذا الفصل بين ماقاله أفلاطن وأرسطوطيلس . ثم ذكر العلة في ميل الناس الى اللذات الجسمية وفي هربهم من اللذات النطقية وبيان ان لذة المعرفة ألذّ من سائر اللذات كلها وبيان انه ليس كل لذة بخير وانه غير جائز ان نقول بان اللذات ليست بخير على الاطلاق .

ونفنن على هذا المثال في التبويب لموضوعاته فذكر القول في ماهية اللذة والاذي ومناقضات الفلاسفة وأورد فصولاً في السعادة القصوى وكيف تكتسب من قول أفلاطن وكذلك السعادة العقلية في رأي ارسطوطيلس وهل يجوز ان تكتسب السعادة القصوى من غير ان تكتسب السعادة الأدنى والآفات المانعة من السعادة القصوى ومن استتمامها وعلاجها وآفاتها . وختم هذه الفصول بقوله : « الحمد لله الذي خلقنا بفضله لفضله ، وبرحمته لرحمته ، ثم هدانا لما خلقنا له ، وعرّفنا ما ينفعنا في السير اليه ويعيننا عليه ، ومايثبطنا عنه ويصدنا منه ، لنستعين بماينفعنا في السلوك الى ماخلقنا له ونتمسك به ، ونجتنب مايصدنا عنه ونزايله ، حمد ناهض بالنية الى دوامه ، وأصلي على النبي محمد وآله . قال ابوالحسن : ان كتابنا هذا انما هو القسم الثاني من الكتاب الذي سميناه السعادة والاسعاد في السيرة الانسانية ونريد ان نبين في هذا القسم العوارض التي تعرض للانسان في حياته ولا ينفك منها في وقت وان راقبه وحدده ونقول فيها عارضة عارضة ونتبين المحمودة منها والمذمومة ونبين وجه علاج الذميمة منها ونبتدي ان شاء الله من القول في الفضيلة انها ما هي و بالله نعتضد في كل امورنا وعليه نتوكل فانه لا حول لنا ولا قوة الا به . ونصلي ونسلم على محمد وآله وسلم » (ص٦٣) .

لا جرم انه استبان بما تقدم ان المؤلف نفسه هو ابوالحسن وان الناقص من اول الكتاب عشرات من الاوراق لان الباقي نحو ثلاثمائة وثمانين صفحة هذا بقطع النظر عن الاوراق المتممة للجزء الثاني . اما ان نجزم بمن هو ابوالحسن فالظن لا يغني من الحق شيئاً . فقد ذكر ابن القفطي وابن ابي أصيبعة كثيراً من مترجميها بهذا اللقب ومنهم من كانوا من نحلة الصابئة وكان لبعضهم اشتغال بالفلسفة . ولعل بعض الباحثين ممن تتسع أوقاتهم يحققون في هذا الشأن و يهدوننا الى الصواب في معرفة المؤلف الحقيقي .

تكلم المؤلف في الجزء الثاني من كتابه على الفضيلة وأقسامها والفضيلة الخلقية وعلى

الرذيلة وقال ان الفضائل والرذائل مكتسبة نقلاً عن ارسطوطيلس . وقال في فصل آخر ان الفضائل والرذائل ليست لنا بالطبع ولكنها فينا بالتطبع وابان كيف تكتسب الفضائل والرذائل وان الرذائل التي لا يمكن الاقلاع عنها مكتسبة هي ام غير مكتسبة وهنا عقد فصولاً في العفة وفي الفرق بين المتأدب وذي الفضيلة الكاملة كله نقله عن الفلاسفة ومن فصوله في هذه الاماكن « التماس الراحة بالراحة يذهب بالراحة و يورث النصب » « في الحرية » « في المتلاف » « في النذالة » « في ان الغني شرير وخسيس وشقي » « في ان الحريص ليس بغني وان كثر ماله » « في الرفيع الهمة » « المتبذخ » « محبة الكرامة » « المتصلف وهو المتكبر » « المعجب » « الوضيع » « في ان اهل الحكمة يكونون مهانين والعلة في ذلك » وبدأ هذا الفصل بقوله : « قال أفلاطن ان اهل الحكمة يكونون ممقوتين وذلك من اجل انهم لا يكونون نفاعين قال وليست العلة انفسهم بل اولئك الذين لا يستعملونهم فان الحاجة لاولئك الى اهل الحكمة فاذا لم يأتوهم المحتاجون لم يصلح لهؤلاء ان يذهبوا الى أبوابهم » .

ومن الأبواب التي فتحها بعدُ « الحياء » « القحة وهي الخلاعة » « الشجاعة العامة » « الشجاعة الخاصة » « النجدة » « الاشياء المفزعة » « الجبن » « التقحم » « الهم » «وجه العلاج في إزالة الهم » « الحسد » « الشماتة » « في الفرق بين الغضب والهم » « في الجنايات التي يجب ان يخف فيها الغضب » « الفرق بين التأديب وبين الاخذ بالثار » « الحلم » « البغضة » « الحذر من العدو » . وفي هذه الفصول نقل أقوال الحكماء من اليونانيين . وعنون لفصل « في المحبة من كلامنا » : المحبة انفعال بلذة من المحبوب ونزاع الى ان يتصل انفعاله وتخوف من القطع وشغف بالمحبوب حتى لا تريد بدلاً عنه ، والشغف والنزاع والتخوف انفعالات وبعضها لذة وبعضها تأذي وبعضها ممتزج فالحب كما قيل حلاوة ومرارة وقال الشاعر :

الحب منه حلاوة ومرارة سائل بذلك من تطعّم اوذُق

وأقول الانفعال قد يكون بالحس وذلك يقع بالشاهد وقد يكون بالتخيل وذلك يكون في الغائب ولان التخيل نوع من الحس فلا بد من ان يكون المحسوس حاضراً للحاس حتى ينفعل فيه . وأقول حضور المحسوس لحاسة التخيل انما هو بالذكر . وأقول

والمذكور شاهد التخيل وفاعل والزائل عن الذكر غائب وكذلك الزائل عن الفكر والفرق ان الزائل عن الذكر نسيان والزائل عن الفكر غفلة » .

وبعد هذا ذكر فصولاً في أقسام المحبّات وفي تعريف المحبة نقلاً عن قالوا فيها وذكر حد الصديق والفرق بين المحبة والصداقة وان المحبة ضرورية في الحياة وان اكثر المحبات طبيعية نقلاً عن ارسطوطيلس وأتى على أنواع المحبات وعلى لواحق المحبات الذاتية وخواصها ولواحقها العرضية وهل يكره للفاضل ان يصير صديقه زائداً عليه في الفضل وفي السعيد هل يحتاج الى اصدقاء وفي فواعل الصداقة . كل ذلك والكلام فيه منقول عن ارسطوطيلس .

وهناك فصول في ان « المعاشرة ضرورية في الحياة » و « ما يجب للآباء والامهات من حق العشرة » « وبيان المحمود من العشرة والذميم منها » و « في المعاشرة بالهمة والفعل من دون الاختلاط » « المداعبة والراحة » « الكبير النفس » « في أن الملك والعبودية اسمان يثبت كل واحد منهما بصاحبه » . وختم الكتاب في اقسام الرعايا وفضيلة المسوس وأنواع السياسات ومادة الاسعاد وصورتها (وهنا نقل عن بعض المحدث من المتفلسفين) وكيفية السياسة وهي الحيلة في اجترار الناس الى طريق السعادة وبيان ان الانسان مفتقر الى معونة الناس له في اكتساب السعادة ومن كيفية السياسة الحيلة في استدامة العامة والترغيب في إقامة العدل وبيان انه ضروري وطباعي في الحياة وعدد أقسامه وقال في كيفية المماثلة وبذلك انتهى النصف الاول من السعادة والاسعاد .

* * *

بدأ المؤلف القسم الثاني من كتابه بفصول غريبة مثل « بما ذا يجب ان تكون مجازاة المبتدئ بالاحسان » « في الإفضال ماهو » وتفصيل الجنايات وماتلزم العقوبة فيه وذكر الجور والاسباب الباعثة عليه والاسباب الدالة عليه وأبان شرف العدل وعلو الانتفاع به وخساسة الجور وعظم المضرة به على طريقة الجدل وهذا الفصل المطول بالقياس الى غيره من الفصول نقله عن أفلاطن في كتاب السياسة كما نقل اكثر الفصول السالفة عن أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان وقلّ ان ينقل عن الفرس والعرب كما هي عادة من كتبوا في هذا الموضوع من مؤلفي العرب وأبان عن أرسطو ايضاً فضيلة العدل

بصفة حال العادل وهنا ذكر استنتاجات في العدل عن النبي صلى الله عليه واصحابه اوردها في اربع صفحات واستشهد بقصة زاذان الدهقان واعتداء وكيل سعد بن مالك على ارضه وشكواه الى عمر بن الخطاب ونص الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عمر امير المؤمنين الى سعد بن مالك سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد جاءني زاذان وذكر لي قصته فاذا جاءك كتابي ونظرت فيه فقم قائماً حتى تنصفه من نفسك والا فاقبل اليّ راجلاً . »

ومن فصوله في كيفية السياسة ، والحيلة في اجترار الناس الى الالفة ، والآفة التي تعرض على السياسة ولا يمكن الاحتراز منها والعلة في امكان خلود الابدان وما روي عن الفلاسفة في صفة الله والحقوق التي يجب على الناس اعتقادها واخذ الناس بالتعبد لله . ومن الفصول القول في المزاوجة وفيه ما ينبغي لكل صنف من الرجال ان يتزوج به من النساء . في الايلاد . في عنفوان الشبيبة ما هو . في كيفية المباضعة . في مدة نشو الانسان . في الفرق بين التأديب وبين السياسة والفرق بين التربية على الادب وبين التأديب . في الادب وفي الحكمة الانسية في اعمال الرعونة ولواحقها . في المتأدب والاديب والغرض من الادب و لادب الذي يربي به الصبيان وهم لا يعقلون وهو الادب الذي ينبغي ان يؤخذوا به وهم يعقلون او غيره . فان الاديب هو الحر ومن ليس باديب فانه عبد . في عدم الادب واصناف التربية على الادب والتأديب . والقول في تربية الصبيان على الادب بالنوع الخداع قال فيه : قد قلنا ان ابتداء التربية على الادب انما تكون من المخادعة وذلك بان يصور الجد في صورة الهزل وان ينفق الصدق في صيغة الكذب . قال افلاطن وذلك بان يصاغ لهم الغاز يكون حشوها الادب وظاهرها الكذب . قال ومن جنس الالغاز الاشعار التي تمدح الفضيلة والعفة لا المجون واللذة . قال وينبغي ان يؤخذ الامهات والحواضن بان يحرفوهم بها ولا يحرفوهم بغيرها قال ـــ وينبغي ان تكون العناية بتسوية انفسهم بالالغاز اشد من العناية بتسوية ابدانهم بالقُمُط . قال وكذلك نقول بان الابتداء انما هو من الموسيقي الكاذب قال : واما اللعب فينبغي ان يجعل فيها يثمر الجد كاللعب بالكرة والثقافة .

وعقد فصولاً في تربية الصبيان على الادب بالنوع الجدي وفي اكتسابهم الحياء وفي

ان الامور بمباديها وان المبدأ أعظم شيء يكون في الامر وفي مبدإ التأديب وكيف يؤدب والقول في اللذات المحمودة وفي اللذات الذميمة وتعويد الصبر والحلم وتعويد حسن الطاعة للرؤساء وللسنن وكل هذه الفصول ايضاً منقولة عن افلاطن في كتاب السياسة . ومن فصوله المسكر وشربه وشرب الصبيان والقول في الولاة والقضاة وهل ينبغي لهم ان يشربوا وهناك نقل اقوال افلاطن ولم يتعرض لما قاله الدينيون . ومن فصوله ادب النوم وما يجب ان يفرض على الاولاد للوالدين وحق الداية والحاضنة وفيما يجب ان يأخذ الملك الناس به في الامر الاكابر والسادة في الآداب التي يحتاج اليها المرؤوس اذا صحب الرئيس . وفي هذا الفصل ترك النقل عن افلاطن وتشبث بابن المقفع فنقل عنه ثلاث صفحات وعاد في الفصل التالي وهو في صفة من يجب ان يخرج في الحكمة ينقل عن افلاطن وكذلك فعل في فصول ادب التعلم وكيف ينبغي ان يعلموا وفي اي سن يجب ان يكون المتعلم وفي العلم الاول الذي ينبغي ان يؤخذوا بتعلمه وهو علم العدد والعلم الثاني المساحة ثم المكعبات فالنجوم فالموسيقي فعلم الجدل فالمنطق ونقل ماقاله افلاطن في الفرق بين صناعة المنطق وسائر الصناعات وقال في سياسة النساء وان طبعهن في العلوم والصنائع لاينقص عن طبع الرجال ولكنه يكون اضعف واستشهد بافلاطن في ذلك .

ومن عناوين الابواب في هذا الجزء « هيولى الرأي » « الحض على الاستشارة والتحذير من الاستبداد وفيه بيان الحاجة الى الوزير » وفصول في الاستشارة من الشريعة السمحة وصفات السائس والفرق بين الظان والعالم وبيان ان الرئيس اذا لم يكن فاضلاً فانه لاينفع ويضر مع ذلك المضرة العظيمة من قبل انه يفسد الرعية . وما الى هذا المعنى مما نقله عن أفلاطن حتى وصل الى القول في كيفية الاسعاد والى العدل العامي وهو الذي لايستغني عنه كل احد . وفصل مطول في الوصايا الجامعة . وجاء في آخرها قال ابو الحسن : الحمد لله الذي ألذّ بالمحبوب وأمتع به مرغماً فيه وأوحش بالمكروه وأمضّ به زاجراً عنه الى ان قال : وبعد فان كتابنا هذا انما هو في القسم الرابع من كتابنا في السعادة والاسعاد في السير الانسانية ونريد ان نبين فيه أقسام الرياسات وعلل الفاسدة منها نذكر فيه ايضاً أصناف المدن وصورها وأحوال أهلها وبالله نستعين في كل امورنا واياه نستهدي اه .

وبهذا عرفنا ان كتاب السعادة والاسعاد يدخل في اربعة أجزاء وربما زاد على ذلك وبدأ هذا الجزء الرابع بأقسام الرياسات اخذ اكثرها عن أفلاطن ثم ذكر السبب المولد للفساد وكيف يحدث الفساد واستوفى القول في صفة المتغلب وذكر بعدُ أقسام المدن فقسمها الى المدينة الفاضلة والمدينة الخسيسة والحكيمة والجاهلية وتكلم عن صفة المدينة الشقية والسعيدة عن افلاطن وذكر صفة افلاطن لأخلاق اهل زمانه قال : « وحال ما نعلمه من أخلاق اهل المدن اليوم كحال لوح مملوء كتابة فاسدة فالواجب ان يغسل غسلاً جيداً ثم يملأ كتابة جيدة وان ذلك غير ممكن الا بان نقتلهم وهم أحياء ثم نجعلهم أذكياء بان نعودهم العادات التي يرضاها الله » ·

وهنا تبين معنا اسم المؤلف (ص ٣٤٩) فقد قال : قال ابو الحسن بن ابي ذر : الحمد لله الذي نظم بحسن التقدير بين المساعي · الى ان قال وبعد فان كتابنا هذا انما هو في القسم الخامس من كتابنا السعادة والاسعاد في السيرة الانسانية ونريد ان نتبين فيه ما يجب على الرئيس ان يأخذ به نفسه في السياسة لرعيته وبالله نستعيذ من الزيغ والزلل الخ ·

وبدأ هذا الجزء بأقسام السياسة على وجه آخر سوى الوجوه التي ذكرها من قبل وبأي السياسات ينبغي ان يكون الابتداء بسياسة السلم او الحرب قال أفلاطن : الابتداء بسياسة السلم اولى ويشبه ان يكون ذلك كالشيء اللازم وكالامر الضروري اذ كان لا سبيل الى دفع شر الاعداء الا باجتماع كلمة الاولياء · قال ولذلك نقول بان الواجب على السائس ان يصرف تدبيره اولاً الى استصلاح حال اهل المدينة فيما بينهم من الشرور التي تتولد فيهم بالبغضاء والتباين والحسد والتنافر قال وبعدُ فانه ليس يجوز ان تحصل لهم الخيرات ما لم يقع الامن لبعضهم من بعض · قال والحرب حربان حرب فيما بين الاولياء بعض من بعض وحرب فيما بينهم وبين اعدائهم وشر الحربين ما تكون بين الاولياء فلذلك نقول بانه يجب ان يكون ابتداء عناية السائس اكتساب حسن الحال للاولياء اهـ ·

ومن الفصول هنا الآداب التي يحتاج الملك والسائس ان يأخذ بها نفسه وأدب الملوك والرعية نقلها عن فلاسفة اليونان والفرس والعرب استشهد فيه بقول معاوية ما بين ان يملك الملك رعيته او تملكه الا الحزم او التواني فقال : هذا من حقه ان يكتب بماء

الذهب . » وتكلم بعد على قوانين كبيرة في الوفاء بالعهد والعقد والحزم وعلى ان العقوبة والإهانة ضرور يتان في السياسة نقل ذلك عن افلاطن وارسطوطيلس و يحث عما قاله افلاطن بانه ليس ينبغي للاديب ان يخاطب من لا ادب له . وذكر الفصل بين عقوبة الاولياء المخالفين وبين عقوبة الاعداء المنابذين وفي الجنايات التي لايجوز احتمالها والجنايات التي لاتطيق السنة احتمالها والتجاوز عن عقوبتها وبيان قوام السياسة بالاحسان وان أشرف الآلات الرفق وذكر ماجاء من الترغيب في الرفق والاحسان وتفصيل وجوه الاحسان وذكر الاسباب التي تتولد منها الآفات المفسدة للسياسة المؤدية الى خراب العمران والى فقر الرعية ونقل عن كتاب خداي نامة وكان نقل عنه كثيراً بعد اقتباس مايقتبس من فلاسفة يونان . وقال في سياسة دفع مضرة الاعداء عن الاولياء : الواجب على السائس في كل سياسة ان يعمل على ماتوجبه الحال في الوقت والاحوال الدائرة فيا بين الاولياء والاعداء وان كانت كثيرة فانها تنحصر في قسمين احدهما الذي يوجب المدافعة والآخر الذي يوجب المناجزة . ورأس الامر تقدمة الروية وملاكه العمل بالحيلة وقوامه في التأني ورفض العجلة وعلى انه لا بد من المدد ومن العدة وتمام الامر بكتمان ماتريد ان تعمله حتى لايقف عليه عدوك وحسن التلطف في استخراج ما يريد ان يعمله من يناوئك .

وذكر فصلاً في الحض على كتمان الرأي والاسباب التي بها تمكن المدافعة وذكر الاسباب التي بها يطمع في الغلبة عند المناجزة وذكر الرياسات التي بها ينتظم امر العسكر ، وعمل صاحب الشرطة او قائد الطليعة ، وامر الطلائع والعيون ، وعمل صاحب السياقة ، وعمل صاحب العلافة ، وعمل والي سوق العسكر واتبع ذلك بوصايا أكثرها مقتبس من افلاطن واشار الى المدة التي يجب بها رد العسكر الى اوطانهم وهي ثلاث سنين ولا ينقلهم حتى يصل اليهم من يخلفهم وذلك عن افلاطن ايضاً .

وفي (ص٤١٦) حمد الله وقدم مقدمته على عادته الى ان قال وبعد فان كتابنا هذا انما هو في القسم السادس من كتابنا الذي سميناه السعادة والاسعاد في السيرة الانسانية ونريد ان نذكر فيه السبيل الى تزكية النفس واحيائها من مبدإ مفتتحها الى تمام غايتها . وبدأ ذلك عن اليئوس فيما يجب ان يأخذ به الملك نفسه ورعيته في معرفة الله . ثم نقل

من كتاب الكون بتفسير الاسكندر نقله عن ارسطو ومن فصوله الحض على اقتناء من يستشار وفي التحذير من الهوى ومن مزيد الهوى ووجه العمل والرأي في الوزير اذا اخطأ وفي كيف يستشير فقال : في التاج (وتقل عنه غير مرة ولعله تاج الجاحظ) ولا ينبغي للملك ان يستشير احداً الا خالياً به فانه اموت للسر واجمع للذهن واحزم للرأي وقال ارسطوطيلس للاسكندر صيّر استشارتك بالليل فان الفكر فيه أحلى وأجمع وقال ابن المقفع اذا اجتمع امران فقدم الأهم واذا ورد امر وانت في آخر فدعه ولا تقطع الاول حتى تستتمه الا ان تخاف دخول ضرر بالتأخير في الامر الثاني وقال ابن المقفع ويجب ان تحذر المشاجرة في الوقت الضيق وقال ابن المقفع اذا طلب منك رأي فانظر الرجل المستشير فاذا عرفت اشترك بما يصلح له وفي خداي نامه ينبغي ان تعود نفسك الصبر على خلاف ذي الرأي والنصيحة اه ٠

ووضع فصولاً في كيف ينبغي ان يعامل الملك وزراءه وفي الاستشارة على معنى التألف وفي الابتداء بالمشورة وفي ان الوزير والمستشار يجب ان يكون اكثر من واحد وفي الاسباب التي ينبغي ان يرتأي فيها ويستشار نقلاً عن اليونانيين والفارسيين وعنون لفصول في انه لا بد للملك من الأعوان وفي الحض على اختيار العمال وصفاتهم وتفقد امورهم وأحوالهم وفي الادب والآفة المؤدية الى سوئه وهذا آخر ما بقي من اوراق هذا السفر ولعله اكثر من ستة اجزاء كما علمنا ذلك بنص المؤلف ٠

محمد كرد علي

مطبوعات حديثة

شخصية النبي محمد

The Personality of Muhammad the prophet.

رسالة لطيفة تشتمل على خطبة خطبها بالانكليزية الاستاذ (أ · يوسف علي الهندي) بعيد الاضحى في لندن ·

عرض الخطيب الى سيرة النبي عليه السلام منذ مولده الى وفاته على سبيل الاجمال · وأشار الى الظواهر الخطيرة والحوادث الهامة التي تتعلق بشخصيته ونصص على ما اتصف به ودعا اليه من مكارم الأخلاق ، وما شرعه من معالي الامور في شؤون الدين والدنيا · وكيف كان يرمي من وراء دعوته الى المواخاة بين البشر ليقودهم الى السعادة في الدنيا والآخرة · فحبذا لو أقبل المسلمون على دراسة حياة نبيهم وما فيها من الجلائل والعظائم والعبر والعظات لحياته حياة لهم

عضو المجمع العلمي
خليل مردم بك

مرافئ سورية وفلسطين

« في القرن الثامن عشر »

تأليف شارل رو الوزير المفوض · وهو بالفرنسية يقع في ٢١٧ صفحة من القطع الكبير ويحتوي على ٢٧ صورة قديمة

كان الفرنسيون وبعض الامم الاوربية يتجرون مع الشام في القرن الثامن عشر وما قبله على شكل خاص فتقيم جالياتهم في فرض معينة كبيروت وصيدا وطرابلس وعكا ويافا ويتمتعون بامتيازات رضي فيها السلاطين العثمانيون ان يتنازلوا عن حقوق الدولة حبا بضمانة الاتجار بين الشرق والغرب وهي تلك الامتيازات التي كانت في ذاك الحين محمودة المغبة فصارت في ايامنا هذه شؤما على اهل البلاد وضررا كبيرا · وكان تجار كل دولة اوربية من الدول الكبرى يعيشون مع قنصلهم عيشة خاصة في خانات معلومة

لا يخرجون منها ليلاً · ولهم قوانين سنتها لهم دولهم تتناول كثيراً من الشؤون حتى شؤونهم الخاصة كمنعهم عن الزواج ومنع نسائهم وبناتهم من اللحاق بهم واطلاق يد القنصل في طردهم واعادتهم الى بلادهم اذا اتوا أعمالاً سيئة الخ · ولم يكن يسمح لغيرهم من ابناء جلدتهم ان يتجروا مع الشرقيين · وبعض الدول كانت تحدد الاصناف والمقادير التي يمكنهم ان يتجروا بها حتى كأنهم موظفون لديها · وكانت الغرفة التجارية في مرسيلية تسيطر على كل التجار الفرنسيين في المرافئ الشامية ·

ولقد اجاد المؤلف في وصف علاقات التجار الاجانب بالاهلين و بالحكام وتأثير هؤلاء (كالشيخ ظاهر العمر والامير يوسف الشهابي والجزار وابي الذهب) في تجارة البلاد وزراعتها · ودعم آراءه بوثائق مهمة استخرجها من وزارة الخارجية الفرنسية والغرفة الزراعية في مرسيلية وحلى الكتاب بصور كثير من رجال ذاك العصر صورت في ذاك الزمن فهذا الكتاب هو اذن من الكتب المفيدة جداً يلزم لكل من يدرس تاريخ الشام في القرن السابع عشر لاسيما من وجهته الاقتصادية ·

مصطفى الشهابي
عضو المجمع العلمي

ذيل وذيل الذيل
« لكتاب الصكوك الحقوقية »

تأليف شيخ المدققين الاستاذ محمد مصباح محرم وقد وصفنا هذا الكتاب الممتع في عدد سابق من المجلة · وهذا الذيل تتمة قيمة يحتاج اليها ايضاً رجال القانون والشرع من قضاة ومحامين ·

عارف النكدي

كتاب اللؤلؤ المنضود
« في دفع نقود »

تأليف الشيخ امين ظاهر خير الله طبع في مطبعة الاجتهاد في بيروت
سنة ١٩٢٩

اول ما يسمع القارئ كلمتي (دفع نقود) يحسب ان المراد بهما (تأدية نقود) فضة وذهب . ثم لا يلبث ان يعلم ان المراد بهما (رد انتقادات) في اللغة والادب . والذي حمل المؤلف على هذا الرد أنه كان طبع ونشر كتاب (المنهج السوي) لوالده الشيخ ظاهر فقرأه بعض أدباء العرب في اميركا فرأى فيه مواضع للنقد فعددها وابدى ملاحظاته عليها فقام الناشر ابن المؤلف فحرر الجواب . وصفى الحساب . ودفع هاتيك النقود . وشفعها بالاحتجاجات والردود . وهي تبلغ ٣٤ رداً استغرقت ١٤٠ صفحة مطبوعة طبعاً حسناً مع عناية بالضبط والتصحيح وتحرير المباحث اللغوية والنحوية فجاء الكتاب طرفة لغوية لايستغني عنها عالم ولا متأدب . فنشكر للمؤلف هديته . ونتمنى لكتابه الرواج .

« المغربي »

الجزء ١٠ المجلد ٩

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) ايلول : سنة ١٩٢٩ م الموافق للربيعين سنة ١٣٤٨ هـ

عبد الحميد الكاتب

— ٢ —

رسالته في نصيحة ولي العهد في الفصل الذي عقدناه في نشأة عبد الحميد الاكبر وعصره وكتابته وأسلوبه عرضنا للاستشهاد ببعض رسائله الصغيرة المأثورة . وها نحن اولاء نتوخى هنا تحليل أدبه من رسالتين كبيرتين مما أبقت الايام عليه واغتبطنا بعد اثني عشر قرناً ان نتعرف منه سعة مادة الكاتب العظيم وطول نفسه وبعد مراميه في الثقافة وانه رجل متنابع[1] العلم آخذ من كل فن بنصيب وافر . والرسالتان هما رسالته في نصيحة ولي العهد ورسالته الى الكتاب . والاولى منهما أطول رسالة ابقت علينا الايام من انشاء سيد الكتاب عبد الحميد الاكبر كتبها على لسان مروان الى ابنه وولي عهده عبد الله بن مروان ، لما وجهه الى قتال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي وكان هذا استولى على الموصل وكورها سنة ١٢٧ . وقد انطوت هذه الرسالة المرقصة على أغراض كثيرة يمكن اجمالها في موضوعين مهمين الاول درس عظيم في تربية ابناء الملوك والعظماء وتلقينهم الأخلاق الفاضلة وهي الضمان الاعظم لقيام الممالك . والثاني وضع خطط حربية يسير عليها ولي العهد في قتال العدو ماترى المحدثين في المحاربين بلغوا اكثر منها في باب الكر والفر . فأثبت عبد الحميد بهذه الرسالة انه من علماء التربية والاخلاق وعلماء النفس

(١) يقال رجل متنابع العلم اذا كان يشبه علمه بعضه بعضاً .

وانه من علماء السياسة والادارة والحرب يستطيع ان يقود الجيوش بعقله كما يقود الممالك بقلمه ٠

بدأ رسالته في وصف الخارجي وان الخليفة أراد ان يعهد الى ولي عهده عهداً يحمله فيه أدبه و يشرع له عظته وان كان ولي العهد في الغاية من الدين والتحلي بما يحسن بالخلافة ولو لم يكن كذلك ماخصه ابوه بالولاية عنه دون بني ابيه ٠ وقال له ان الخليفة بوعظه ابنه ايضاً ائتمر بامر الله وما تقدمت فيه الحكماء من تقديم العظة والتذكير وان كانوا أهل معرفة واولي سابقة في الكمال وفضل في العلم قال : ولوكان المؤدبون اخذوا العلم من عند انفسهم ولقنوه إلهامًا من تلقائهم ولم ينتحلوا شيئًا من عند غيرهم لنحلناهم علم الغيب ووضعناهم بمنزلة قصرهم بها عنهم خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم بوحدانيته في فردانيته في الاهيته ٠٠٠ واستعماله ألفاظ الوحدانية والفردانية والالاهية من استعمال المحدثين لا عهد بها للعرب ٠

قال : وامير المؤمنين يرجو ان ينزهك الله عن كل قبح يهش له طمع ، وان يعصمك من كل مكروه حاق باحد ، وان يحصنك من كل آفة استولت على امرئ في دين او خلق وان يبلغه فيك احسن مالم يزل يعوّده من آثار نعمة الله عليك سامية بك الى ذروة الشرف ومنجحة لك بسطة الكرم لائحة بك في ازهر معالي الادب مورثة لك انفس ذخائر العز ٠ وبعد ان كان الخليفة يخاطب ابنه بصيغة الغائب انقلب وخاطبه خطاب الحاضر فقال : (والله استخلف عليك واسأله حياطتك وان يعصمك من زيغ الهوى ويحضرك دواعي التوفيق معاناً على الارشاد فيه فانه لا يمنين على الخير ولا يوفق له الا هو) ٠ وهذا الانقلاب في تنويع الخطاب من اجمل ما يبدر على أسلات اقلام الكتاب ٠ ذلك ان الخليفة بعد ان خاطب ابنه خطابه عاملاً من عماله عاد فذكر البنوة فدعا له دعاء والد لولده ليوفق في مقاصده ويسلم في بدنه ٠

ثم هوّن عليه الامر وابان له قدر نفسه وما تيسر له من اسباب التفوق باخلاقه فقال : وقد تلقتك اخلاق الحكمة من كل جهة بفضلها من غير تعب البحث في ادراكها ولا متطاول المنال لذروتها بل تأثلت [1] منها اكرم معانيها واستخلصت منها اعتق

(١) تأثلت اكتسبت ٠

جواهرها ثم شمرت الى لباب مصاصها واحرزت مَنْفَسَ[١] ذخائرها فاقتعد ما احرزت ونافس فيما اصبت ·

ومما قدمه له من العظة في ذلك ان يشكر الله في كل صباح على نعمة السلامة والعافية وان يقرأ فيه من كتاب الله جزءاً يردد فيه رأيه في ادبه ويزين لفظه بقراءته ويحضر عقله ناظراً في محكمه ويتفهمه متفكراً في متشابهه · يريد بذلك تقوية عقيدته في الدين وتقوية ملكته في البلاغة ·

وبعد ذلك التفت فقال : « ثم تمهد نفسك بمجاهدة هواك فانه مغلاق[٢] الحسنات ومفتاح السيئات واعلم ان كل اهوائك لك عدو يحاول هلكتك ويعترض غفلتك لانها خدع ابليس وحبائل مكره ومصايد مكيدته فاحذرها مجانباً لها وتوقها محترساً منها واستعذ بالله من شرها وجاهدها اذا تناصرت عليك بعزم صادق لا ونية فيه وحزم نافذ لا مثنوية[٣] لرأيك بعد اصداره عليك وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه ومضاء صارمة لا أناة معها ، ونية صحيحة لا خلجة[٤] شك فيها فان ذلك ظهريّ[٥] صدق لك على ردها عنك وقطعها دون ما تتطلع اليه منك وهي واقية لك سخطة ربك داعية لك رضا العامة ساترة عليك عيب من دونك ···· فحاول بلوغ غايتها محرزاً لها بسبق الطلب الى اصابة الموضع محصناً اعمالك من العجب فانه رأس الهوى واول الغواية ومقاد الهلكة حارساً اخلاقك من الآفات المتصلة بمساوي العادات » ·

« ومنها ان تملك امورك بالقصد وتصون سرك بالكتمان وتداوي جندك بالانصاف وتذلل نفسك بالعدل وتحصن عيوبك بتقويم أودك وأناتك فوقها الملال وفوت العمل ومضاءتك فدرعها روية النظر واكنفها بأناة الحلم وخلواتك فاحرسها من الغفلة واعتياد الراحة وصمتك فانف عنه عِيَّ اللفظ وخف فيه سوء القالة[٦] واستماعك فارعه[٧] حسن التفهم وقوه باشهاد الفكر وعطاءك فانهد[٨] له بيوتات الشرف وذوي الحسب

(١) منفس مايتنافس فيه · (٢) المغلاق بكسر الميم مايغلق به الباب · (٣) مثنوية استثناء · (٤) خلجة اضطراب · (٥) ظهريّ عدة · (٦) القالة يطلق القول في الخير والقال والقيل والقالة في الشر · (٧) اسمعه · (٨) نهد المدية عظمها وأضخمها ·

وتحرز فيه من السرف واستطالة البذخ وامتنان الصنيعة ، وحياءك فامنعه من الخجل وبلادة الحصر ، وحلمك فزعه عن التهاون ، واحضره قوة الشكيمة [١] ، وعقوبتك فقصر بها عن الافراط ، وتعمد بها اهل الاستحقاق ، وعفوك فلا تدخله تعطيل الحقوق ، وخذ به واجب المفترض ، وأقم به أود الدين ، واستئناسك فامنع منه البذاءة وسوء المثافنة [٢] ، وتعهدك امورك فخذه اوقاتاً ، وقدره ساعات ، لا يستفرغ قوتك ، ويستدعي سآمتك ، وعزماتك فانف عنها عجلة الرأي ، ولجاجة الاقدام ، وفرحاتك فاشكمها [٣] عن البطر ، وقيدها عن الزهد ، وروعاتك فحطها من دهش الرأي ، واستسلام الخضوع ، وحذرأنك فامنعها عن الجبن واعمد بها للحزم ، ورجاءك فقيده بخوف الفائت ، وامنعه من أمن العطب) .

ثم ذكر له كيف يتخير عشراءه ويعامل مشاوريه ، ويتوقى انتشار اخباره في العامة ، الا على صورة لا تسقط من شأنه فقال : « ثم لتكن بطانتك وجلساؤك في خلواتك ، ودخلاؤك في سرك ، اهل الفقه والورع من خاصة اهل بيتك وعامة قوادك ، ممن قد حنكته السن بتصاريف الامور ، وخبطته فصالها بين فراسن [٤] البزل منها ، وقلبته الامور في فنونها ، وركب أطوارها عارفاً بمحاسن الامور ، ومواضع الرأي ، مأمون النصيحة ، مطوي الضمير على الطاعة ، ثم احضرهم من نفسك وقاراً ، تستدعي منهم لك الهيبة ، واستئناساً يعطف اليك منهم بالمودة ، وانصاتاً يفل إفاضتهم عندك بما تكره ان ينتشر عنك من سخافة الرأي ، وضياع الحزم ، ولا يغلبن عليك هواك فيصرفك عن الرأي ، ويقطعك دون الفكر . وتعلم انك وان خلوت بسر فالقيت دونه سترك ، وأغلقت عليه أبوابك ، فذلك لامحالة مكشوف للعامة ، ظاهر عنك وان استترت بربما ولعل ، وما أرى اذاعة ذلك ، فاعلم بما يرون من حالات من ينقطع به في تلك المواطن ، فتقدم

(١) الشكيمة قوة القلب . (٢) المثافنة المباطنة وفي رواية المنافثة ومعناها الاذية .

(٣) يقال فعل فلان امراً فشكمته اي أثبته . (٤) الفرسن والجمع فراسن رجل الجمل والبزل كركع جمع بازل وهو البعير اذا ظهر نابه ومن المجاز الرجل الكامل في تجربته .

في إحكام ذلك من نفسك وسد خلله عنك ، فانه ليس احد أسرع اليه سوء القالة ولغط العامة بخير او شر ، ممن كان في مثل حالك ومكانك الذي أصبحت فيه من دين الله ، والامل المرجو المنتظر فيك » .

ثم حذره من مسائل لها مساس عظيم بمن لهم السلطان على الناس ، فكلمه في مسائل عامة تنتظم بسيره و بسيرته فقال له : «وإياك ان يغمز[1] احد من حامتك وبطانة خدمك ، بضعفة يجد بها مساغاً الى النطق عندك ، الا بمتزلك عيبه ، ولا تخلو من لأحدوثة لائمته ، ولا تأمن سوء فيه ، ولا يرخص سوء القالة فيه ، ان نجم ظاهراً ، او أعلن بادياً ، ولن يجترئوا على تلك عندك ، الا ان يروا منك إصغاءً اليها ، وقبولاً لها ، وترخيصاً لهم في الإفاضة بها ، ثم اياك ان يفاض عندك بشيء من الفكاهات والحكايات ، والمزاح والمضاحك ، التي يستخف بها اهل البطالة ، و يتسرع نحوها ذوو الجهالة ، و يجد فيها اهل الحسد مقالاً لعيب يذيعونه ، ولطعن في حق يجحدونه ، مع ما في ذلك من نقص الرأي ودرن العرض ، وهدم الشرف وتأثيل الغفلة ، وقوة طباع السوء الكامنة في بني آدم ، ككمون النار في الحجر الصلد ، فاذا قدح لاح شرره ، وتلهب وميضه ووقد تضرمه ، وليست في احد أقوى سطوة ، وأظهر توقداً وأعلى كموناً ، واسرع اليه بالعيب ، ونطرق الشين ، منها الى من كان في سنك من أغفال الرجال ، وذوي العنفوان في الحداثة الذين لم يقع عليهم سمات الامور ناطقاً عليهم لائحها ، ظاهراً عليهم ميسمها ، ولم تمحضهم شهامتها ، مظهرة للعامة فضلهم ، مذيعة حسن الذكر عنهم ، ولم يبلغ بهم الصيت في الحنكة مستمعاً يدفعون به عن انفسهم نواطق السن اهل البغي ، ومواد ابصار اهل الحسد » .

وعاد بعد ان حذره من الخفة في المواكب ، ومداعبة من يسايره بالتضاحك اليه ، يريده على ان يستعمل الجد في حركاته ، بحيث لا تتقلقل جوارحه ويحذره من السعاية و يدله على الطريقة في معاملة النامين وعلى الترفع عن الجواسيس وصورة معاملتهم الاخذ منهم ماينفع مصلحة الدولة فقط ونهج له السبيل السوي في معاملة اصحاب الحاجات

---

(١) اغمز في فلان اذا عابه واستضعفه وصغر شأنه . والحامة القرابة والأسرة .

فقال : « واعلم ان قوماً سيسرعون اليك بالسعاية ويأتونك من قبيل النصيحة ، ويستميلونك باظهار الشفقة ويستدعونك بالاغراء والشبهة ويوطئونك عشوة (١) الحيرة ليجعلوك ذريعة لهم الى استئكال (٢) العامة بموضعهم منك في القبول منهم والتصديق لهم على من قرفوه بتهمة او اسرعوا بك في امره الى الظنة فلا يصلن الى مشافهتك ساع بشبهة ولا معروف بتهمة ولا منسوب الى بدعة فيعرضك لابتداع (٣) في دينك ويحملك على رعيتك ما لا حقيقة فيه ويلحمك اعراض قوم لا علم لك بدخلهم الا بما أقدم به عليهم ساعياً واظهر لك منهم منتصحاً .

« وليكن صاحب شُرَطك ومن أحببت ان يتولى ذلك من قوادك اليه انتهاء ذلك وهو المنصوب لاولئك والمستمع لاقاويلهم والفاحص عن نصائحهم ثم ليُنْهِ ذلك اليك على ما يرتفع اليه منه لتأمره بامرك فيه وتقفه على رأيك من غير ان يظهر ذلك للعامة فان كان صواباً نالتك حظوته وان كان خطأ أقدم به عليك جاهل او فرطة سعى بها كاذب فنالت الساعي منها او المظلوم عقوبة او بدر من واليك اليه عقوبة ونكال لم يعصب ذلك الخطأ بك ولم تنسب الى تفريط وخلوت من موضع الذم فيه محضراً اليه ذهنك وصواب رأيك وتقدم الى من تولى ذلك الامر وتعتمد عليه فيه ان لا يقدم على شيء ناظراً فيه ولا يحاول اخذ احد طارقاً له ولا يعاقب احداً منكلاً به ولا يخلي سبيل احد صافحاً عنه لاصحار (٤) براءته وصحة طريقته حتى يرفع اليك امره وينهي اليك قضيته على جهة الصدق ومنحى الحق وبقين الخبر فان رأيت عليه سبيلاً لحبس او مجازاً لعقوبة امرته بتولي ذلك من غير ادخاله عليك ولا مشافهة لك منه فكان المتولي لذلك ولم يجر على يديك مكروه رأي ولا غلظة عقوبة وان وجدت الى العفو عنه سبيلاً او كان مما قُرِف به خلياً كنت انت المتولي للانعام عليه بتخلية سبيله والصفح عنه باطلاق أسره فتوليت اجر ذلك واستحققت ذُخره وانطلقت لسانه بشكرك وطوقت قومه حمدك واوجبت عليه حقك فقرنت

(١) العشوة الظلمة . (٢) استأكل الضعفاء اخذ اموالهم . (٣) في رواية لا يتاغ دينك . يقال اوتغه اهلكه وهذا مما يوتغ الدين والمروءة . (٤) الاصحار الوضوح .

بين خصلتين واحرزت خطوتين ثواب الله في الآخرة ومحمود الذكر في العاجلة .

« ثم واياك ان يصل اليك احد من جندك وجلسائك وخاصتك وبطانتك بمسألة يكشفها لك او حاجة يبدهك بطلبها حتى يرفعها قبل ذلك الى كاتبك الذي اهدفته لذلك ونصبته له فيعرضها عليك منهيًا لها على جهة الصدق عنها وتكون على معرفة من قدرها فان أردت اسعافه بها ونجاح ما سأل منها أذنت له في طلبها باسطاً له كنفك مقبلاً عليه بوجهك مع ظهور سرورك بما سألك فسحة رأي و بسطة ذرع وطيب نفس وان كرهت قضاء حاجته وأحببت رده عن طلبته وثقل عليك اجابته اليها واسعافه بها امرت كاتبك فصفحه عنها ومنعه من مواجهتك بها نخفت عليك في ذلك المؤنة وحسن لك الذكر ولم ينتشر عنك تجهم الرد و ينالك سوء القالة في المنع وحمل على كاتبك في ذلك لائمة انت منها بريء الساحة .

« وكذلك فليكن رأيك وامرك فيمن طرأ عليك من الوفود ، واتاك من الرسل ، فلا يصلن اليك احد منهم الا بعد وصول علمه اليك ، وعلم ما قدم له عليك ، وجهة ما هو مكلمك به ، وقدر ما هو سائلك اياه ، اذا وصل اليك فاصدرت رأيك في حوائجه ، وأجلت فكرك في امره ، واخترت معتزمًا على ارادتك في جوابه ، وانفذت مصدور رويتك في مرجوع مسألته ، قبل دخوله عليك ، وعلمه بوصول حاله اليك ، فرفعت عنك مؤونة البديهة ، وارخيت عن نفسك خناق الروية ، واقدمت على رد جوابه بعد النظر ، واجالة الفكر فيه ، فان دخل اليك احد منهم فكلمك بخلاف ما انهى الى كاتبك ، وطوى عنه حاجته قبلك ؛ دفعته عنك دفعًا جميلاً ، ومنعته جوابك منعًا وديعًا ، ثم امرت حاجبك باظهار الجفوة له ، والغلظة عليه ، ومنعه من الوصول اليك ، فان ضبطك لذلك مما يحكم لك تلك الاسباب ، صارفاً عنك مؤونتها ، مسهلاً عليك مستصعبها) .

هذه هي الخطة التي اختطها عبد الحميد لولي عهد المسلمين ، يريد بها ان يرفع مقامه بين الناس ، على اختلاف مطالبهم ، وان يظهره بمظهر الكرامة بعيداً عن تجبيه قاصديه والتجهم لهم ، وهو ضرب من حسن الادارة والسياسة ما نخال رجال الدول الراقية اليوم يعملون بغير هذه الطريقة حتى لا يسقطوا من الانظار ويتركوا للراجعين فسحة من الامل ، ولا يقطعوا معهم قطعًا بتًا ، وان يستهدف صغار العمال للنقد واقطع من النقد ، والرئيس

من ذلك بمعزل ، على حين هو الكل في الكل ، والصغير عن رأيه صدر ، ولارادته نفذ ولقانونه طبق . وماذا يضير هذا لوحمل الناس عليه بالطعن وقد يفادي بالمئات من العمال لقيام الدولة وحفظ البيضة واستبقاء الكرامة والحظوة في الرفع من مكانة الرئيس الاول فان بسقوطه سقوط الدولة وسقوط بعض عماله لا شأن له ولا بال . وحقيقة فان من المسائل ما يوفق لكشفه صاحب الشرطة مثلاً اكثر مما يوفق العظيم في الدولة لانه متمحض لذلك ومقام ولاية العهد يصغر في نفوس الامة اذا عمل في جزئيات الامور عملاً قد يجيده العامل الصغير و يوفق فيه و يوفر على صاحبه وقته و يرفع في العيون شخصيته .

جوّد عبدالحميد الكلام على هذا فأبان عن بعد نظر في سياسة الملك وسياسة الرعية ثم انشأ ينهج للمكتوب اليه طريقاً مهيعاً في سلوكه مع جلسائه وبطانته واهل مشورته واعوانه وفي احوال نفسه . تالله لقد لقنه هنا ادباً ، وحدد له عادات ليست اليوم قواعد الحياة العامة في الممالك المتمدنة ارقى منها . وفي هذا دليل ناهض على ان العقل البشري على كثرة ارتقائه جيلاً فجيلا ان يبرح في دائرة نرى فيها ما كان يستحسن قبل الف سنة يستحسن اليوم وتلك القواعد التي يتمسكون بها هي القواعد التي سنها أجدادنا لانفسهم منذ ثلاثة عشر قرناً . قال عبد الحميد :

« احذر تضييع رأيك ، واهمالك أدبك ، في مسالك الرضا والغضب ، واعتوارهما إياك ، فلا يزدهينّك إفراط عجب تستخفك روائعه و يستهويك منظره ولا يبدرن منك ذلك خطأ ونزق خفة لمكروه ان حل بك او حادث ان طرأ عليك .... وامنع اهل بطانتك وخاصة خدمك من استلحام اعراض الناس عندك بالغيبة والتقرب اليك بالسعاية والاغراء من بعض ببعض او النميمة اليك بشيء من احوالهم المستترة عنك او التحميل لك على احد منهم بوجه النصيحة ومذهب الشفقة فان ذلك أبلغ بك سمواً الى منالة الشرف واعون لك على محمود الذكر وأطلق لعنان الفضل في جزالة الرأي وشرف الهمة وقوة التدبير .

« واملك نفسك عن الانبساط في الضحك والانتهاق (١) وعن القطوب باظهار

(١) الاتساع .

الغضب وتخلله فان ذلك ضعف عن ملك سورة الجهل وخروج من انتحال اسم الفضل وليكن ضحكك تبسماً او كشراً في احايين ذلك واوقاته وعند كل رائع مطرب وقطوبك اطراقاً في مواضع ذلك واحواله بلا عجلة الى السطوة ولا اسراع الى الطيرة ، دون ان يكتنفها روية الحلم ، وتملك عليها بادرة الجهل ٠

« اذا كنت في مجلس ملئك ، حيث حضور العامة مجلسك ، فاياك والرمي بنظرك الى خاص من قوادك ، اوذي أثرة عندك من حشمك ، وليكن نظرك مقسوماً في الجميع واراعتك سمعك ذا الحديث بدعة هادئة ، ووقار حسن وحضور فهم مجتمع ، وقلة تضجر بالمحدث ، ثم لا يبرح وجهك الى بعض حرسك وقوادك متوجهاً بنظر ركين ، وتفقد محض وان وجه اليك احد منهم نظره محدقاً ، او رماك ببصره ملحاً ، فاخفض عنه اطراقاً جميلاً باتداع وسكون ، واياك والتسرع في الاطراق ، والخفة في تصريف النظر ، والالحاح على من قصد اليك في مخاطبته اياك رامقاً بنظره ٠

« واعلم ان تصفحك وجوه جلسائك ، وتفقدك مجانسة قوادك ، من قوة التدبير ، وشهامة القلب ، وذكاء الفطنة ، وانتباه السنة فتفقد ذلك عارفاً بمن حضرك وغاب عنك ، عالماً بمواضعهم من مجلسك ، ثم أعدُ بهم عن ذلك سائلاً لهم عن اشغالهم التي منعتهم من حضور مجلسك ، وعاقتهم بالتخلف عنك ٠

« ان كان احد من حشمك وأعوانك تثق منه بغيب ضمير ، وتعرف منه لين طاعة ، وتشرف منه على صحة رأي ، وتأمنه على مشورتك ، فإياك والاقبال عليه ، في كل حادث يرد عليك ، والتوجه نحوه بنظرك عند طوارق ذلك ، ان تريه او احداً من اهل مجلسك ان بك حاجة اليه موحشة ، او ان ليس بك عنه غنىً في التدبير ، او انك لا تقضي دونه رأياً ، اشراكاً منك له في رويتك ، وادخالاً منك له في مشورتك ، واضطراراً منك الى رأيه في الامر يعروك ، فان ذلك من دخائل العيوب التي ينتشر بها سوء القالة عن نظرائك ، فانفها عن نفسك ، خائفاً لاعتلاقها ذكرك ، واحجبها عن رويتك قاطعاً اطماع اوليائك عن مثلها عندك ، او غلوهم عليها منك ، واعلم ان للمشورة موضع الخلوة وانفراد النظر ، ولكل امر غاية تحيط بحدوده ، وتجمع معالمه ، فابغها

محرزاً لها ، ورمها طالباً لنيلها ، واياك والقصور عن غايتهـا ، او العجز عن دركها ، او التفريط في طلبها ان شاء الله تعالى ٠

« اياك والاغرامَ عن حديث ما اعجبك ، او امرما ازدهاك بكثرة السؤال ، او القطع لحديث من أرادك بحديثه ، حتى تنقضه عليه بالخوض في غيره ، او المسألة عما ليس منه ٠ فان ذلك عند العامة منسوب الى سوء الفهم ، وقصر الادب ، عن تناول محاسن الامور والمعرفة بمساويها ، ولكن انصت لمحدثك وارعه سمعك ، حتى يعلم ان قد فهمت حديثه ، واحطت معرفة بقوله ، فان اردت اجابته فعن معرفة بحاجته ، وبعد علم بطلبته ، والا كنت عندانقضاء كلامه كالمتعجب من حديثه بالتبسم والاغضاء ، فأجزى عنك الجواب ، وقطع عنك السن العتب ٠

« اياك وان يظهر منك تبرم بطول مجلسك ، اوتضجر ممن حضرك ، وعليك بالتثبت عند سورة الغضب ، وحمية الأنف ، وملال الصبر في الامر تستعجل به ، والعمل تأمر بانفاذه ، فان ذلك سخف شائن ، وخفة مردية ، وجهالة بادية ، وعليك بثبوت المنطق ووقار المجلس ، وسكون الريح ، والرفض لحشو الكلام ، والترك لفضوله ، والاغرام بالزيادات في منطقك ، والترديد للفظك ، من نحو اسمع ، وافهم عني ويا هنـاه ، والا ترى ، او ما يلهج به من هذه الفضول المقصّرة باهل العقل ، الشائنة لذوي الحجا في المنطق ، المنسوبة اليهم بالعي ، المردية لهم بالذكر ، وخصال من معـايب الملوك ، والسوقة عنها غيبة النظر ، الا من عرفهـا من اهل الأدب ، وقلما حامل لها ، مضطلع بها ، صابر على ثقلها آخذ لنفسه بجوامعها فانفها عن نفسك بالتحفظ منها واملك عليها اعتيادك اياها معتنياً بهـا منهـا كثرة التنخم والتبصق والتنخع والتثاؤب والتمطي والجشاء وتحريك القدم وتنقيض الاصابع والعبث بالوجه واللحية اوالشارب اوالمخصرة او ذؤابة السيف او الايماض بالنظر او الاشارة بالطرف الى بعض خدمك بامر ان أردته او السرار في مجلسك او الاستعجال في طعمك او شربك وليكن طعمك متدعاً وشربك انفاساً وجرعك مصاً واياك والتسرع في الايمان فيما صغر او كبر من الامور والشتيمة بقول يا ابن المناة او الغميزة لاحد من خاصتك بتسو بفهم مقارفة الفسوق بحيث محضرك او دلرك وفناؤك فان ذلك كله مما يقبح ذكره ويسوء موقع القول فيه

وتحمل عليك معايبه ويناللك شينه وينتشر عليك سوء النبإ به فاعرف ذلك متوقياً له واحذره مجانباً لسوء عاقبته .

« استكثر من فوائد الخير فانها تنشر المحمدة وتقيل العثرة واصبر على كظم الغيظ فانه يورث الراحة ويؤمن الساحة وتعهد العامة بمعرفة دخلهم وتبطن احوالهم واستثارة دفائنهم حتى تكون منها على رأي عين ويقين خبرة فتنعش عديمهم وتجبر كسيرهم وتقوّم اودهم وتعلم جاهلهم وتستصلح حاسدهم فان ذلك من فعلك بهم يورثك العزة ويقدمك في الفضل ويبقي لك لسان الصدق في العاقبة ويحرز لك ثواب الآخرة ويرد عليك عواطفهم المستنفرة منك وقلوبهم المنخية عنك .

« قس بين منازل اهل الفضل في الدين والحجا والرأي والعقل والتدبير والصيت في العامة وبين منازل اهل النقص في طبقات الفضل واحواله والخمول عند مباهاة النسب وانظر بصحبة ايهم تنال من مودته الجميل وتستجمع لك اقاويل العامة على التفضيل وتبلغ درجة الشرف في احوالك المتصرفة بك فاعتمد عليهم من خلالهم في امرك وآثرهم بمجالستك لهم مستحقاً منهم واياك وتضييعهم مفرطا واهمالهم مضيعا » .

هنا انتهى الفصل الاول من هذه الرسالة المتناهية في الإبداع وقد لمحنا فيها مايهذب النفس ويعرفها مصادر الامور ومواردها ويقفها على احوال الناس ومعالجة مسائلهم وقد ختمه بقوله : هذه جوامع خصال قد لخصها لك امير المؤمنين مفسراً وجمع لك شواذها مؤلفاً واهداها اليك مرشداً فقف عند اوامرها وتناه عن زواجرها وتثبت في مجامعها وخذ بوثائق عراها تسلم من معاطب الردى وتنل انفس الحظوظ ورغيب الشرف واعلى درجات الذكر والله يسأل لك امير المؤمنين حسن الارشاد وتتابع المزيد وبلوغ الامل وان يجعل عاقبة ذلك بك الى غبطة يسوغك اياها وعافية يحلك اكنافها ونعمة يلهمك شكرها فانه الموفق للخير والمعين على الارشاد وبه تمام الصالحات وهو مؤتي الحسنات وبيده الملك وهو على كل شيء قدير » .

قرأنا في الجزء الاول من هذا الكتاب صورة من التربية التي يريد عبد الحميد الاكبر ان يلقنها ولي عهد المسلمين ، وبما يحاول ان ينزه عنه خلقه وعاده ، ومجالسه ومواقفه ، ويلقنه من السيرة الحسنة مع رعيته وذوي الحاجات والظلامات منها ، ومايجب ان يكون

عليه في ادارته وسياسته مع عماله واصحابه واصحاب اخباره ، على صورة يظهر معها تام الادوات ، جميل المآتي والصفات ، عظيماً يضم في برديه ضروب الوقار وحسن السمت ، وجمال العلم والادب ٠

اما الجزء الثاني من الكتاب فهو قانون الحرب يلخصه لقائدها ، فيعمل على نفاذه لتكتب له الغلبة على خصمه الخارج على دولته ٠ وقد بدأ هذا القسم بالوقوف عند حدود الطاعة لله ، والعمل بمراشده ، واجتناب نواهيه ، ووصف الدواعي الى جهاد العدو الذي خرج على الجماعة فكان اضر على المسلمين من الترك والمشركين واوصاه برعاية من يمر بهم الجيش من اهل الذمة واهل الملة لئلا ينال الرعية ما ينالها على الاغاب من كل جيش مرابط ومشاغب ومهاجم ومدافع ومتراجع ٠ فقال هذا :

فاذا افضيت نحو عدوك واعتزمت على لقائهم واخذت اهبة قتالهم فاجعل دعامتك التي تلجأ اليها وثقتك التي تأمل النجاة بها وركنك الذي ترتجي به منازل الظفر وتكتهف[1] به لمخالق الحذر تقوى الله عز وجل مستشعراً لها بمراقبته والاعتصام بطاعته متبعاً لامره مجتنباً لسخطه محتذياً سننه والتوقي لمعاصيه في تعطيل حدوده وتعدي شرائعه متوكلاً عليه فيما صمدت[2] له واثقاً بنصره فيما توجهت نحوه متبرئاً من الحول والقوة فيما نالك من ظفر وتلقاك من عز راغباً فيما اهاب[3] بك امير المؤمنين اليه من فضل الجهاد ورمى بك اليه محمود الصبر فيه عند الله من قتال عدو المسلمين أكلبهم عليه واظهره عداوة لهم وافدحهم ثقلاً لعامتهم واخذة بربقهم[4] واعلاه عليهم بغياً واظهره فيهم فسقاً وجوراً واشده على فيئهم الذي اصاره الله لهم مؤنة وكلاً والله المستعان عليهم والمستنصر على جماعتهم عليه يتوكل امير المؤمنين واياه يستصرخ عليهم واليه يفوض امره وكفى بالله ولياً وناصراً ومغيثاً وهو القوي العزيز ٠ ثم خذ من معك من تباعك وجندك بكف معرتهم ورد مستعلى جورهم[5] واحكام

---

(١) اكتهف وتكهف لزم الكهف والكهف المغارة والوزر الملجأ ٠ (٢) صمد للامر قصده معتمداً عليه ٠ (٣) اهاب بصاحبه دعاه ٠ (٤) الربقة حبل يوضع في العنق وجمعه ربق ٠ (٥) في الصبح : ورد مشتعل جهلهم واحكام ضياع عملهم ٠

خللهم ، وضم منتشر قواصيهم ، ولم شعث أطرافهم ، وتقييدهم ممن مروا به من اهل ذمتك ، وملتك ، بحسن السيرة ، وعفاف الطعمة ، ودعة الوقار ، وهدي الدعة ، وجمام المستجم ، محكماً ذلك منهم ، متفقداً لهم فيه تفقدك اياه من نفسك .

ثم اصمد لعدوك المتسمي بالاسلام ، الخارج عن جماعة اهله ، المنتحل ولاية الدين ، مستحلاً لدماء اوليائه ، طاعناً عليهم ، راغباً عن سنتهم ، مفارقاً لشرائعهم ، يبغيهم الغوائل ، وينصب لهم المكايد ، اضرم حقداً عليهم ، وارصد عداوة لهم ، من الترك وأم الشرك ، وطواغي الملل ، يدعو الى المعصية والفرقة ، والمروق من الدين الى الفتنة ، مخترعاً بهواه الى الأديان المنتحلة ، والبدع المتفرقة ، خساراً وتخسيراً ، وضلالاً وتضليلاً ، بغير هدى من الله ولا بيان ، ساء ما كسبت يداه ، وما الله بظلام للعبيد ، وبئسما سولت له نفسه الامارة بالسوء ، والله من ورائه بالمرصاد ، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون .

وقد رأينا مما نقلنا من جملة انه عاد فأراده على الاعتصام بالمولى ، وادلى اليه بالوسائل الى استصلاح عدوه من دون اهراق دم فقال له : « اعلم ان الظفر ظفران احدهما أعم منفعة ، وابلغ في حسن الذكر قالة ، وأحوطه سلامة ، وأتمه عافية ، وأعوده عاقبة ، وأحسنه في الامور مورداً ، وأصحه في الرواية حزماً ، وأسلمه عند العامة مصدراً ، ما نيل ببسالة الجنود ، وحسن الحيلة ، ولطف المكيدة ، ويمن النقيبة [1] ، واستنزال طاعة ذوي الصدوف [2] ، بغير اخطار الجيوش في وقدة جمرة الحرب ، ومنازلة الفرسان في معترك الموت ، وان ساعدتك طلوق الظفر ، ونالتك مزية السعادة في الشرف ، ففي مخاطرة التلف مكروه المصائب ، وعضاض السيوف ، وألم الجراح ، وقصاص الحروب وسجالها بمعاورة أبطالها ، على انك لا تدري لاي الفريقين يكون الظفر في البديهة ، ومن المغلوب في الدولة ، ولعلك ان تكون المطلوب بالتمحيص ، فحاول ابلغهما في سلامة جندك ورعيتك ، واشهرهما صيتاً في بدو تدبيرك ورأيك ، واجمعهما لالفة وليك وعدوك ، واعونهما على صلاح رعيتك ، واهل ملتك ، واقواهما شكيمة في حزمك ،

(١) النقيبة النفس . (٢) الميل والانحياز .

وابعدهما من وصم عزمك ، واعلقهما بزمام النجاة في آخرتك ، واجزلها ثواباً عند ربك .

وابدأ بالاعذار[1] الى عدوك ، والدعاء لهم الى مراجعة الطاعة وامر الجماعة ، وعرى الألفة ، آخذاً بالحجة عليهم ، متقدماً بالانذار لهم ، باسطاً امانك لمن لجأ اليه منهم ، داعياً لهم اليه بألين لفظك والطف حيلتك ، متعطفاً برأفتك عليهم ، مترفقاً بهم في دعائك ، مشفقاً عليهم من غلبة الغواية لهم ، واحاطة الهلكة بهم ، منفذاً رسلك اليهم بعد الانذار ، تعدهم كل رغبة يهش اليها طمعهم في موافقة الحق ، و بسط كل امان سألوه لانفسهم ومن معهم ومن تبعهم ، موطناً نفسك فيما تبسط لهم من ذلك على الوفاء بعهدك ، والصبر على ما أعطيتهم من وثائق عقدك ، قابلاً توبة نازعهم عن الضلالة ، ومراجعة مسيئهم الى الطاعة ، مرصداً للمنحاز الى فئة المسلمين وجماعتهم ، اجابة الى ما دعوته اليه ، وبصرته اياه من حقك وطاعتك ، بفضل المنزلة واكرام المثوى ، وتشريف الجاه ، وليظهر من اثرك عليه ، واحسانك اليه ، ما يرغب في مثله الصادف عنك ، المصر على خلافك ومعصيتك ، ويدعو الى اعتلاق حبل النجاة ، وما هو املك به في الاعتصام عاجلاً وانجى له من العقاب آجلاً وأحوطه على دينه ومهجته بدءً وعاقبة فان ذلك مما يستدعي به من الله نصره عليهم ويعتضد به في تقديه الحجة اليهم معذراً او منذراً ان شاء الله .

وهنا اورد له الصورة التي يجب ان يتخذها لارسال عيونه وجواسيسه لمعرفة حال العدو وادراك نفسيته وما يرغب فيه « مستشيراً لذوي النصيحة الذين قد حنكتهم التجربة ونجذتهم الحروب » وان الواجب ان يعظم امر عدوه لا كثر مما بلغه اخذاً بالحزم لئلا يكون غير مهين الجند ولا مفرطاً في الرأي ولا متلهناً على اضاعة تدبير ووضع له قاعدة ان يحذر جواسيسه اتقسهم بما يأتونه به من اخبار عدوه وان لا يعاقبهم اذا اتهمهم في خبر حملوه ملتمساً لهم الاعذار ولعلهم أوتوا من تدبير العدو ومكيدته . وقال :

« البسهم[2] جميعاً على الانتصاح وارجح لهم المطامع فانك لم تستعبدهم بمثله

---

(١) اعذر بالغ في العذر اي في كونه معذوراً على ما اتاه . (٢) خالطهم .

وعدم جزالة الثواب في غير مااستدامة منك الى امر عدوك» . «واعلم شأن جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك وربما كانوا لك وعليك فنصحوا لك وغشوا عدوك وغشوك ونصحوا عدوك وكثير مما يصدقونك ويصدقونه فلا يبدرن منك فرطة وعقوبة الى احد منهم ولا تعجل بسوء الظن الى من اتهمته على ذلك وابسط من آمالهم فيك من غير ان تُري احداً منهم انك اخذت من قوله اخذ العامل به والمتبع له او عملت على رأيه عمل الصادر عنه او رددته عليه رد المكذب له والمتهم له المستخف بما اتاك منه فتفسد بذلك نصيحته وتستدعي غشه وتجتر عداوته واحذر ان يُعرف جواسيسك في عسكرك او يشار اليهم بالاصابع وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وامين سرك و يكون هو الموجه لهم والمدخل عليك من اردت مشافهته منهم واعلم ان لعدوك في عسكرك عيوناً راصدة وجواسيس كامنة وان رأيه في مكيدتك مثل ما تكايده به وسيحتال لك كاحتيالك له ويعدّ لك كإعدادك فيما تزاوله منه . فاحذر ان يشهر رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضعه فيرصد له المراصد ويحتال له بالمكائد فان ظفر به فأظهر عقوبته كسر ذلك ثقات عيونك وخذلهم عن تطلب الاخبار من معادنها واستقصائها من عيونها واستعذاب اجتنائها من ينابيعها حتى يصيروا الى اخذها مما عرض من غير الثقة ولا المعاينة لقطاً لها بالاخبار الكاذبة والأحاديث المرجفة واحذر ان يعرف بعض عيونك بعضاً فانك لا تأمن تواطئهم عليك وممالأتهم عدوك واجتماعهم على غشك وتطابقهم على كذبك واصفاقهم(١) على خيانتك وان يورط بعضهم بعضاً عند عدوك فاحكم امرهم فانهم رأس مكيدتك وقوام تدبيرك وعليهم مدار حربك وهو اول ظفرك» .

وذكر له بعد هذا صفة من يوليه شرطته ، وان يكون اوثق قواده عنده وآمنهم نصيحة ، واقدمهم بصيرة في طاعته ، واصدقهم عفافاً ، وان يبسط من امله مظهراً عنه الرضا ، حامداً منه الابتلاء ، وبين له مهمته من الجيش وسلطته على الناس . وقال له ان يولي القضاء في عسكره رجلاً من ذوي الخير في القناعة والعفاف والنزاهة والفهم

(١) اجتماعهم .

والوقار والعصمة والورع ممن حنكته السن ، وايدته التجربة ، ويكون ممن لا يداهن في القضاء ويعدل ، وان يجري عليه ما يكفيه ويسعه ويصلحه ، ليتفرغ لما حمله ، ويعان على ما ولي ، واشار له ان ينتخب لطلائعه ذوي نجدة وبأس وخبرة ممن صلوا بالحروب ، وشربوا مرار كؤوسها ، وان ينتقيهم على عينه ، ويعرض كراعهم [1] بنفسه ، وبين له ما يصلح من الخيل والسلاح ووصف ذلك ابدع وصف . وحذره ان يكل مباشرة عرضهم وانتخابهم الى احد من اعوانه وكتابه ، لئلا يضيع مواضع الحزم ويقف دون عزم الروية ، لانهم حصون المسلمين وعيونهم وهم اول مكيدته ، وعروة امره ، وزمام حربه ، وان ينتخب للولاية عليهم رجلاً بعيد الصوت ، مشهور الاسم ، ظاهر الفضل ، له في العدو وقعات وصولات ، وان يجري عليهم وعليه ارزاقاً تسعهم وتمد من اطماعهم سوى ارزاقهم في العامة . بعد هذا قال له ان يولي درّاجة عسكره واخراج اهله الى مصافهم ومراكزهم رجلاً من اهل بيوتات الشرف محمود الخبرة معروفاً بالنجدة ذا سن وتجربة وان يضم اليه عدة نفر من ثقات جنده وذوي اسنانهم يكونون شرطة معه ثم يتقدم اليه في اخراج المصاف واقامة الاحراس واذكاء العيون وذكر له عمل هذا الرجل في الاخذ بالنافع لقيام امر الجيش ووقايته من العدو .

وذكر له ان يفوض الى امراء اجناده وقواد خيله امور اصحابهم رياضةً منه لهم على السمع والطاعة لامرائهم وحذره ان يعتل احد من قواده عليه بما يحول بينه وبين تأديب جنده لان ذلك مفسدة للجند وحذره استخفاف الجند بقوادهم لان ذلك يؤدي الى استخفافهم بامره وان يوعز الى قواده ان لا يقدموا على عقوبة احد الا عقوبة تأديب اما عقوبة القتل او اقامة حد في قطع او افراط في ضرب فلا يلي ذلك الا هو اوصاحب شرطته بامره وعن رأيه واذنه .

وبعد ذلك بسط له لقاء العدو اذا شام طلائعه كيف يكتّب خيوله ويعبي جنده ويسير في مقدمة وميمنة وميسرة وساقة شاهرين الاسلحة ناشرين البنود والاعلام عارفين بمواضعهم في مسيرهم ومعسكرهم معرفاً كل قائد اصحابه مواقفهم من الميمنة

---

(١) كراعهم خيلهم .

والميسرة والقلب والساقة والطليعة ، ليكون كأنه عسكر واحد في اجتماعه على العدو ، فان ضلت دابة من موضعها عرف اهل العسكر من اي المراكز هي ومن صاحبها ، وفي اي المحل حلوله منها فردت اليه. واراده على ان يجعل على ساقته أوثق اهل عسكره صرامة ونفاذاً ، ورضاً في العامة ، وانصافاً من نفسه للرعية ، وان يجعل خلف ساقته رجلاً من وجوه قواده جليداً ماضياً عفيفاً صارماً شهم الرأي شديد الحذر غير مداهن في عقوبة ، في خمسين فارساً من خيله ، يحشر اليه جنده ويلحق به من يتخلف عنه ، وامره ان بعد العقوبة الموجعة و يستصفي الأموال و يهدم عقار كل من آوى إحداً من الجند او ستر موضعه او أخفى محله ثم قال :

ليكن رحيلك إباناً واحداً ، ووقتاً معلوماً ، لتخف المؤنة بذلك على جندك ، ويعلموا أوان رحيلهم فيقدموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم ، وأعلاف دوابهم ، وتسكن قلوبهم الى الوقت الذي وقفوا عليه ، ويطمئن ذوو الرأي الى إبان الرحيل ، ومتى يكون رحيلك مختلفاً ، تعظم المؤنة عليك وعلى جندك ، ولا يزال ذوو السفه والنزق يترحلون بالإرجاف ، وينزلون بالتوهم ، حتى لا ينتفع ذو رأي بنوم ولا طمأنينة .

إياك ان تظهر استقلالاً ، او تنادي برحيل من منزل تكون فيه ، حتى تأمر صاحب تعبيتك بالوقوف باصحابه على معسكرك آخذاً بجنبي فوهته باسلحتهم عدة لامر ان حضر ، او مفاجأة من طليعة للعدو ان رأت منكم نهزة ، او لمحت عندكم غرة ، ثم مر الناس بالرحيل ، وخيلك واقفة ، وأهبتك معدة ، وجنتك واقية ، حتى اذا استقللتم من معسكركم ، وتوجهتم من منزلكم ، سرتم على تعبيتكم بسكون ريح ، وهدوء حملة ، وحسن دعة ، فاذا انتهيت الى منهل اردت نزوله ، او هممت بالمعسكر به ، فاياك ونزوله الا بعد العلم باهله ، والمعرفة بمرافقه ، ومر صاحب طليعتك ان يعرف لك أحواله ، ويستثير لك علم دفينه ، ويستبطن علم اموره ، ثم ينهيها اليك على ما صارت اليه ، لتعلم كيف احتماله لعسكرك ، وكيف ماؤه وأعلافه وموضع معسكرك منه ، وهل لك ان أردت مقاماً به ، او مطاولة عدوك ، او مكايدته فيه ، قوة تحملك ومدد يأتيه ، فانك ان لم تفعل ذلك ، لم تأمن من ان تهجم على منزل يعجزك و يزعجك عنه ضيق مكانه ، وقلة مياهه ، وانقطاع مواده ان أردت بعدوك مكيدة ، او احتجت من امورهم الى

مطاولة ، فان ارتحلت منه كنت غرضاً لعدوك ، ولم تجد الى المحاربة والاخطار سبيلاً ، وان اقمت به اقمت على مشقة وحصر ، وفي ازل[1] وضيق ، فاعرف ذلك وتقدم فيه ، فان أردت نزولاً امرت صاحب الخيل التي وكلت بالناس فوقفت خيله متنحية من معسكرك ، عدة لامر ان غالك ، ومفزعاً لبديهة ان راعتك ، فقد أمنت بحمد الله وقوته فجأة عدوك ، وعرفت موقعا من حرزك ، حتى يأخذ الناس منازلهم ، وتوضع الاثقال مواضعها ، و يأتيك خبر طلائعك ، وتخرج دبابتك من معسكرك دراجة ودباباً محيطين بمعسكرك ، وعدة ان احتجت اليها ، ولتكن دبابات جندك اهل جلد وقوة ، قائداً او اثنين او ثلاثة باصحابهم ، في كل ليلة ويوم نوباً بينهم ، فاذا غربت الشمس ووجب[2] نورها أخرج اليهم صاحب تعبيتك أبدالهم ، عسساً بالليل في اقرب من مواضع دبابي النهار يتعاور ذلك قوادك جميعاً بلا محاباة لاحد فيه ولا إدهان » .

وعلى هذا النحو وضع لولي عهد المسلمين مخطط الحركات الحربية ثم قال له ان يكون منزله في خندق او حصن ليأمن فيه بيات عدوه ، وان يقطع لكل قائد ذرعاً معلوماً من الارض بقدر اصحابه ، فيحفروه عليهم خندقاً يطيفونه بعد ذلك بخنادق الحسك اي الأسلاك الشائكة . واذا طرقهم طارق او فاجأهم عدو ان لا يتكلم احد رافعاً صوته بالتكبير ، وليشرعوا رماحهم ناشبين بها في وجوههم ، و يرشقونهم بالنبل مكتنين باترستهم ، لازمين لمراكزهم ، وان يكبروا ثلاث تكبيرات متواليات وسائر الجند هادون ، ليعرف مواضع عدوه من معسكره ، وان لا يشهروا سيفاً يتجالدون به ، بل يكون قتالهم بالرماح والنشاب « قد ألبدوا بالأترسة ، واستجنوا بالبيض ، والقوا عليهم سوابغ الدروع وجباب الحشو » وأراده على ان لا يخمد نار رواقه ليسكن نافر قلوب عسكره ، وان عدوه اذا نكل عن الاصابة في جنده فعليه ان يتبعه جريدة خيل عليها الثقات من فرسانه . وتقدم اليه فوصف الحالة التي يجب على هؤلاء الثقات ان يكونوا عليها ، وهم يطاردون اعداءهم ، والصفات التي يجب على فرسانه ان يكونوا عليها ليغنوا غناءهم ، ووصف له صورة خيلهم وعددهم وسلاحهم وكيف يولي على كل مائة رجل منهم رجلاً من اهل

(١) الازل ضيق في العيش . (٢) وجبت الشمس غابت .

خاصته وثقاته ونصحائه « له صيت في الرياسة وقدم في السابقة ، واولية في المتابعة ، وبتعهدهم ودوابهم وسلاحهم ليكونوا كرجل واحد في التشمير وسرعة الاجابة عند الطلب » .

وقال له : ان يوكل بخزائنه ودواوينه رجلاً ناصحاً اميناً و يجعل معه خيلاً يكون مسيرها ومنزلها ومرحلها مع خزائنه وحولها ، ويكون عامة الجند والجيش متنحين عنها لئلا تحدث فزعة فينتهب الجند انفسهم الخزائنة .

وبعد ان نحا هذا المنحى ختم هذه الرسالة العذراء بان يعمد الى الحيل اولاً لا الى القتال وان يدس الى عدوه ، ويكاتب رؤساءهم وقادتهم ، ويعدهم ويمنيهم ، و يقطع أعناقهم بالمطامع . وقال له : ولا عليك ان تطرح الى بعضهم كتباً كأنها جواب كتب لهم اليك ، وتكتب على السنتهم كتباً اليك تدفعها اليهم ، وتحمل بها صاحبهم عليهم ، وتنزلهم عنده بمنزلة التهمة ومحل الظنة ، فلعل مكيدتك في ذلك ان يكون فيها افتراق كلمتهم . وأتم الرسالة بما يجب عليه وعلى جيشه من ذكر الله عند المصاولة وان لا يظهر الجند تكبيراً الا في الكرات والحملات ، اما وهم وقوف فان ذلك من الفشل والجبن ، وان يكون في معسكره المكبرون في الليل والنهار قبل المواقعة يحضون الناس على القتال ، و يصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم ، و يذكرونهم الجنة ودرجاتها ، ونعيم اهلها وسكانها . و كتب هذا الكتاب سنة تسع وعشرين ومائة قبل زوال ملك بني أمية من الشرق بثلاث سنين .

عرفنا كما رأيتم من هذه الرسالة اموراً كثيرة من شؤون تلك الايام ، ونمط حروبها ، والأخلاق الغالبة على اهلها ، ما لا نعرف بعضه بالرجوع الى الكتب المطولة والاحاديث المنشرة ، ودل بها عبد الحميد الاكبر انه رجل الدولة الاموية ممن قد يتبغ مثلهم اواخر الدول فيكونون لها سراجاً وهاجاً ، وتطفأ شعلتهم بانطفاء شعلتها .

وعرفنا بهذا القليل من الصفحات التي ابقت عليها العصور من كلام امام المنشئين نفسيته وعقله بما لا تنهض بتصوير بنفسه التراجم المطولة التي يكتبها اصحابها فيمن لم يعرفوهم ولم يعاشروهم ، فيترجمون لهم كما يترجمون لغيرهم ، وبعض التراجم اذا ازلت منها جملاً معينة تليق ان تلبس على جسم اكثر الناس وروحهم . وترجمة المرء من كلامه افعل اثراً واصدق قيلاً .

رسالته الى الكتاب — ومن اشهر ما خلفته العصور من رسائل عبد الحميد بن يحيى رسالته الى الكتاب نقلها عن اقدم مصدر لها وهو كتاب الجهشياري وقد نقلها ابن خلدون في مقدمته الا انه لم تصل اليه برمتها . قال صاحب تاريخ الوزراء وجدت بخط ميمون بن هرون لعبد الحميد كتاباً الى الكتاب اطال فيه الا انه اجاد فلم استجز اسقاط بعضه ، وكتبته جميعه على طوله لان الكاتب لا يستغني عن مثله وهو :

اما بعد حفظكم الله يا اهل هذه الصناعة وحاطكم ووفقكم وارشدكم ، فان الله عزوجل جعل الناس من بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المكرمين سوقاً ، وصرفهم في صنوف الصناعات التي سبب منها معاشهم ، فجعلكم معشر الكتاب في اشرفها صناعة : اهل الادب والمروءة والحلم والروية ، وذوي الاخطار والهمم ، وسعة الذرع في الافضال والصلة ، بكم ينتظم الملك ، وتستقيم للملوك امورهم وبتدبيركم وسياستكم يصلح الله سلطانهم ، ويجتمع فيئهم وتعمر بلادهم ، يحتاج اليكم الملك في عظيم ملكه ، والوالي في القدر السني والدني من ولايته ، لا يستغني عنكم منهم احد ، ولا يوجد كاف الا منكم ، فموقعكم منهم موقع اسماعهم التي بها يسمعون ، وابصارهم التي بها يبصرون ، والسنتهم التي بها ينطقون ، وايديهم التي بها يبطشون ، انتم اذا آلت الامور الى موئلها ، وصارت الى محاصلها ، ثقاتهم دون اهليهم واولادهم وقراباتهم ونصحائهم ، فامتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ، ولا نزع سربال النعمة عليكم .

وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى استخراج خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة . ايها الكتاب ان كنتم على ما سبق به الكتاب من صنعتكم فان الكاتب يحتاج من نفسه ، ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره ، الى ان يكون حليماً في موضع الحلم ، فقيهاً في موضع الحكم ، مقداماً في موضع الاقدام ، ومحجماً في موضع الاحجام ، ليناً في موضع اللين ، شديداً في موضع الشدة ، مؤثراً للعفاف والعدل والانصاف ، كتوماً للاسرار ، وفياً عند الشدائد ، عالماً بما يأتي ويذر ويضع الامور في مواضعها ، قد نظر في كل صنف من صنوف العلم فأحكمه فان لم يحكمه شدا منه شدواً يكتفي به ، يكاد يعرف بغريزة عقله وحسن ادبه وفضل تجربته

مايرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر قبل صدره فيعد لكل امر عدته ويعي لكل امر أهبته فتنافسوا معشر الكتاب في صنوف العلم والادب وتفقهوا في الدين وابدؤا بعلم كتاب الله عزّ وجلّ ، والفرائض ثم العربية فانهـا ثقاف ألسنتكم ، وأجيدوا الخط فانه حلية كتبكم ، وارووا الاشعار واعرفوا غريبهـا ومعانيهـا ، وايام العرب والعجم وأحاديثهـا وسيرها ، فان ذلك معين لكم على ما تسمون به بهممكم ، ولا يضعفن نظركم في الحساب ، فانه قوام كتاب الخراج منكم ، وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيها ، ومساوي الامور ومحاقرها ، فانهـا مذلة للرقاب ، مفسدة للكتاب ، ونزهوا صناعتكم ، واربؤوا بانفسكم عن السعاية والنميمة ، وما فيه اهل الجهالة والدناءة ، وايا كم والكبر والعظمة ، فانها عداوة مجتلبة بغير إحنة ، وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم ، وتواصلوا عليها فانها شيم اهل الفضل والنبل من سلفكم .

وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه ، وواسوه حتى ترجع اليه حاله ، وان اقعد الكبَر احدكم عن مكسبه ، ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه ، واستظهروا بفضل رأيه وتجربتـه ، وقديم معرفته ، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه ، أحدب وأحوط منه على اخيه وولده فان عرضت في العمل محمدة فليضفها الى صاحبه ، وان عرضت مذمة فليحملها من دونه ، وليحذر السقطة والزلة ، والملال عند تغير الحال ، فان العيب اليكم معشر الكتاب اسرع منه الى المرأة ، وهو لكم اشد منه لها ، فقد علمتم ان الرجل منكم قد يصف الرجل اذا صحبه في بدء امره من وفائه وشكره ، واحتماله وصبره ونصيحتـه ، وكتمان سره وعفافه وتدبيره ، بما هو حري ان يحققه بفعاله في غير حين الحاجة الى ذلك منه ، فابذلوا وفقكم الله ذلك من انفسكم ، في حال الرخاء والشدة ، والحرمان والمواساة ، والاحسان والاساءة ، والغضب والرضا ، والسراء والضراء ، فنعمت السمة هذه لمن وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة ، فاذا ولي الرجل منكم وصيّر اليه من امور خلق الله وعباده امر ، فليراقب الله تعالى ذكره ، وليؤثر طاعته فيه ، وليكن على الضعيف رفيقاً وللمظلوم منصفاً ، فان الخلق عباد الله ، وأحبهم اليه أرفقهم بعباده ، ثم ليكن بالحق حاكماً ، وللأشراف مكرماً ومدارياً ، وللفيء وفراً ، وللبلاد عامراً ، وللرعية متألفاً ، وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً ليناً ، وفي

استجلاب خراجه واستقصاء حقوقه رفيقاً .

واذا صحب احدكم الرجل فليستشف خلائقه كما يستشف الثوب ليشتريه لنفسه فاذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال لصرفه عما يهواه من القبيح بالطف حيلة واحسن مداراة ورفق فقد عرفتم ان سائس البهيمة اذا كان حاذقاً بسياستها التمس معرفة اخلاقها فان كانت رموحاً اتقاها من رجلها وان كانت جموحاً لم يهجها اذا ركبها واذا كانت شموساً توقاها من ناحية يدها وان خاف منها عضاضاً توقاها من ناحية رأسها وان كانت حروناً لم يلاحها وتتبع هواها في طريقها وان استمرت عطفها فيسلس لها قيادها . ومن هذا الوصف من سائس البهيمة ورفق سياسته دليل وأدب لمن ساس الناس وعاملهم وخدمهم وصحبهم .

والكاتب بفضل رأيه وشرف صناعته ، ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره ويناظره ، ويفهم عنه ويخاف سطوته ، اولى بالرفق بصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جواباً ، ولا تعرف خطأً ولا صواباً ، الا بقدر ما يصيرها اليه سائسها ، وصاحبها الراكب لها فأدقوا يرحمكم الله النظر واعملوا فيه الروية والفكر ، تأمنوا ممن صحبتموه باذن الله النبوة ، والاستثقال والجفوة ؛ و يصيروا منكم الى الموافقة وتصيروا منهم الى المواساة والشفقة ان شاء الله .

ولا يجوزنّ الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون امره — قدر صناعته فانكم مما فضلكم الله به من شرف صناعتكم خدم لا تحتملون في خدمتكم على التقصير وخزان وحفظة لا يحتمل منكم التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما عددت عليكم فنعم العون عونكم على صيانة دينكم وحفظ امانتكم وصلاح معاشكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر و يذلان الرقاب ويفضحان اهلها ولا سيما الكتاب وللامور اشباه وبعضها دليل على بعض . فاستدلوا في مؤتنف اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة . وارجحها حجة و حمدها عاقبة واعلموا ان للتدبير آفة وضداً [1] وافية لا يجتمعان في احد ابداً وهو الوصف الشاغل لصاحبه على

(١) كذا وفي رواية « واعلموا ان للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل الخ .

انفاذ عمله ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلس تدبيره قصد الكافي في منطقه وليقصد في كلامه وليوجز في ابتدائه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لعقله ومحجة لذهنه ومدفعة للتشاغل من اكثاره وان لم يكن الاكثار عادة ثم وضع موضعه في ابتداء كتاب او جواب عند الحاجة فلا بأس ولا يدعون الرجل منكم صنع الله تعالى ذكره له في امره وتأييده اياه بتوفيقه الى التجب المضر بدينه وعقله وأدبه فانه ان ظن منكم ظان او قال قائل ان ذلك الصنع لفضل حيلته واصالة رأيه وحسن تدبيره كان متعرضاً لان يكله الله الى نفسه فيصير منها الى غير كاف ولا يقل احد منكم انه آدب واعقل واحمل لعبء التدبير والعمل من اخيه في صناعته فان اعقل الرجلين عند ذوي الالباب القائل ان صاحبه اعقل منه واحمقها الذي يرى انه اعقل من صاحبه لعجب هذا بنفسه ونبذ ذاك التجب وراء ظهره اذ كان الآفة العظمى من آفات عقله ولكن قد يلزم الرجل ان يعرف فضل نعمة الله عليه من غير عجب برأيه ولا تزكية لنفسه ولا تكابر على اخيه وكفئه ويشكر الله ويحمده بالتواضع لعظمته ٠

وانا اقول في آخر كتابي هذا ما سبق به المثل « من يلزم الصحة يلزمه العمل » وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وختمته به تولانا الله واياكم معشر الكتاب بما يتولى به من سبق علمه في سعادته وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله » ٠

وبهذا الكتاب ايضاً عرفنا منازع عبد الحميد وادبه ٠ وانه يريد ان يجعل من الكتابة صناعة شريفة تفيد الناس وتفيد الآخذين انفسهم بادبها وان الكتابة تحتاج الى ادوات كثيرة ذكرها مفصلة ولا بد بعد الاضطلاع باعباء ما يلزم لها من العلوم ان يلم الكاتب بكل موضوع ولو الماما خفيفاً ومن احلى ما في رسالته ان يسترشد الصغار منهم بالكبار الذين سبقوهم في هذه الصناعة ويتعهدوهم ويعملوا بمشورتهم فلا عجب بعد هذا ان كانت لعبد الحميد من كتابته مدرسة خاصة ما زال الناس يأخذون منها في العصور التي تلته وقلما حادوا عنها بحال لانها معقولة مقبولة تنفع صاحبها في كل زمن وقد صدرت عن عقل عظيم جداً نجذته التجارب وأيده العلم الغزير والادب النمير ٠

نعم ألبس عبد الحميد في الثلث الاول من القرن الثاني هذا الانشاء العربي حلة جديدة

فيها المتانة وفيها الرشاقة واكثر ما بدا في تضاعيفها الاطالة في غير ما املال من سجع وترصيع انشاء يسير مع الطبع ومع الطباع التي تواءم اهل الحضارة ممن يفصلون و يتوسعون و يعيدون و يبدون ومقاصدهم تحوم حول التأثير في اذهان السامعين والقارئين. وبلوغ الغاية من تأليف الدول وانتظام الجماعة ولم تكن هذه الطريقة في الكتابة فيما بلغنا مألوفة في عامة دور الأمويين لان هؤلاء عرب اقحاح وكتابهم على شاكلتهم يحاولون بالايجاز في مكتوباتهم ان يتركوا للقارىء شيئاً من المعاني يفسرها بما يريد ويمتعوه بشيء من الحرية ينطلق فيها على ما يرى فيه المصلحة فيكون لديه المختصرات والتفاصيل من المطولات تفهم بذاتها . ومن المحقق ان عبدالحميد اقتبس هذه الطريقة من الامم المجاورة لا سيما الفرس ممن لم تكن حضارتهم حضارة ابتدائية كالعرب بل فيها المطول المسهب والمتشعب المتعب ولقد احتاج العرب بعد توسعهم في الملك الى تقرير المسائل على جليتها لا يعتورها اللبس ولا إشكال ومن مواجب الحضارة الاسهاب ومن دواعي البداوة الاقتضاب . فعبد الحميد اذاً تشبع بروح لدولة وروح حضارتها التي بلغت في ايامه أعلى قممها ورسم بيراعته صورة ما احاط به واقتضاء الحال ولو حاول بعد ان بلغت الامة ما بلغته من درجات التقدم في كل شأن من شؤون المجتمع ان يعود بالكتابة الى ايجازها القديم لما أفاد جديداً ، ولما رجع ذاك الصدى في سلطان دولته ، ولما وصف محيطه حق وصفه . ومن الصعب ان يتعدى المرء حدود البيئة ، ولا عليه فيما اتاه ما دامت حال الدولة تتطلب القاء الخطا الى الامام ، وان تجدد اوضاعها على ما تقتضيه المصلحة ، وطبيعة الملك والحضارة ، على ان لا يهدم في عمله أصلاً من الاصول القديمة . وفي هذا كان جماع المكانة التي بلغها عبد الحميد بانشائه فهو مخترع طريقة ، وكاتب وصاف على الحقيقة ، استجمع كل شروط البلاغة فعد امير المنشئين غير مدافع ، واستطاب الناس الى يومنا هذا أسلوبه المعجب المطرب ، واين من يشاكله فيه ، او تسمو قريحته الى مستوى ذاك النابغة في فنون الانشاء ، الداهية في حسن التصرف على ما يشاء .

محمد كرد علي

ابو عمر الزاهد (١)

غلام ثعلب الحفظة اللغوي المحدث
« وكتاب المداخل له »

نبغ للمسلمين في منتصف القرن الثالث من الهجرة علمان من كبار الاعلام ورحلتان عليهما المعول عند الاختلاف والمفزع في الخلاف . فأخذ طلاب العلوم يهرعون اليهما من كل صقع وينسلون من كل حدب . وهما حاملا لواء العربية ببغداد ومنتدى أهلها . وعليهما انتهت رياسة العربية واليهما كان مرجع علماء المصرين (البصرة والكوفة) في تحقيق المسائل وتقييد الروايات كما قال :

أيا طالب العلم لا تجهلن وعذ بالمبرد أو ثعلب
تجد عند هذين علم الورى فلا تك كالجمل الاجرب

فخرج لهم من جهابذة التلامذة من ملأوا الآفاق وبثوا فيها من كل علم ما رق وراق . وكان القرن الثالث للاسلام هو الذهبي من جهة استقرار الخلافة وتوطد الامامة في قرارتها في انحاء المعمور الشاسعة ثم أخذ ظلها الوارف يتقلص عن الاطراف و ينضوي الى ما استطف من مراكز الخلافة غير ان بزور العلم التي نثروها واشجار الحضارة العربية التي غرسوها لم تكن لتذوى او تذبل بعد ما سقوها من ينابيع عنايتهم الجارية وفيوضها الهامية المتوالية فنضرت وزهرت بما لم يخطر في الحسبان والظنون واثمرت واينعت على هنات هناك وشجون .

فممن تخرج على المبرد الزجاج وابن السراج وابو علي الطوماري وابو بكر ابن ابي الأزهر وابن درستويه وأبو علي الصفار وأبو جعفر الصفار .

وممن اخذ عن ثعلب ابن الانباري وابو عمر الزاهد غلامه وابو موسى الحامض كبير أصحابه وابراهيم الحربي وأبو عبد الله اليزيدي وابن مقسم .

وممن أخذ عنهما أو خلط بين المذهبين ابو حسن الاخفش ثالث الأخافش واصغرهم

(١) المجمع : راجع الجزء الثامن من هذا المجلد ص ٤٤٩ .

ونفطويه وابن كيسان والصولي وابن المعتز ·

ثم برع لهؤلاء من التلامذة من فاقوا عليهم وتصدروا للرئاسة وأنافوا و برّزوا وطار لهم دويٌّ في اكناف البسيطة كأبي علي الفارسي والسيرافيّ والزجاجي وابي الطيب اللغوي وابن خالويه والرماني وابن فارس والازهري الى غيرهم ·

ولكن مما لا يستهان به في مثل هذا المقام ان اباعمر الزاهد مع شهرته لم يطبع الى الآن شيءٌ من تآليفه الخطيرة التي هي مادة اللغة وينبوعها الصافي ولا عُرف بالبقاء منها غير فائت الفصيح عند بعض منتحلي العلم بدهلي وغير العشرات بخزانة برلين وغير هذا الكتاب الذي نحن بصدده مع ان ثلاثة منها غير هذه كانت توجد الى آخر المائة (١١) كما تراه في الثبت ·

وهذه النسخة فريدة فيما بلغه علمي وأحاطه نظري توجد بخزانة رامبور (الهند) في ١٣ صفحة وهي حديثة غير مضبوطة[1] ولا عارية عن الأغلاط بخط وسط ولم يثبت عليها تاريخ نسخها غير اني أقدّر نظراً الى نوع خطها وورقها ان تكون كتبت في آخر المائة الثانية عشرة للهجرة نسختها في جلستي الصباح والمساء في بعض ايام شوال سنة ١٣٤٦ ﻫ (٣ ابريل سنة ١٩٢٨ م) ·

وثبت على النسخة ترجمته (بكتاب المداخلات) والمجمع عليه (المداخل) انظر فهرستي النديم وابن خير والوفيات وكشف الظنون وابا العلاء[2] وما اليه عن الغفران ومعجم الأدباء وغيرها · قال خليفة انه مختصر في اللغة وعليه (زيادات) وهو احدى ثلاثون باباً سبعة منها زيادات عليه · قال العاجز الموجود في نسختنا وحاشاها من الخرم الحادث ثلاثون فقط · فلعل خليفة غلِطَ في الحساب او يكون اصل نسخة رامبور مقتضباً ·

وهذه الزيادات لم يذكرها احد ممن ترجم لأبي عمر · نعم ذكروا له عليه كتاباً آخر رسمه عند ابن النديم (حلى المداخل) وعند ياقوت (حل المداخل) وفي الوفيات (علل المداخل) · وليس في نسختنا علامة تدل على إفراز الزيادات عن الاصل ·

ولأبي الطيب عبد الواحد بن عليّ اللغويّ صاحب مراتب النحويين كتاب في مثل هذا المعنى سماه شجر الدُر ذكر ابو العلاء[2] انه سلك فيه مسلك ابي عمر في المداخل

(١) والذي يظهر لي ان اصلها كان مصححاً · (٢) ص ٦٤ ·

ترى فصلاً منه بآخر هذه الطبعة . وهذا النوع يسمى المشجر وهو يسهل على الابناء حفظ اللغة و يناظره من علم الحديث المسلسل وقد سمي ابو الطاهر محمد بن يوسف التميمي [١] صاحب المقامات [٢] اللزومية المتوفى سنة ٥٣٨ كتابه المسلسل في اللغة الذي يوجد منه نسخة عتيقة مكتوبة سنة ٥٦٥ ه في الخزانة المصرية قال ابن خير وهو في معنى المداخل .

وهذا اسناد الكتاب [٣] لابن خير الاشبيلي الى المؤلف قال : حدثني به الشيخ ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن معمر المزججي رحمه الله قال حدثني به الوزير ابوبكر محمد بن هشام بن محمد المصحفي رحمه الله قال حدثني به ابي رحمه الله وابو الحسن علي بن محمد بن ابي الحسين وابو بكر محمد بن خشخاش وابو الحسن الزهري المفسر قراءةً منه عليهم قالوا كلهم حدثنا به ابو سليمان [٤] عبد السلام بن السمح قراءةً عليه قال قرأته باليمن على ابي عبد الله الحسين بن احمد بن بريهة العبامي قال قرأته على ابي عمر المطرز رحمه الله . قال ابوبكر المصحفي قال لي ابي رحمه الله كانت قراءتي له على ابي سليمان بالمدينة الزهراء سنة ٣٧٩ ه قال ابو بكر المصحفي وابو سليمان هذا من اهل مورور هواري النسب رحل الى المشرق وأقام بها مدة طويلة وحج ولقي جماعة من اهل العلم والفقه وكان حفظه لمذهب الشافعي أغلب عليه فعُرف وأحكم قراءة القرآن على القراء وروى كتباً كثيرة فلما انصرف من المشرق أنزله الحكم بالزهراء ووسّع عليه فصار زهراوياً مستوطناً بها الى ان مات وفيها قرأ الناس عليه واخذوا عنه وكان يروي عن المطرز نفسه كتبه ما خلا المداخل فانه لم يدرك قراءته عليه فقرأه باليمن عند انصرافه عن العراق على ابن بريهة من أئمة جامع بغداد . قال الوزير ابو بكر المصحفي كنت أقرأ المداخل على ابن خشخاش

(١) ترجم له ابن بشكوال رقم ١١٧٥ وابن الأبار في معجم اصحاب الصدفي رقم ١٢٤ وصاحب البغية ص١٢٠ . (٢) بقي منها نسخة بديرالاسكوريال ونسختان بجامع اللالهلي بالقسطنطينية وُصفتا بالزهراء ص٤٠٢ سنة ١٣٤٥ ه وذُكرت المقامات في تكملة ابن الأبار رقم ١٧٢٢ وتحت ٣١٢ من طبعة الجزائر وفي المعجم المذكور تحت ٢٦٦ والمعاهد ٢ : ١٠٦ . (٣) ص٣٥٨ . (٤) ترجم له ابن الفرضي رقم٨٥٥ قال توفي سنة٣٨٧ ه .

وصاعدٌ اللغوي حاضر اذ كان جارنا ببيت بلد (كذا) وكنت أنحط في ذلك الوقت عن القراءة عليه لصغر سني فكان جدي رحمه الله يشير على ابن خشخاش بان تكون قراءتي عليه وقت حضور صاعد فربما يردّ عليّ فيما أقرأه و يسبقني الى قراءة بعضه وكان صاعد قرأ المداخل بمصر على الوزير ابي الفضل[1] جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى ابن الفرات المعروف (بابن) حنزابة عن ابي عمر محمد بن عبد الواحد المطرّز قراءةً عليه ببغداد وكان ابن حنزابة لا يفارق صاعداً يسامره ·

وحدثني به ايضاً اجازةً الشيخ الوزير ابو الوليد احمد بن عبدالله بن طريف رحمه الله قال اخبرني به ···· ابو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبنيّ قراءةً عليه عن ابي بكر فضل ···· بن محمد بن فضل الكاتب عن ابي سليمان عبد السلام بن السمح الزهراوي الشافعي عن ابي عبد الله الحسن[2] بن احمد بن بريهة لقيه باليمن عن ابي عمر (الزاهد) رحمه الله ·

[····] وحدثني به ايضاً غير واحد من شيوخي رحمهم الله منهم ابو الحسن علي ابن عبد الله بن موهب وابو عبد الله محمد بن سليمان النفزي رحمهم الله عن الشيخ ابي العباس احمد بن عمر بن أنس العذري ثم الدلائي قال حدثني به ابو بكر محمد بن سعيد بن سختويه الاسفرائني قال حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن بُنْدار البارع الضرير باسفرائن سنة ٣٧١ هـ قال حدثنا ابو عمر محمد بن عبد الواحد المطرّز الزاهد المعروف بغلام ثعلب مؤلفه رحمه الله اهـ ·

قال العاجز وابو عبد الله العباسي هو راوي نسختنا عن ابي عمر جاء ذكره في الباب الثامن عشر ·

ترجمة ابي عمر ٢٦١ — ٣٤٥ هـ = عن فهرست ابن النديم ٧٦ و٧٧ ونزهة الألباء للكمال ابن الأنباري (٣٤٥ — ٣٥٤) ومعجم الادباء (٧ : ٢٦ — ٣٠) ووفيات

(١) وهو الذي اساء المتنبيُّ اليه اذ قال :

بها نبطيٌّ من اهل السواد يُدرِّس انساب اهل الفلا

(٢) وفيما تقدم الحسين ولم أقف على ترجمته ·

الأعيان سنة ١٣١٠ هـ (١ : ٥٠٠ و ٥٠١) وتذكرة الحفاظ للذهبي (٣ : ٨٤—٨٦) وطبقات الشافعية لابن السبكي (٢ : ١٧١) ولسان الميزان لابن حجر (٥ : ٢٦٨) وبغية الوعاة (٦٩) وغيرها ٠

اسمه ونسبه وبلده — هو ابو عمر محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم الباوردي المطرز الزاهد غلام ثعلب ٠ لم يزد احد من مترجميه شيئاً على هذا وهو بغدادي المنشأ قال النديم وكان ينزل في سكة ابي العنبر وجاء عنده بعد أسطر (منزله ابي العنبر) ولم يذكرهما ياقوت في معجمه ٠ و باوَرْدُ الذي نُسب اليه هو بليدة خراسان أبيوردُ التي منها ابو المظفر الأبيوردي الشاعر وكانت صناعة ابي عمر تطريز الثياب فسمي من اجل ذلك المطرّز وابو عمرو بالواو والمطرزي بياء النسبة على ما جاء في خزانة البغدادي تصحيفان ٠ ولم يذكره السمعاني في ترجمة المطرز من أنسابه قال ابن خلكان ولكن ذكره في ترجمة غلام ثعلب أقول ولكني لم أجده في طبعة الانساب لا في غلام ثعلب ولا في الباوردي ايضاً ٠ واما تسميته بالزاهد فما أدري ما وجهه غير ان ابا بكر بن خير الإشبيلي روى بسنده الى ابي ذر الهروي أنه قال ابو عمر المطرز الزاهد زاهد في الدنيا والآخرة ولعله كما قال[1] ابو نصر المنازي وقد شكا اليه ابو العلاء حسد الناس وكذبهم عليه « على ماذا حسدوك فقد تركت لهم الدنيا والآخرة » فقال ابو العلاء والآخرة !!! وجعل يكررها اي انه نبز أبا عمر وآذاه بالطعن ٠

شيوخه وتلامذته — صحب ابا العباس احمد بن يحيى ثعلباً زماناً طويلاً واكثر من النقل عنه ولذلك سمي غلام ثعلب و يظهر من اليواقيت انه اخذ عن المبرّد ايضاً وقال النديم[2] في كتاب الألفاظ لكلثوم بن عمرو العتابي انه رواه ابو عمر الزاهد عن المبرّد قال وهذا طريف ٠ وسمع الحديث من موسى بن سهل الوشاء ومحمد بن يونس الكديمي واحمد بن عبيد الله النرسي وابراهيم بن الهيثم البلدي واحمد بن سعيد الجمال و بشر بن موسى الاسدي وجماعة غيرهم ٠ روى ابن[3] القارح عن شيخه ابي الطيب

(١) انظر ابو العلاء وما اليه ص ٢٢٣ . (٢) ص ١٢١ ٠

(٣) رسالته سنة ١٣٣١ هـ ص ٢١١ ٠

اللغوي قال : قرأت على ابي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظاً وقال لي ابو عمر كنت أعلق اللغة عن ثعلب على خزف واجلس على دجلة أحفظها وارمي بها . قال الذهبي ولا أعلمه رحل .

أخذ عنه ابو علي الحاتمي الأديب من علماء حضرة سيف الدولة وصاحب الرسالة الموضحة لكشف مساوئ المتنبي وأبوالقاسم ابن برهان (بفتح الباء) وابو علي القالي وابن خالويه وابواسحق[1] الطبري وهو غلام[2] ابي عمر الزاهد وابو عبيدالله المرزباني صاحب الموشح وابو الفضل ابن حنزابة المحدث وزير كافور وابو عبد الله الحسين[3] بن احمد بن بريهة العباسي راوي نسختنا من المداخل عن ابي عمر وابو سليمان عبد السلام بن السمح الموروري الشافعي راوي تآليف أبي عمر عنه ماخلا المداخل فأنه أخذه عن ابي عبدالله العباسي عن ابي عمر وهو الذي ادخلها الاندلس وابو الفتح عبيد الله بن احمد النحوي جخجخ صاحب ابن دريد وراوي جمهرته وابومحمد الصفار وابومحمد ابن سعد القُطربلي وابو محمد الحجازي (ولعله وهب) وابو الطيب اللغوي وآخرون وجعفر بن محمد بن جعفر الطيالسي صاحب المكاثرة عند المذاكرة وابو بكر احمد بن ابراهيم المقرئ الجلاء (؟) وابو الحسين بن بشران .

وروى عنه ابوالحسن محمد بن[4] رزقويه والحاكم وابن منده والقاضي ابو القاسم بن المنذر وابوالحسين بن بشران وعلي بن احمد الرزاز وابوعلي بن شاذان وهو آخر من حدث عنه ومحمد[5] بن احمد بن القاسم المحاملي .

قال الذهبي قرأت على ابي المعالي احمد بن اسحق المؤيدي اخبركم ظفر بن سالم ببغداد اخبرنا هبة الله بن احمد الشبلي سنة ٥٥٧ اخبرنا ابوالغنائم محمد بن علي بن الحسن سنة ٤٧٨ اخبرنا محمد بن احمد بن القاسم المحاملي سنة ٤٠٧ اخبرنا ابو عمر الزاهد اخبرنا

---

(١) لعله هو الذي سماه ابن خير كما مرّ ابا اسحق ابراهيم بن بنداز البارع الضرير
(٢) نشوار المحاضرة ١٤٤ . (٣) من عند ابن خير وجاء عنده اخرى الحسن .
(٤) وفي بعض الكتب بتقديم الزاي وفي بعضها رزق . (٥) كذا عند الذهبي وعند ابن السبكي احمد بن عبد الله المحاملي .

موسى ابن سهل الوشاء اخبرنا اسحق الازرق اخبرنا سفيان عن عاصم ابن عبيدالله عن سالم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يصور عبد صورة الا قيل له يوم القيامة احي ما خلقت .

قال الخطيب سمعت غير واحد يحكي ان الاشراف والكتاب واهل الادب كانوا يحضرون عند ابي عمر الزاهد ليسمعوا منه كتب ثعلب وغيرها وكان قد جمع جزءاً في فضائل معاوية فكان لا يمكن احداً من السماع منه حتى يبتدئ بقراءة ذلك الجزء قال ابن حجر رأيته وفيه اشياء كثيرة موضوعة والآفة فيها عن غيره . ولكن النديم غالى لتشيعه في الطعن عليه فقال «كان نهاية في النصب والميل على علي عليه السلام وكان يقول انه شاعر مع عاميته فمن شعره :

اذا ما الرافضي الشامي تمت . معايبه تختم في يمينه
فأما ان اتاك بسمت وجه فان الرفض باد في جبينه

ويكفيه جهلاً هذا الشعر» . أقول : ان جمع فضائل معاوية ليس من النصب في شيء غير ان النديم قد صرح محضه عن زبده وابدى بما عنده والبيتين اظنهما منحولين لضعف بنيتهما ولأن الرفض والتختم باليمين لم يكونا مخصوصين بالشام وهو الذي عانى المتاعب حتى بعد وفاته كما سيأتي على ايدي روافض الكرخ . وتراه في الباب الاول يسمي علياً بامير المؤمنين وفي الباب التاسع عشر بولي الله وحبيبه . ويأتيك بيت لأبي عمر يدل على انه وان لم يكن شاعراً الا انه لم يكن بلغ هذا المبلغ على ان هذه الشكاة كما قيل : (وتلك شكاة ظاهرٌ عنك عارُها)

فلأبي عمر أسوة بخيار علماء العربية المنبوزين بذلك قال ابو علي[1] التنوخي اكثر رواة العرب فيما بلغني عنهم إما خوارج وإما شعوبية كأبي عبيدة معمر بن المثنى وابي حاتم سهل السجستاني وفلان وفلان وعدّد جماعة ومنهم ابو خليفة الجُمحي وياقوت الحموي . وقال ابن حجر بعد ان نقل بعض قول النديم قلت هذا أوضح الأدلة على ان النديم رافضي لان هذه طريقتهم يسمون اهل السنة عامة واهل الرفض خاصة وقال في ترجمة النديم انه

(١) الأدباء (٦ : ١٤٠) .

غير موثوق به ومصنفه المذكور ينادي على من صنفه بالاعتزال والزيغ نسأل الله السلامة ونقل عن تاريخ الاسلام للذهبي انه معتزلي شيعي ثم قال لما طالعت كتابه ظهر لي انه رافضي معتزلي فانه يسمي اهل السنة الحشوية ويسمي الأشاعرة المجبرة ويسمي كل من لم يكن شيعياً عامياً ثم ذكر جملة من افترائه وافتياتاته ٠

كرمه مع ضيق ذات يده — قالوا ان اشتغاله بالعلوم واكتسابها قد منعه عن اكتساب الرزق والتحيل له فلم يزل مضيقاً عليه يتجرع غصص الحياة النكداء ويلتصق بالدقعاء على نجار كريم وطيب عنصر وخيم ٠ حدث عباس بن محمد الكلواذاني قال سمعت ابا عمر الزاهد يقول ترك قضاء حقوق الإخوان مذلة وفي قضائها رفعة فاحمدوا الله تعالى على ذلك وسارعوا في قضاء حوائجهم ومسارّهم تُكافؤا عليه ٠ وقال تلميذه الحاتمي اعتللت فتأخرت عن مجلس ابي عمر الزاهد قال فسأل عني لما تراخت الايام فقيل له انه كان عليلاً فجاءني من الغد يعودني فاتفق اني كنت قد خرجت من داري الى الحمام فكتب بخطه على بابي باسفيداج :

وأعجب شيءٍ سمعنا به عليل يعاد فلا يوجد

قال والبيت له ٠ وقال ابو الحسن المرزباني انه كان ابن ماسي ينفذ الى ابي عمر الزاهد وقتاً بوقت كفايته فقطع ذلك عنه مدة لعذر ثم انفذ اليه جملة ما كان في راتبه وكتب اليه رقعة يعتذر اليه من تأخير ذلك فردّه وامر بعض من كان عنده من اصحابه ان يكتب على ظهر رقعته :

اكرمتنا فملكتنا وتركتنا فأرحتنا

وايم الله ان هذا لهو الغنى ولكن الذهبي قال انه وان كان الامر كما قال لكنه لم يحسن الرد اذ قد كان تملكه بالاحسان القديم فما تغير التملك واما التأخر فجبره المحسن بتكميله وباعتذاره قلت ولكنه انتهز فرصة فكاك الرق فقد احسن الى نفسه اذ لم يحسن الى غيره ٠ قال الخطيب وابن ماسي لا شك انه ابراهيم بن ايوب والد ابي محمد ٠

سعة حفظه وسيلان ذهنه بحيث جرّ له تهمة التزيد والاختلاق وبعض فضائله —

عده ابو بكر [1] الزبيدي في الطبقة الخامسة من اللغويين الكوفيين . قالوا انه كان اكثر ما يملي تصانيفه يلقيها بلسانه من غير صحيفة وكان كما قال [2] علي ابن ابي علي عن ابيه ومن الرواة الذين لم ير قط احفظ منهم ابو عمر الزاهد املى من حفظه ثلاثين الف ورقة في اللغة فيما بلغني وكان لسعة حفظه يطعن عليه بعض اهل الادب ولا يوثقونه في علم اللغة حتى قال عبيد الله ابن ابي الفتح (او الازهر كما هو في لسان الميزان) لو طار طائر في الجو لقال ابو عمر الزاهد حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي ويذكر في معنى ذلك شيئاً . قال ابن خلكان وكان ينقل غريب اللغة وحوشيها واكثر ما نقل ابو محمد بن السيد البطليوسي في كتاب المثلث عنه وحكى عنه غرائب . وقال ابو الفتح عبيد الله بن احمد النحوي أنشدنا ابو العباس اليشكري في مجلس ابي عمر محمد بن عبدالواحد يمدحه :

ابو عمر يسمو من العلم مرتقى ... يزل مساميه و يردي مطاوله
فلو أنني أقسمت ما كنت حانثاً ... بان لم ير الراؤون حبراً يعادله
هو الشخت جسماً والسمين فضيلةً ... فأعجب بمهزول سمان فضائله
تضمن من دون الجناحين زاخراً ... تغيب على من لج فيه سواحله
اذا قلت شارفنا أواخر علمه ... تفجر حتى قلت هذي أوائله

وقال النديم لسوء رأيه في معتقده سمعت جماعة من العلماء يضعفون حكايته وانتسبوا به الى التزيد ولا غرو ان صاحبنا كان منبوزاً بذلك فهذا شيخ المعرة يقول في لزومه :

توخَّ نقل ابي زيد وكتب ابي ... عمرو وخلّ كلاماً في ابي عمر

وهاانا ذا أنقل لك ثلاث حكايات في ذلك ثم أجيب عنها . قالوا وكان يسأل عن الشيء الذي يقدر السائل انه قد وضعه فيجيب عنه ثم يسأل عنه بعد سنة فيجيب بذلك الجواب و يروى :

---

(١) مختصر طبقاته المطبوع برومة ص ١٤٧ . (٢) في النزهة والأدباء ابو علي ابن أبي علي وفي الحفاظ علي بن علي وكله تصحيف وهو القاضي التنوخي الاصغر ابوالقاسم علي بن القاضي التنوخي الاوسط ابي علي المحسّن (بكسر السين المشددة) ابن القاضي التنوخي الكبير الشاعر ابي القاسم علي . والأوسط هو صاحب النشوار والفرج بعد الشدة والمستجاد راجع تراجمهم وأخبارهم ابو العلاء وما اليه ص ١٣٠ — ١٣٤ .

(١) ان جماعة من اهل بغداد اجتازوا على قنطرة الصراة وتذاكروا كذبه فقال بعضهم انا أصحف له القنطرة وأسأله عنها فننظر ماذا يجيب . فلما صرنا بين يديه قال له أيها الشيخ ما المرطنق عند العرب فقال كذا وكذا وذكر شيئاً فتضاحك الجماعة وانصرفوا فلما كان بعدشهر أرسلوا اليه شخصاً آخر فسأله عن المرطنق فقال أليس قد سئلتُ عن هذه المسألة منذ كذا وكذا ثم قال هو كذا وكذا كما أجاب اولاً قال القوم فما ندري من اي الامرين نعجب : أمن حفظه ان كان علماً ام من ذكائه أن كان كذباً فان كان علماً فهو اتساع عجيب وان كان كذباً فكيف تناول ذكاؤه المسألة وتذكر الوقت بعد ان مرَّ عليه زمان فأجاب بذلك الجواب بعينه اه .

(٢) قال الخطيب وكان معز الدولة قد قلد شرطة بغداد غلاماً تركياً مملوكاً يعرف بخُواجا فبلغ ابا عمر الزاهد وكان يملي كتاب الياقوتة في اللغة فقال للجماعة في مجلس الإملاء اكتبوا ياقوتة خواجا الخُواج في اصل اللغة الجوع ثم فرّع على هذا باباً باباً وأملاه عليهم فاستعظم الناس كذبه وتتبعوه اه .

(٣) حكى رئيس الرؤساء ابو القاسم علي بن الحسن عمن حدثه ان اباعمر كان مؤدب ولد القاضي ابي عمر محمد بن يوسف فأملى على الغلام نحواً من ثلاثين مسألة في اللغة وذكر غريبها وختمها ببيتين من الشعر وحضر ابو بكر بن دريد وابوبكر بن الأنباري وابوبكر ابن مقسم العطار المقرئ عند القاضي فعرض عليهم تلك المسائل فما عرفوا منها شيئاً وانكروا الشعر فقال لهم القاضي ماتقولون فيها فقال ابن الأنباري انا مشغول بتصنيف مشكل القرآن ولست أقول شيئاً وقال ابن مقسم مثل ذلك واعتذر باشتغاله بالقراآت (وفي بعض الكتب بالقرآن) وقال ابن دريد هذه المسائل من موضوعات ابي عمر ولا اصل لشيء منها في اللغة وانصرفوا . فبلغ ذلك اباعمر فاجتمع بالقاضي وسأله إحضار دواوين جماعة من قدماء الشعراء عيّنهم ففتح القاضي خزائنه وأخرج له تلك الدواوين فلم يزل ابو عمر يعمد الى كل مسألة منها ويخرج لها شاهداً من تلك الدواوين ويعرضه على القاضي حتى استوفى جميع المسائل ثم قال وهذان البيتان أنشدهما ثعلب بحضرة القاضي وكتبهما القاضي بخطه على ظهر الكتاب الفلاني فأحضر القاضي الكتاب فوجد البيتين

على ظهره كما ذكر ابو عمر وانتهت القصة الى ابن دريد فلم يذكر ابا عمر بلفظة الى ان مات اه ٠

فأنت ترى انه لم يأخذ احد على ابي عمر كلمة لم يعرف لها مستنداً من كلام العرب ٠ ولئن كان كذب ابي عمر يروج على مثل هؤلاء الجهابذة فما أكبره اذاً وما اضعف منزلتهم ٠ وقد قالوا ان من حفظ حجة على من لم يحفظ وان زيادة الثقة مقبولة فلم يبق الا امر العجب وحيرة الناس في ذكائه ٠ فاما النديم فقد عرفت ما قاله حافظاً الحديث في شأن تجريه وامانته واما جحجخ فانه وان كان من تلامذة ابي عمر فانه من خصيصي اصحاب ابن دريد وهو راوي جمهرته وحامل علمه وكان ابن دريد يطعن على ابي عمر كما قد عرفت فلعل هذا الداء سرى اليه من شيخه ولعل اعجابه به حمله على تسليم رأيه في معاصر له وقد تقرر عند المحدثين وهم اصحاب هذا الشأن وفرسان هذا الميدان ان المعاصرين والأقران لا يعبأ بقول بعضهم في بعض ولئن جنحنا لذلك لم يسلم لنا احد ولا ابو بكر بن دريد نفسه فهذا نفطويه وصاحبه ابو منصور [1] الازهري يرميان ابابكر بكل سوأة سوآء وحسب ابي عمر بتوثيق [2] اصحاب الحديث له بلا خلاف فقد رووا ان المحدثين كانوا يوثقونه وقال الخطيب البغدادي رأيت جميع شيوخنا يوثقونه و يصدقونه :

اذا رضيت عليّ بنو قشير لعمر الله اعجبني رضاها

واما اصل الخواج [3] فقال ابو علي الحاتمي اخرجنا في اماليّ (ابي موسى) الحامض عن ثعلب عن ابن الاعرابي الخواج الجوع ٠ ونقل الذهبيّ عن رئيس الرؤساء قال قد

---

(١) قال في مقدمة تهذيبه (أدبا ٦ : ٤٨٦ والمزهر ١ : ١٥٨) وممن ألف الكتب في زماننا فرُمي بافتعال العربية وتوليد الألفاظ وإدخال ماليس من كلام العرب في كلامها ابو بكر بن دريد وقد سألت عنه ابراهيم بن عُرفة يعني نفطويه فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته الخ ٠ (٢) قال ابن جني في الخصائص (المزهر ٢ : ٢٦٢) ولله ابو العباس احمد بن يحيى ولتقدمه في نفوس اصحاب الحديث ثقة وامانة وعصمة وحصانة وهم عيار هذا الشأن واساس هذا البنيان ٠ (٣) الكلمة أغفلها صاحبا اللسان والتاج فلتستدرك عليهما ٠

رأيت اشياء كثيرة مما استنكر على ابي عمر ونسب الى الكذب فيها مدونة في كتب أئمة العلم وخاصة في غريب المصنف لأبي عبيد او كما قال . والاصل في ذلك ان رواة الكوفة معروفون بسعة الاطلاع وغزارة المادة ووفرة الرواية و بالتسامح في امر التحفظ خلافاً للبصريين الذين قلت روايتهم لتثبتهم وعدم مسامحتهم . فقد صدق ما قاله تلميذ ابي عمر ابو القاسم عبد الواحد بن برهان الاسدي فيه : «لم يتكلم في اللغة احد من الاولين والآخرين باحسن من كلام ابي عمر الزاهد» .

وفاته — وُلد بلا خلاف سنة ٢٦١ هـ وعن ابن رزقويه تلميذه انه توفي سنة ٣٤٤ هـ قال الخطيب والصحيح انه توفي يوم الاحد (ودفن يوم الاثنين) لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٣٤٥ هـ وذلك في خلافة المطيع ودُفن في الصفّة التي تقابل قبر معروف الكرخي وبينهما عرض الطريق ولعل سبب إبطائهم بنعشه الى اليوم التالي هو ما نقلناه عن تاريخ ابن الوردي في كتابنا على ابي العلاء[1] عن ابي العلاء ان البغداديين حدّثوه بها انه لما عبرت السُّنّة (اهل السنة) بابي عمر [الزاهد] في الكرخ وهم شيعة بغداد وحوله التكبير والتهليل قال قائل هذا والله لا كمن دُفنتْ ليلا يعني فاطمة عليها السلام فثار اهل الكرخ وقُتل بينهم جماعة وطُرح ابو عمر عن النعش وجرح جراحاً كثيرة .

ثبتُ تآليفه مرتبة على حروف المعجم —

(١) كتاب البيوع
(٢) كتاب الأُغْاحة
(٣) كتاب تفسير اسماء الشعراء كما عند النديم وفي الادباء القراء وفي الكشف اسماء الشعراء
(٤) جزء كذا في الكشف (ولعله الذي في فضائل معاوية المار ذكره)
(٥) حل المداخل مر ذكره
(٦) كتاب الساعات
(٧) كتاب السريع

(١) ص ١٤٨ .

(٨) شرح الفصيح

(٩) كتاب الشورى

(١٠) كتاب العشرات أحال عليه ياقوت في بلدانه كثيراً وقد بقي منه نسخة بخزانة برلين انظر فهرستها رقم ٧٠١٤ واوله حدثنا ابن خالويه .... هذا كتاب العشرات لابي عمر الزاهد ألفها للحُمَيري (كذا مشكولاً) صاحب ابي عمر القاضي خاصةً وكان ابو عمر يعارض بكتبه ويؤلف له فاعتل ابو عمر فأرسل اليـه ان انفذ اليَّ اجرة شهر فاني عليل الخ وهو في ٨٧ ورقة .

(١١) غريب الحديث صنفه على مسند احمد بن حنبل قال النديم [١] هو للحضرمي (كذا وطبعة الفهرست مصحفة للغاية) الّفه عن ابي عمر الزاهد قال ابن خلكان وكان يستحسنه جداً . وذكره ابن الاثير في مقدمة نهايته ايضاً .

(١٢) فائت الجمهرة والرد على ابن دريد وقف عليه البغدادي وأحال [٢] عليه .

(١٣) فائت العين

(١٤) فائت الفصيح جزء لطيف كنت رأيت منه نسخة قبل نحو خمسة أعوام عند من يحتكره وفي فهرست [٣] ابن خير حدثني به ابو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي عن ابي مروان عبد الملك بن سراج (ككتاب) عن ابي القاسم ابن الافليلي عن ابي عمر بن ابي الحباب عن ابي علي البغدادي عن ابي عمر الزاهد — وهو في كراسة .

(١٥) فائت المستحسن الآتي

(١٦) كتاب القبائل

(١٧) كتاب الجرجاني

(١٨) الكتاب الحصري (الادباء الحضري) كتاب على الكلمات عمله للحصري وانحله اياه .

(١٩) ما انكره الاعراب على ابي عبيد فيما رواه او صنفه كذا عند النديم وغيره وفي الادباء والبغية ابي عبيدة ولعله تصحيف .

(١) ص ٨٨ . (٢) الخزانة (٣ : ٤٢١) . (٣) ص ٣٣٩ .

(٢٠) كتاب المداخل هو الذي نعرضه على الانظار ومن وصفه وذكر زيادات له عليه والحل ايضاً .

(٢١) كتاب المرجان

(٢٢) كتاب المستحسن في اللغة ومن فائته

(٢٣) معجم الشعراء في الكشف فقط

(٢٤) كتاب المكنون والمكتوم

(٢٥) كتاب الموشح وفي الوفيات فقط الموضح

(٢٦) كتاب النوادر لاأدري هل هو كتاب له او هو نوادر ابي شبل العقيلي الذي قال فيه النديم[١] رأيته بخط عتيق باصلاح ابي عمر الزاهد .

(٢٧) كتاب اليواقيت او الياقوتة وقف عليه صاحب[٢] الخزانة وقال ابن خير[٣] الاشبيلي حدثني به الشيخ ابو عبد الله محمد بن عبدالرحمن بن معمر رحمه الله قال حدثني به الوزير ابو بكر محمد بن هشام بن محمد المصحفي قال حدثني به ابي رحمه الله وابو الحسن علي بن محمد بن ابي الحسين قراءة مني عليهما وقالا معاً قرأناه على ابي سليمان عبدالسلام بن السمح المروروي الشافعي قال قرأته ببغداذ على ابي عمر محمد بن عبدالواحد المطرز الزاهد غلام ثعلب وذلك في شهري ربيع من سنة ٣٣٤ﻫ وذكر النديم خبر هذا الكتاب وكيف صح قال قرأت بخط ابي الفتح عبيدالله بن احمد النحوي عليه وكان صدوقاً بحاثاً منقراً وكان ابو عمر ... ابتدأ باملاء هذا الكتاب يوم الخميس لليلة بقيت من المحرم سنة ٣٢٦ﻫ في جامع المدينة مدينة ابي جعفر ارتجالاً من غير كتاب ولا دستور فمضى في الاملاء مجلساً مجلساً الى ان انتهى الى آخره وكتبت ما املاه مجلساً مجلساً ثم رأى الزيادة فيه فزاد في أضعاف ما املى وارتجل يواقيت أخر واختص بهذه الزيادة ابا محمد الصفار لملازمته وتكرير قراءته لهذا الكتاب على ابي عمر

---

(١) ص ٤٦ . (٢) انظر حوالاته (١ : ١١ : ١٦٥ — ٢ : ٥٢٥ — ٣ : ٤٢٩)

(٣) ص ٣٥٧ — وفي ص ٦٠ إسناد ياقوتة الصراط في غريب القرآن عن ابي بكر احمد بن ابراهيم المقرئ عن ابي عمر ، وعن ابي الحسين بن بشران عنه . ومن ذلك يظهر انهم كانوا يفرزون هذه الياقوتة من جملة اليواقيت .

فأخذت الزيادة منه . ثم جمع الناس على قراءة ابي اسحق الطبري له وسمى هذه القراءة المذلكة فقرأ عليه وسمعه الناس ثم زاد فيه بعد ذلك فجمعت انا في كتابي الزيادات كلها وبدأت بقراءة الكتاب عليه يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذي القعدة سنة ٣٢٩ هـ الى ان فرغت منه في شهر ربيع الآخر سنة ٣٣١ هـ وحضرت النسخ كلها عند قراءتي نسخة ابي اسحق الطبري ونسخة ابي محمد الصفار ونسخة ابي محمد ابن سعد القُطْرُبُّلي ونسخة ابي محمد الحجازي وزاد لي في قراءتي عليه اشياء . فتوافقنا في الكتاب كله من اوله الى آخره ثم ارتجل بعد ذلك يواقيت أُخر وزيادات في أضعاف الكتاب واختصّ بهذه الزيادة ابو محمد وهب لملازمته . ثم جمع الناس ووعدهم بعرض ابي اسحق عليه هذا الكتاب وتكون آخر عرضة يتقرر عليها الكتاب فلا يكون بعدها زيادة وسمى هذه العرضة الهجرانية واجتمع الناس يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادي الاولى سنة ٣٣١ هـ في منزله بحضرة (منله ابي العنبر) فأملى على الناس ما نسخته :

« قال ابو عمر محمد بن عبد الواحد هذه العرضة هي التي تفرد بها ابو اسحق الطبري آخر عرضة أسمعها بعده (بعدها) فمن روى عني في هذه النسخة هذه العرضة حرفاً واحداً ليس من قولي فهو كذاب عليّ وهي من الساعة .... الى الساعة .... من قراءة ابي اسحق على سائر الناس وانا أسمعها حرفاً حرفاً » . قال ابو الفتح وبدأ بهذه العرضة يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادي الاولى سنة ٣٣١ هـ اهـ على طوله .

أقول ولله من قال :

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

قال العاجز وقفت بخزانة رامبور على نسخة مضبوطة صحيحة من شرح الفصيح تأليف ابي القاسم عبد الله بن عبد الرحيم الاصفهاني وقد بقيت في ملك الشيخ محمد الشبيبي فاتح بيت الله الحرام . وثبت على الصفحة الاولى منه فصل من اليواقيت سطا عليه الجلد وهذا نصه وفصه : قال الفراء[1] كلام الفصحاء من العرب أحببته فهو محبوب على غير القياس الا ان عنترة جاء به على القياس وقال :

(١) حكى مثله الأزهري عن الفراء ايضاً كما في اللسان .

ولقد نزلتِ فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم

ومن العرب من يقول حببته أُحِبُّه ومنهم من يقول إِحِبُّه قال وأنشدني ابو ثروان :

إِحِبُّ لحبّها السودانَ حتى إِحِبُّ لحبّها سودَ الكلاب

قال الفراء فكسر الالف وفتح البـاء . وسلطان «حتى» ان ترفع وتنصب وتخفض على ما بعد .... من الاعراب تقول من ذلك اكلت السمكة حتى رأسُها وحتى رأسِها وحتى رأسَها قال وأنشدني[1] الكسائي :

القى الصحيفة كي يخفف رحله والزاد حتى نعلُه القــاها

ونعلَه ونعلِه . وسلطانها على المـ[ستقبل] ..... فتنصبه وترفعه فنصبه على بابه (اي باضمار أنْ) ورفعه على ان يكون في معنى الماضي . قال وقرأت القرّاء « وزُلزلوا حتى يقولَ الرسول» و«حتى يقولُ الرسول» اي حتى قال . وسمعت المبرّد يقول وقد سئل عنها فقال اذا رفع .... فمعناه وزلزلوا حتى الرسولُ قائل . وأنشد[2] ثعلب والمبرد جميعا :

مطوتُ بهم حتى تكِلَّ مطيّهم وحتى الجياد ما تُقاد بارسان

اي حتى كلّت مطيهم . قال الفراء : وأخبرني الكسائي انه سمع العرب ... سرت حتى ادخُلُها وحتى ادخُلَها وما زلت اسير حتى أدخُلَها وحتى أدخُلُها ولا أزال أسير حتى أدخُلَها اه . من كتاب اليواقيت[3] لابي عمر الزاهد .

(٢٨) كتاب يوم وليلة وتمام اسمه عند البغدادي في خزانته وقد[4] وقف عليه كتاب اليوم والليلة والشهر والسنة والدهر .

عليكرة (الهند) : عبد العزيز الميمني الراجكوتي

---

(١) لابي مروان النحوي او للمتلمس . (٢) لامرئ القيس . (٣) قالوا انه املى في آخر كتابه اليواقيت في اللغة قوله :

لما فرغنا من نظام الجوهرة اعورّت العين وفُضّ الجمهرة

ووقف النصيح عنـد القنطرة

يريد بالجوهرة كتاب الياقوتة

(٤) راجع حوالاته في الخزانة (١ : ١١ — ٢ : ٢٩١ — ٣ : ٤٨٣ و٤٨٤) .

هواء المدن(١)

لا يعزب عن معارفكم سادتي ان علم الصحة أس من الأسس الراسخة المتينة التي يشيد عليها هذا البناء البشري وأنه اذا انحصر في فرد او أفراد لا يكون مفيداً نافعاً فلو رعى احد أفراد أسرة مؤلفة من اربعة أشخاص مثلاً علم الصحة رعاية دقيقة وحفظ دقائقه حفظاً لاتشوبه شائبة ولم يحفظ الثلاثة الباقون منه الا اسمه لما حصلت الغاية المرادة من هذا الفن ولما كسب ذلك المحافظ من حفاظه ما كان يؤمل الحصول عليه لان ما يصلحه في نفسه ومحيطه بسيره في سبل هذا الفن الاساسي يفسده الثلاثة الآخرون باهمالهم كيف لا وهم يسكنون معه مسكناً واحداً ويغتذون بطعام واحد و يشربون ماء واحداً . ولا تختلف حالة الأسرة هذه عن حالة كل مجتمع انساني ولاسيا عن المدن حيث الازدحام كبير ، فان علم الصحة لا يكون مفيداً الا اذا رعاه بعض السكان وأهمله بعضهم او اذا سار بموجبه الشعب جميعه ولم تسر الحكومة فان من القواعد الصحية ما هو عام يترتب على الحكومة وضع قوانينه ومراعاتها . فكيف يؤمل لمدينة من المدن هواء جيداً اذا لم تكن طرقها العامة مخططة كما تقتضيه قواعد علم الصحة ولم تكن عريضة متسعة يتجدد الهواء فيها وترسل اليها الشمس أشعتها الذهبية متلفة ما يعلق بها من الجراثيم المديدة او لم تكن منازلها مبنية على الطراز الحديث مرعية فيها شروط مهب الارياح وشروق الشمس وغروبها وسعة النوافذ ووجهتها بل كيف نرجو لمدينة هواء جيداً اذا لم تكن مياهها مشروبة خالية من المواد المضرة بالصحة العامة وعارية من الجراثيم المرضية او اذا لم تكن غزيرة كافية للحاجات العامة ، بل كيف نرجو لمدينة حظاً من سلامة الصحة العامة فيها اذا لم تكن المفرزات التي تفرزها أجساد سكان تلك المدينة من بشر وحيوان مسوقة في قنوات محكمة لا تنبعث منها الروائح النتنة ولا تندفق منها على سطح الارض الأقذار

(١) محاضرة القاها الاستاذ الطبيب مرشد خاطر في ردهة المجمع العلمي بتاريخ ١ شباط سنة ١٩٢٣ م ولهذه المحاضرة علاقة بالمحاضرة الاخرى التي كان القاها الطبيب المومأ اليه بعنوان (تأثير الطرق في هواء المدن) راجعها في المجلد الثامن ص ٣٩٥ .

الكريهة الرائحة ولا تتسرب من جدرانها في مجاري الماء الشروب السائرة معها جنباً الى جنب او في الآبار الواقعة في نقطة منخفضة من الارض اختبارات قتالة تلوث المياه وتميت الالوف . بل اذا لم تنقل بقايا المواد الغذائية التي تملأ الطرق العامة نقلاً سريعاً وحسناً دون ان يتلوث بها المارون . ولهذا نشطت اليوم المدن وهبت للسير في مضمار علم الصحة فتفاخرت كل عاصمة ومدينة سواها بجمالها وجمعها لشتات القواعد الصحية الحديثة فلم تعد تتوق النفس الى المدن القديمة الضيقة الطرق التي تطوقها الأسوار والخنادق من كل جهاتها ، الى تلك المدن التي كانت تظلم شوارعها بعد غروب الشمس فلا نور يضيئها ليلاً ، الى تلك المدن التي لم تكن ترصف أسواقها وجاداتها رصفاً يمنع ذرات الغبار عن الاختلاط بالهواء المستنشق بل كانت حفراً ومجاري تسيل فيها مياه الشتاء والمياه القذرة ممتزجة ، بل تتوق النفس في ايامنا الحاضرة الى المدن الحديثة البناء الرائعة الهندسة المتسعة الشوارع المرصوفة الجوادّ ، ولم يكن ذلك الانقلاب الغريب في الافكار والتطور السريع في الهندسة الا نتيجة اكتشاف صغير قام به احد العلماء الفرنسيين الذي مر على ولادته قرن كامل اريد بذلك الاكتشاف الجرثوم الذي لا يرى وبذلك العلامة باستور قلت ان الاكتشاف صغير وهو صغير كبير صغير لان العين المجردة لا تراه ولانه لا يدرك الا بعد تكبيره بضع مئات من المرات و كبير لانه نفخ في العالم روحاً جديدة فسارت تلك الروح من تحت مجهر ذلك العلامة تدب في جميع اطراف البسيطة ملقية في النفوس المضطربة سلاماً وفي القلوب الهالعة من الامراض اطمئناناً وسكوناً ، كبير لانه دك على الرغم من صغره كل ماقامت به العقول المفكرة والايدي العاملة ومد سيطرته الى الارض جميعها . فالى ذلك العلامة الكبير نوجه من هذا المنبر كلمة الاجلال والتكريم .

ان علم الصحة في المدن لغز من الالغاز المغلقة التي لا يحلها الا من كان عالماً بها متضلعاً منها ولهذا وجب ان لا يتولى الشؤون الصحية في المدن الا من كان اختصاصياً بها فلا البلديات ولا المهندسون ولا الحكومة تحسن عملاً ان لم تسترشد بارشاد رئيس صحي اختصاصي يدير دفة العمل و يسير بالاصلاحات طبقاً للقواعد الصحية الحديثة .

فيفهم مما تقدم ان علم الصحة ان لم تشترك به الجماعة قبل الافراد والحكومة قبل

الجماعة لا يأتي بثمار لذيذة وفوائد تذكر ولهذا اردت ان أبين لكم في هذه المحاضرة شرطاً واحداً من الشروط الاربعة التي تحسن بها الصحة العامة في المدن وهو جودة الهواء وما يؤثر فيه من المؤثرات فيفسده او يصلحه تاركاً الشروط الثلاثة وهي الطرق العامة والقنوات والماء الشروب الى محاضرات أخرى فاقول :

سبعة مؤثرات تؤثر في هواء المدن فتصلحه اذا صلحت وتفسده اذا فسدت وهي :

١ = الموقع الجغرافي وينطوي تحته اربعة امور : الارتفاع عن سطح البحر وتركيب الارض الجيولوجي ومسيل المياه ومهب الرياح ·

٢ = غرس الأشجار ووجود الساحات الفسيحة ·

٣ = تلوث الهواء بغبار الطرق العامة الناقل للجراثيم المرضية ·

٤ = تلوثه بالروائح الكريهة والدخان وما ينبعث من المصانع والمعامل من غبار المعادن وسواها ·

٥ = ضرر المدافن فيه

٦ = فساده بنقل المواد الغائطة ·

٧ = تأثير حالة الطرق العامة فيه وينطوي تحته ميل الطرق وهيئتها وأرصفتها ومجاريها ووجهتها وتعرضها للشمس وهندسة بيوتها ·

وسأقتصر في هذه المحاضرة على درس المؤثرات الثلاثة الاولى تاركاً المؤثرات الاربعة الباقية لان كلاً منها يستغرق محاضرة خاصة ·

(١) الموقع الجغرافي = لا اجد بدأً قبل البدء بالكلام عن الموقع الجغرافي وتأثيره في جودة الهواء وفساده من ان أنفي اعتقاداً كان ولم يزل شائعاً اعتقاداً تقلص ظله من البلاد الاوربية بعد ان ارتقت مدنها رقياً صحياً كبيراً ولا يزال شائعاً عندنا لاننا لم نسع حتى الآن الى تحسين الحالة الصحية في مدننا تحسيناً يحملنا على دحض ذلك الاعتقاد · شاع منذ زمن طويل ايها السادة ولعله لا يزال شائعاً حتى الآن بين السواد الاعظم منا هذا الاعتقاد الذي مؤداه : ان هواء المدن اقل ملائمة للصحة من هواء القرى لست انكر ذلك والاحصاآت القديمة كانت تثبته في القرون الماضية الا انني اليوم بعد بلوغ علم الصحة الى درجة عالية من الرقي وتوفر الشروط الصحية في المدن وفقدان هذه الشروط

في القرى أتمكن من اثبات العكس · أقول هذا عن المدن الاوربية والاميركانية لا عن مدننا السورية وأقر وأعترف ان الهواء في مدننا لم يبلغ حتى الآن الى درجة من الجودة تعادل جودة هواء القرى المشيدة في البر · اما في اوربا واميركا فقد اختلفت الاحصاآت كثيراً اذ دلت احصاآت (لانيو) عن البلاد الفرنسية سنة ١٨٨٠ انّ الوفيات كانت معادلةً في المدن لمائتين واربع واربعين وفاة في كل عشرة آلاف نسمة وانها في القرى لم تبلغ الا مائتين وثماني وفاة لاغير وهذا يثبت الاعتقاد القديم الا انها في سنة ١٩١٢ قد اختلفت اختلافاً بيناً فان الوفيات في المدن هبطت الى مائة واحدى وتسعين وفاة وفي القرى الى مائة وسبع وتسعين وهذا ينفي الاعتقاد القديم ويثبت ما نحن بصدده · وقد وضعت الحكومات قانوناً تحدد به عدد الوفيات حتى اذا اجتيز هذا الحد سعت الحكومة الى تحسين الحالة الصحية وانقاص ذلك العدد الى حده المعين واما الحد الذي عينته فهو مائة وثلاث وتسعون وفاة في كل عشرة آلاف نسمة فهل نسعى الى مراعاة هذا القانون في بلادنا ؟ سؤال ادع الجواب عنه اليكم ·

اما وقد نفيت ذلك الاعتقاد نفياً مبنياً على الاحصاآت فانني أعود الى الكلام عن الموقع الجغرافي : تقسم المدن ستة أقسام كما قسمها الدكتور فونساغريف (Fonssagrifes) المدن المشيدة في السهل ، والمدن المبنية في الأودية ، والمدن البحرية ، والمدن النهرية ، والمدن القائمة على البحيرات ، والمدن الرزغية · (اي التي تكثر في ارضها المستنقعات) ·

اما مدن السهل التي تقام في ارض مستوية قليلة الارتفاع عن سطح البحر وكثيرة البعد عن مجاري المياه الغزيرة فان الشروط الصحية تتوفر فيها اذا لم تركد المياه في ارضها فتحولها الى مستنقعات شديدة الضرر ·

واما مدن الاودية فلا ينالها من اشعة الشمس المنعشة الا نذراً قليلاً لما يكتنفها من الجبال فكلما كان الوادي ضيقاً وعميقاً نقصت الشروط الصحية في هذه المدن ·

واما المدن البحرية التي تقوم على شاطئ بحر تختلف فيه حركتا المد والجزر اختلافاً بيناً كبيراً فان درجتها الصحية احط من المدن التي تبنى على شاطئ بحر حركتا مده وجزره خفيفتان لا يكاد يشعر بهما وذلك لان حركة الأمواج حين المد تقذف بعيداً الى الشاطئ المواد العضوية الكثيرة فتتفسخ وتختمر وتفسد الهواء وعدا ذلك فان ما تصبه

المجاري والقنوات من المواد القذرة والمياه الملوثة في البحر اي كل ما يطرحه الانسان والحيوان يعود بتأثير المد الى حيث اتى فينتشر على الشاطئ بعد ان كان منحصراً في القنوات و يفسد الهواء و يضر ضرراً جسيماً ٠

واما المدن النهرية فان مقامها الصحي بين المدن رفيع للغاية لان جريان النهر يحرك الهواء تحريكاً دائماً فيجدده و ينقل ما فسد منه مستعيضاً عنه باصلح فان النهر بجريان مائه الدائم يشبه موقداً تضرم فيه النيران متصلاً بمجرى عال فكما ان الموقد يجدد الهواء في الغرفة آتياً بالجيد منه الى الداخل ودافعاً ما فسد وسخن منه الى الخارج فان لجريان ماء النهر التأثير نفسه ٠ وعدا هذا فان المياه التي تحتاج المدن الكبرى الى كميات وافرة منها لقضاء الحاجات العامة لا يكاد يتوصل اليها اذا لم تخترق انهر طبيعية هذه المدن ولهذا كانت الشروط الصحية متوفرة في المدن النهرية لغزارة المياه فيها على ان لا تتلوث هذه المياه بما ينصب فيها من المجاري والمراحيض فيتناول ضررها عدا المدينة نفسها جميع القرى الواقعة تحتها ٠

واما مدن البحيرات فهي ذات هواء رطب للغاية سواء قامت على شاطئ البحيرة او شيدت على اعمدة مرتكزة في قعرها الا ان هذه الرطوبة قد يخف ضررها بتأثير الارياح التي تهب عاصفة في تلك المدن فتخفف من رطابة هوائها او بتأثير الحرارة العالية نفسها ٠

واما المدن القائمة في اراض يكثر فيها السباخ اي الواقعة على مصب الانهر فهي اشد المدن انحطاطاً من الوجهة الصحية فان البرداء (اي الملاريا) تفتك بالعدد الوافر من ساكنيها ٠

فيستنتج عما تقدم ان دمشق وهي مدينة تخترقها الانهر الغزيرة ذات موقع جغرافي حسن فهي قائمة في سهل تكتنفه الجبال البعيدة فالى الشمال جبل قاسيون الممتد من الربوة حتى ثنية العقاب حيث يبدء جبل القلمون وفي سفحه حي الصالحية والمهاجرين والى الشمال الشرقي جبل القلمون (يوناني معناه القصب) وهو يبعد عن المدينة خمسة كيلو مترات او ستة والى الغرب الجنوبي جبل الشيخ وهو يبعد ثلاثين كيلو متراً عن دمشق و به تمر الرياح الغربية الجنوبية الباردة في فصل الشتاء ٠ وامام جبل الشيخ تقوم جبال الربوة والمزة وتبعد عن دمشق زهاء ثلاثة كيلو مترات والى الجنوب جبال حوران الممتدة حتى البادية

وتبعد عن دمشق ثلاثين كيلو متراً ، والى الشرق البادية المطلقة ومنها تهب الرياح الحارة في فصل الصيف والى الشرق الجنوبي تمتد الغوطة حتى بحيرة الميجانة التي يصب بها نهر بردى تلك البقعة التي يكثر فيها السباخ والمستنقعات ·

فموقع دمشق الجغرافي متوفرة فيه الشروط الصحية لان الجبال التي تكتنف المدينة بعيدة لا تمنع الشمس عن ارسال أشعتها القاتلة للجراثيم ولا توقف الارياح العاصفة عن الوصول الى المدينة فتجدد حتى في أضيق أزقتها الهواء تجديداً دائماً · وانما وجود الغوطة في الجهة الشرقية من المدينة يجعل البعوض يتكاثر والبرداء وحمى الايام الثلاثة تنفشيان تفشياً شديداً وليس الذنب في ذلك على الطبيعة وحدها ولكن معظم الذنب علينا فلو اهتمت الحكومة بتجفيف تلك المستنقعات مهما كلفها الامر من المال لحسنت الحالة الصحية وهو مشروع تفوق فائدته اكبر المشاريع واعظمها ·

(أ) الارتفاع عن سطح البحر : أمرُّ الآن الى الفرع الاول من الفروع الاربعة التي تنطوي تحت الموقع الجغرافي وهو الارتفاع عن سطح البحر · ان الارتفاع يؤثر شديداً في هواء المدن فيصلحه او يفسده ولعله أقوى المؤثرات وأهمها حتى ان بعض علماء الصحة يرى فرقاً بيناً بين حي وآخر من أحياء مدينة واحدة لا يتجاوز فرق ارتفاعها عشرين متراً او اربعين والبرهان على ذلك جليّ واضح في دمشق فان حي الصالحية والمهاجرين القائم في سفح جبل قاسيون أجود هواء من سائر أحياء دمشق لانه اكثر ارتفاعاً منها ·

ولا يظهر هذا الفرق واضحاً الا في المدن التي لا يقل ارتفاعها عن اربعمائة متر او في المدن التي لا يزيد ارتفاعها عن الخمسين واما في المدن التي يتراوح ارتفاعها بين الخمسين والاربعمائة فان بضع عشرات من الامتار لا تكفي لجعل فرق واضح بين حي وآخر من أحيائها وان دمشق التي يعادل ارتفاعها في أرجائها المتوسطة ستمائة وخمسين متراً يظهر هذا الفرق فيها بين حي الصالحية والأحياء الأخرى لانها تتجاوز حد الارتفاع الذي عينته وهو اربعمائة متر وهكذا يقال في بيروت وطبريا من مدن سورية وفلسطين فان بيروت التي تعلو عن سطح البحر في أرجائها الواقعة على الشاطئ بضعة أمتار لا غير تريبنا ما أرتنا دمشق من تبدل الهواء في أحيائها فان حي الأشرفية مثلاً الذي يقع على ارتفاع خمسين متراً ونيفاً يختلف هواؤه اختلافاً محسوساً عن سائر الاحياء كرأس بيروت وسواه

وماذلك الا لان المدينة واقعة تحت الحد الأدنى للارتفاع الذي عيناه وما يقال في بيروت يقال في طبرية التي تنخفض عن سطح البحر المتوسط ٢٣٦ متراً فان بين الطبقة والأخرى من بيوتها يختلف الهواء اختلافاً واضحاً ٠

وان للارتفاع حداً اذا تجاوزه أضرَّ بالصحة ضرراً بليغاً لان الضغط الهوائي ينقص كلما علت المدينة ، وكلما خف الضغط الهوائي نقصت كمية الاوكسجين في الهواء فينشأ عن ذلك النقص تبدل محسوس في الصحة كما أثبتت التجربات الحديثة التي أجراها كثير من الأطباء في أماكن مختلفة الارتفاع ٠ غير انه لا مدينة من مدننا السورية تبلغ حد الارتفاع المضر لانه يقع بعد الف وخمسمائة متر ٠ وهذا لا نجده الا في بعض قمم جبالنا ٠ وخير المدن هواء ماتراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين سبعمائة والف متر ٠

(ب) واما من الوجهة الجيولوجية اوتركيب طبقات الارض فتقسم المدن الى صخرية ورملية وصلصالية ولحقية وهي ارض مركبة جيولوجياً من مواد كانت عالقة بالماء فرسبت بعد نضوب الماء منها وقد أضيف الى هذه الاقسام الاربعة في ايامنا هذه قسم خامس وهو المدن التي تقام على ارض اصطناعية ٠

فالمدن الصخرية أجود هواء من سائر المدن الاخرى من الوجهة الجيولوجية هذا اذا لم تأت أسباب أخرى فتفسد هواءها وان مايجعل المدن الصخرية في مقدمة المدن جودة صلد ارضها اي عدم نفوذها وسيلان المواد العفنة والمياه القذرة عليها دون ان تمتصها الارض فتبقى كامنة فيها وتنشر الاوبئة والامراض متى تيسرت لها الذرائع الملائمة ٠

واما المدن الرملية فلا تعد ملائمة للصحة الا متى كانت الطبقة الواقعة تحت الرمل غير صلداء لانها اذا كانت صلصالية اجتمع الماء فيها ورطب الارض وكانت تلك الطبقة خزانات للمواد العفنة تجتمع فيها فتلوث طبقة الارض السطحية وتفسد الهواء ٠

واما المدن اللحقية فانها مدن يكثر فيها السباخ وتتوفر فيها الشروط الملائمة لنمو البعوض وتكاثره ولهذا كانت البرداء (الملاريا) من الامراض التي تتفشى في هذه المدن فتفسد هواءها ٠

(ج) وان لموقع المدينة بالنسبة الى انصباب المياه فيها أهمية كبرى من الوجهة الصحية فاذا كانت المدينة في قعر وادٍ تحيط به الجبال وتنصب فيه المياه المتدفقة منها

مخترقة تلك المدينة فان ارضها تكون رطبة ومضرة . ولكن مهما كان موقع المدينة فانها تعد غير صالحة للسكنى اذا كانت طبقة أرضها الصلدة واقعة على عمق قليل لان المياه بعد اختراقها لطبقة الارض القابلة للنفوذ تجتمع في تلك الطبقة السطحية وتعلو بسهولة الى سطح الارض فتغوص جذوع النباتات والاشجار دائماً في بحيرة مائية ولا تخصب تلك الارض قط هذا فضلاً عن ضررها الشديد بالصحة واما اذا كانت الطبقة الصلداء عميقة فان المياه تبعد عن سطح الارض فيجف الهواء وتخصب الارض ولهذا قال الدكتور فونساغريف إن عمق الآبار في المدينة دليل على جودة هوائها فكلما كانت الآبار عميقة أخصبت الارض وجف الهواء وكلما كانت آبارها سطحية قل خصب الارض ورطب الهواء .

ان دمشق متوفرة فيها من الوجهة الجيولوجية ومسيل المياه الشروط الملائمة للصحة لان آبارها عميقة لا يوصل الى الماء فيها قبل حفر عشرات من الامتار وهذا ما يجعل ارضها خطباً وهواءها جافاً لان طبقة أرضها الصلصالية عميقة .

(د) اما الارياح التي تنقل الرطوبة اوالجفاف فان لها الاهمية الكبرى من الوجهة الصحية لان لها حسنات وسيئات فمن حسناتها تجديد الهواء واستبدال ما أشبع منه بذرات الفحم وحامض الفحم وسائر المواد الأخرى المضرة بهواء آخر آت من البحر والجبل وصالح للتنفس وتنقية الدم وهذه التهوية الطبيعية لا بد منها في مدن يكثر عدد سكانها وتتراصف بيوتها وتقام فيها الابنية الشاهقة المتعددة الطبقات . ومن سيئاتها أنها متى كانت خفيفة حملت الغبار الملقى على الارض فتطاير في الفضاء ناقلاً معه الجراثيم المرضية ولهذا كانت الأرياح الهادئة شديدة الضرر تنتشر حين هبوبها الاوبئة في المدن انتشاراً سريعاً فلاتقاء لهذا المحذور واتقاء لهذا الضرر الجسيم يجب علينا أن نجعل الغبار ملتصقاً بالارض فنكثر من رش الأسواق والمنعطفات ولا تدع للارياح تأثيراً فيه .

فاذا عصفت الارياح شديدة في دمشق فأزعجتنا وأضرت ببعض الابنية واقتلعت بعض الاشجار وحالت دون التجول فانها رسول أمين يجب أن نكون له من الشاكرين كيف لا وهي التي تجدد الهواء حتى في أضيق المنعطفات ، في تلك الأزقة التي تقوم

البيوت من جانبيها فلا يفصل نافذة البيت الواحد عن نافذة الآخر الا متران او اقل فهي التي تأتينا بالهواء النقي من قمم الجبال الشاهقة حيث لا جراثيم ولا غبار ولا مواد مضرة .

(٣) غرس الاشجار ووجود الساحات الكبيرة = ان هذا المؤثر الثاني في جودة الهواء كثيراً ما نمر به في يومنا دون ان نتأمل ثانية واحدة بما له من الفضل علينا .

ان الأشجار التي تغرس أيها السادة ، في الشوارع الكبرى والأسواق العريضة والساحات الفسيحة المطلقة التي لا بناء فيها تؤثر تأثيراً شديداً في حالة الهواء فانها من العوامل التي تبدل تركيب الهواء وتجعله صالحاً للتنفس ومن العناصر التي تصلح حالة الارض وتجففها فان أوراق الاشجار تمتص من الهواء حامض الفحم وتحوله الى فحم فتغتذي به والى اوكسجين لا تحتاج اليه فتبثه بالهواء رحمةً بالانسان والحيوان وان معظم الاوكسجين تلقيه الاشجار بهيئة اوزون وهو من الغازات التي عرفت اليوم قيمتها الكبيرة .

وفضلاً عن ذلك فان الاشجار تمتص قسماً كبيراً من رطوبة الهواء وقد خمن الدكتور ايفار (Ivert) ما تمتصه شجرة واحدة كبيرة مورقة بمائة ليتر ماء كل يوم. فكما أنها تمتص من الهواء البخار المائي فتجففه فانها تمتص من رطوبة الارض القسم الاكبر من الماء الذي تحتاج اليه في يومها بجذورها المرسلة بعيداً الى اعماق الارض . وقد قدر مرصدُ (مون-سوري) (Mont Souris) ان الشجرة تمتص من رطوبة الارض خمسة أضعاف ماتمتص من الهواء تحت تأثير حرارة الشمس فكم هي عظيمة كمية الماء الذي تمتصه أشجار احد الشوارع من أرض البيوت المشيدة على أطرافها ؟ .

لا تنحصر فائدة الاشجار بامتصاص رطوبة الهواء والارض ولكن الظل الذي تنشره على الارض يأتي بفوائد جليلة مدة الصيف ولا سيما في البلاد الحارة فانه يقي الكثيرين من الرعن اي ضربة الشمس ، فنفعُ الاشجار اذاً كبير من وجوه عديدة ولهذا يشير علماء الصحة بغرس الاشجار في جانبي الشوارع العريضة و يراعون في غرسها هندسةً خاصة كي لا تضر في البيوت المجاورة لها فتمنع عنها الهواء والنور . ان لهذه القضية أهميتها لقد كانت موضع درس دقيق في المؤتمر الصحي الالماني الذي عقد في درسد (Dresde) سنة ١٨٨٣ وفي المجمع الصحي الدولي الذي عقد في بروكسل عاصمة بلجيكا سنة ١٩٠٣ .

فاذا كان للاشجار التي تغرس على جانبي الشوارع والأسواق هذه الفائدة الكبرى على الرغم من قلة عددها فما عساها ان تكون فائدة الحدائق العامة الفسيحة . ان هذه الحدائق ، هذه الاماكن المتسعة حيث الهواء حرٌ مطلق وأشعة الشمس حارة ترطبها نفحات النسيم البليل المتلاعب باغصان الاشجار . حيث يجلس الانسان لترويح النفس تظلله الاشجار المورقة المزهرة حيث تتنفس الرئتان تنفساً عميقاً يدفع الانسان منهما الهواء المشبع بحامض الكربون و يستبدله بهواء نقي ، حيث يلعب الأولاد و يركضون على ذلك البساط الأخضر النضير ، هبة ثمينة لا ندرك قيمتها تؤثر في صحة الأبدان فتحسنها ، وتروّض الافكار فتجلوها فتأثيرها اذاً جسدي ونفسي في آن واحد .

ان هذه الأماكن تخفف بعض الازدحام الذي نراه في قلب المدينة ذلك الازدحام الشديد الضرر الذي كلما ارتقى علم الصحة ظهر ضرره وسُعي الى اجتنابه ولهذا اكثرت العواصم الكبرى والمدن التي تسوسها حكومة راقية من هذه الحدائق المتسعة غير ناظرة الى المخازن والمساكن والأسواق التي تهدمها ولا مبالية بما لهامن الأثمان الباهظة ولا ملبية عاطفة محبة المال والثروة ولكنها تجيب ما تتطلبه الصحة العامة فتنشئ هذه الحدائق التي لا تكسبها بارة واحدة في السنة ولكنها بعكس ذلك تضطرها الى نفقات طائلة لتبقى محافظة على نضارتها وجمالها .

فان في باريس ستاً واربعين حديقة مساحتها ستة وعشرون الفاً وثلاثمائة متر مربع وفي لوندرة أربعين حديقة مساحتها اكثر من مساحة حدائق باريس بالف متر مربع وفي برلين عشرين حديقة تعادل مساحتها خمسة وخمسين الفاً واربعمائة متر مربع اي ضعفي مساحة حدائق باريس هذا عدا أحراج سباندو (Spandau) وغرانوالد (Grunwald) التي تعادل مساحتها نصف مليون متر مربع .

الا اننا في دمشق لا نجد سوى حديقة واحدة لا تزيد مساحتها عن خمسمائة متر مربع وشارع واحد مشجر لو لم يشق في زمن لم يكن للشعب فيه حق الاعتراض لما كان لدمشق مع غزارة مياهها وخصب ارضها متنفس يتنفس فيه سكانها الهواء النقي . ان شارع النصر قد حسَّن حالة الدمشقيين تحسيناً لا يكتسب بالادوية والغذاء وغيرهما فيا حبذا لو كان في هذه المدينة منه عشرات غير ان ما يعيض بعض الاعاضة عن هذه

الحدائق والشوارع هو الجنائن البديعة التي تطوق دمشق وتوجد في بعض أحيائها ولولاها لكانت دمشق لا تصلح للسكن .

اما الساحات الكبيرة الحرة فلا أثر لها عندنا و باللاسف واذا تكلمت عنها فانني ألمس مسألة أخرى جليلة الفائدة في المدن وهي هندسة الشوارع هندسة حديثة الا انني لا أريد التعرض لهذا البحث في محاضرتي هذه لانه موضوع يستغرق محاضرات وانما اقول كلمة عنه لابين لكم كم هو عظيم اهتمام البلاد الراقية بهذه النقطة الاساسية وكم هو كبير اهمالنا . ان موسيو بوكيا (Beauquia) احد اعضاء المجلس النيابي الفرنسي اقترح سنة ١٩٠٩ أن يرسم لكل مدينة يزيد عدد سكانها عن عشرة آلاف نسمة مصور يبين فيه مساحة المدينة وحدائقها العامة واتساعها وعرض طرقها واستقامة تلك الطرق وطرز بناء بيوتها وبكلمة واحدة كل ما يتعلق بتلك المدينة وما يجمع بين جمالها الظاهر وحالتها الصحية وان يطبق هذا المخطط تطبيقاً دقيقاً لا يقبل الاعتراض ولا تراعى فيه مصالح الافراد فهل افتكر اولياء الامور عندنا بوضع مخطط مختصر تحسن به حالة بعض الاحياء التي لا تسكن في دمشق ولنفرض ان مر ذلك الفكر في مخيلتهم فهل برز منه شيء الى حيز العمل ! .

لست أجهل أيها السادة ان وضع مخطط كهذا يضطرنا الى هدم مدينتنا جميعها غير ان من الامور ما هو مهم وأهم فاذا كان اتباع خطة واحدة في الاسواق وطرز واحد في البناء وعلو واحد في المساكن معاً يكسب المدينة رونقاً وبهاء وهواءها جودة فان تخطيط بعض الأسواق العريضة التي تكتنف الاشجار جانبيها وغرس بعض الحدائق العامة الفسيحة في قلب المدينة وايجاد بعض الساحات الحرة المتسعة وكشف الأسواق الضيقة التي لم تدخلها أشعة الشمس منذ بنيت وعدم السماح بتغطية ما هو مكشوف منها لمن الامور الشديدة الاهمية التي لا غنى عنها : وانني أعجب ولعلكم تعجبون معي كيف ان ما أصلحته الطبيعة فكان لهذه المدينة مصدراً للصحة نفسده نحن بايدينا كيف ان يد الطبيعة أعقطت سقف السوق الحميدية رحمة بمن فيها من التجار ومن يمر بها من البشر في كل يوم وكيف ان الحكومة سمحت باعادة هذا الغطاء وحرمان تلك المخازن من أشعة الشمس المنعشة . امر لم أجد له مسوغاً في قوانين البلاد الراقية .

(٣) أجوز الآن الى المؤثر الثالث وهو الغبار وتأثيره في هواء المدن — ان الغبار

المنتشر في الهواء ينقل معه كثيراً من الجراثيم المرضية متى عصفت الريح ووجدت المجاري الهوائية فتدخل تلك الجراثيم البيوت بطرق متعددة باحذيتنا واثوابنا و بشرة اجسادنا والحيوانات الداجنة وكل ما في الاسواق من البضائع والمواد الغذائية وتدخل الجراثيم ايضاً البيوت مع الهواء من النوافذ ولهذا كانت البيوت المشيدة على جانبي الطرق التي يكثر فيها الغبار والتي تطرقها السيارات كثيراً معرضة اكثر من سواها لهذه الجراثيم وكان أهلها معرضين أكثر من غيرهم للأوبئة والامراض . وان مايزيد في الطين بلة هو ان سكان تلك البيوت يغلقون النوافذ و يحكمون سدها حذراً من دخول الغبار منها فيفسد الهواء في مساكنهم ولا يعود صالحاً للتنفس فيقعون وهم يطلبون التخلص من شر كبير في شر أكبر . ولا يؤثر الغبار في الانسان والحيوان فقط بل يؤثر في النباتات ايضاً لانها تتنفس كتكليها فان الاشجار متى كسا أوراقها الغبار تذوي وتموت واذا لم تمت تضعف خاصة التنفس فيها فتفقد وظيفتها الاساسية وهي تجديد الاوكسجين وتنقية الهواء الذي يتنفسه الانسان .

ليس الغبار سوى ذرات الأوحال الجافة التي لا يخلو منها مكان من أمكنة دمشق فاذا عاينا تلك الذرات وجدنا فيها أشياء كثيرة رأينا المواد العضوية والجير والبوتاس والصوان والخزف والمواد المعدنية والحامض الفوسفوري والحامض الفحمي وغيرها ووجدنا معها وهذا ما يهمنا أمره كية عديدة من الجراثيم المختلفة الأنواع . فقد تبين من تحري الدكتور ايتكن (Aitken) ان كل سانتيمتر مكعب من الهواء يحتوي في باريس على مائتين وعشرة آلاف ذرة غبار وانه في لوندرة لا يحتوي الا على مائة وخمسين الفاً لا غير . اما الجراثيم الموجودة فيه فتبلغ مليونين واربعمائة الف جرثومة فاعساها ان تكون حالة الهواء في دمشق والغبار في طرقاتها يحجب نور الشمس ويدخل الصدور بلا استئذان فاذا سارت عربة تركت وراءها ذيلاً من الغبار طويلاً او نهبت سيارة الارض طائرة عليها التحفت بغطاء من الغبار يسترها والبست المارين منه ثوباً لطيف النسج .

تدخل ذرات الغبار أجسادنا بطريقين : طريق التنفس وطريق الهضم . قد ثبت في اكثر الاوقات ان انتقال السل يتم بالهواء اي بذرات الغبار التي تنقل معها عصية

كوخ او العامل السلي وقد ثبت ايضاً من المشاهدات السريرية ان تسعة وتسعين في المائة من المسلولين ينتقل السل اليهم بواسطة الهواء الذي ينقل هذه الذرات الى افواههم فيبتلعونها او الى رئاتهم فيستنشقونها · وبينت تجربات فلوغ (Flugg) ايضاً ان عدوى السل بطريق التنفس لا تنشأ فقط من قشاعات المصدورين التي بعد ان تجف وتبددها الريح تنتقل مع الهواء فتدخل رئاتنا بل تنشأ ايضاً من النفثات الصغيرة التي يرشقها المسلول في الهواء أثناء السعال فتنتقل العدوى الى بضعة أمتار ·

ولا تظنن ان السل وحده ينتقل بالهواء فان كثيراً من الامراض ينتقل به ايضاً فالحمى التيفية مثلاً تنتقل بالماء والبقول الملوثة كما يعلم جميعنا الا انها تنتقل بالهواء ايضاً وقد اثبتت هذه القضية تجربات برواردال وميكال ولافران وشانتماس وهي تنتقل ايضاً بالغاز المنبعث من المراحيض كما اثبت ذلك الدكتور تيكبورن (Tich borne) وبملامسة المريض وكل ما تلوث من أثوابه وفراشه ·

اجل ان انتقال الحمى التيفية بغبار الهواء امر قليل الوقوع لا يعادل انتقال السل به غير ان جرثوم الحمى التيفية شديد المناعة لا تؤثر به حرارة الشمس تأثيرها بجرثوم السل الذي تتلفه ببضع ساعات ولهذا كان خطر انتقاله بالغبار موجوداً ·

وكذلك الخلفة اي الدوسنطاريا التي أجمع الجميع على انتقالها بالماء تراها تنتقل بالهواء ايضاً ولا سيما في من يتعرضون للغازات المنبعثة من المراحيض او يجاورون الاقذار والمواد الغائطة التي تلقى في الأسواق من آن الى آخر منتظرة رحمة الشمس لكي تبخر ما فيها من المياه القذرة وتجففها فيُسعى عندئذ الى نقلها ·

والسعال الديكي (او الشهقة) هذا الوباء الشديد الانتشار الذي يسري باللمس ، قد ينتقل بذرات القشاعات التي يرشقها المريض اثناء نوب السعال وزد على ذلك ان المواد التي ينفثها المريض وهي التي تنسب اليها السراية تتطاير ذراتها بالهواء بعد ان تكون قد التصقت بالاثواب وجفت فتنقل العدوى ·

وذات الرئة تنتقل ايضاً بالهواء وهي مرض ينشأ من جرثوم مرضي خاص يكون في جهاز التنفس فينفث مع قشاعات المريض وينتقل بها بعد ان تلقى على الطرق العامة فتجف ويبددها الهواء · وان ما يساعد على انتشارها شدة مقاومة هذا الجرثوم فهو يبقى

محافظاً على قوته الحيوية اياماً عديدة وربما شهرين كاملين متى كان في مأمن من نور الشمس وملامسة الهواء والاوكسجين وهذه الشروط تراها موجودة في شقوق البلاط وفي تلال التراب المكدسة على زوايا الطرق والأسواق ٠

اما النزلة الوافدة اي الحمى الاسبانية فلم يجمع كل الأطباء على انتقالها بالهواء فمنهم من صنف هذا الداء بين الامراض التي تنتقل بالارياح العاصفة والجاري الهوائية الشديدة ومنهم من قال إن ذرات التراب الملوثة بعامل بفايفر اي عامل النزلة الوافدة لا تنتقل الا الى بعد قليل فهي لا تتمكن والحالة هذه من نقل المرض ومهما يكن فان عامل هذا الداء يلقى كسواه على الطرق العامة مع قشاعات المرضى وبصاقهم ٠

اما الجدري فان عامله ينتقل بالهواء أيضاً بالذرات الصغيرة الناشئة من مفرزات البثور وفلوسها فانها تتطاير مع الهواء ناقلة المرض ٠ وعامل الجدري شديد المقاومة يلتصق مدة طويلة بالاجسام والاشياء كجدران البيوت والالبسة والاثواب والادوات دون ان يفقد شيئاً من قوته وهذا يبين لنا كيف ان هذا المرض متى دخل بلداً طالت اقامته فيه فينطفي آونة ثم يظهر أخرى دون سبب ظاهر وعدواه تتم غالباً بطريق التنفس ٠

وهكذا يقال عن الخناق اي الدفتيريا فانها تنتقل بالهواء ٠

واخيراً الطاعون الرئوي هذا الوباء الهائل الذي يفتك متى انتشر بمئات الالوف والملايين فانه ينتقل بالهواء الى جهاز التنفس و يعتقد كثير من الاطباء ان الحمى الاسبانية التي استولت على اوربا سنة ١٩١٩ ولم يقل عدد ضحاياها عن خمسة ملايين لم تكن الا طاعوناً رئوياً حتى ان حكومة الولايات المتحدة حيث كان تفشي المرض شديداً اجبرت جميع ساكنيها على ان لا يظهروا في الاسواق الا وعلى انوفهم وافواههم خمار مبلل ببعض المواد المضادة للفساد وهكذا تمكنت من حصر المرض وتخفيف وطأته ٠

ولا تنتشر الجراثيم بالارياح فقط بل تنتشر ايضاً بطرق أخرى منها نفض الطنافس في الشرفات والنوافذ وندف القطن والصوف المحشوة بها لحف المرضى وفرشهم في المخازن المشرفة على الطرق العامة فيترتب على الحكومة منع مثل هذه الاشياء منعاً باتاً مهما كانت مراعاتها شديدة الصعوبة ٠

ولكن على الرغم من امتلاء الهواء بذرات الغبار الملوثة وعلى الرغم من استنشاقنا هذا الهواء

ودخول الجراثيم الى اعماق حويصلاتنا الرئوية نرى انتشار الامراض قليلاً لا يناسب كثرة هذه الجراثيم وما ذلك الا لانها تتلف بعد وصولها الى اعماق الرئة فان الطبيعة جملت الدواء الى جانب الداء ولهذا كانت للمفرزات الشعبية خاصة قاتلة للجراثيم .

هذا ما رغبت بطرحه امامكم في هذه المحاضرة من الامور الصحية ومنها تستنتجون ان الطبيعة لم تضن على دمشقنا بجودة الموقع الجغرافي ولا بالارتفاع عن سطح البحر ولا بتركيب أرضها الجيولوجي الموافق ولا بالانهر الغزيرة النافلة مع مياهها خصباً وهواء نقياً ولا بالارياح العاصفة التي تهب الانسان بهبوبها حياة جديدة وانما نحن الذين ضنوا عليها بكل ما يؤثر في هوائها فيصلحه ضننا عليها بالأسواق المتسعة الفسيحة ضننا عليها بالساحات الكبيرة والحدائق الكثيرة ضننا عليها بتنظيف شوارعها من الأوحال الحاضرة او الغبار القتال المقبل ضننا عليها بما هو أعظم من كل هذا وبما لم أبينه في محاضرتي نظراً لضيق الوقت فاذا تفشت الاوبئة فيما بيننا فليس الذنب الا علينا اوساءت الصحة العامة فلا تعود تبعة هذه الاساءة الا الينا فعسى ان يكون المستقبل باسماً لا عبوساً كالماضي فنرى في دمشق حياةً جديدةً تدب في أسواقها حياةً ترقى برقي علم الصحة بين أفرادنا . فعسى ان ينتبه الزملاء الكرام الى سد هذه الثلمة فيكثرون من المحاضرات الصحية فهي لعمري اكثر ضرورة وأعظم فائدة من المحاضرات العلمية والادبية والشعرية وغيرها لانها تحفظ حياة الشعوب ولا تقدم لشعب يحصد منجل الامراض من شبانه الاذكياء النابغين ومن شاباته المهذبات الاديبات فعسى ان يسعدني الحظ في المستقبل فأقوم بواجب يفرضه علي الفن الذي أنتسب اليه والتي في ناديكم الموقر من آن الى آخر محاضرات أخرى مختلفة الموضوعات تضمن للسيدات نضارة جمالهن وللشبان قوة عضلاتهم والله الموفق في كل حال .

آراء وافكار

ذات الزيتون

« هي الزيتونة »

هل ذات الزيتون هي الزيتونة ؟ ذلك مالاريب فيه البتة . فانا أوافق عليه الاستاذ عارف النكدي كل الموافقة . ولا بأس بان ابسط هنا ما كنت عثرت عليه في هذا الشأن الجغرافي . فقد روى ابن خرداذبه في كتابه المسالك والممالك (ص ٧٤ من طبعة ليدن) ان تقديرا لرصافة والزيتونة وكفر جحر والجزيرة الف دينار . وقال المسعودي في كتابه التنبيه والاشراف (ص ٣٢٢ من طبعة ليدن) ان الرصافة من ارض قنسرين . فلم يبق من ريب في ان الزيتونة تابعة الرصافة وان الرصافة قد كانت من جند قنسرين اي من سورية الشمالية او سورية الفراتية .

وقال البلاذري في كتابه فتوح البلدان (ص ١٧٩ — ١٨٠ من طبعة بريل) اما رصافة هشام فان هشام بن عبد الملك احدثها وكان ينزل قبلها الزيتونة . وقال ياقوت الرومي في معجم البلدان الرصافة في مواضع كثيرة منها رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الرقة بينهما اربعة فراسخ على طرف البرية بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها في الصيف كذا ذكره بعضهم . قال وجدت في اخبار ملوك غسان ثم ملك النعمان بن حارث بن الايهم وهو الذي اصلح صهاريج الرصافة وصنع صهريجها الاعظم وهذا يؤذن بانها كانت قبل الاسلام بدهر ليس بالقصير ولعل هشام عمر سورها او بنى بها ابنية يسكنها[1] . . . وقد اصاب ياقوت كل الاصابة فقد عرفت الرصافة في العهد الروماني (بسرجيوبوليس) نسبة الى الشهيد سرجيس . قال وقال احمد بن يحيى واما رصافة الشام فان هشام بن عبد الملك احدثها وكان ينزل فيها الزيتونة وقال ياقوت في الزيتونة موضع كان ينزله هشام بن عبدالملك في بادية الشام فلما عمر الرصافة انتقل اليها .

---

(١) ولعل هشام عمرها وقد كانت قبله خربة او مقفرة وهذا ينفض الاشكال من كل وجه كما لا يخفى .

فالزيتونة التي دعاها عبدالرحمن حفيد هشام (ذات الزيتون) هي قريبة من الرصافة (او من قراها) على نهر الفرات الاعظم ٠

قال الرصيف الاستاذ السيد عارف النكدي في محاضرته الرائعة الاندلس (حاشية ص ٣٣٤ من مجلة المجمع العلمي) لم اجد فيما عندي من الكتب مايعرف منه موضع ذات الزيتون ٠ وفي معجم البلدان الزيتونة موضع كان ينزله هشام بن عبد الملك في بادية الشام فلما عمر الرصافة انتقل اليها فكانت منزله الى ان مات ٠ ونسأل الاستاذ بعده فهل الزيتونة هي ذات الزيتون ؟ قال ان عبدالرحمن مات ابوه وهو صغير فكفله جده هشام صاحب الزيتونة فلعل الموضعين واحد (وهو الصحيح الذي لا غبار عليه) فيكون عبد الرحمن قد لجأ الى موضع له سابق عهد فيه والله اعلم ٠

واما قول الاستاذ الآخر (او ان ذات الزيتون في جبل حوران المعروف بجبل الدروز) ٠٠٠ فإخاله بعيداً عن الصحة والصواب والذي خدعه قول عبدالرحمن الاموي (ففرّ من الزيتونة او ذات الزيتون الى فلسطين) ٠٠٠

في حين ان عبد لرحمن يقصّ هو نفسه قصة هربه فيقول : انه صار الى قرية على الفرات ذات شجر وغياض ٠ الى ان قال انه دخل بساتين على الفرات فسبق الخيل الى الفرات فسبح فيه ونجا هو بنفسه والخيل ينادونه بالامان وهولا يرجع واماخوه فانه عجزعن السباحة في نصف الفرات فرجع اليهم واخذوه فقتلوه ٠ فليس من مجال للشك والتردد بعد هذا القول الواضح في ان الزيتونة او ذات الزيتون كانت على الفرات الاعظم اوقريبة منه في بادية الشام كما قال ياقوت وغيره ٠ واين هذه — وهي على الفرات — من ذات الزيتون في جبل حوران او جبل الدروز كما لا يخفى ٠

وأقف من التحقيق عند هذا الحد فقد ثبت انالزيتونة هي ذات الزيتون وان موقعها على الفرات او هي قريبة منه في بادية الشام و بهذا القدر غنى وكفاية للمتأمل البصير ان شاء الله تعالى ٠ حلب : الخوري جرجس منش

عضو المجمع العلمي

جواب على سؤال

اطلعت على سؤال لحضرة الاستاذ محمد راغب الطباخ عضو المجمع العلمي في الجزء السابع (ص٤٤٠) من مجلة المجمع العلمي المجلد التاسع يسألني فيه عن كتاب (مناقب بغداد) لعبد الرحمن بن الجوزي هل هو مذكور في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب؟ .

نعم تصفحت ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب فوجدت فيه ترجمة حافلة لعبد الرحمن ابن الجوزي المذكور تقع في زهاء ٣٠ صفحة بالقطع الكامل وقد ذُكرت فيه مؤلفاته التي تبلغ نحو ٤٠ مؤلفاً ومنها (مناقب بغداد) الذي حصلت الفتحة بسببه و بشأن نسبته الى حفيد ابن الجوزي المسمى باسمه و كنيته ولقبه :

لهذا لم يبق ادنى شك في صحة نسبة كتاب (مناقب بغداد) الى مؤلفه عبد الرحمن ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ ﻫ لا الى حفيده المذكور المتوفى سنة ٦٥٤ ﻫ لان النسخة التي اعتمدنا عليها في المراجعة كُتبت في القرن الثامن للهجرة وان ما حققه الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ هو الصحيح لا شبهة فيه .

حسني الكسم

مطبوعات حديثة

تاريخ الموسيقى العربية

« الى القرن الثالث عشر »

A History of Arabian Music To The XIII th Century

ألف هذا الكتاب القيم باللغة الانكليزية الاستاذ هنري جورج فرمر و بحث فيه عن تاريخ الموسيقى العربية من ايام الجاهلية الى القرن الثالث عشر م . وقد قسم الكتاب الى ستة أبواب : الباب الاول عالج فيه تاريخ الموسيقى في الجاهلية وهي فترة كالايخفى غامضة ولكنه مع ذلك جمع ما تشتت في كتب الادب والتاريخ من اخبار الغناء وذكر آلات الموسيقى المعروفة اذ ذاك عند العرب في اليمن والحجاز والحيرة والشام وذكر بعض من عُرف بحسن الصوت .

وذكر في الباب الثاني (الاسلام والموسيقى) واكثر ماعالج فيه حكم الغناء من حيث الاسلام مع ذكر أدلة الاباحة والحظر وما ذهب اليه الائمة الاربعة ثم رأي المتصوفة في السماع وأشار الى من عرف بحسن الصوت ايام النبي عليه الصلاة والسلام .

وصور في الباب الثالث حالة العرب الاجتماعية ايام الراشدين وذكر الفتوح التي تمت على عهدهم واختلاط العرب بالفرس والروم وظهور الغناء العربي المتقن بعد ان كان ضرباً من الحداء والتطريب والنوح وذكر عزوف الخلفاء الراشدين عنه لاشتغالهم بالفتوح وأشار الى من ارتاح اليه من الصحابة كعبد الله بن جعفر وأجمل تراجم المغنين في ذلك الدور كطويس وحنين وعزة الميلاء وسائب خاثر وغيرهم .

قال واما اخذ العرب عن الفرس فلم يكن من حيث القواعد الموسيقية ولكنهم ربما سمعوا النغمة الفارسية فاستعاروها بعد ان عالجوها بالصقل والتهذيب والتعريب . وأحصى اسماء الآلات الموسيقية على اختلافها كالمعزف والمعزفة والمزهر والعود والطنبور والقصبة والمزمار والبوق والقضيب والدف والصنج والطبل .

وذكر في الباب الرابع خلفاء بني أمية واحداً بعد واحد بعد ان أجمل تصوير الحالة

الاجتماعية اذ ذاك وأشار الى ما كان من تنشيط الخلفاء للغناء . وقال ان أثر الفرس في الموسيقى العربية كان في الآلات اكثر منه في الغناء نفسه . وترجم لطائفة صالحة من كبار المغنين في ذاك العهد كابن مسجح وابن محرز وابن سريج والغريض ومعبد وابن عائشة ويونس الكاتب ومالك بن ابي السمح وجميلة وسلامة القس وحبابة وسلامة الزرقاء .

فلما انتهى الى العصر العباسي قسمه الى ثلاثة عصور : العصر الذهبي وهو من سنة ٧٥٠ الى ٨٤٧ م وعصر الانحطاط من ٨٤٧ الى ٩٤٥ وعصر السقوط من ٩٤٥ الى ١٢٥٨ .

قال المؤلف ان قيام بني العباس فسح الميدان للفرس وجعل الفكر الآري يسود الفكر السامي واذ ذاك وقف الفن العربي الخالص وظهر في الشعر العربي اثر للفكر الفارسي . قال واما الغناء العربي فلم تظهر به تلك المؤثرات الا بعد زمن طويل وربما كان منشأ ذلك ان الموسيقيين كانوا صنفاً خاصاً من الناس ممتازين ومنعزلين عن غيرهم فحافظوا على الصبغة العربية في الغناء . قال ومما يستحق الذكر ان مغني العصر الذهبي كانوا عرباً بالعنصر او بالميلاد وجاء اكثرهم من الحجاز وطن الفن العربي .

ثم أجمل موقف خلفاء العصر الذهبي من الموسيقى وتنشيطهم لها قال ومن دواعي تقدمها ميل المأمون لعلوم اليونان وانشائه بيت الحكمة في بغداد وترجمة علوم اليونان ومن جملتها الموسيقى ، وذكر الواثق ونوه بخدمته للفن وقال : بوفاته انقضى عصر الاسلام الذهبي الذي لو قايسنا بين حضارته وبين حضارة اوربا في ذاك الحين لوجدنا حضارة اوربا ليست سوى بربرية . وترجم لكثير من كبار المغنين كاسحق الموصلي وابراهيم بن المهدي وغيرهما .

ولما أتى الى دور الانحطاط العباسي ذكر كيف تفككت عرى المملكة الاسلامية واستقلت اكثر أقطارها في الشرق والغرب تحت طاعة الخليفة الاسمية وأشار الى تلك الدول وأخذها بيد الادب والموسيقى كالدولة السامانية والحمدانية والطولونية والإخشيدية والدول التي قامت في الاندلس . قال : وفي ذاك العصر نبغ ابو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الأغاني وابن فرناس العالم الموسيقي . وفي ذاك العصر ازداد النفوذ الأعجمي في الثقافة العربية ومنها الغناء . قال : ولكن مهما اقتبس العرب عن الفرس

فهؤلاء مدينون للعرب أضعاف ذلك ليس في الدين فقط بل بالعلوم والفلسفة والفنون الجميلة ٠

ومن خصائص تلك المدة الاستعانة بعلوم اليونان فيما يتعلق بالنظريات الموسيقية وشرح المؤلف ذلك شرحاً وافياً ٠

ثم ختم كتابه بالعصر الذي دعاه عصر السقوط وذكر ان أسماء الانغام المصطلح عليها في كتاب الأغاني تغيرت وأضحت فارسية مع ان الموسيقي ظلت عربية وأشار الى الدول التي كان لها فضل على الموسيقى كالدولة الفاطمية في مصر والأيوبية في الشام مع الاشارة الى من الف في الموسيقى وترجمة المغنين والمخترعين وما اخترعوه من الآلات كل ذلك باسلوب بارع وترتيب حسن وتفصيل واف ٠ فيا حبذا لو يتاح لهذا الكتاب النفيس من ينقله الى العربية ٠

خليل مردم بك

فهرس المكتبة البلدية
« في الاسكندرية »

طبعت بمطبعة شركة المطبوعات المصرية بالاسكندرية

سنة ١٩٢٦ — ١٩٢٩

هذه الفهرس ترتيب وتصنيف الاستاذ الفاضل السيد احمد ابي علي امين المكتبة المذكورة وهي تشتمل على ثمانية واربعين علماً في ستة مجلدات بقطع هذه المجلة ومجموع صفحاتها ٢٠٤٠ وهي مرتبة ترتيباً حسناً على الحروف الهجائية في كل فن على حدة كترتيب فهرس دار الكتب المصرية وقد وصفت الكتب التي ورد ذكرها في هذه الفهرس وصفاً موجزاً مع ذكر شيء من حياة مؤلفها وتاريخ وفياتهم فجاءت هذه الفهرس حسنة بما فيها من دقة الملاحظة وسهولة المراجعة على الباحث في كل ما يهمه امره ٠

فللاستاذ الموما اليه الشكر الجزيل لتوفره على طبع هذه الفهرس التي طالما تاقت النفوس الى وصفها والاطلاع على ما تحتوي عليه من الكتب النفيسة ٠

حسني الكسم

اهداء مجموعة مخطوطة

أهدى السيد امين الخانجي الكتبي المشهور الى مكتبة المجمع العلمي مجموعة تتضمن الرسائل المخطوطة الآتية :

(١) (قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن) تصنيف الشيخ مرعي بن يوسف المقدسي الكرمي الحنبلي . فرغ المؤلف من تصنيف كتابه هذا يوم عاشوراء سنة ١٠٣٣ في الجامع الازهر .

(٢) (الشجرة المفرعة في المسائل المنوعة) تأليف الشيخ محمد زين العابدين العمري سبط المرصفي ألفه سنة ٩٦٧ هـ وذلك عندما زار السيد البدوي ورُفع اليه عند قبره قرطاس فيه أسئلة شرعية منوعة فأجاب عليها في هذه الرسالة .

(٣) (السبيل المبين في حكم صلة الامراء والسلاطين) وهي رسالة صغيرة للمؤلف السابق يبحث فيها عن حكم الجوائز والصلات التي يأخذها العلماء والصوفية من الملوك والامراء .

(٤) (الميثاق والعهد في شرح من تكلم في المهد) تصنيف الشيخ احمد بن ابراهيم البرماوي وهو شرح أبيات السيوطي التي اولها :

تكلم في المهد النبي محمد ويحيى وعيسى والخليل ومريم الخ

(٥) رسالتان للشيخ عثمان النجدي الحنبلي : احداهما في أحكام (ايّ) المشددة وإعرابها وبنائها وغير ذلك . والثانية في أحكام (لو) واسم الرسالة (كشف الضو عن معنى لو) .

(٦) كتاب (تحقيق الرجحان بصوم يوم الشك من رمضان) تصنيف الشيخ مرعي ابن يوسف الحنبلي المقدسي الذي سبق ذكره .

(٧) (رفع الاستار المسدلة عن مباحث البسملة) تصنيف الشيخ اسماعيل الغنيمي ابن الشيخ غنيم الجوهري .

(٨) كتاب منتهى العقول في منتهى النقول تأليف الامام السيوطي : فهو يسرد في هذا الكتاب اسماء الاشياء التي بلغت الكمال او العظم او الشدة في امر من الامور

ثم يشرح بالاختصار ذلك الامر الذي امتاز فيه ذلك الشيء . مثال ذلك ان يقول : (منتهى المدائن الاسلامية بغداد) ثم يشرح لك مزاياها على البلاد . و (منتهى الفتن الاسلاميــة فتنة التتر) ثم يشرح ذلك و (منتهي الحشرات عقرب تسمى الجرارة) ثم يصف مبلغ اذى تلك العقرب وهكذا لكن النسخة كثيرة التحريف والتصحيف .

(٩) قصة هرون الرشيد مع الاعرابي وهي مخرومة وليس منها سوى صفحة واحدة .

(١٠) (مكتوب الى هرون الرشيد) يتضمن عظات ونصائح

(١١) (قصة اهل الكهف) تتضمن غرائب وعجائب .

(١٢) كتاب في العقائد اختصره مؤلفه من عقيدة الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد ابن احمدان (كذا) ولعل المؤلف المختصر هو الشيخ محمد بن بلبان كما يفهم من هامشة على ظهر الكتاب .

(١٣) رسالة في الأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ النواوي - انتهت الرسائل وان المجمع ليشكر للمهدي هديته .

***

وأهدي الينا ايضاً كتاب (مبادي علم الهيأة) تصنيف الاستاذ الفاضل جلال امين زريق مدرس الرياضيات في دار المعلمين العليا والمدرسة الثانوية في بغداد . والمؤلف من شبان سورية العاملين في ترقية الأذهان ونشر العلم وقد عرفت الحكومة العراقية قدره فهي تستفيد من معارفه الواسعة في العلوم الرياضية فنلفت انظار المتخصصين في هذه الفنون الى كتابه النفيس .

وكتاب (فتاوى الامام النواوي) المسماة (بالمسائل المنثورة) من ترتيب تلميذه الشيخ علاء الدين ابن العطار . وقد طبع الكتاب على نفقة مكتبة عرفة . بعد ان صحح على ثلاث نسخ خطية وشهرة ابن تيمية ودقيق أبحاثه الدينية في مصنفاته لاتحتاج الى تنويه .

وأهدي الينا (ديوان الوطنيات) لناظمه الشاعر الاديب السيد محمد ناجي الجم الطرابلسي وموضوعات شعره تدور حول الوطنيــة والعواطف والأخلاق وقد زينــه بصور كثير من رجالات العرب وأدبائهم وافتتحه برسم جلالة الملك حسين الذي أهدى الناظم ديوانه اليه .

وكتاب (خطب ومحاضرات) وهي مما ألقي في جلسات المؤتمر السادس لمعهد المباحث العليا في رباط الفتح . وأصحاب هذه المحاضرات هم أركان النهضة في شمال افريقية أمثال الأساتذة الحجوي والدكالي وحسن حسني عبد الوهاب والمرحوم ابن ابي شنب وغيرهم .

وجزآن لطيفان من رحلة الأديب المصري المشهور السيد عبد المجيد كامل التي سماها (في بلاد الناس) : الجزء الاول يتضمن رحلته في ايطاليا وسويسرا وفرنسا والجزء الثالث (قسمه الاول) يتضمن رحلته في القطر التونسي . والجزآن مزينان برسوم طائفة من المشاهير . فنلفت الانظار الى هذا الاثر .

وكتاب (الأغاني الشعبية) وهو مجموعة من الشعر العامي الذي نظمه سكان أرياف العراق ومنها تعلم اخلاقهم وطباعهم . جمعها السيد عبد الرزاق الحسني الاديب العراقي المشهور . وهي مفيدة للباحثين في أخلاق الامم من طريق أشعارها وامثالها العامية . «المغربي»

الجزء ١١ المجلد ٩

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) تشرين الثاني : سنة ١٩٢٩ م الموافق جمادى الاولى والثانية سنة ١٣٤٨ هـ

يهود الشام

منذ مئة عام (١)

نحن اليوم في سنة ١٣٤٢ هـ . فاذا رجعنا الى ما قبل مئة سنة كاملة اي الى سنة ١٢٤٢ (الموافق ١٨٢٦ م) وجدنا أنفسنا في زمن ولاية (صالح باشا) على دمشق . وهو الوالي الذي جرت معظم حوادث هذه المحاضرة في زمنه . و (صالح باشا) هذا هو احد صدور الدولة العثمانية : تقلد ولاية الشام للمرة الاولى سنة (١٢٣٨ هـ — ١٨٢٢ م) ثم عزل ووُلي مكانه (إيجلي احمد باشا) سنة (١٢٣٩ هـ — ١٨٢٣ م) واحمد باشا هذا مات بحمص . وخلفه في ولاية الشام (مصطفى باشا) في السنة نفسها اي سنة (١٢٣٩) ثم عُزل وخلفه (ولي الدين باشا) سنة (١٢٤١ هـ — ١٨٢٥ م) . وفي السنة التالية اي سنة (١٢٤٢) أعيد (صالح باشا) المذكور .

ففي غضون اربع او خمس سنوات تعاقب على ولاية الشام خمسة ولاة . وقد ذكر (لامنس) في تاريخ سوريا أمراً أغرب من هذا . وهو ان احد قناصل حكومة البندقية في حلب كتب في تقرير رفعه الى حكومته : أنه تعاقب على ولاية حلب في مدة ثلاث سنين تسعة باشاوات . اي باعتبار اربعة اشهر لكل واحد منهم .

(١) ألقيت هذه المحاضرة في ردهة المجمع العلمي مساء الجمعة في ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ م و١٣٤٢ هـ .

ولا أحاول في محاضرتي هذه ان اتقصّى اخبار ولاة الشام ولا الاخبار التي جرت في عهد احدهم (صالح باشا) وأنما أريد ان أذكر حوادث صيارفة اليهود وكيف استبدوا في ذلك العهد بحسابات بيت المال بل بالحركة الاقتصادية العامة . اما المصادر التي استقيت منها حوادث هذه المحاضرة فهي :

(١) مجموعة مخطوطة في مكتبتي وهي للمرحوم علي افندي الكيلاني مفتي حماة المتوفى في حدود سنة (١٢٤٠ هـ — ١٨٢٤ م) وكان رحمه الله يدوّن فيها ما يستحق التدوين من شؤونه الخاصة وشؤون أسرته الكيلانية وبعض ما يقع اليه من اخبار اهل عصره .

(٢) كتاب مخطوط في موضوع تاريخي خاص ألفه كاتب مسيحي [1] مشهور في دمشق وقد عمّر طويلاً حتى أدرك — وهو ناشئ — حوادث الصيارف التي كانت تقع في ذلك العهد .

(٣) بعض أصدقائنا من أفاضل دمشق الذين وقفوا على أخبار بلدهم وأسرار تاريخها الحديث .

هذه هي المصادر التي اعتمدت عليها في محاضرتي : فهي حوادث غضّة طريّة . لم تعرف بعد . ولم تتعاورها أقلام الكتاب بمناقشة او نقد . فمن ثم كانت جديرة باقبالكم عليها . واصغائكم اليها .

***

كان لصيارفة اليهود منذ مئة سنة اي قبل وضع النظام المالي الحالي عز وصولة . وأصبح لهم عند ولاتها وحكامها نفوذ ودولة . حتى كان الناس يتناشدون ما قاله الشاعر فيهم :

(يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا)
(المال فيهم . والجاه عندهمو ومنهمو المستشار والملك)
(يااهل ذا العصر قد نصحت لكم تهوّدوا قد تهوّد الفلك)

ومما استبدوا به في ذلك العهد من أعمال الحكومة شؤونها الحسابية . وأسرارها المالية . حتى ما كان منها متعلقاً بركب الحج وترحاله . وتهيأة لوازمه وتدارك أمواله : فكانوا

(١) هو الدكتور ميخائيل مشاقة المؤلف المشهور .

يتعللون أحياناً بان المال المخصص للركب لم يتوفر بعد · او ان الجبايات في هذا العام نقصت عن الحد · الى غير ذلك مما حمل الناس على التذمر منهم · ومتابعة الشكوى للحكومة عليهم · لكنهم كانوا اذا راجعوا ولاة الشام في ذلك أظهر الولاة عجزاً وحيرة في تلافي الشر · وكثيراً ما يكون لبعض ولاة السوء علاقة بالصيارفة وميل اليهم · واعتماد في الصيد عليهم ·

ثم لما استفحل امرهم ، واستشرى فسادهم ، رفع بعض اهل دمشق عريضة شكوى الى (السلطان محمود) · وكان السلطان يومئذ مشغولاً بامر الانكشارية الذين طغوا في البلاد ، واكثروا فيها الفساد · ولاسيما مدينة (حلب) التي مُنيت من شرورهم بما لم تمن به مدينة غيرها · وكان سكانها يومئذ حزبين او فريقين : (انكشارية) و (سيّاد)· وكان يلحق فريق (السيّاد) من (الانكشارية) اذى كبير ، وشر مستطير· ولقد ظفرت بقطعة شعرية مكتوبة على ظهر كتاب مخطوط وصف بها قائلها حالة الفريقين في ذلك العهد فقال :

(يا مصطفى ان القلوب منغّصة   ببنيك في الشهباء حلت منقصة)

(في جامع يدعى (الطروش) لقدغدت   بدمائهم تلك الأماكن مفتصة)

قوله (مفتصة) كذا بالاصل بالفاء ولعلها (مغتصة) بالغين المعجمة اي (غاصة) فخففت لضرورة الوزن· وليس ذلك بجائز · اما جامع (الطروش) فهو جامع (الأطروش) احد جوامع حلب وهو اليوم في حالة خراب وموقعه أمام قلعة حلب ملاصق لسوق الجمعة :

(أدرك بجسم الحق ساء مزاجه   ولقد كوى الاشراف ابن الحمصة)

(ابن الحمصة) رئيس انكشارية حلب في ذلك العهد · وقد عنى بالاشراف فريق السياد ·

(أقبل وقل للحربلي الجرب لي   وأذق لظلاّم الاوجاق المخمصة)

(الحربلي) اسم عائلة من عائلات حلب كان رجالها في اوجاق الانكشارية· وما زالت هذه العائلة الى اليوم في حلب لكنها مخطة :

(في النازعات اجعل لنا ياسينهم   وجميعهم - ليست اليه مخصصة)

(ياسينهم) اي ياسين الانكشارية وهو احد زعمائهم في ذلك العصر·

(فدماء أعداء الآله ثمينة ودماء اولاد الرسول مرخصة)
(ولأنت أولى بالجميل وهذه شكواهم رفعت اليك ملخصة)

هكذا كانت حالة البلاد من جراء فتنة الانكشارية في ذلك العهد والسلطان محمود منهمك فيها . وعاصمته (القسطنطينية) قائمة قاعدة من أجلها .

وبينا الحالة كذلك والشكوى من الانكشارية ترفع الى السلطان اذا عريضة أخرى بالشكوى من صيارفة الشام رفعها اهلوها الى السلطان يشكون اليه ظلم اولئك الصيارفة واستبدادهم بالديوان . واحتجانهم المنافع . فلم يكن اهتمام السلطان بامر الانكشارية بالذي يصرفه عن النظر في امر اولئك الصيارفة . وتلبية نداء الدماشقة . فامر بعزلهم من (ديوان السرايا) والاستعاضة عنهم بغيرهم ممن يحسنون العمل . فأخذ حكام الشام ينتظرون الفرص لتنفيذ الارادة السلطانية .

وكانت عقدة العقد في أمر هؤلاء الصيارفة انهم كانوا يكتبون (دفاتر الديوان) باللغة العبرانية التي لا يعرفها سواهم . ثم على تمادي الايام اصبحت تلك الدفاتر كأنما كتبت بالقلم (القلفطيري)[1] لا العبراني . واصبحت ارقامها وجداولها اشبه بالقلفطيريات . منها بالقيود والحسابات . بحيث لم يبق في وسع احد من الناس غير الصيارفة ان يهتدي الى فهم ما فيها . واكتناه اسرار معمياتها .

هذه كانت حالة (دفاتر الديوان) في ذلك الوقت . والى هذا الحد بلغت الحيرة في فهمها ، وحلّ رموزها . وكان الوزير من وزراء الشام اذا أراد عزل هؤلاء الصيارفة من (ديوان السرايا) وضبط الدفاتر وسحبها من بين أيديهم للوقوف على سرها . ودخيلة امرها — أدرك عجزه لأول وهلة وعلم ان من يخلفهم ، لايحسن عملهم ، ولا يكفي المهمّ مثلهم . وربما خشي الوالي ان تقع مالية الولاية وحسابات الديوان في التشويش والارتباك فيسكت على مضض ومهمٍّ مقلق .

(١) (القلم القلفطيري) خط اليهود الذين يكتبون به التعاويذ والرقى بآيات من التوراة . ثم توسع كتاب العرب في استعمال (القلفطيري) و (القلفطيريات) فاطلقوها على كل ما كان من قبيل الطلاسم والرموز من الكتابات .

وكان[1] اولئك الصيارفة يجتهدون في وضع خزائن الحكومة وايراداتها ومصارفها تحت أيديهم . ويسعون في الحصول على أوامر سلطانية تكون سنداً بايديهم تشير بتوظيف الصراف على خزينة الولاية الفلانية . وبهذه الصورة يأمنون على مراكزهم فلا يحق للولاة ان يعزلوهم متى شاءوا . ولا سيما ان الولاة يبدّلون كل مدة قصيرة كسنة وسنتين . ومن جراء ذلك تصبح الولاية للولاة بالاسم ، وللصيارفة بالفعل . والوالي يكون كمأمور يعمل بحسب رغبة الصرّاف الذي بيده الايراد والمصرف . ووظيفته مستقلة دائمة بامر سلطاني ، لا يقدر احد على معارضته . بل ان بقاء الوالي وعزله وإدانته وبراءة ذمته كل ذلك بيد الصيارفة : فان جاملهم وأطاعهم رحموه عند عزله . وقدموا له حساب الايراد والمصرف بدون خسارة . يفعلون ذلك لقاء مبلغ يقبضه منه صرّاف الباب العالي بالاستانة .

فخزينة إيالة الشام كانت في ذلك العهد بيد أفراد عائلة مخصوصة[2] ومساعيهم تعاظم غنى اليهود بدمشق . وكان اكبر[3] صيارفة الخزينة من هذه العائلة . ومع قلة معارفه كان الأهالي يخشون سطوته ويحسبون حساباً لدهائه .

وكانت قرى دمشق بنوع أخص تضطر الى الاستدانة ، اذ ان أموالها الاميرية كانت مربوطة على السنة القمرية بسبب ترتيبها لمصارف ركب الحج الذي يكون تسفيره على الحساب القمري . والحساب القمري لا يتفق دائماً مع السنة الشمسية التي بحسبها يكون طلوع الغلال وأوقات زراعتها . فلذلك يضطر الفلاح ان يستدين لدفع مال الميرة الذي عليه . هذا عدا ما يلزمه لمصارفه الخاصة ولتقوية أمور فلاحته .

فهذه القرى يترتب لها مداينون يعطون الفلاحين ما يحتاجون اليه من الدين بالربا ويسمى هؤلاء المرابون عملاء او شوابصة . والشوابصة يكونون من صيارفة اليهود خلا

(١) التفصيلات الآتية عن أعمال اليهود في مالية الحكومة ملخصة من مخطوط الدكتور ميخائيل مشاقة الذي مرت الاشارة اليه والى مخطوطه وقد الفه في مساوي القوم وسماه (الايضاحات الجلية الخ) . (٢) هذه العائلة هي بيت فارحي . (٣) واسمه (روفائيل شحاده) واخوه واسمه (سلمون) .

قرى قليلة تكون لها علاقة باحد أعيان المسلمين لكونها ملكه او وقفه ، فهو يدفع الاموال الاميرية عنها .

فني قرب موسم الحج وطلوع المحمل الى الحجاز تجتهد الصيارفة برفع أسعار النقود و يُقنعون باعة البضائع بان ارتفاع أسعار النقود يرغب الأعراب القادمين للحج في مشترى بضائعهم ، فيصدق الباعة ذلك ، ولا ينتبهون لغرض الصيارفة ، فتصعد الاسعار غالباً بالمئة عشرين ؛ وبعد سفر الحج ترجع الاسعار الى حالها .

فصرّاف الخزينة حينما يُطلب منه ثمن لوازم الحج او نقود للعساكر التي تسافر مع المحمل للمحافظة عليه وهي في حاجة الى شراء خيول وأسلحة — حينئذ يأخذ الصراف بالاعتذار بعدم وجود نقدية في الخزينة في الوقت الحاضر ، ثم يعطي العسكري ورقة حوالة على الخزينة فيضطر العسكري ان يبيعها للصيارفة الذين يكونون منتشرين حول الخزينة ولا يبرحونها في تلك الايام ، فيشتري الصيرفي الحوالة و يدفع ثمنها المئة ثمانين حسب أسعار النقد الرائج بوقتها ، ثم يسدّدها للخزينة عن مطلوبها من القرية التي يعاملها .

فالمئة المدفوعة منه للخزينة ورقاً لم تكن قد كلفت عليه سوى اربعة وستين بسبب رفع سعر النقود بالمئة عشرين او أكثر . ثم ان صراف الخزينة يحسبها على الفلاح عملة الخزينة و يضيف اليها عشرين فرق المعاملة فتصبح (١٢٠) ثم يضيف اليها المرابحة ومرتبات العميل التي يسمونها (الشوبصة) الى غير ذلك مما أثقل كاهل المزارعين ومعظم سكان الشام منهم . فكانت تتسرب أثمان حاصلاتهم الى جيوب الصيارفة وبذلك أصبحوا أغنى سكان دمشق .

ففي زمن ولاية (ولي الدين باشا) على الشام وذلك سنة (١٢٤١ هـ — ١٨٢٥ م) انتبه الى خيانتهم وانه لم يعد يجوز إئتمانهم على خزينة الحكومة . وكانت الشكايات تتابع الى الباب العالي والاوامر السلطانية ترد تترى برفع الظلم وانصاف الاهالي . فكتب الوالي المذكور الى الباب العالي بلزوم عزل كبير [1] الصيارفة عن تولي امور الخزينة فلما شعر هذا بالامر هرب حالاً الى بغداد خشية ان يُناقش الحساب . فيحل به العقاب .

---

(١) وهو روفائيل فارحي الذي مر ذكره .

وبعد هربه أراد الوالي ان يعين خلفاً له فارتبك في الامر : لانه إن عين احداً مكانه من صيارفة اليهود بقي المشكل على حاله ، فبلغه ان في حمص رجلاً مسيحياً ماهراً في أعمال الصرافة والامور الحسابية وهو من عائلة معروفة[1] في حمص فدعاه الى دمشق وعينه صرافاً للخزينة مكان صرافها الاول . فقامت قيامة طائفة الصيارفة لهذا التعيين وحسبوه ضاراً بهم مسقطاً لمنزلتهم . فكتبوا الى كبيرهم روفائيل الذي هرب الى بغداد وجعلوا يعملون يداً واحدة في الاستانة على عزل والي دمشق وتعيين غيره . فوفقوا الى ذلك وعين صالح باشا للمرة الثانية وذلك في سنة (١٢٤٢ هـ — ١٨٢٦ م) . عندها رجع روفائيل كبير الصيارف من بغداد الى وظيفته في دمشق . و يقال انه انفق في هذا السبيل (٣٥٠٠) كيس والكيس (٥٠٠) قرش فيكون المجموع مليوناً وسبعمائة وخمسين الف قرش .

ولما تبوأ كبير الصيارف مركزه وعاد الى سابق نفوذه لم يكفه عزل الصراف الحمصي بل جعل يدس الدسائس لقتله كي يكون عبرة ونكالاً لكل من اراد ان يتولى هذه الوظيفة من غير طائفة الصيارف . واخذ يبذل الاموال الطائلة الى الوالي (صالح باشا) ليحمله على قتل ذلك الصراف الحمصي المسكين . لكن الوالي كان رجلاً صالحاً فلم يخدعه بريق الذهب . ففكر في طريقة تنجي ذلك الصراف من كيد الصيارفة فعرض عليه الاسلام وقال له : انك ان اسلمت انقطعت عنك اطماع اعدائك وحفظت نفسك من اذاهم وامكنني ان أبقيك في (ديوان السرايا) رقيباً على الصيارفة ومشرفاً على الحسابات وسائر المعاملات . فلا تظل خزينة الحكومة تحت رحمة اولئك الصيارفة .

فانشرح صدر الرجل للاسلام فاعلن[2] اسلامه وسمي (محمد افندي هدايت)

---

(١) اسم الرجل اسكندر وعائلته تعرف في حمص باسم (بيت الكاتب) .

(٢) هذا ما نرويه في سبب اسلامه عن مصادر موثوق بها ولكن جاء في مخطوطة (نوفل نعمة الله نوفل) الطرابلسي التي تتضمن حوادث دخول ابراهيم باشا الشام المحفوظة في مكتبة (الجامعة الاميركية) ما يلي : (صالح باشا والي دمشق صادر سلمون وروفائيل شحادة فارحي الاسرائيليين كاتبي خزينة دمشق وعذبهما وسجنهما وكان قد اراد قتل

وابتهجت قلوب الدماشقة بذلك ما عدا طائفة الصيارفة بالطبع .

وعدّ الناس فض المشكل على هذه الصورة من حسن ادارة الوالي (صالح باشا) وتلطفه في سياسته .

ولو كانت هذه الحادثة في هذا الزمن زمن الصحف والجرائد لكان الصحافيون هم الذين يشنون الغارة على طائفة الصيارفة ويهيّجون الرأي العام عليهم .

اما في ذلك العهد (اي منذ مئة عام) فلم يكن في سوريا صحافة ولا صحف . ولا قبس ولا الف باء ولا تسكير اسواق ولا اقفال مخازن ولا اقامة مظاهرات وكل ما كان موجوداً في ذلك العهد شاعر خفيف الروح . سريع الخاطر . حاضر النكتة . لايدع شاردة من حوادث زمانه تفلت من دون ان ينظم القصائد فيها و ينبه الافكار اليها . اعني به (الشيخ امين الجندي) شاعر حمص بل شاعر الشام في تلك الايام .

فلا جرم ان يكون الشيخ امين من اشد الناس سروراً باسلام ابن بلده (هدايت افندي) فاحتفل لهذه الحادثة ايما احتفال ونظم قصيدة لامية دوّن فيها حكاية الصيارفة وقبيح اعمالهم ووصف حزم الوالي صالح باشا واسلام (هدايت افندي) وافتتحها بمدح السلطان محمود الذي اصدر امره بعزل اولئك الصيارفة . وقال في مطلعها [1] :

وافتك بالعز خود زانها الطول   بديعة لحظها بالسحر مكحول

سكندر الحمصي الكاتب فاسلم فنصبه عوض اليهودي وسماه (هدايت افندي) واحضر رماناً بعدم استخدام اليهود بعد ذلك في امانة صندوق الشام ثم بعد مدة وجيزة قتل اسكندر المذكور واستكفى بعبد الله نوفل الذي استخدمه بمحله اه . اقول ولكن سيأتي معنا ان الذي قتل اسكندر هو رؤوف باشا لا صالح باشا الذي اسلم في زمنه وان السبب في قتله وشاية الصيارف به لمزاحمته لهم في امور الخزينة و بذلك يخلصون من شره . ولعل فعل (قتل اسكندر) بضم القاف مبنياً للمجهول وكذلك فعل (استكفي) فيكون في ذلك اشارة الى ان القاتل هو الوالي الذي خلف صالح باشا .

(١) ديوان الجندي طبع طبعتين: ففي احدى الطبعتين نشرت القصيدة برمتها وفي الاخرى نشر مطلعها وابيات المدح التي قيلت في السلطان محمود فقط .

ومازال شاعرنا الجندي يتغزل بالخود الذي زانها الطول ، ولحظها بالسحر مكحول ، حتى قال في مدح السلطان محمود :

(أتقى السلاطين محمود الفعال ومن — بالعز والنصر محفوف ومشمول)
(فكم معارك حرب قد أباد بها — حزب الضلال فولى وهو مخزول)
(من فوق طرف كأن الصبح شق له — من نوره غرة بيضا وتحجيل)
(في حلة من سنا التقوى يزينها — بأس وحلم واحسان وتنويل)
(ما تمسك المال عن راجيه راحته — الا كما يمسك المال الغرابيل)
(نشكو لعليائه ما قاست رعيته — من البلايا وعقد الصبر محلول)
(حيث استطالت بقطر الشام طائفة — على البلاد • وهم قوم مناكيل)
(وقد متهم موالينا وما علموا — بان تقديمهم جور وتضليل)
(مدوا من المكر اشراكاً وطبعهم — على الخداع وقول الزور مجبول)
(صادوا بها كل نسر في الثرى ونحوا — نسر السما فانثنوا والعزم مفلول)
(هم في التقلب كالافياء ثم وفي — تلوينهم قل هو الحرباء والغول)
(قد كان من سحرهم ان الوزير متى — أصغى لهم قال : مهما شئتمو قولوا)
(كم مرة مكروا بالابرياء وكم — خانوا وزيراً له بالعدل تجميل)
(وكم الى السجن قادوا غافلاً فغدى — منكس الرأس بالاصفاد مغلول)
(من عهد سبعين عاماً هم صيارفة — اذا مضى منهمو جيل أتى جيل)
(حيث الدفاتر عبرانية رقمت — خلاف ألسننا والسر مجهول)
(وليس يعلم أتراك ولا عرب — ما خط فيها ولا المنقول معقول)
(وكل ما تحتويه باطل كذب — بل انها كلها زور وتخييل)
(ظنوا بان امور الحج بعدهمو — ينال ترتيبها بخس وتعطيل)
(شيدت على الشح والشكوى بيوتهمو — فليس فيها لضيف قط مأكول)
(أموال عكة ماذا يصنعون بها ؟ — ما آن أخذ لها ما آن تحصيل ؟؟)
(لمال كل وزير قد مضى ورثوا — حياً وميتاً : فهل في ذاك تحليل ؟)
(فيا أولي الامر ما هذا التهاون في — أمر عظيم به الحق تذليل ؟)

(أما اتى : (كل راعٍ عن رعيته يوم الحساب لدى الجبار مسؤول؟)
(فكيف ترجون عهداً للذين هم بُهْتٌ شحاح مشائيم مناكيل)
(كم بالربا سحبوا ذيل الخراب على أهل البلاد وكم قالوا لهم : زولوا)
(حتى اذا ألم المولى خليفته في قمعهم — امّحت تلك الاباطيل)
(بصالح الوزراء الصدر أصلح ما قد أفسدوه وسترُ الله مسدول)

ثم ذكر مناقب صالح باشا وعدّدها فقال :

(منها بنى جامعاً فيه الصلاة زكت وقد حلا فيه للقرآن ترتيل)
(كذاك إسلام ذي رشد على يده حبرٌ حنيف له فكر ومعقول)
(ملقب (بهدايات) وحيث سمي (محمداً) فله في ذاك تفضيل)
(لولاه ما بان مكر القوم قط ولا من رقهم ظهرت تلك التهاويل)
(الله أكبر ذا أمر قد انشرحت منه الصدور . وذا باع له طاول)
(مُبرّت بإيمانه اهل الهدى وعلا لعُصبة الحق تكبير وتهليل)
(كم ذا أراد العدى ان يخذلوه وقد خابوا فكانوا هم النكس المخاذيل)

الى ان قال في ختام هذه القصيدة الفريدة :

(أو سا أمين بحمص الشام فيه شدا وافتك بالمز خود زانها الطول)

هذا ايها السادة ما وقع في الشام . منذ مئة عام من خبر صيارفة اليهود . واستفحال شرهم . وتدارك امرهم

ولكن هل اصطلم الشر . واستؤصلت جذوره بالمرة بحيث لم يبق لسلطة الصيارفة اثر ولا تأثير في حكومة دمشق بعد ان تقلص ظل ولاية (صالح باشا) ؟ كنت اظن ذلك حتى ذكر لي بعض الفضلاء [1] من اصدقائنا المسيحيين حادثة وقعت لابيه في زمن ولاية الوالي الذي خلف (صالح باشا) واسمه (رؤوف باشا) او (عبد الرؤوف باشا) وولايته كانت سنة (١٢٤٤ هـ —١٨٢٨م) و يفهم مما ذكره هذا الصديق أن نفوذ

(١) هو المرحوم الياس بك قدسي ابن عبدو بك قدسي من وجهاء النصارى في دمشق واحد اعضاء مجمعنا العلمي ؛

الصيارفة وصولتهم عادت الى أشد ما كانت عليه · — قال ان والده عبدو بك تعرف في عهد حداثته برجل اعمى من اهل دمشق يدعى (حميصه) سمي بذلك لانه من مدينة حمص · وقد اتفق معه على الاشتغال بالصرافة · وكان حميصة هذا نشيطاً جريئاً عارفاً باصول هذه المهنة واقفاً على اساليبها الناجحة غير انه اعمى العينين لايمكنه التجول ولا التنقل من مكان الى آخر وهو امر ضروري للصراف فاتفق مع عبدالله (عبدو) والد صديقنا على ان يقوده من مكان الى مكان و يمشي به الجامع حيث التجار والمرابون وارباب الاموال · وهناك يعملون معاً على الكسب · و يكون الربح الحاصل من ذلك بينهما بالسوية · قال وكانت لطائفة الصيارفة صولة في تلك الايام وتمكن من نفوس حكام الشام : فكانوا يخفضون سعر العملة اياماً ثم يرفعونه فجأة وبذلك يربحون ارباحاً عظيمة · و يجعلون من هذه الارباح نصيباً مفروضاً للحكام الذين يطلعونهم على سرهم · و يشاركونهم في محتهم · ومن جملة اعمالهم انهم كانوا يسحبون من النقود المتداولة شيئاً من فضتها وذهبها وذلك ببردها بالمبرد او بالقطع منهـا · فاخترع عمال (الضرب خانه) طريقة لوقاية النقود وحفظها من السرقة فجعلوا حولها على دوائرها زنجيراً متيناً محزماً فاذا سرق شيء من طرف النقد بالبرد اوالقطع انثلم النقد وعرف الناقص من غير الناقص من الدنانير لكن الصيارف احتالوا بحيلة جديدة وهي انهم جعلوا يغطسون نقود الذهب والفضة بمحاليل كيماوية ثم يأخذون ماانحل منها في الماء من دون ان يظهر على النقود نقص او برد او حك او تلاعب في الزنجير ·

قال الصديق : ثم ان حكومة الشام أعلنت (باقتراح من الصيارف) ان الايام الفلانية والايام الفلانية لايجوز الاشتغال فيها بالصرافة ومن خالف حوزي جزاء صارماً ·

فاما (عبدو) وشريكه (حميصة) فقد حسبا ان هذا المنع لايتناولهما لان عبدو شاب لم يزل حديث السن وشريكه حميصة أعمى · وتعرفون ايها السادة انه ليس على الاعمى حرج ·

غيران الصيارفة ماكانوا يؤمنون بهذه الآية القرآنية بالطبع فوشوا بهما الى والي الشام (عبد الرؤوف باشا) فطلبهما اليه فدخلا عليه وهو في الديوان وعنده كبير الصيارفة · فجعل (عبدو) يعتذر بصباه · ورفيقه حميصة يبكي شجوه و يندب عماه · واخذ كبير

الصيارفة يقطع حديثهما . و يهول الامر عليهما . و يغري الوالي بهما . حتى احفظ قلبه فأمر بشنقهما .

وكانت سراي الوالي رؤوف باشا يومئذ في البرامكة حيث الكشك المعروف اليوم على طريق محطة البرامكة المطل على المرجة وقد كان في زمن الحرب العامة نادياً (كلوب) للضباط العثمانيين . وبعد ان كبر عبدو بك القدمي وشاخ كان كلما مر بذلك المكان مع ابنه صديقنا الياس بك يشير الى موقع السراي ويحكي لابنه حادثة صبوته هذه وحادثة رفيقه حميصة الحمصي وكيف امر الوالي رؤوف باشا بشنقهما .

غير ان الله تدارك هما بلطفه وعنايته فحبسا اياماً ثم خلّي سبيلها بشفاعة بعض الشافعين . من أعيان الدمشقيين .

فيستدل من هذه الواقعة ان نفوذ اولئك الصيارفة استمر بعد زمن صالح باشا وبقي الى زمن ولاية رؤوف باشا وكان رؤوف باشا هذا ظالماً قاسي القلب كما سمعتم من خبره مع حميصة . بل ان له خبراً آخر أدل على ظلمه وخبثه ذلك ان طائفة الصيارفة في زمنه عادوا الى دس الدسائس للانتقام من الصراف الحمصي (محمد افندي هدايت) الذي أسلم في زمن صالح باشا . فيقال ان اولئك الصيارفة مازالوا يطمعون (رؤوف باشا) بالمال و يزينون له البطش بذلك المسكين بغتةً بلا سؤال ولا جواب حتى قتله [1] ، واستلمت طائفة الصيارفة الخزينة واستبدوا بها من دون مشارك ولا معارض .

ثم مات رؤوف باشا وخلفه في ولاية دمشق (سليم باشا) وهو الذي ثار عليه اهالي دمشق لكونه فرض على العقارات ضريبة (مصريتين) فقتلوه سنة (١٢٤٧هـ ١٨٣١م) وفي السنة التالية زحف المصريون بقيادة (ابراهيم باشا) واستولوا على بر الشام فحفظوا مال الخزينة من اولئك الصيارفة بقدر الامكان وتوصلوا الى ذلك بتعيين (يحيى افندي) وهو يهودي من حلب كان اسمه (بخور) فأسلم وسمي (يحيى افندي) وكان حاذقاً في امور الصرافة والمعاملات المالية .

ثم من يومئذ صلحت الاحوال ، وانتظمت الاعمال ، وتوفرت في الخزينة الاموال ،

(١) راجع حاشية ص ٦٤٧ من هذا الجزء .

ولم يعد لصيارفة الشام تأثير كبير في نفوس ولاتها بل كان كلما جاء احد هؤلاء الولاة الى دمشق اضطر كبير الصيارف ان يتوسط بعض أعيانها في ان يقدّمه الى الوالي و يعرّفه مكانته ووجاهته في قومه ·

لكن كان كبير الصيارفة لا يصل الى بين يدي الوالي و ينال منه حظوة حتى يبذل للواسطة اموالاً طائلة · فكان الصيارفة يتحملون من هذه الوساطة والنفقات التي ينفقونها في سبيلها كلما جاء والٍ جديد · فاستنبطوا للخلاص من ذلك حيلة غاية في الرقة واللطف والذوق ·

ذلك ان كبيرهم (شمعايا) بنى قصره الشهير في (دمّر) على قارعة الطريق الاعظم المؤدي الى الشام فصارت طائفة الصيارفة اليهود لا يدعون والياً يدخل الشام حتى ينزلوه ضيفاً عزيزاً في هذا القصر على الرحب والسعة · مما يذكرنا بقول شاعرنا العربي مع ملاحظة الفرق بين النيّتين :

(ضربوا بقارعة الطريق قبابهم   يتقارعون على قِرى الضيفان)
(ويكاد موقــدهم يجود بنفسه   حب القِرى حطباً على النيران)

ففي خلال إقامة الوالي في (قصر شمعايا) وحفد القوم في خدمته والانفاق من سعة على ضيافته تتوثق بينه وبين كبار الصيارفة روابط الصداقة والمحبة · وبنفقات قليلة في (قصر شمعايا) استغنوا عن نفقات كثيرة كانوا يبذلونها لاعيان الشام لاجل تقديمهم الى الولاة عدا ما يصحب ذلك من التملق والتذلل وتحمل المنة · فما ألطفها حيلة ، وما اسهلها وسيلة ·

وهكذا أيها السادة انطوى ذكر الدور العجيب الذي كان يمثله صيارفة الشام · منذ مئة عام · ولم يبق من أثره سوى هذا القصر الذي يشهد على ما كان منهم في سالف الايام ·

«المغربي»

مشروع بكتابة الحركات(١)

بحروف عربية

[واستعمال أبجدية واحدة للطبع والكتابة]

مقدمة « موجزة »

من المعلومة ان الكتابة العربية قد مرت عليها تغيرات متعددة متوالية حتى وصلت الى شكلها الحاضر وان هذا الشكل يحتاج الى اصلاح يدنيه من المثل الاعلى لاظهار صوت كل حرف في الكلمة فالكتابة الحاضرة « غير المشكولة » لا توضح سوى نصف او ثلث اصوات حروف الكلمة فيحدث الخطأ في قراءة اللغة الفصحى ومن ثم عدم انتشارها حتى بين المتعلمين من اهلها وكذلك لنوع رسم الأبجدية رقعة ونسخ وغيرهما وتعدد صور الحرف الواحد الى اربعة أشكال ثم الحركات الثلاث ثم التنوين والشدة والسكون فتبلغ الاشكال اكثر من ٢٣٠ شكلاً في الكتابة واما في الطباعة فتبلغ ٨٤٠ شكلاً بالطريقة المشكولة و٣٢٠ شكلاً بالطريقة غيرالمشكولة . وكتابةالهمزة التي الف بعضهم كتباً خاصة في كتابتها لصعوبة ذلك وال الشمسية والقمرية وزيادة بعض الحروف في الكلمة ونقص البعض في الأخرى كل ذلك من مقلصات انتشار اللغة العربية التي من واجب كل متعلم ان يسعى لتسهيل نشرها .

ولكن بهذه الطريقة لا يحتاج لدراسة سوى ٣٢ شكلاً للحروف فيقرأ و يكتب بشكل واحد بسهولة واتقان وبذلك نكون قد وفرنا على الطالب $\frac{٦}{٧}$ الوقت الذي يصرفه في تعلم الاشكال المتعددة للحرف ولا يتقن القراءة والكتابة ولاينكر ان فيهذه الطريقة اقتصاداً عظيماً اذ يقتصد $\frac{٦}{٧}$ مجهود التلميذ والمعلم ووقتهما فيستثمر ذلك المجهود المقتصد والوقت في الحصول على تقدم آخر . ولقد وجدت كذلك ان التلاميذ بعد أن كانوا يقرأون بسهولة حينما كانت الكتابة مشكولة بفضل أساليب التربية الحديثة أصبحوا

(١) خلاصة مقال بعث به الفاضل السيد زهير الشهابي بالقدس .

لا يضبطون الا قراءة كلمة او كلمتين فقط من السطر في الكتابة غير المشكولة ·

وكل منا قد جرب بنفسه انه كثيراً ما يحتاج في ضبط لفظ كلمة جديدة تمر عليه الى مراجعة القاموس (ولا يخفى ما في ذلك من المشقة وضياع الوقت) وليس ذلك لتقصيره في التحصيل او لقلة إلمامه بل لأننا نكتب نصف او ثلث الكلمة التي نتكلمها وليس عندنا سليقة نعتمد عليها في ضبط قراءة ما نريد كما هي الحال عند الامم الاخرى ·

ويدعي البعض ان الكتابة العربية مختزلة وذلك صحيح الا انه ليس من الحسنات بل هو جرثومة عدم انتشار اللغة الفصحى فيسهل على اللغات الاخرى مزاحمة العربية في عقر دارها ·

وهنا يخطر على البال السؤال الآتي :

ولماذا لانكتب بالحروف المشكولة ؟ (كما سألني الدكتور مورتز المستشرق الالماني اثناء حديثي معه بهذا الموضوع وقد نشر في مقتطف تموز سنة ١٩٢٩) وهنا أعيد جوابي اليه وهو :

ان للكتابة المشكولة تكاليف عظيمة متعددة منها :

(١) انها كتابة ٣ سطور في آن واحد (نفس الكلمة ثم الحركات التي فوقها فالتي تحتها) ·

(٢) لان الحركات تحتاج حين الكتابة لرفع اليد مرات بعدد حروف الكلمة او اكثر ·

(٣) لان القارئ والكاتب يضطران الى قراءة وكتابة ٣ سطور في آن واحد · ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة وضياع الوقت ·

(٤) صعوبة طبع الحروف المشكلة وذلك ان الطبع المشكل يحتاج الى ٨٤٠ شكلاً فيتضاعف الشغل والوقت ومن ثم اجرة الطباعة في حين ان الطباعة العادية لا تحتاج الا الى أقل من النصف اي ٣٢٠ شكلاً ولعمر الحق ان هذا لكثير ايضاً · هذا في الوقت الذي فيه طباعة اللغات الاوربية تكتفي بـ ٥٨ حرفاً · واما الطباعة العربية في المشروع الجديد فتحتسب بـ ٣٢ شكلاً بدل ٨٤٠ شكلاً فتصبح أضبط لفظاً وأوفر كلفةً ووقتاً من الكتابة المشكولة وغير المشكولة ·

(٥) ان الحركات ليست الا حروفاً صوتية قصيرة فمن الخطإ اعتبارها حركات كما هو واقع في العبرية فيجب كتابة الحركات في صلب الكلمة لا في حواشيها او حذفها بتاتاً ·

ولا بد في هذا المقام من بيان ان هذا الاصلاح في الكتابة العربية ليس بدعة كما هو معلوم لجمهور المتعلمين من العرب والمستشرقين فلم يكن الخط معجماً ولا مشكولاً في صدر الاسلام فقد كان مثلاً حرف (ب) غير المنقوط يدل على ب ، ت ، ث وكذلك حرف (ع) فكان يدل على ع ، غ معاً وهكذا ··· فاصلاح الكتابة العربية له سوابق كما هو معلوم ·

« المشروع »

مما مضى يستنتج ضرورة اصلاح الكتابة العربية بصورة تطابق القراءة والكتابة كل منهما الاخرى وقد وفقت لتحقيق ذلك بعد مجهود ٩ سنوات حتى وصلت الى هذا المشروع الاخير من بين ثلاثة مشاريع وقد بينته على الشروط الآتية :

١ — ان تكون جميع حروف الابجدية عربية سواء منها الحروف الاصلية ام الحروف النائبة عن الحركات ليبقى الاتصال موجوداً بين الكتابة المهذبة وبين الكتابة الاصلية·

٢ — ان تكون الابجدية العربية بشكل واحد سواء حروف اول الكلمة ام وسطها ام آخرها فلا يكون سوى ابجدية عربية واحدة ·

٣ — ان تكون الابجدية العربية بشكل واحد للطبع والكتابة فلا تتغير ·

٤ — ان تكون الابجدية العربية بصورة يسهل معها كتابة الحروف منفصلة ام متصلة حسب الرغبة دون تغيير في شكلها ·

٥ — ان تكون الحروف النائبة عن الحركات عربية الشكل قابلة الاتصال بما قبلها وما بعدها تسهيلاً للكتابة ·

٦ — ان نكتب الكلمة كاملة كما هو لفظها الفصيح فلا نحذف حرفاً ولا نزيد آخر تخلصاً من الالتباس والتشويش ·

***

« الابجدية الكاملة »

حرف فتحة

ا [illegible] بـ تـ ثـ جـ حـ خـ د ذ ر ز سـ شـ صـ ضـ ط ظ ع غ ف ق ك لـ مـ

حرف ضمة حرف كسرة حرف همزة

ن ه و [illegible] يـ [illegible] [illegible]

وقد وجدت ان أفضل الأبجديات العربية هو اتخاذ الشكل الأول لحروف النسخ كأس أبجدية واحدة للطبع والكتابة تحقيقاً للشروط الثاني والثالث والرابع لان هذه الحروف موجودة في المطابع فلا لزوم لشراء حروف جديدة كما فعل الأتراك فضلاً عن انها قابلة الاتصال والانفصال حسب الرغبة وان جميع الكتب مطبوعة بها فيبقى الاتصال موجوداً بين الكتابتين : القديمة والحديثة هذا فضلاً عن بساطة شكلها وصغره اه ٠

***

واحيل هذا المقال الى حضرة الاستاذ صاحب الامضاء فعلق عليه ما يلي :

٠ ٠ ٠

نظرت في مقترح السيد زهير الشهابي فالفيته اقتراحاً حيوياً للغة العربية يسد الخلل والنقص اللذين يشعر بهما من يقرأ هذه اللغة ولو انه من أكابر المتضلعين منها ٠ وانتم تعلمون ان هذا الاقتراح هو رأيي ما زلت اصرح به واناقش منذ سنين ٠

ولا اعتراض لي على ما أتى به المقترح الا من وجهين :

اولهما : اني لم أتبين من مقالة اذا كان يريد ان يحول الحركات بجملتها اللغوية والنحوية الى حروف ام هو يريد ذلك لحركات اللغوية فقط ، يعيدها حروفاً مثبتة في صلب الكلمة ٠ فاذا كان هذا فقد توافقنا ، وان كان يريد ذلك لحركات الاعراب التي تلحق أواخر الكلم ، فهذا ما تبدو لي مخالفته فيه لسببين :

أ — ان الحركات النحوية يسهل ضبطها وادراكها ، فليس فيها من الصعوبة ما في الحركات اللغوية ٠

ب — ان ابدال الحروف بالحركات الاعرابية يؤدي الى كتب الكلمة الواحدة في صور متعددة بحيث تكاداللفظة تخرج عن ان تكون كلمة واحدة ، وفي هذا مشكلة جديدة .

ثانيهما — يتعلق بشكل الحروف الذي يقترحه . فالحروف العربية — ولا بد من قول الحق — بشعة على شكلها الحاضر والشكل المقترح يزيدها بشاعة وقبحاً .

وعذر المقترح :

أ — ان فيها توحيداً كاملاً لأنواع الحروف .

ب — انها حروف موجودة في المطابع فلا حاجة الى شراء حروف جديدة .

وليس هذان بالسببين الكافيين :

ذلك ان الحروف يجب ان تكون موحدة الشكل لا النوع . بمعنى ان الحرف ينبغي ان يكون شكله هو اياه في اول الكلمة وفي وسطها وفي آخرها ، هذا مالا أخالف فيه . ولكن ان توحد انواع الحروف كتابة وطباعة فهذا ما يستصعب جداً ، وليس له من مثيل في لغة من اللغات . فالحروف اللاتينية وهي اليوم من اشهر الحروف واعمها في الامم استعمالا ، حروف الطبع فيها غير حروف الكتب ، تلك منفصله وهذه متصلة . وفيها الحرف المعروف بالتلياني ، والحرف المعروف بالغوتي ، وغيرها . فضلا عن الاحرف الكبيرة التي تعرف بـ (الكبيتال) او (المجسكيل) .

نعم ان التوحيد خير من التعديد ، وانا لسنا مقيدين بماذهب اليه غيرنا ولكن استعمال حرفين : واحد للطباعة وآخر للكتابة امر لا بد منه ، والحرف الذي اختاره المقترح انما هو حرف من حروف اول الكلمات فهو لا يتصل مع ما بعده ولا يتصل ما بعده به ، فلا بد للطابع ان تغير شكل حروفها في كل حال .

وليس تغيير حرف من الرصاص يستعمل في فترة قصيرة من الزمن بالامر الذي يهتم له في مثل هذا الانقلاب الخطير .

وخلاصة ما أراه ان تبقى الكتابة العربية على ما هي عليه وفي ذلك فائدتان :

أ — اختصار الوقت .

ب — إبقاء الميراث الادبي القديم حياً اذ تنزل الكتب المطبوعة قديماً منزلة الكتب الخطية . وما يطبع بعد ذلك يطبع بالحروف الجديدة .

ولا يرد على ذلك ان مشكلة الحروف لا تحل مع هذا التعديل حلاً نهائياً اذ تبقى اشكال الحروف الكتابية متعددة . فمشكلة الحروف اليوم انما هي مشكلة الطباعة لا الكتابة . والكتابة مستقبلها مهدد بانتشار الطباعة ، والآلات الكاتبة ، واستعمال حروف عربية جديدة يزيد في انتشار هذه الآلات الكتابية كثيراً .

هذا واني وان كنت أصوب رأي الاستاذ المقترح في التقيد باشكال الحروف المستعملة اليوم . فلا ارى ان يكون التقيد مطلقاً ضيقاً ، بل يراعي رونق الحرف وجماله . مع مراعاة الصلة على قدر الامكان . ولا بأس بان نستعين بشيء من الحرف الكوفي او المغربي او غيرهما اذا اعوزنا الامر .

ولقد بدا لي منذ فكرت في هذا الامر أن اضع اشكالاً للحروف العربية فوفقت — أو خيل اليّ اني وفقت — الى بعض حروف ولم اوفق الى البعض الآخر وانا اقدم صوراً عن بعض هذه الحروف مثالاً ينظر فيه من هم أبعد نظراً وأدق رأياً في مثل هذه الامور .

على ان ثمة امراً ما ينبغي لنا ان نغفله : ذلك ان هذه الحروف العربية وان كانت حروفنا فقد اصبح لنا فيها شركاء من بعض الامم الشرقية الاسلامية فمن الرأي ان يعقد مؤتمر عام تدعى اليه الشعوب التي تستعمل في كتابتها حروفنا العربية فيوفد كل منها من يمثلها ليكون العمل اصح واعم .

* * *

والحروف بشكلها هذا قد روعيت صورها الاصلية على قدر الامكان ·

اما الحركات فتصير حروفاً على هذا الشكل :

لُ اَ اِ — فتكون الضمة مصغر الواو ، والفتحة والكسرة كرمي يوضعان عليها · او يختار شكل آخر يكون اكثر موافقة ·

او تكون الألف (اا) مضاعف الالف الحاضرة او (۵) بما يقرب من رسمها الديواني ·

والفتحة (ا) اي نصف الالف والكسرة (ا) نصف الياء كما هي حقيقتهما ·

لَ ـ ـَ ى — هذا ماسبق فأجبت به عن الاقتراح · وازيد على ذلك : ان الحروف (ر ز ص ض ط ظ م) لم أوفق فيها الى شكل يرضي فأترك أمرها وأمر اصلاح الحروف التي عرضتها وتغييرها تعديلها الى من هم اولى مني بهذا العمل الفني ·

عارف النكدي

الفيلسوف الفارسي الكبير (١)

صدر الدين الشيرازي

[حياته وشخصيته وأهم اصول فلسفته]

بسم الله تعالى وله الحمد

في فجر القرن الحادي عشر ظهر في (فارس) من مدينة (شيراز) رجل فارسي المحتد حقيق ان يعد من اعظم الفلاسفة الاثولوجيين الذين نظروا في ملكوت السموات والارض وكانوا من الموقنين ·

وهو صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي وكان ظهور هذا الفيلسوف الآلهي الكبير الذي سنأتي على صورة جلية من حياته وشخصيته وفلسفته في عصر كان نجم الفلسفة ضئيل النور لا ناصر لها الا فئة قليلة ممن اختارهم الله لنصر العلم وكان رجال الفكر يستترون وراء ستار التقية حقناً لدمائهم وكانت صولة اهل الجمود شديدة قوية وقلم الفقهاء وخصوم الفلسفة أمضى من السيف ولو لم يكن لمذهب التصوف بصيص نور وانصار قليلون من الذين استنارت قلوبهم بنور العقل لكان هذا الفيلسوف الآلهي صريع جهل أهل عصره وقتيل عصبيتهم ولكان جزاؤه على علمه جزاء شهاب الدين السهروردي — القتيل الشهيد — على فكره ·

هيأ الشرق في كل عصر للعالم رجالاً كباراً وحكماء عظماء منهم من ملأت البسيطة شهرته ومنهم من مات مجهولاً في زاوية غربته · وممن لم يعرفوا حق المعرفة هذا الفيلسوف الرباني الجليل الذي لا شك انه من حسنات القرن الحادي عشر يحق ان يعد من فطاحل الحكماء امثال (ابن سينا) و(ابن مسكويه) و (نصير الدين) الطوسي الفلكي والامام (الغزالي) من الفرس و (ابن رشد) و(ابن باجة) و (محيي الدين بن عربي)

---

(١) هذه الأطروحة بقلم ابي عبدالله الزنجاني عضو المجمع العلمي العربي في دمشق ·

من العرب وامثال (سقراط) و (افلاطون) و (ارسطو) وامثال (سپينوزا)[1] (Spinoza) و (مالبرانش)[2] (Malebranche) من رجال الغرب ·

اخترت للاطروحة وصف حياة هذا الفيلسوف وشخصيته واهم فصول فلسفته لاسباب :

الاول انه خدم اللغة العربية أعظم خدمة اذ أخرج كنزاً عظيماً من درر الحكمة ولآلئ العلم : من فلسفة اللاهوت والأخلاق والتصوف والحديث بلغة الضاد ووضع كتباً تبلغ اربعة واربعين او خمسة واربعين كتاباً ورسالة بتلك اللغة[3] وهذا مما زادت به ثروة العلم فهذه الخدمة احري ان تقدّر ولا سيما من علماء العرب ورجال الادب في الشرق والغرب كافةً ·

الثاني ان روح فلسفته وان غشاها حيناً بالفاظ معماة ولا تظهر الا للمتضلع من فلسفته واصطلاحه ترفع الخلاف في كثير من المسائل التي طالما احتدم الجدال فيها بين الفلسفتين الروحية والمادية ، وان شئت قل انها ترفع الخلاف بين عدة مسائل كان الخلاف فيها بين الفلسفتين جوهرياً كالخلاف بين مذهبي أزلية المادة (العالم المادي) وحدوثها ووجود القوة المبدعة الخالقة المعبر عنها (بالله) واثبات الشعور العام المعبر عنه بالعلم له ووجود الحكمة والغاية من الخلق في جميع اجزاء الكون وعدمها وهذه المسائل بحثت عنها في درس مذهبه الفلسفي ثم اردفت البحث في هذه المسائل برأي هذا الفيلسوف في اثبات الشعور لذرّات المادة المعبر عنها في اصطلاح الفلسفة الاغريقية بالهيولى من جماد ونبات : كرأي العالم النباتي الهندي (جاجاديس بوز)[4] ·

---

(١) (سپينوزا) فيلسوف آلهي شهير ولد في أمستردام سنة ١٦٣٢ وهو من انصار مذهب وحدة الوجود (البانتيسم) قال الدكتور (رابو برت) في شأنه انه كان مملوءاً بحب الله حتى اصبح لا يرى أمامه الا الله توفي سنة (١٦٧٧ م) · (٢) فيلسوف آلهي فرنسي ولد في باريس سنة ١٦٣٨ كان يسعى في سبيل التوفيق بين الدين والفلسفة وكان يقول يجب ان نحب الله حباً تاماً توفي سنة (١٧١٥ م) · (٣) عثرنا على كتبه الا القليل منها فوجدناها باللغة العربية سوى رسالة صغيرة بالفارسية كتبها في مبادي عرفانية ·

(٤) جاجاديس بوز هو عالم نباتي هندي يعدُّ من مفاخر الهند في هذا العصر اعترفت

ثم جعلت مسك الختام كلمة صدر الدين في العشق وفيها اعتراف منه بفضل الدمشقيين ودمشق ٠

الثالث ان أوجه انظار اهل العلم من الشرقيين والغربيين الى افكاره النيرة وآرائه وفلسفته الروحية والى كتبه النفيسة التي هي مرآة افكاره وافكار عظماء الفلاسفة كسقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم من فلاسفة الاغريق والفرس والروم واتباعهم كابن سينا والفارابي وامثالهما ٠

ولا انتشار لكتبه القيمة الا عند الخواص من العرب والفرس ، على ان قدره لم يخف على بعض علماء اوربا وكتّابها فان العالم (كونت دوغوبينو Comte de Gobineau) السفير الفرنسي الذي أقام من سنة (١٢٧١ هـ الى ١٢٧٤ هـ) في طهران كتب في كتابه (المذاهب والفلسفة في آسيا الوسطى Les Religions et les philosophies dans l'azie Centrale) فصولاً عنه لا تتجاوز بضع صحائف ٠

وورد ايضاً ذكره مختصراً بقلم المستشرق (كليمان هوار) في معلمة الاسلام التي تنشرها جماعة من المستشرقين ٠ ولكن الاول منها وفقاً لموضوع كتابه يبحث عن ناحية اثره في الفلسفة وتأثير فلسفته في اهل عصره ٠ والثاني اعتمد على ما كتبه الكونت (دوغوبينو) في كتابه المذكور وعلى مصادر فارسية وقفنا عليها جميعها ٠

« شيراز وطن صدر الدين »

وهي من مدن ايران الجنوبية واقعة على بعد (٢٩) درجة و (٢٧) دقيقة من العرض الشمالي و (٥٢) درجة و (٤٠) دقيقة من الطول الشرقي من (كرينج لندن) و (٦٠) كيلو متراً من اتلال[1] اسطخر الذي يسميه الافرنج (برس بليس) ويسمي ايضاً (تخت

له اوربا بما أسداه الى المعارف الانسانية من يد واعلنت فوزه بالوصول الى ما كان يتمنى الوصول اليه غير واحد من علمائها الذين بلغوا الذروة العليا بتحقيقاتهم ، وهو الذي اخترع الجهاز (الكرسكوغراف) المغناطيسي الذي يجعل الحركات التي لا ترى بالعين المجردة اكثر وضوحاً بخمسين الف الف ضعف واظهر به للملاء حياة النبات وحركته ٠

(١) (المجمع) لعل المؤلف يريد اطلال اصطخر ٠

جمشيد) اي (عرش جمشيد) وفيه آثار جميلة وصور بديعة هي آيات خالدة تدل على عظمة الملوك الفارسيين القدماء واحرق الاسكندر هذا البناء الجليل العجيب الصنع الشهير باعتدال هواء وصفاء مائه العذب وجمال رياضه الفتان وبهاء حقوله تجلت فيه الطبيعة بياهر ذلك الجمال الذي حرك اوتار نفس السعدي الشاعر الفارسي الطائر الصيت فقال :

خوشا تفرج نوروز خاصــه درشيراز　　كه بر كنددل مرد مسافراز وطنش

عزيزمصر چمن شدجمال يوسف گل　　صبا چودر چمن اوردبوي پيرهنش

اي حبذا التفرج في نيروز[1] ولا سيما في شيراز التي تنسي الغريب وطنه والمزج او الروض اصبح كعزيز مصر والورد لجمال يوسف حين اتى الصبا اليه بشذا قميصه . وهذا وصف جميل بديع لهذا البلد الطيب. واهله اذكياء المشاعر متلهبو الذكاء امتازو بصفاء الروح وجمال الصور تندفق خواطر كثير منهم بالشعر مشهورون بالميل الى اللهو والترف

بنى هذه المدينة اولاً شيراز بن تهمورث ثم جدد بناءها بعد الخراب محمد بن القاسم ابن عم الحجاج في صدر الاسلام وكانت معسكراً للمسلمين لما هموا بفتح اصطخر (اصطخر) وكانت عاصمة (آل بويه) وغيرهم من الملوك وعاصمة (كريم خان) الزند . وقد أنجبت غير واحد من رجال العلم المشهورين من الفلاسفة الكبار والشعراء العظماء . كالامام ابي اسحق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦هـ والعلامة قطب الدين محمود بن مسعود تلميذ نصير الدين الطوسي الفلكي وصاحب الاختيارات في (الهيئة) وحل مشكلات المجسطي المتوفى سنة ٧١٠ هـ . ومصلح الدين سعدي الشاعر العارف الشهير المتوفى سنة ٦٩١ هـ وشمس الدين حافظ محمد العارف الشاعر المتوفى سنة ٧٩١هـ أو ٧٩٤ وغيرهم ممن تفتخر بهم (فارس) .

في هذه المدينة الجميلة ولد صدر الدين واصبح قبساً منيراً في سماء العلم بعد حين وفيها نمت عواطفه واتقدت فطنته والتهب ذكاؤه كذلك التربة الخصبة تنبت الزنبقة .

(أسرته) : هو صدر الدين محمــد بن ابراهيم القوامي الشيرازي الشهير بالاخوند (الاستاذ) المولى صدرا .

---

(١) نيروز هو عيد الفرس الكبير ، يوم اول الربيع والسنة .

أسرة قوام في شيراز اسرة عريقة في النسب والشرف . والقوام لقب عام لرئيس هذه الاسرة في كل عصر ولا تزال الرياسة قائمة فيهم الى هذا الزمن .

ورأس هذه الاسرة هو القوام الذي كان معاصراً لحافظ شمس الدين الشاعر السابق الذكر واثني عليه في بعض قصائده بقوله :

دريای اخضر وفلك وكشتي وهلال هستند غرق نعمت وحاجي قوام ما

معنى البيت ان نعمة قوام عمت البر والبحر بل الفلك والفلك والهلال شملتها نعمته . وهو مبالغة شعرية في مدحه .

وشك بعض كبار علماء شيراز في نسبة صدر الدين الى هذه الأسرة وقال على مارواه الثقات عنه ان قوام الذي ينسب اليه صدر الدين غير قوام المعاصر لحافظ شمس الدين ولكن اشتهرت نسبته الى هذه الأسرة الشريفة .

(ولادته) : ولد هذا الحبر الجليل بعد النصف من القرن العاشر الهجري على الأرجح من أب شيرازي اسمه ابراهيم وكان وزيراً في فارس (شيراز) . ولم تعرف سنة ولادته في الكتب التي ورد ذكره فيها الا ان الارجح انه ولد بعد النصف من القرن العاشر الهجري لان أعماله الخطيرة العلمية ووضع تآليفه الكبيرة التي تربو على اربعة واربعين او خمسة واربعين تأليفاً وتصنيفاً ومدة اشتغاله بدرس الفلسفة والحديث والفقه والتصوف واعتزاله في جبال (قم) عدة سنين تاركاً التأليف والتصنيف كما سيشير اليه في كلامه الآتي ذكره — كل ذلك يحتاج الى زمن اكثر من خمسين سنة اي الخمسين سنة بعد القرن العاشر التي وقع فيها موته اذا قلنا انه ولد في فجر القرن الحادي عشر .

ولما لم يولد لابيه الوزير ولد في مدة طويلة طلب الى الله طلباً حثيثاً ان يرزقه صبياً فرزقه (صدراً) بعد ان دعا أدعية طويلة ، وفي ايام عديدة وبعد ان تصدق على المحتاجين والمقترين ، ولا سيما بعد ان تصدق بثلاثة توامين [1] فوزعها على أناس فقراء مارين ولم يكن له غيرها ومنذ طفولته لقب الولد (صدراً) لفضله الكبير واختار له مهذباً حاذقاً وما عتم ان ظهرت عليه أمارات الذكاء .

---

(١) (المجمع) التوامين جمع تومان وهو نقد ايراني ذهبي وقيمته ٨ فرنكات و٨١ سانتيماً .

وكان والده ذات يوم وكّله على البيت وعلى رعاية مافيه ثم أراد الوقوف على ما أنفقه في المدة المذكورة فرأى ان بين النفقات اليومية ثلاثة توامين في باب الحسنات فتعجب والده الوزير من هذا الامر وقال لابنه ما هذا ؟ قال ابنه يا ابي هذا ثمن ما يكلفك اياه ولدك . وفي صنعه هذا دلالة على جوده وان فطرته كانت تهتز للمعروف .

(وروده الى أصبهان) : ولما ذهب من شيراز الى اصبهان تعرف في حمام من حمامات المدينة الى السيد ابي القاسم الفندرسكي[1] وكان السيد في عهده من اكابر العلماء في علوم ما وراء الطبيعة . ولم يكن السيد يعرفه لكن لما سلم عليه . قال له السيد لا شك في انك غريب عن البلدة ياولدي قال الصدر نعم . قال له ومن اي بيت انت ومن اي مدينة ولاي سبب قدمتَ الى اصبهان . فقال اني من (فارس) وقدمت الى هنا لأُتمم دروسي قال السيد على اي العلماء تريد ان تقرأ ؟ قال على من تختاره لي . قال السيد اذا أردت ان توسع عقلك فعليك بالشيخ بهاء الدين اما اذا أردتَ ان ينفتق لسانك فعليك بامير محمد باقر . فقال اني لا أعني بلساني فذهب الى الشيخ بهاءالدين فأخذ يتلقى العلم عنه من فلسفة وكلام وكان طموحاً الى ان يعرف افكار اليونانيين وما دوّنوه في كتبهم ولذلك كان يصرف كل دراهمه في مشترى الكتب الفلسفية فأجاد في كل ما سمعه عن أستاذه حتى ان معلمه قال له ذات يوم تلقيت جل علومي وعرّفه بالمير محمد باقر الداماد فقال له اذهب اليه وأتني منه بكتاب وكان ذلك وسيلة لتعرفه اليه .

ولم يدر في خلد الصدر ان وراء الاكمة ما وراءها فواجه الاستاذ المنطقي من غير ان يخامره ريب وفي ذلك الوقت كان مير محمد باقر يعلّم فسمع الصدر درسه ، ولما عاد التلميذ الى أستاذه قال له شيخه .ما كان يفعل مير محمد باقر ؟ قال كان يدرس . فقال شيخه اني لم أكن محتاجاً الى طلب كتاب من مير محمد باقر انما اتخذت هذه الوسيلة لكي اعرفك بدروسه وتحكم بنفسك على مقدرة علمه فينبغي ان تتلقى علومه فأطاعه الصدر وفي بضع سنوات بلغ الدرجة القصوى من البلاغة وهي الدرجة التي عُرف بها .

(آراء الفقهاء في اعتقاد صدر الدين) : وهذا الفيلسوف كأمثاله من الفلاسفة

---

(١) سيأتي ذكر السيد في ضمن تراجم اساتذة صدر الدين .

الاحرار ذوي الافكار النيرة لم يسلم من الانتقاد المر والتحقير واصبح هدفاً لسهام اللوم والتكفير وهناك بعض الاقاويل في شأنه من مقاربي عصره ومعاصريه ·

قال السيد نعمة التستري [1] لما وردت شيراز لم اتكل الا على ولد صدر الدين الشيرازي واسمه (ميرزا ابراهيم) وكان جامعاً للعلوم العقلية والنقلية فاخذت عنه شطراً من الحكمة والكلام وقرأت عليه حاشيته على حاشية شمس الدين الخفري على شرح التجريد وكان اعتقاده في الاصول خيراً من اعتقاد ابيه وكان يتمدح و يقول اعتقادي في اصول الدين كاعتقاد العوام وقد اصاب في هذا التشبيه اه ·

وقال الشيخ يوسف البحراني [2] ولصدر الدين ابن فاضل اسمه (ميرزا ابراهيم) وكان فاضلاً متكلماً جليلاً نبيلاً عالماً لا كثر العلوم ولاسيما في العقليات والرياضيات قال بعض اصحابنا بعد الثناء عليه هو في الحقيقة مصداق قوله تعالى : (يخرج الحي من الميت) قد قرأ على جماعة منهم والده ولم يسلك مسالكه وكان على ضد طريقة والده في التصوف والحكمة ·

وقال صاحب روضات الجنات [3] (وكأنه سلك الطريقة الوسطى) و يوجد في غير واحد من مصنفاته (اي مصنفات صدر الدين) كلمات لا تلائم ظاهر الشريعة كأنها مبنية على اصطلاحاته الخاصة او محمولة على ما لا يوجب الكفر وفساد اعتقاد له بوجه من الوجوه وان اوجب ذلك سوء ظن جماعة من الفقهاء الاعلام به و بكتبه بل افتى طائفة منهم بكفره ·

شروح الكافي فمنهم من ذكر في وصف شرحه على الاصول (اصول الكافي) [4]

(١) عالم شهير له بعض آثار علمية ولد سنة ١٠٥٠ هـ وتوفي ١١١٢ هـ ·

(٢) الشيخ يوسف البحراني من كبار محدثي الامامية وفقائهم ولد سنة ١١٠٧ هـ وتوفي سنة ١١٨٦ هـ · (٣) هو محمد باقر بن امير زين العابدين من فضلاء المتأخرين ولد في ٢٢ صفر سنة ١٢٢٦ هـ بقصبة خونسار وتوفي في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٣١٣ باصبهان وكتابه روضات الجنات في تراجم العلماء مشهور طبع في ايران في سنة ١٣٠٧ هـ ·

(٤) كتاب اصول الكافي احد الكتب الاربعة المعتمدة في الحديث عند الامامية

كثيرة جليلة قدراً واول من شرحه بالكفر (صدراً) وقال الشيخ يوسف البحراني السابق الذكر في شأن تلميذه (المحسن الفيض) الآتي ذكره :

له من المقالات على مذهب الصوفيــة والفلاسفة ما يكاد يوجب الكفر والعياذ بالله مثل ما يدل في كلامه على القول بوحدة الوجود وقد وقفت به على مقالة قبيحة صريحة في القول بوحدة الوجود قد جرى فيها على عقائد ابن عربي واكثر فيها من النقل عنه وان عبر عنه ببعض العارفين وقد اوردنا جملة من كلامه في تلك المقالة وغيرها في رسالتنا[1] في الرد على مقالته نعوذ بالله من طغيان الافهام وزلل الاقدام وقد تلمذ في الاصول (اي اصول العقائد) للمولى صدر الدين الشيرازي ولذا كانت كتبه الاصوليــة على قواعد الصوفية والفلاسفة .

بل كان في عصره هدفاً لسهام لوم اكثر عارفيه من اهل الجمود ايضاً على انا نجد قليلاً من معاصريه ومقاربي عصره الذين لم يعشوا عن نور الحق يعظمونه ويبجلونه حق تعظيمه وتبجيله . قال السيد علي خان صاحب سلافة العصر في ضمن ترجمة الملا فرج الله التستري المعاصر له ما نصه :

قال مؤلف الكتاب (عفى الله عنه) أعيان العجم وأفاضلهم من اهل هذه المئة كثيرو العدد! ومنهم المولى صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي الشهير بالملا صدراً كان اعلم اهل زمانه بالحكمة متفنناً بسائر الفنون له تصانيف كثيرة عظيمة الشأن في الحكمة وغيرها .

وقال صاحب امل الآمل محمد بن ابراهيم الشيرازي فاضل من فضلاء المعاصرين ثم نقل نص عبارة صاحب السلافة الآنفة الذكر . وقال الشيخ يوسف البحراني محمد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازي الشهير بالمولى صدراً كان حكيماً فيلسوفاً صوفياً بحتاً .

وقال صاحب روضات الجنات[2] من المتأخرين :

لجامعه الامام المحدث ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق الكليني الرازي المتوفى سنة (٣٢٨) او (٣٢٩) .

(١) اسم هذه الرسالة (النفحات الملكوتية في الرد على الصوفية) .

(٢) (ص ٣٣١ ج ٢) .

صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي الشهير بالمولى صدر كان فائقاً على سائر من تقدمه من الحكماء الباذخين والعلماء الراسخين الى زمن نصير الدين يعني نصير الدين الطوسي الفلكي الفيلسوف المتوفى سنة ٦٠٦ .

ان من درس هذه الكلمات يعلم ان السير على آثار الآباء والتقليد في العقائد الدينية وترك الاهتداء بنور العقل والفلسفة كانت في ذلك العصر اوصافاً تعد فضيلة لصاحبها وفيها حياة له كما ان في الفلسفة موتاً للفيلسوف .

نقل مؤلف كتاب قصص العلماء [1] ان ملا محمد باقر الاصبهاني احد العرفاء الصوفيين المعاصرين لابنه الشيخ سليمان وجد يوماً الملا محمد كاظم الهزارجريبي عند قبر الحسين (عليه السلام) في كربلا اخذ بعد صلوة الصبح يلعن كبار العرفاء الصوفيين واحداً بعد واحد حتى لعن المولى صدراً مات مرة .

ثم لعن الملا محمد باقر فسئل الملا محمد باقر وهو لا يعرف الملا محمد باقر عن سبب لعنه له قال انه يعتقد بوحدة واجب الوجود فقال له فالعنه فانه حقيق بلعنك بهذه العقيدة ولم يكن يميز بين الاعتقاد بوحدة الوجود ووحدة واجب الوجود .

(وفاته) : اتفق الشيخ يوسف البحراني وصاحبا أمل الآمل [2] وروضات الجنات على انه توفي في ضمن العشر الخامس من المائة الحادية عشرة .

وخالفهم محمد حسن خان (صنيع الدولة) مؤلف كتاب (منتظم ناصري [3]) الذي وضعه في وقائع السنين في الشرق والغرب وسمي الكتاب باسم الشاه ناصر الدين القاجاري قال في صفحة (١٩٦ ج٢) من كتابه ان صدر الدين توفي في سنة (١٠٥٩ هـ) (١٦٤٩ م) وحدثت وفاته في البصرة حين توجهه الى مكة .

(كلماته وشكواه عن اهل عصره) : يظهر من بعض كلماته انه سئم من جهلة اهل

---

(١) قصص العلماء كتاب في تراجم العلماء لمؤلفه محمد بن سليمان التنكابني الموجود في عصر ناصر الدين شاه القاجار . (٢) صاحب امل الامل هو محمد بن الحسن الشهير بالحر العاملي ولد سنة ١٠٣٣ ولم تثبت عندي سنة وفاته . (٣) صنيع الدولة من فضلاء عصر ناصر الدين شاه وأدبائه المشهورين وامرائه الأجلة .

عصره يقول في ديباجة كتابه (الشواهد الربوبية) بعد الحمد والصلي على نبيه وآله المطهرين من ظلمات الخواطر المضلة المحفوظين في سماء قدسهم وعصمتهم عن طعن اوهام الجهلة واستعيذ به من جنود الشياطين ثم قال (اللهم اجعل قبور هذه الاسرار صدور الاحرار) وقال في فاتحة كتابه (الاسفار) بعد بيان عزمه على تصنيفه ٠

ولكن العوائق كانت تمنع عن المراد وعوادي الايام تضرب دون بلوغ الغرض بالاسداد فأقعدتني الايام عن القيام وحجبني الدهر عن الاتصال الى المرام لما رأيت من معاداة الدهر بتربية الجهلة الاراذل وشعشعة نيران الجهالة والضلال ورثاثة الحال وركاكة الرجال وقد ابتلينا بجماعة غاربي الفهم تعشو عيونهم عن أنوار الحكمة وأسرارها وتكل بصائرهم كأبصار الخفافيش عن أضواء المعرفة وآثارها يرون التعمق في الامور الربانية والتدبر في الآيات السبحانية بدعة ومخالفة أوضاع جماهير الخلق من الرعاع ضلالة وخدعة الى ان قال : فأصبح الجهل باهر الرايات فأعدموا العلم وفضله واسترذلوا العرفان واهله وانصرفوا عن الحكمة زاهدين ومنعوها معاندين ينفرون الطباع عن الحكماء و يطرحون العلماء العرفاء الاصفياء وكل من كان في بحر الجهل والحمق اولج ، وعن صفاء المعقول والمنقول اخرج ، كان الى اوج القبول والاقبال اوصل ، وعن ارباب الزمان اعلم وافضل :

كم عالم (١) لم يلج بالقرع باب منى وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا

وكيف ورؤساؤهم قوم عزل من سلاح الفضل والسداد ، عارية مناكبهم عن لباس العقل والرشاد ٠

يشير هذا الكلام الى ان صدرالدين لم يكن يستطيع من التصريح بفلسفته كما يأتي النص عليه في كلامه في مبحث علم الباري تعالى حيث يقول في رأيه في علمه تعالى انه لا يرى في التصريح به مصلحة وننبه على ذلك من درس حياة صدر الدين من الافرنج في كتاب (الكنت دوكوبينو) ومجلة الاسلام الانجليزية ان صدر الدين اخفى مذهبه من باب التقية (الكتمان) خوفاً من اضطهاد المجتهدين له وغشاه قصداً بالفاظ معماة ومقالته بث شكوى من اهل الجمود ومتفقهة عصره الذين دأبهم في كل عصر

(١) وفي نسخة عاقل ٠

ومصر محاربة احرار الافكار بسلاح الدين وان كانوا لا يعرفون من الدين الا قشره وهم أبعد من لبه كبعد السماء والارض ٠

(اهل الجمود والعوام في نظره) : نظر صدر الدين الى اهل الجمود والعوام بالاحتقار يقول في اول كتابه (الاسفار) بعد وصف فضل الفلسفة وانها طريق معرفة الحق الوحيد وليعلم ان معرفة الله تعالى وعلم المعاد وعلم طريق الآخرة ليس المراد بها الاعتقاد الذي تلقاه العامي او الفقيه وراثة وتلقفاً فان المشغوف بالتقليد والجمود على الصورة لم ينفتح له طريق الحقائق كما ينفتح لكرام من الالهيين) ٠

و يقول اني استغفر الله كثيراً مما ضيعت شطراً من عمري في تتبع آراء المتفلسفة والمجادلين من اهل الكلام :

حتى تبين لي بنور الايمان وتأييدات المنان ان قياسهم عقيم وصراطهم غير مستقيم) ٠

(تأثير معارضة اهل الجمود للفلسفة في نفسه) : لما لم يجد اقبالاً عليه وعلى الفلسفة من اهل عصره كما يريد سئم وخمد خاطره الفياض وترك التدريس والتأليف مدة من الزمن يقول في كتابه الكبير ضربت عن ابناء الزمان صفحاً وطويت عنهم كشحاً فألجأني خمود الفطنة وجمود الطبيعة لمعاداة الزمان وعدم مساعدة الدوران الى ان انزويت في بعض نواحي الديار (لعله يشير الى هجرته الى بعض جبال قم) [1] واستترت بالخمول والانكسار منقطع الآمال منكسر البال متوفراً على فرض أؤديه وتفريط في جنب الله اسعى في تلافيه لا على درس القيه او تأليف اتصرف فيه اذ التصرف في العلوم والصناعات وانارة المباحث والمعضلات ودفع المعضلات وتبيين المقاصد ورفع المشكلات مما يحتاج الى تصفية الفكر وتهذيب الخيال عما يوجب الملال والاختلال واستقامة الاوضاع والاحوال مع فراغ البال ٠

---

(١) قم مدينة في ١٢٠ كيلومتراً من جنوب طهران الغربي وكان بدء تمصيرها في ايام حجاج بن يوسف سنة ٨٣ تقدسها الايرانيون فان فيها دفنت اخت الامام علي بن موسى الرضا عليهم السلام وهي الآن تعد من المدارس الدينية الكبرى ويدرس فيها الفقه والاصول والأدب ٠

ومن اين يحصل للانسان مع هذه المكاره التي يسمع ويرى من اهل الزمان ويشاهد مما يكب عليه الناس في هذا الاوان من قلة الانصاف وكثرة الاعتساف وخفض الاعالي الافاضل ورفع الاداني والاراذل وظهور الجاهل الشرير والعامي النكير على صورة النحرير وهيئة الحبر الخبير الى غير ذلك من القبائح والمفاسد الملازمة الفاشية اللازمة والمتعدية مجال المخاطبة في المقال وتقرير الجواب عن السؤال فضلاً عن حلّ المعضلات وتبيين المشكلات ثم تمثل برباعي من رباعيات (الفرس) وهو :

از سخن پر دُرمكن همچون صدف هر گوشرا
قفل گوهر ساز ياقوت زمرّد بو شرا
درجواب هر سؤالي حاجت گفتار نيست
چشم بينا عذري خواهد لب خاموشرا

(١) معناه لاتجعل كثيراً كل اذن غير واعية مشحونة كالاصداف بدرر المعاني .
(٢) واقفل شفتيك الياقوتتين
(٣) لا حاجة للمقال في جواب كل سؤال
(٤) فان العين البصيرة تعذر الشفة الساكتة للانسان .

ثم اقتبس كلام امير المؤمنين علي عليه السلام وقال اقتفيت اثر علي عليه السلام مطلّقاً الدنيا مؤثراً الآخرة على الاولى فأمسكت عناني عن الاشتغال بالناس ومخالطتهم وأيست من مرافقتهم ومؤانستهم وسهلت علي معاداة الدوران ومعاندة ابناء الزمان وخلصت عن انكارهم واقرارهم وتساوى عندي اعزازهم واضرارهم فتوجهت توجهاً غريزياً نحو مسبب الاسباب وتضرعت تضرعاً جبلياً الى مسهل الأمور الصعاب فلما بقيت على هذه الحال من الاستتار والانزواء والخمول والاعتزال زماناً مديداً وامداً بعيداً واشتعلت نفسي بطول المجاهدات اشتعالاً نورانياً والتهب قلبي التهاباً قوياً ففاضت عليها لكثرة الرياضات أنوار الملكوت وحلّت بها حنايا الجبروت ولحقتها الاضواء الأحدية وتداركتها الألطاف الالهية فاطلعت على أسرار لم اكن اطلع عليها الى الآن وانكشفت لي رموز لم تكن منكشفة هذا الانكشاف من البرهان بل كل ما علمته من قبل بالبرهان عاينته مع زوائد بالشهود والعيان انتهى » .

وانت تعلم ايها القارئ ان هذه الكلمات التي ملؤها الشكوى من الجهل والجاهل وعصر الجهل لاتصدر الا عن نفس رجل بلغ في العلم وتذكية النفس مرتبة رفيعة وحاول ان يستضيء الناس بنبراس علمه و يسلكوا سبيل الهدى الامثل و يتبعوا نور شمس العقل الاجمل ٠

ثم وجد الاقدار تجري على خلاف مايرومه فتفز الجاهل وتكرمه وتذل العالم وتلجمه ورأى من اتبع نور العقل اصبح هدفاً لسهام الجهل ٠ فسئم من الحياة وقطع عنها كل الصلات ونظر الى العالم نظر المتحير وطلب النجاة من الله العزيز القدير وكانت حاله في تركه وطنه وانزوائه في جبال قم واستظلاله تحت ظلال السكون والوحدة للتفكر في ملكوت السموات والارض والتأمل في الاسرار الالهية تشبه حال الامام (الغزالي) في تركه بغداد وتأملاته في القدس والشام فكلاهما جعلا تهذيب النفس بالرياضة والمجاهدة وتحليتها بالفضائل وتخليتها عن الرذائل سبيلهما الموصل الى الله الجليل والعارج بهما من مرتبة البرهان — الى عالم الشهود والعيان ذاك عاد بعد سنين الى بغداد فسلك سبيل الارشاد وهذا نزل من جبال قم وفجر عين خاطره الفياض فصنف والف واجاد ٠

(حالة ايران العلمية في العصر الصفوي) يحسن بنا ان نذكر كلمة في حالة ايران العلمية في العصر الصفوي لتتسع بها احاطة القارئ الكريم بنواحي البحث ٠

ان من جال ديار الفرس ونظر الى مدارسها المبنية في عصر الملوك الصفويين يتمثل أمامه سعي هؤلاء الملوك العظماء وامرائهم ورجالهم في نشر العلوم ولاسيا علوم الدين فانه يجد في اصفهان كرسي المملكة الصفوية وسائر ديار ايران معاهد علمية ومدارس فخمة بنيت على الطرز القديم تلألأ قبابها الزرقاء بين أشجار وأزهار و بستان وريحان ٠

وحجرات الطلاب مطلة عليها وجدرانها مزينة بالفسيفساء على أجمل طرز تسحر العيون كثيراً ما نقشت فيها آيات قرآنية ونصوص دينية ٠

فصورة قطعة من مدرسة الخان في شيراز التي تراها في ضمن هذه الرسالة تمثل لديك جمال البناء في القرنين العاشر والحادي عشر وهندسته في ايران وكانت عناية هؤلاء الملوك والامراء والذين اتبعوهم باحسان لنشر العلم سبباً لوقف املاك كثيرة من اراضي ومزارع وقرى لصرفها في سبيل العلم ونشره وترقية طلبته ٠

فبقية تلك الاملاك الموقوفة في العصر الصفوي الآن في ايران يبلغ ثمنها ملايين من الجنيهات وكان هؤلاء الملوك ورجالهم بانفسهم يتفقدون حال طلبة العلم ويكرمونهم غاية الاكرام . وفي كتاب المذاهب والفلسفة في آسيا الوسطى ان أم الشاه عباس الصفوي الكبير على جلالتها مع جماعة من الاميرات الشريفات كن يأتين المدارس في كل شهر مرة و يسألن عن حال الطلاب و يجمعن ثيابهم ليغسلن اوساخها ويعطينهم ثياباً جديدة لئلا يشتغلون بغير الدرس وهذا الصنع الجميل يدل على كبير اهتمامهم بنشر العلم وترقية شؤون الدين في هذه المعاهد العلمية ، كان الطالب يتلقى دروسه من الصرف والنحو والمنطق والمعاني والبيان وسائر فروع العلوم العربية والأدبية والفقه واصوله والحديث والكلام والعلوم الرياضية بجميع فروعها والأخلاق وقليل من الفلسفة الاغريقية والحكمة الفهلوية على خفاء لان الفلسفة كانت تعد مخالفة لمبادئ الدين .

(تلقيه علومه وفلسفته) : ولما أتم صدر الدين دروسه الاولية في شيراز رحل الى اصبهان حيث كانت مجمع رجال العلم والحكمة ومقتبس نور العرفان في ايران. وفيها كبار العلماء والحكماء والاساتذة والمدرسين أمثال بهاء الدين العاملي والمير محمد باقر الداماد والمير الفندرسكي الآتي ذكرهم وكان الطلبة يقصدونها من الأقطار الفارسية القريبة والنائية لتلقي العلوم العالية فيها .

(اساتذته) : لاشك ان نفس مثل صدر الدين الظمأى الى رشف كأس العلم والحكمة لا تقنع باساتذة قليلين فظني قوي انه ادرك كثيراً من شيوخ العلم والحكمة والادب في عصره الا ان اساتذته المشهورين من هم الشيخ الامام الجليل بهاء الدين العاملي والفيلسوف الآلهي المير محمد الباقر الحسيني الشهير بالداماد[1] وكانا باصبهان والاول هو العالم الطائر الصيت بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الهمداني ولد في بعلبك عند غروب الشمس يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة الحرام سنة ٩٥٣

(١) داماد بالفارسية الصهر اشتهر به لان اباه محمد كان صهر الشيخ علي بن عبد العال الكركي الشهير بالمحقق الثاني بين علماء الشيعة وكان مشهوراً بالداماد واشتهر به ابنه ايضاً .

ثلاث وخمسين وتسعمائة وصاحب الشاه عباس الصفوي توفي في ١٢ شوال سنة ١٠٣٠ باصبهان ونقل قبل دفنه الى طوس (خراسان) ودفن في جوار قبر الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام وقبره مشهور فيه واشهر كتبه: تشريح الافلاك · رسالة نسبة ارتفاع اعظم الجبال الى قطر الارض · وخلاصة الحساب · رسالة في بيان ان انوار الكواكب مستفادة من الشمس · رسالة في حل اشكال القمر وعطارد وتفسيره المسمى بالعروة الوثقى ·

فوض اليه منصب شيخ الاسلام من الملك الصفوي وكان هذا المنصب ذا اهمية كبرى في ذلك العصر والثاني هو محمد الباقر بن محمد الحسيني فيلسوف الهي جليل وفقيه نبيل كان شاعراً يجيد الشعر بالفارسية والعربية وخطيباً مصقعاً خطب خطبة الملك في جامع اصبهان يوم جلس فيه الشاه صفي الصفوي في عرش الملك وصاحب الشاه عباس الكبير · توفي سنة ١٠٤٠ ه على رأي صاحب منتظم ناصري وسنة ١٠٤١ على ما ذكره صاحب امل الآمل · واشهر كتبه : القبسات ، والصراط المستقيم ، والحبل المتين ، وشارع النجاة في الفقه ، وعيون المسائل لم يتم ، كتاب نبراس الضياء ، خلسة الملوك · الرواشح السماوية وهو في علم الحديث والدراية · ونسخة من هذا الكتاب كانت موجودة عند صاحب روضات الجنات بخط صدر الدين · كتاب السبع الشداد · الضوابط · الايماضات والتشريقات · شرح الاستبصار · سدرة المنتهى في تفسير القرآن ·

وله رسالة في ان المنتسب بالام الى هاشم — من السادات الكرام على ما اختاره العلامة جمال الدين القاسمي الدمشقي وله ايضاً حواش على الكافي وكتاب من لا يحضره الفقيه وهما من اهم كتب الحديث والمير الفندرسكي الذي ارشده اليها هو ابو القاسم الفندرسكي وفندرسك من نواحي استراباد ايران[1] حكيم الهي صوفي زاهد شاعر كان بارعاً في العلوم الرياضية والفلسفة وارتاض في الهند مدة مديدة وبعد ان عاد من الهند الى العراق دعا اهل العلم الى مسلكه توفي بين سنة ١٠٣٠ ه وسنة ١٠٤٠ ه

(تلامذته المشهورون) : ومن اشهر تلامذته محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الفيض وهو ختن صدر الدين · كان عالماً محدثاً صلباً كثير الطعن على المجتهدين وقد سبق كلام

(١) استراباد بلدة صغيرة في نواحي قبائل ترك خراسان ·

صاحب (لؤلؤة البحرين) الشيخ يوسف البحراني في مسلكه التصوفي تلمذ في الحديث على السيد ماجد البحراني في مدينة (شيراز) وفي اصول العقائد على الفيلسوف صدر الدين محمد بن ابراهيم · وله آثار علمية أفرد لها فهرستاً منها: كتاب الصافي في تفسير القرآن الكريم (طبع في ايران) ·

واكثر كتبه أخلاقية على سبيل العرفان في السير والسلوك وهي تشبه كتب الغزالي ومنها: كتاب المحجة البيضاء في احياء الاحياء وكتاب محجة الحقائق في أسرار الدين وكتاب تشريح العالم في بيان العالم وأجسامه وأرواحه وكيفيته وحركات الافلاك والعناصر وأنواع البسائط والمركبات وكتاب حدوث العالم ·

راه صواب (اي طريق الصواب) بالفارسية في سبب اختلاف اهل الاسلام في المذاهب · وكتاب ابطال الجواهر الافراد · فهرست العلوم شرح فيه أنواع العلوم وأصنافها· قال السيد الجزائري[1] تصانيف استاذي الفيض تربو على مائتي كتاب ورسالة ومنهم المولى عبد الرزاق بن علي بن حسين اللاهجي الجيلاني ثم القمي كان حكيماً متشرعاً ومتكلماً محققاً ومنشئاً بليغاً ومنطقياً وشاعراً جليلاً له مصنفات كثيرة في الحكمة والكلام منها كتابه المشهور بگوهر مراد ·

كتاب شرح تجريد نصير الدين الطوسي الفيلسوف وهذا الكتاب في الامور العامة · كتاب الشوارق في الحكمة: شرح الهياكل في حكمة الاشراق الكلمات الطيبة في المحاكمة بين المير الداماد وتلميذه صدر الدين في اصالة الماهية والوجود · رسالة حدوث العالم · حاشيته على حاشية الخفري على الهيآت · شرح التجريد · حاشيته على شرح الاشارات · لنصير الدين الطوسي الفلكي ·

وكان قد درس على صدر الدين وكان مدرساً بمدرسة قم الى ان توفي بها بعد النصف من القرن الحادي عشر ·

وردت كلمة موجزة في (معلمة الاسلام الانجليزية) عن صدر الدين بقلم العالم المستشرق (كليمان هوار) · وعد من تلاميذه القاضي سعيد القمي ولكن ترجمته تفيد انه تلمذ على

(١) هو السيد نعمة الله الذي سبق ذكره · · ·

محسن الفيض تلميذ صدرالدين وهو القاضي سعيد محمد بن محمد مفيد حكيم أديب عارف تولى القضاء في (قم) وتلمذ على محسن الفيض الذي سبق ذكره . وله كتاب كبير شرح به توحيد الصدوق[1] في عدة أجزاء ومنه نسخة في خزانة كتبنا وهو شرح نفيس يشتمل على أنفس مباحث اللاهوت والعرفان . وكان معظماً عند الشاه عباس الصفوي الثاني وامرائه .

قرأ الحكميات على المولى عبد الرزاق اللاهيجي بقم وتوفي هناك ولا يعلم على التحقيق سنة وفاته والمظنون ان وفاته كانت في أواخر القرن الحادي عشر او أوائل الثاني عشر .

(تأليفاته الفلسفية) : (١) كتابه الكبير الاسفار وهو مرآة فلسفته الجلية صنفه في جبال (قم) بعد تأملاته العرفانية الفلسفية في فاتحته يقول بعد الشكوى من العصر واهله في زمن انزوائه في بعض الديار كما أسلفنا ثم اهتز الخامد من نشاطي وتموج الجامد من انبساطي . الى ان قال : فصنفت كتاباً الهياً للسالكين المشتغلين بتحصيل الكمال وأبرزت حكمة ربانية للطالبين لاسرار حضرة ذي الجلال والجمال وترتيبه هكذا :

(السفر الاول) وهو الذي من الخلق الى الحق في النظر الى طبيعة الوجود وعوارضه .

و (الثاني) السفر بالحق في الحق .

و (الثالث) السفر من الحق الى الخلق بالحق .

و (الرابع) السفر بالحق في الخلق .

ثم قال فرتبت كتابي هذا طبق حركاتهم في الأنوار والآثار على اربعة أسفار وسميته بالحكمة المتعالية في الاسفار العقلية ولايخفى ما في هذا القول من النزعة الصوفية مع ان الكتاب يحتوي على أهم المباحث الفلسفية الالهية بل جميعها طبع في ايران قبل عدة سنين .

وهم (الكونت دوغوبينو) وزعم ان هذا الكتاب الكبير اربع رحلات كتبها صدر الدين في أسفاره فانه لما ذكر عدد تآليفه وقال فضلاً عن ذلك وضع اربع رحلات ووهمه نشأ من اسم الكتاب مع انه أهم تآليفه ومرآة افكاره الفلسفية ولم يتدبر في موضوع الكتاب .

(١) وعد صاحب كتاب قصص العلماء من تلاميذه الشيخ حسين .

(٢) كتاب الواردات القلبية ·

(٣) كتاب المسائل القدسية والقواعد الملكوتية ·

(٤) كتاب الحكمة العرشية | شرحهما الشيخ احمد زين الدين الاحسائي مؤسس
(٥) كتاب المشاعر | مذهب الشيخية الامامية (طبع في ايران) ·

(٦) كتاب الشواهد الربوبية وهو من افضل كتبه الفلسفية واعلاها (طبع في ايران) ·

(٧) كتاب المبدأ والمعاد وحاول ان يوفق فيه بين الدين والفلسفة ·

(٨) كتاب في حدوث العالم وفيه اهم آرائه الفلسفية ·

(٩) كتاب شرح الهداية ·

(١٠) حاشية على الهيات الشفاء للرئيس ابن سينا الفيلسوف ·

(١١) حاشيته على شرح حكمة الاشراق للسهروردي ·

(١٢) اجوبة على مسائل عويصة ·

(١٣) اجوبة على مسائل سألها المحقق الطوسي الفيلسوف عن بعض معاصريه ولم يأت المعاصر بجوابها ·

(١٤) رسالة في حل الاشكالات الفلكية ذكر اسمها في بحث غايات الافعال الاختيارية في الاسفار ·

(١٥) رسالة في تحقيق اتصاف الماهية بالوجود (طبع في ايران) ·

(١٦) رسالة اكسير العارفين في معرفة طريق الحق واليقين ·

(١٧) رسالة في اثبات الشوق للهيولي (المادة) او ذراتها ·

(١٨) رسالة في اتحاد العاقل والمعقول ·

(١٩) رسالة في خلق الاعمال ·

(٢٠) رسالة (في الحركة الجوهرية) وهي نظرية تفرد بها صدر الدين ·

(٢١) رسالة في سريان الوجود وهي من انفس تآليفه ·

(٢٢) رسالة في الحشر ·

(٢٣) رسالة في التصور والتصديق ·

(٢٤) رسالة في التشخص ٠

(٢٥) رسالة في القضاء والقدر ٠

(٢٦) رسالة اسمها الالواح العمادية ٠

(تآليفه الدينية) : وله تآليف دينية من تفسير وحديث ولكنه انقاد فيها الى الفلسفة اكثر من انقياده الى الدين منها مجموعة تفسير لبعض سور القرآن الكريم وآيه (طبع في طهران) تحتوي على ١٢ رسالة :

(١) تفسير سورة البقرة ٠

(٢) تفسير آية الكرسي ٠

(٣) تفسير آية النور هذه الرسالة موجودة الآن بخط صدر الدين في شيراز عند السيد عبد الحسين ذي الرياستين العارف الشهير ٠

(٤) تفسير سورة الم سجدة ٠

(٥) تفسير سورة يس ٠

(٦) تفسير سورة الواقعة كان موجوداً بخط صدر الدين عند صاحب روضات الجنات ٠

(٧) تفسير سورة الحديد ٠

(٨) تفسير سورة الجمعة ٠

(٩) تفسير سورة الطارق ٠

(١٠) تفسير سورة سبح اسم ربك الاعلى ٠

(١١) تفسير سورة اذا زلزلت ٠

(١٢) تفسير آية (وترى الجبال تحسبها جامدة) طبعت هذه الرسائل بخط سقيم في ايران ٠

(١٣) رسالة اسرار الآيات ٠

(١٤) كسر اصنام الجاهلية في كفر جماعة الصوفية وليعلم ان التصوف في كل عصره كان يطلق على جماعة من الدراويش الاباحيين ولكن العقليين والاخلاقيين من المتصوفة كان يطلق عليهم في ذلك العصر بالعرفاء ٠

(١٥) كتاب مفاتيح الغيب (طبع في ايران)٠

(١٦) كتاب شرح اصول الكافي تصنيف ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق الكليني الرازي المحدث الامامي الشهير المتوفى سنة (٣٢٨) او (٣٢٩ ﻫ) قال صاحب روضات الجنات انه ارفع شرح كتب على أحاديث اهل البيت .من الأئمة عليهم السلام وقد سلف منا قول البعض ان اول من شرحه بالكفر صدراً كم فرق بين النظر ين ٠

(١٧) حواشيه على كتاب الرواشح لاستاذه الداماد وكانت بخطه عند صاحب الروضات ٠ (للبحث صلة)

كتاب نزهة العيون

في اربعة فنون

في المكتبة المورانية الشهيرة بحلب — كتاب مخطوط بقلم نسخي قديم بعد نحو خمسمائة صفحة افتتحه مؤلفه بقوله بعد البسملة «الحمد لله الذي بقدرته رفع منصوب الطباق السبع، و بث فيها زينة لها نجوماً هداية للساري ورجوماً لمسترقي السمع، وانشأ في جوها سحاباً تلقحه الرياح فيدر خلفه بالهمع» الى آخر خطبته الطويلة التي لم يذكر فيها مؤلفه اسمه ولا اسم كتابه والكتاب مخروم الآخر الذي ربما كان في خاتمته اشارة الى مؤلفه او الى تاريخ الفراغ من تأليفه او الى اسم ناسخه، وقد سألت احد اساتذة التاريخ عن اسم هذا الكتاب وعن مؤلفه فقال اسمه (نزهة العيون في اربعة فنون) وان مؤلفه ابن الوطواط المتوفى سنة ٧١٩ هـ — ١٣١٦ م: ثم تصفحت الكتاب فرأيت في قفا اول صفحة منه بخط غير خطه — هذه العبارة «كتاب نزهة العيون في اربعة فنون» تأليف الشيخ جمال الدين ابي عبد الله محمد بن ابراهيم بن محيي الدين الكتبي .

بحثت عن هذا الكتاب في كشف الظنون وفهارس مكتبتي بايزيد ولالا ومكتبة شيخ الاسلام في استانبول وفهارس المكتبة الخديوية في مصر وفهارس مكتبة بلدية اسكندرية — فلم ار له فيها ذكراً، والذي يظهرلي ان هذا الكتاب مما أُلف قبل القرن الثامن للهجرة لانه لم يرد فيه حين تقسيمه الارض الى أقاليم — ذكرلقارة اميركا التي كان اكتشافها سنة ٨٦٢ هـ — ١٤٥٧ م .

بعد ان فرغ مؤلفه من خطبة كتابه أورد فهرسه فقال :

الفن الاول في السماء وزينتها :

الباب الاول في ذكر مبدإ خلق السماء وهيأتها

« الثاني « « الكواكب السيارة

« الثالث « « « الثابتة وما رصده القدماء منها

« الرابع « « منازل القمر وما قيل فيها

الباب الخامس في ذكر الآثار العلوية
« السادس « الليالي والايام
« السابع « « الشهور والاعوام
« الثامن « « فصول السنة
« التاسع « « الامم واعيادها

الفن الثاني في الارض وما يتعلق بها وفيه تسعة ابواب :

الباب الاول في ذكر مبدإ خلق الارض وهيأتها
« الثاني « « الجبال والمعادن
« الثالث « « البحار والمعادن
« الرابع « « العيون والانهار
« الخامس « « اسباب من سكن الارض
« السادس « « البلاد ونواحيها وما ملك المسلمون منها وذلك بما وراء نهر جيحون
« السابع « « طبائع البلاد واخلاق من سكنها من العباد
« الثامن « « المباني التي بقي أثرها ووعظ خبرها أولها برج بابل
« التاسع « « ماوصفت به المعاقل والحصون والمنازل . اولها قلعة في الاندلس

الفن الثالث في الحيوان وطباعه :

الباب الاول في ذكر خصائص نوع الانسان
« الثاني « طبائع ذي الناب والظفر
« الثالث « « الحيوان الوحشي
« الرابع « « « الاهلي
« الخامس « « الحشرات والهوام
« السادس « « سباع الطير وكلابها
« السابع « بغاث الطير
« الثامن « طبائع الطائر الليلي
« التاسع « الحيوان البحري المشتركة

الفن الرابع في النبات وفلاحته :

الباب الاول في كيفية كون النبات وتلوينه

« الثاني في ذكر ما يوافق النبات وتركيبه من الأرضين والسرجين

« الثالث في فلاحة الحبوب والقطاني

« الرابع في فلاحة البقول

« الخامس في ذكر النبات الذي لثمره وقشر

« السادس في ذكر النبات ذي النوى

« السابع في ذكر فلاحة النبات الذي لا قشر له

« الثامن في ذكر أصناف الرياحين

« التاسع في ذكر الاشجار ذوات الصموغ والامنان واليتوعات

ثم قسم المؤلف كل باب من هذه الابواب المندرجة تحت فنهـا — الى عدة فصول خص كل نوع من الاصناف المندرجة ضمن الباب — بفصل على حدته تكلم فيـه على ذلك النوع بما يقتضيه الفن ثم اتى بشيء من طرائف المنظوم فوصف به النوع وصفاً ادبياً يحتاجه الاديب وقلما يجده في غير هذا الكتاب وقد اكثر المؤلف في الفن الرابع النقل عن ابي بكر بن وحشية كقوله في فصل من فصول الباب الاول من هذا الفن — قال ابن وحشية : واصل كون الألوان في النبات هو اسخان الشمس ثم طلوع القمر عليه فتتغير الالوان وتتبدل فيه فان ثمرة النخل تبدو اولاً بيضاء جفرية ثم تصير بلحاً ثم تكبر فتنتقل من الخضرة الى الحمرة او الى الصفرة وهذا التبدل والتلون انما هو بطبخ الشمس له وكل نوع من النبات فحكمه في الألوان والتنقل فيها هذا الحكم فان الشمس تطبخه والقمر يصبغه والماء يرويه والارض تمسكه وتغذوه مع الماء فيتم كونه ثم قال بعد كلام طويل اعلم ان جوهر النبات كله كبيره وصغيره انما يكون من جوهر العناصر وهذه العناصر اصل ومادة وموضوع لكل جسم مركب كائن على الارض من حد سفل أسفل فلك القمر الى آخر جسم الارض . وقال في موضوع آخر في قوى النبات ومضارعته الحيوان : قال أرسطو الحياة موجودة في النبات كما هي موجودة في الحيوان غير ان حيوة الحيوان بينة ظاهرة وحياة النبات خفية غامضة وله حس وحركة . وقال في موضع آخر زعم

آخرون ان للنبات نوماً ويقظة وان النوم سكون والسكون راحة المتحرك وليس للنبات إرادة إذ لو كانت لكان يمكنه ان يهرب من ضار · وزعم آخرون ان له حساً وارادة لما يرى فيه من الميل مع الشمس حيث مالت كالشقائق والخبازي والحور والترمس وما يفتح لطلوعها وينضم لمغيبها كالنيلوفر والاذرون · وزعم آخرون ان له مع الحس عقلاً وفهماً ·

الى غير ذلك من القضايا الفلسفية المتعلقة بالنبات وأحواله وطبائعه وتطوراته مما يزعم اكتشافه وظهوره على يده كثير من علماء النبات في هذا القرن ·

على ان مؤلف هذا الكتاب كما عني بذكر الوافر الجم من المسائل الجوهرية الحقيقية المتعلقة بالنبات وغيره فانه لم يقصر بايراد قضايا جديرة ان تنخرط في سلك الخرافيات التي تستبعد المعقول وقوعها من ذلك قوله مؤيداً زعم من قال بوجود الحس لبعض النباتات ومما يخيل للذهن صدق ما زعموه ما حكى لي القاضي فخر الدين ابراهيم بن علي دبوقا قال مررت بقرية من قرى بعلبك تسمى الرمانة فرأيت في بقعة من ارضها نباتاً يشبه المنثور في لونه وكونه فوقفت متعجباً من حسنه فقال لي بعض الظرفاء وأزيدك منه عجباً قلت وما هو قال يغني بيتي شعر معروفين فلا يزال يهتز حتى تسقط أوراقه وتذبل واريك ذلك ثم اندفع يغني و يوقع بكفيه :

يا ساكناً بالبلد البلقع ويا ديار الظاعنين اسمعي

ما هذه داري ولكنها ديار احبابي فنوحي معي

قال فخر الدين فوالله لقد رأيت ذلك النبات يهتز كأنما أصابته ريح عاصفة حتى تناثرت اوراقه وذبلت طاقاته

قلت لا اسيء الظن بفخر الدين ولا اتهمه بالكذب والحنث بيمينه بل اقول انه غلب عليه الوهم فرأى بعينه النبات يهتز فأخبر بذلك ولم يحنث ·

هذا وان صاحب الكتاب الذي نحن بصدده ذكر في كتابه في الكلام على الارض اموراً ينطبق بعضها تمام الانطباق على ماقاله فيها علماء الهيئة في القرن العشرين والذي قبله وكنا نظنها انها من مكتشفاتهم ومبتكراتهم التي لم يسبقهم اليها احد قبلهم ، واليك نبذة مما قاله في هذا الموضوع وهي :

من جملة الزعوم ان الارض تهوي الى ما لانهاية له وان السماء ترتفع الى ما لا نهاية له ، ومنهم من زعم ان الارض صاعدة وان السماء هابطة ومنهم من قال ان الارض والسماء صاعدتان والقائلون بهذا منهم من زعم ان السماء صاعدة مع دورانها والارض صاعدة غير دائرة ومنهم من زعم عكس ذلك ومنهم من زعم انها متحركة على استقامة الى الشرق وقال بعضهم انها متحركة دورية وان الذي يرى من دور الفلك انما هو من دورها وان الفلك ساكن على الدوام والقائلون بهذا ذهب فريق منهم الى ان حركتها مستديرة .

وكل من مال الى فن من هذه الفنون فانما يخبط فكره في عشواء الظنون و يتكلف لكل منها ادلة و براهين تنقض عليها من سوانح المنازعات صقور وشواهين .

والقول الحق الذي تقوم عليه البراهين الساطعة والحجج القاطعة عند حذاق المتكلمين في الهيئة انها كرية بالكلية مضرسة بالجزئية من جهة الجبال البارزة والوهدات الغائرة ولا يخرجها ذلك عن الكرية لان مقادير الجبال وان شمخت صغيرة بالقياس الى كل الارض « كرة قطرها ذراع او ذراعان اذا نبأ فيها كالجاورس وغار فيها كامثاله لم يمنع ذلك من اجراء حكم التدوير عليها بالتقريب » وليس للارض نسبة من الفلك البتة لان أصغر كوكب في السماء قدرها ثمان عشرة مرة وهي في وسط الفلك والوسط هو السفل ومثلوا كونها في الوسط كالنقطة في الدائرة والمح في البيضة ومعنى تمثيلهم لها بالمح الذي هو الصفار ان البيضة يقلب أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها والمح في مكانه لا ينتقل عنه وفي هذا تنبيه على ان الفلك هو المتحرك دون الارض وزعموا انها الحجاب الذي توارت به الشمس في قوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » ومن براهينهم على انها كرية ان الشمس والقمر وسائر الكواكب لا يوجد طلوعها ولا غروبها على جميع نواحي الارض في وقت واحد لا يرى طلوعها على النواحي الشرقية قبل طلوعها على النواحي الغربية وغيبوبتها من النواحي الشرقية قبل غيبوبتها عن الغربية ، ولو ان انساناً سار من ناحية الجنوب الى ناحية الشمال رأى انه يظهر له من الناحية الشمالية بعض الكواكب التي كان لها غروب فيصير ابدي الظهور ، و بحسب ذلك يكون عنده من ناحية الجنوب بعض الكواكب التي كان لها الطلوع فيصير أبدي الخفاء على ترتيب واحد اذ كان لا يعترض بينه وبين البصر شيء يحجب شعاعه عنه والامر بخلاف ذلك كما تقدم ، قال والماء محيط بهما

ولولا التضرس لغمرها حتى لم يظهر منها شيء لكن العناية الالهية اقتضت اللطف بالعالم الانسي فأبرزت له جزءاً من الماء ليكون مركزاً له وإحاطة الماء بهـا بالامر الطبيعي اذ كل خفيف يعلو على الثقيل والماء أخف من الارض فكان محيطاً بها قالوا والهواء جاذب لها الى الملك بالسوية كجذب المغنطيس للحديد ولذلك وقفت في الوسط : وذهب آخرون الى ان وقوفها في الوسط انما هو من دفع الفلك لها من سائر جهاتها ومثلوا وقوفها في الوسط بحمصة لو وضعت في قنينة ثم أديرت في الجهة ادارة سريعة ووقفت في وسطها لتساوي الدفع من كل الجوانب : وحكي عن آخرين ان النصف الأسفل من الارض فيه اعتمادات صاعدة والنصف الاعلى فيه اعتمادات هابطة فحصل التدافع من الاعتمادات فلزم الوقوف .

كل خبط في عشواء الجهل بحكمة الله في مخلوقاته ، كيف والله تعالى يقول : « ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده » وذلك الامساك هو ان رسم لكل واحد منها حداً لا يتعداه : ثم انهم مثلوا حلول الساكن في الارض بتفاحة غرس فيها شعير مما يدور بها فكل شعيرة منتصبة الى ما قابلها من جميع جهاتها لا فرق بين شيء منها في استقامة الحل وحيث كان الناس من استيطانهم فان ارجلهم الى الارض ورؤوسهم الى السماء وكل فريق منهم يرى ان ارضه التي هو عليها هي المستقيمة في الاعتدال ، وقال آخرون في تحقيق هذه الدعوى — لو ان اهل ناحية من نواحي الارض حفروا بئراً وأطالوها الى المركز وحفر اهل الناحية التي تقابلها بئراً أخرى وأطالوها الى ان تلتقي الحفرتان و يكون الماء واحداً لأرسل اهل كل ناحية دلوهم فكان أسفل هذا الدلو مقابلاً لأسفل الدلو الآخر وكان هؤلاء يجرونه الى فوق والآخرون كذلك لا يشك واحد منهم انه جاذب دلوه من اسفلها الى اعلاها واستدل ايضاً على ذلك ان الانسان اذا كان في موضع من الارض وأخرج خطاً مستقيماً من مكانه الى مركز الارض وانتهى به الى الجهة الاخرى من رجليه الى رجليه حتى انهم قالوا متى قيس بين اهل الصين وبين اهل الاندلس الذين على طرفي المعمور كانت أقدامهم متقابلة .

الى آخر ما حكاه صاحب الكتاب في كروية الارض وحركاتها من الزعوم والآراء

التي كنا نحسب الكثير منها مما تركه الاول للآخر فكنا نقول كم ترك الاول للآخر فصرنا بعد اطلاعنا على هذا الكتاب نقول ما ترك الاول للآخر ·

كامل الغزي

عضو المجمع العلمي

صلاح الدين الصفدي

لما قرأت ما كتبه السيد داود الحلبي في الجزء التاسع من مجلة المجمع ص ١٠٥ الى ١٠٨ عن كتاب لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ذكرت اني رأيت في مكتبة وزارة الهند (India Office) بلندن منذ زمان نسختين من التذكرة الصلاحية (كذا ورد في عنوان كل جزء من النسختين) لا ذكر لها في الفهرسة المطبوعة لانهما دخلا المكتبة المذكورة بعد نشر الفهرسة بزمان طويل · وقد أخذت جدولاً مما في النسختين فالنسخة تحت رقم « عربي ٣٨٢٩ » وفيها الجزء الاول الى الثالث ، والثانية رقم « عربي ٣٧٩٩ » تشتمل على الجزء الـ ٤٨ و ٤٩ ولا أدري هل هذا منتهى التصنيف فانه يظهر ان الصفدي نقل طول حياته من كتب مختلفة وقعت بين يديه فالتقط ما أعجبه على غير ترتيب واكثره مقطعات نثرية وشعرية غير طويلة الا نادراً ولا أشك ان هذا المجموع لا نهاية له الا بوفاة مؤلفه · اني آسف لعدم نقلي مقدمة الجزء الاول وحيث المكتبة المذكورة مغلقة في شهر ايلول كله أرجو رجوعي الى هذا بعد فتحها ولئلا تطول مقالتي أذكر بعض المهمات الموجودة في هاتين النسختين في الجزء الاول :

ص ٣ رسالة القاضي شهاب الدين بن فضل الله يتشوق الى علاء الدين ابن القلانسي وشمس الدين محمد بن شهاب الدين محمود هو ابن الشاعر المشهور والصدر شهاب الدين يحيى بن المبسراني ·

ص ٧ التقليد السلياني للقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر (وهي رسالة هزلية) ·

ص ٤٩ الى ٥٩ شعر صدر الدين ابي عبد الله محمد بن زين الدين ابي الحرم مكي العثماني عرف بالقاهرة بابن المرحل وفي الشام بابن الوكيل هو الشاعر المشهور ·

ص ٦٠ شعر لشرف الدين الحلاوي ولكن محي عمداً في النسخة حتى تصعب القراءة ٠

ص ٦٧ الى ٦٨ شعر طويل لابن دانيال قد محي ايضاً ولا أدري سببه ٠

ص ٧٠ الى ٧٩ من ديوان الامير ناصر الدين حسن بن شاور (كذا) بن طرخان الفرامي ابن النقيب ٠

ص ٨١ من كتاب تحفة القادم لابن الأبار ٠

ص ٨٦ آخر الجزء الاول ٠

ص ٨٩ الى ١٠٧ شعر جمال الدين ابي الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزّار ٠

ص ١٠٧ شعر السراج عمر الختار الحلبي ٠

ص ١١١ شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي المتوفى يوم السبت ٢٢ شعبان سنة ٦٨٠ ودفن بباب الصغير في دمشق ٠

ص ١١٢ الى ١٢٣ المختار من كتاب فلتة البراعة ولفتة البراعة لمحيي الدين عبد الله ابن عبد الظاهر ٠

ص ١٢٤ الى ١٤٤ القطر النباتي لجمال الدين محمد بن نباتة في آخره إجازة مؤرخة في القاهرة سنة ٧٢٩ ٠

ص ١٦٣ آخر هذا الجزء الثاني ٠

ص ١٦٩ من كتاب تاج الجامع والمعاجم وسراج الأعارب والأعاجم المشتمل على مشيخة ابي الحامد اسماعيل بن ابي الشكر حامد بن ابي القاسم عبد الرحمن الخزرجي القوصي نزيل دمشق ٠

ص ١٧٣ كتاب محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الى الامير شمس الدين آقسنقر جواباً عن كتابه بفتح بلاد النوبة ٠

ص ١٨٩ الى ١٩٣ ظلامة ابي تمام الطائي صنعة الخالدي ٠

ص ١٩٣ مناظرة بين النظّام وابن الحكم تليه مناظرة بين النظام ومخالفيه ٠

ص ٢٠٤ رسالة الحاتمي اولها : كان ابو الطيب (يعني المتنبي) لما دخل بغداذ الخ ٠

ص ٢١٢ شعر ابي القاسم المظفر علي الطبسي يرثي المتنبي ٠

ص ٢١٣ الى ٢١٨ سرقات المتنبي من ابي تمام ٠

ص٢١٩ الى ٢٢٠ الخواص الفعلية والعظات العلية لنورالدين ابي بكر محمد بن رستم .

ص ٢٢١ الى ٢٢٩ مفاخرة بين السيف والقلم لجمال الدين ابي بكر محمد بن شمس الدين محمد بن نباتة .

ص ٢٣٦ آخر الجزء الثالث والنسخة (رقم عربي ٣٧٩٩) :

ص ٢٠ الى ٢٦ نقلتُ من ديوان امين الدين جوبان القوّاس سماه طبع الوقائع ورقع الوصائع .

ص ٤٠ الى ٤٤ شعر شمس الدين محمد بن علي بن ابراهيم المصري المعروف بابن الواسطي أنشدني لنفسه .

ص ٦٤ مكاتبة الشيخ أويس بديوان الانشاء .

ص ٦٨ آخر الجزء الثامن والأربعين .

ص ٦٩ من كتاب درّة التنزيل وغرّة التأويل لابن خطيب القلعة .

ص ٧١ قول ابو علي ابن فورّجة في كتاب التجني على ابن جني [انقلها بكمالها في آخر هذه النبذة] .

منقول من الجزء الثامن والاربعين ص ٧١ :

ذكر ابو علي بن فورّجة في كتاب التجني على ابن جني . قال : حدثني الشيخ ابو العلاء المعري عن رجل من اهل الشام كان يتوكل لابي الطيب يعرف بابي سعد وبقي الى عهدنا وبعد : ان حدثني ابو علاء عنه . قال : دعاني ابو الطيب ذات يوم ونحن بحلب أظنه قال ولم أكن عرفت منه الميل الى اللهو مع النساء ولا الغلمان فقال لي : أرأيت (ص٧٢) الغلام ذا الاصداغ الجالس الى حانوت كذا من السوق وكان غلاماً وسيماً نحّاشاً فياهوسبيله . فقلت : نعم واعرفه . فقال : فامض فأنني به واتخذ دعوة وانفق واكثر . فقلت : كم قدر ما أنفق . فلم يزدني على قوله : أنفق واكثر . وكنت استطلع رأيه في جميع ما انفقه فضيت واتخذت له ثلاثة ألوان من الطعام وصحفات من الحلوى واستدعيت الغلام فأجاب وانا متعجب من جميع ما أسمع منه وأراه اذ لم تجر له عادة بمثله . فعاد من دار سيف الدولة آخر النهار وقد حضر الغلام وفرغ من اتخاذ الطعام فقال : قدّم مايؤكل وآكل ضيفك . فقدمت الطعام وأكلا وانا ثالثهما ثم

أجحى(؟) الليل فقدَّمت الشمعة ورَفع دفاتره وكانت تلك عادته كل ليلة . فقال : احضر لضيفك شراباً واقعد الى جانبه فنادمه . ففعلتُ ما أمرني كل ذلك وعينه الى الدفاتر يدرس ولا يلتفت الينا الا في الحين بعد الحين فما شربنا الا قليلاً حتى قال : افرش لضيفك وافرش لنفسك وبتْ ثالثهما ولم أكن قبل ذلك أبايته في بيته . ففعلت وهو يدرس حتى مضى من الليل اكثره ثم آوى الى فراشه ونام . فلما أصبحنا قلت له : مايصنع الضيف ؟ . فقال: أحْبُه واصرفه . فقلت : وكم أعطيه . فأطرق ساعة ثم قال : أعطه ثلاثمائة درهم . فعجبت من ذلك ثم جسرت نفسي فدنوتُ منه فقلت : انه من يجيب بالشيء اليسير وانت فلم تنل منه حظاً . فقال : أتظنني من هؤلاء الفسقة أعطه ثلاثمائة درهم ولينصرف راشداً . قال : ففعلت ما أمرني به وصرفته .. قال ابن فورجة : وهذا من بديع اخباره ولولا قوة إسناده ما صدقت به .

وفي ص ٩٠ من الجزء المذكور :

نقلت من روزنامج الصاحب ابي القاسم اسماعيل ابن عباد رحمه الله : وانتهيت الى ابي سعيد السيرافي وهو شيخ البلد فرد الادب وحسَن التصرف في اللغة والنحو وافر الحظ من علوم الاوائل فسلمت عليه وقعدت عليه وبعضهم يقرأ الجمهرة فقرأ : أَلْمَقْتُ الشيءَ افسدته[1] فقلت : انما هو لمقته . فدافعني الشيخ ساعة ثم رجع اليَّ فوجد حكايتي صحيحة واستمر القارئ حتى انشد وقد استشهد :

رسم دار وقفتُ في طلله كدت اقضي الغداة من جلله

فقلت : أيها الشيخ هذا لايجوز والمصراعان على مثل النشيد يخرجان من بحرين لان : رسم دار وقفت في طلله « فاعلين مفاعلن فعلن » وكدت اقضي الغداة من جلله . « مفتعلن فاعلات مفتعلن » فذاك من الخفيف وهذا من المنسرح والمصراع الاول مخروم . فقلت : لا يدخل الخرم على هذا البحر لان اوله مستفعلن ومفاعل هذه مزاحفة عنها فاذا حذفنا متحركاً بقينا ساكناً وليس في كلام العرب ابتداء به وانما : كدت اقضي الغداة بتخفيف .

---

(١) هذا الحرف ليس في الجمهرة في رواية السيرافي وما فيها لمق الكتاب اي محاه ولمقه بيده ضربه .. انظر ج ٣ ص ١٦٣ طبعة حيدر اباد .

فأمر بتغبيره ودفعني الى جنبه وابتدأ يقرأ عليه كتاب سيبو يه باب مايجري وما لايجري الى ان ذكر سحرَ وانه لا ينصرف اذا سحر بعينـه لانه معدول عنه . فقلت : ما علامة العدل فيه . قال : لانا قلنـا السحرَ ثم قلنا سحرَ فعلمنا ان الثاني معدول عن الاول . قلت : لو كان كذلك ان نطرد العلة في عتمة لانك تقول العتمة ثم تقول عتمة . فضجر وامتدّ واربدّ وادعيت انه ناقص والتمس المحاكة فكتبت اليه رسالة اخذت فيها خطوط اهل النظر كلهم وفيها خط ابي عبد الله بن رزام عين مشايخهم . ورأيت الشيخ بعد ذلك عزيزاً فاضلاً متوسعاً عالماً فعكفت عليه واخذت عنه وحصّلت تفسيره لكتاب سيبو يه وقرأت صدراً منه عليه .

ثم نقل من روزنامج الصاحب ابن عبّاد قصة عن مُخَدَّع المغنية جارية أم ابي الفرج محمد بن العباس ولكن فيها ما يؤذي حسن الادب ولهذا السبب اضرب عن ذكرها . الى ص ١١٦ .

ص ١٠٥ ذكر من ولي إمرة دمشق المحروسة في الاسلام او دخلها من الخلفاء وغيرهم مرتبين على حروف المعجم . وهذا أوله ليرى القارئ مافي هذه المقالة من الاخبار .

« الهمزة »

ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العبـاس بن عبد المطلب الهاشمي . وليها للرشيد هارون .

ابراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ابو اسحق المعروف بابن شكلة . وليها لهارون الرشيد .

ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ابو اسحاق القرشي امير المؤمنين بو يع له بالخلافة بعد اخيه يزيد بن الوليد الناقص بعهد سنة ...

ابراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس . وليها للمهدي وولي مصر ايضاً .

ابراهيم بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام الخ وكذا الى آخر الحروف .

ص ١١٦ الى ١٥٣ من كلام مولانا القاضي الفاضل هذه نبذة مهمة من رسائله واشعاره و بها ينتهي الجزء .

وفي آخره مانصه : يتلوه الجزء السادس عشر من هذه النسخة وهو الخمسون من اجزاء

المؤلف بعد البسملة والحمدلة قوله تعالى : (جزاءً من ربك » ٠
ومن هذا يظهر انه لم يكمل التأليف بهذا الجزء ولكن لا خبر في ٠

« تصنيف مجهول للصفدي »

بعد أن فرغت من ترجمة الصفدي التي كتبتها في المعلمة الاسلامية (Encydefad De L'islam) وقع في ملكي اربعون ورقة بخط غير قديم من كتاب في خطأ العوام وتصحيف العلماء وعلى الوجه الاول : مؤلف هذا الكتاب الصفدي رحمه الله ٠ وقال بعد الحمدلة والتسليم: اما بعد فان التصحيف والتحريف قلّ ما سلم منهما كبير ٠ اونجا منهما ذو اتقان ولو رسخ في العلم رسوخ ثبير ٠ اوخلص من معرتها فاضل ولو انه في الشجاعة عبدالله بن الزُبير او عبدالله بن الزَّبير ٠ خصوصاً ما اصبح النقل سبيله والتقليد دليله ٠ فقد صحف جماعة هم أئمة الامة وحرّف كبار بيدهم من هذه اللغة تصريف الأزمّة ٠ منهم من أئمة البصرة اعيان كالخليل بن احمد الخ ثم أورد تصحيفات في القرآن العظيم وبعد بياض تلا تصحيفات المحدثين قال في اول هذا الفصل ما نصه :

فقد دوّن الناس في ذلك جملة وعقد المصنفون لذلك ابواباً في كتبهم وهي مشهورة بين القوم ٠ ومن ذلك ما حكاه ابواحمد الحسن العسكري قال حكى القاضي احمد بن كامل قال : حضرت بعض مشايخ من المغفلين فقال : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبرئيل عن الله عن رجل ٠ فقلت من هذا الذي يصلح ان يكون شيخ الله ٠٠ فاذا هو قد صحفه : واذا هو عز وجل ٠ قال العسكري وأخبرني ابو علي الرازي قال: عندنا شيخ يروي الحديث من المغفلين روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يغسل خصى حمارد ٠ انما هو يغسل حصى جماره ٠ بالحاء المهملة اولاً و بالجيم ثانياً ٠ وروى بعضهم: «الجار احق بصفّته » بالفاء المشددة والتاء ثالثة الحروف ٠ وانما هو «بصقبه» بالقاف والباء الموحدة ٠

ثم بعد بياض :

وقد صنف الامام الدارقطني مجلداً في تصحيف المحدثين وكذلك العسكري له في ذلك ايضاً ٠

ثم بياض :

واما تصحيف الفقهاء فهو كثير قال يوماً بعض المدرسين : « ولا يكون النذر الا في

قرية » قاله بالياء آخر الحروف ، وهو بالباء الموحدة مضموم القاف ، وقال بعضهم في التنبيه : و يكره القرع و يحب الخيار ، وانما هو يكره الفزع و يحب بالجيم والختان بالتاء ثالثة الحروف وبعد الالف نون ، وقال بعضهم يوماً : وقال الشافعي : ويستحب في المؤذن ان يكون صيباً بالباء الموحدة والياء آخر الحروف ، فقيل له : ما العلة في ذلك ، قال : ليكون قادراً على الصعود في درج المأذنة ، انما هو صيتاً من الصوت ، وقال بعضهم ...

بياض آخر :

ثم يلي تصحيف الكتّاب وبعد ذلك تصحيف الشعراء ،

وفي هامش النسخة عند انقطاع المقدمة : مقدار صحيفتين بياضاً تركه المصنف ثم يبتدئ بحرف الالف رتب هذا الباب فصولاً على الحرف الثاني وآخر حرف في النسخة التي عندي حرف التاء المثناة من فوق ولا شك ان في الاصل اكثر من هذا لان في اسفل الصفحة الاخيرة راقب للورقة التالية ولكن اذ كانت الورقات منزوعة من الكتاب — لا ادري هل كمل المصنف كتابه ام لا وقد نبهت في الترجمة المذكورة على ان الصفدي في آخر عمره صرف من كتب التراجم الى كتب اللغة ولعل هذا التصنيف آخر مؤلفاته ولم يتم. وتدل على ان النسخة اصلاً مأخوذة من مسودة المؤلف كثرة البياضات بين كل فصل ومع هذا اختصر أسماء الكتب التي نقل منها بحروف مكتوبة بالحمرة ولا وجود في المقدمة لما يدل على تعريف هذه العلامات وقد وجدت أسماء بعض الكتب بالمقابلة ولكن تبقى آخر لا ادري اسماءها ولا من صنفها ورجائي ان تكون لاحد قراء المجلة معرفة بالاصل الذي نقلت منها نسختي فانها شامية الاصل بلا شك حيث كانت من جملة كتب الشيخ احمد فارس الشدياق ،

ف كرنكو

فصح وشوارد

شطأ الزرع والنخل (ـَـ) شطأً وشطوءاً ، اخرج الشطء وهو فراخ الزرع والنخل وقيل ورقه — ومن الشجر ما خرج حول اصوله ، وكذلك أشطأ ٠

وفرّخ الزرع ، نبتت أفراخه والفرخ هو الزرع المتهيّء للانشقاق وقد فرّخ الشجر اذا أخرج فراخاً كثيرة وهي ما يخرج في اصوله من صغاره وقيل فرخ الشجرة الغصن منها ٠ وقال قوم فرخها ما في وسطها من الاغصان ٠

وشعّب الزرع وتشعّب ، صار ذا شعب اي فرق ٠ وقصّب ، صار له قصب ٠ ونقول للزرع اول ما يطلع نجم ثم فرّخ وقصّب ثم أعصف ثم سبّل ثم سنبل ثم أحبّ وألبّ ثم أسفى ثم أفرك ثم أحصد ٠

وأشعّ الزرع ، أخرج شعاعه وهو من السنبل سفاه اذا يبس ما دام على السنبل ٠

وأصرّ السنبل ، صار صرراً وهو السنبل بعدما يقصّب او ما لم يخرج فيه القمح الواحدة صررة ٠

وسنبل الزرع ، خرج سنبله ٠ وأسبل ، اخرج سبولته وهو بمعنى السنبل ٠

وأقمح البرّ ، صار قمحاً نضيجاً ٠ وقد شُرِّب السنبل الدقيق وأشرِبه اذا صار فيه طعم والشرب فيه مستعار كأن الدقيق كان ماء فشربه ٠

واشوى القمح ، افرك وصلح ان يشوى ٠ وافرك السنبل اذا صار فريكاً وهو حين يصلح ان يفرك فيؤكل ٠

وشذّب الجذع ، إصلحه بقطع شذبه وهو قطع الشجر يقال طار من النخل شذبه اي ما قطع عنه ٠ وكرب الرجل ، اخذ الكرب من النخل وهو اصول السعف الغلاظ العراض التي تقطع معها الواحدة كربة ٠

وسلأ الجذع ، نزع سُلاءه اي شوكه ٠ وكرنف النخلة ، جرد جذعها من كرانيفه والكرناف اصول الكرب التي تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف ٠

وسوّج على النخل والكرم اذا احاط عليه بالساج وهو شجر يعظم جداً لا ينبت الا ببلاد الهند وخشبه اسود رزين لا تكاد الارض تبليه ٠

وتموّه العنب ، امتلأ ماء وتهيأ للنضج · واجرن ، حان له ان يوضع في الجرين ·
وابرم الكرم ، صار ذا برم وهو حب العنب اذا كان مثل رؤوس الذر ·
وعقّل ، اخرج العُقَيلى وهو الحصرم ربما سمي بهذا لعقله بطن آكله ·
واشجن ، صار ذا شجنة وهي شعبة من عنقود تدرك كلها ·
وكحّب ، اظهر كحبه وقيل كثر حبه والكحب الحصرم · وانمى ، صار فيه نوام اي قضبان عليها عناقيد ·

وعنّب ، صار ذا عنب · وافعل ، انشق فعاله وتناثر ولم يثمر وهو نور العنب وشبهه وما تناثر منه · واعصى ، اخرج عيدانه ولم يثمر · وقد دمعت الجفنة اذا كثر دمعها وسال فهي جفنة دامعة ·

ورعّل الكرم ترعيلاً ، خرجت رُعلته وهو الطرف الغض من الكرم ·
واحطب ، حان ان يقطع منه الحطب · واستحطب العنب ، احتاج ان تقطع اعاليه ·
واعترش الكرم ، علا على العراش وعرش الكرم ما يدعم به من الخشب · وعوّم ، كبر حمله عاماً وقل آخر ·

وقالوا تبقّل الرجل ، خرج لطلب البقل · واعشب القوم اصابوا عشباً تقول اعشبت ياهذا فانزل وكذلك اعشوشبوا ·

وامرع فلان المكان ، اصاب مريعاً ومنه المثل امرعت فانزل اي اصبت حاجتك فانزل · ونجّم ، تتبع نجمة النبت واحتفر عنها · واحشّ الكلأ ، امكن لان يُحشّ ·
وقمل العرفج ، بدا به غب المطر ما يشبه القمل · وصُرّ النبات ، اصابه الصِر اي الريح الباردة · وسُمّ ، احرقته السموم فهو مسموم ·

واستروح الغصن ، اهتز بالريح · وغصن مريح ومروح ، اصابته الريح وشجرة مروحة ومريحة ، صفقتها الريح فألقت ورقها ·

واخلفت الشجرة ، انبتت عوض ما قطع منها · ومَشِرت ومَشّرت وامشرت ، خرجت فيها المشرة وهي شبه خوصة تخرج في العضاه وفي كثير من الشجر ايام الخريف لها ورق واغصان رخصة وقيل الاغصان الخضر الرطبة قبل ان تتلون بلون وتشتد — وهي ايضاً الورقة قبل ان تتشعب وتنتشر — وما ينتشره الراعي من ورق الشجر بمحجنه ·

وامصع الوسج ، ظهر مصعه وهو حمل العوسج وثمره وهو احمر يؤكل .

واستغلظ الشجر ، استحكمت نبتته وصار غليظاً . وشجّر النبات ، صار شجراً .

وأشطأ الشجر ، أخرج الأشطاء وهي ما خرج حول اصوله .

وصنبرت النخلة ، صارت صنبوراً وهي النخلة دقت من أسفلها وانجرد كربها وقل حملها — والمنفردة من النخيل — والنخلة تخرج من اصل النخلة الاخرى من غير ان تُغرس . .

وأعبل الشجر ، كان ذا عبل و يقال أعبل الأرطى اذا غلظ هدبه في القيظ واحمرّ وصلح ان يدبغ به والعَبَل كل ورق مفتول غير منبسط كورق الطرفاء — وثمر الارطى وهدبه اذا غلظ وصلح ان يدبغ به وقيل الورق الدقيق وقيل الطالع والساقط منه (ضد) .

وقصّد العرفج وأقصد ، أخرج القصد وهو أغصانه الناعمة وقيل القصَدة من كل شجرة شائكة ان يظهر نباتها اول ما تنبت .

وأفتل السَلَم والسَمُر ، أخرج الفتلة وهي حب السلم والسمر خاصة وذلك اول مايطلع .

وأزنم الشجرُ ، صار له زنمة . وأمرد النخل ، صار ذا مرادٍ وهو الخلال الصلب والخلال هو البسر اذا اخضر واستدار .

وتربّل الشجر ، أخرج الربل وهو ضرب من الشجر ينفطر آخر القيظ بعد الهيج ببرد الليل من غير مطر .

وارشى الحنظل ، امتدت أغصانه تشبيهاً له بالارشية

وأصنى النخل ، أنبت الصنوان واذا خرج نخلتان او اكثر من اصل واحد فكل واحدة منهن صِنْو والاثنان صِنْوان وصِنْيان والجمع صِنوان وقيل الصنو عام في كل فرعين يخرجان من اصل واحد في النخل وغيره .

وسَيفت النخلة تسيَف سَيَفاً ، كان فيها السيف وهو ما لزق باصول السعف من خِلال الليف وهو أرداه وأخشنه وأجفاه وكذلك انسافت .

« النبك » سالم خليل رزق

آراء وافكار

حول الجزء السابع والرابع
« من إرشاد الأريب »

قد نشر الأديب الفاضل محمد راغب الطباخ رسالة هذا عنوانها في العدد الثامن من المجلد التاسع من المجلة (ص٥٠٤) يطعن في صحة نسب هذين الجزءين لياقوت واني أعترف بان لشكوكه اصلاً واساساً وقد ذكرت أمثالها في مقدمة الطبعة الثانية من الجزء الثالث ويجب عليّ ان أسرد الاسباب التي حسّنت لي اضافتهما على رثاثتهما الى الأجزاء الثمينة .

اولها ورود تراجم عدة في الجزء السابع قد وردت في بغية الوعاة للسيوطي منسوبة لياقوت ولو فرضنا ان مزوّراً نقلها عن البغية فصحة نسبها لياقوت ثابتة على كل حال .

والثاني ما جرى في الجزء السابع من ذكر أخبار وتواريخ تتعلق باحوال ياقوت يستبعد صدورها عن غيره منها ص٢٠٩ (وقد أدركت نصر بن الحسن صغيراً ولم ألقه وتوفي سنة ٥٨٨) وهذا يشبه ما قاله ياقوت في الجزء السادس ص ٢٣٠ (مات المبارك ابن المبارك سنة ٥٨٥ أدركت زمانه ولقيت ببغداد أوانه الا انني لم أره لصغر السن) ومنها ص ٢٨٠ انه كان بالموصل سنة ٦١٣ وقد ذكر ابن خلكان في ترجمة ياقوت انه كان بالموصل سنة ٦١٣ ثم أورد ابن خلكان لياقوت رسالة طويلة زعم انه كتبها من الموصل في سنة ٦١٧ حين وصوله من خوارزم طريد التتر وقال ابن خلكان (وصادف وهو بخوارزم خروج التتر وذلك في سنة ٦١٦ فانهزم بنفسه . ونقلت من تاريخ اربل الذي عني بجمعه ابوالبركات ابن المستوفي ان ياقوتاً قدم اربل في رجب سنة ٦١٧ وكان مقيماً بخوارزم وفارقها للواقعة التي جرت فيها بين التتر والسلطان محمد بن تكش خوارزمشاه) . وقال مؤلف الجزء السابع ص ٢٦٨ (وتوفي في السنة التي عدتُ فيها من خوارزم الى الموصل سنة ٦١٨) . ولو اخذ مزوّر التاريخ من كتاب ابن خلكان لجعله سنة ٦١٧ وكتب ياقوت في مادة خوارزم من معجم البلدان (واما الآن فقد بلغني

ان التتر صنف من الترك ورودها سنة ٦١٨ وخربوها وقتلوا أهلها) وقال صاحب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ص ٩٢ (ذكر حصار التاتار خوارزم في ذي القعدة سنة ٦١٧ واستيلائهم عليها في صفر سنة ٦١٨) . وغلطة مؤلف الجزء السابع في تاريخ عودة ياقوت الى الموصل توافق غلطة ياقوت في تاريخ ورود التتر خوارزم وهذا اتفاق يدل على ان مؤلف الجزء السابع هو ياقوت . وقال مؤلف الجزء السابع ص ١٧ (انتقل الى مصر وانا بها سنة ٦٢٤) . وقد ذكر ياقوت سنة ٦٢٥ وسنة ٦٢٦ في الجزء السادس (ص٣٦٥ وص١٨٥) فكأنه لم يزل يدخل زيادات في إرشاد الاريب الى انقضاء عمره وقال ابن خلكان في الترجمة (أقام بالموصل مدة مديدة ثم انتقل الى سنجار وارتحل الى حلب وأقام بظاهرها في الخان الى ان مات) واقامته في الخان المذكور لاتنافي ذهابه الى مصر في وقت من الاوقات ولو اخذ منه راخباره من ترجمة ابن خلكان لم يكن ليذكر مثل ذلك . والثالث وفاء الجزء السابع بوعود جاءت في الاجزاء السابقة منها في الجزء الخامس ص١٩٠ (فقال ابو محمد اليزيدي : (كنا نقيس النحو فيما مضى) الخ الابيات في اخبار اليزيدي) وهي موجودة في الجزء السابع ص ٢٩٠. وقال في الجزء السادس ص١٤١ (الفضل بن محمد بن ابي محمد اليزيدي وقد ذكرنا نسبه ونسب اهله والسبب الذي لاجله سموا اليزيديين في باب جده ابي محمد يحيى ابن المبارك) وقد جاء ذلك في الجزء السابع ص٢٨٩ وقال في الجزء الخامس ص٤٤٠ (علي بن هارون بن علي ابن يحيى المنجم قد ذكرنا اباه هارون واجداده في مواضعهم من الكتاب) وترجمة هارون موجودة في الجزء السابع ص ٢٣٤ .

وقد وعد باشياء لم يف بها مؤلف الجزء السابع منها في الجزء الخامس ص ٢٨٨ (له مدح في الزمخشري ذكرته في ترجمته) . وفي الجزء السادس ص٢٨ : (يعقوب ابن احمد المذكور في بابه) والاغلب على ظني ان الجزء السابع مختصر اختصره رجل كان عنده نسخة كاملة فحذف منها اشياء لم يرغب في تخليدها وأضاف تراجم كان نقلها عن كتاب الشعراء لياقوت . واما الجزء الرابع فهو على كل حال مختصر وقد ذكرت في مقدمتي له ما يدل على انه لياقوت .

وارجو ان يقبل الاديب الفاضل عذري و يجيز لي ان اذكره المثل السائر (بعض

الشعر أهون من بعض) وأنّ أكمل تأليف ياقوت تكميلاً لا يسد كل خلل أهون عليّ من تركه ناقصاً نقصاناً ظاهراً ولن أزال ممتثلاً امره بالتنقير عن نسخ هي أكمل واصح من التي اضطررت الى النقل عنها ٠

اكسفورد : د ٠ س ٠ مرجليوث
عضو المجمع العلمي

العربة

« هل هي من وضع ابن بطوطة ؟ »

هل ابن بطوطة من اهل اللغة ؟ وهل هو الذي وضع لفظ (عربة) ؟ ! ذلك ما تبادر الى ذهني عند مطالعة جواب الصديق الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف (مجلة المجمع ٩ : ٣٥٦) على اقتراح الاستاذ الشيخ عبد القادر « المغربي » في الكلمات غير القاموسية ٠ فاني اعلم حق العلم ان الرحالة ابن بطوطة ليس هو من أئمة اللغة بل ليس هو الذي وضع مثل (العربة للعجلة التي تقل الركاب) والنبرية التي سماها المبرّد (الشاهدة : وهو مايوضع على القبر من كتابة ونحوها وهي شائعة متداولة في لهجة العامة بحلب ويجمعونها على شواهد ٠ فان ابن بطوطة ليس بعالم ولا مفكر[1] ولاريب في ان رحلته سهلة الانشاء ساذجة التعبير تكاد تجاور الانشاء المنحط احياناً فتبدو خالية من قيد التأليف والترتيب[2] وانما يعود الفضل في تعريبها واحكامها الى ابن جزي الكلبي الاديب المشهور ٠

وقد كان حضرة الصديق الاستاذ الاب انستاس الكرملي ذهب الى ان (العربة) تركية الاصل في نقده على الشيخ ابرهيم اليازجي قال في مجلة المشرق (٥ : ٥١٩) وكثيراً ما يستعمل كلة (عربة) بمعنى مركبة وعجلة وهي تركية الاصل !! ودون هاتين اللفظتين فصاحة قال ابن بطوطة في رحلته في كلامه على بلاد الترك « وهم يسمون العجلة (عربة) بعين مهملة وراء وباء موحدة مفتوحات » ولا إخال ذلك صواباً ٠ قال الامام عيسى بن علي في معجمه السرياني العربي في ترجمة مادة (ابزرا)

(١) الروائع في ابن بطوطة ٠ (٢) الروائع في ابن بطوطة ايضاً ٠

على اللفظ الشرقي (وابزرا) جناح دولاب العربة . وانت خبير ان عيسى بن علي من أركان دار الترجمة ببغداد في العهد العباسي اي في أواخر العصر التاسع للمسيح . فكلمة (العربة) قديمة العهد سبقت ذاك العصر ولو لم تكن مشهورة متداولة في عهد ابن علي المشار اليه لما كان فسر بها بعض لفظ ابزرا الارامي السرياني . ولا إخالها فارسية دخلت الارامية ولعلها ارامية سريانية فانها في هذه اللغة (عربا) اى العربة على ما روى ابن علي السابق الذكر . فهي والحالة هذه — قبل ابن بطوطة باعصار كما هو ظاهر .

ومن بحث عن العربة في معاجم اللغة الارامية السريانية رأى ابن علي يقول في مادة (ابزرا) على اللفظ الشرقي جناح دولاب العربة . وقال بعده ابن بهلول من لغويي القرن العاشر للميلاد في مادة ابزرا جناح العربة . وقد ذكر ابن علي عربا على اللفظ الشرقي[1] بمعنى العربة (العجلة) كما مر بك آنفاً . واما في مادة عربا فقال معصرة الزيت و يقال اناء الزيت . وقال وعربا ايضاً العربة وهي الرحى التي تكون في الزورق في الماء . وقال ابن بهلول عربا اناء الزيت ومعصرة والعربة التي يطحن بها . واما لغويو السريان الحدثاء كيعقوب منّا الكلداني فقد قال في معجمه في مادة ابزرا مجل صك ٢ جناح دولاب العربة (وهو لفظ ابن علي كما رأيت) ٣ أداة محراث الفدان ٤ بزّار بائع البزر ٥ آلة حياكة . وقال في عربا مؤنثة غرب خلاف صفصاف ٢ غرب ٣ عربة طاحون رحى يديرها الماء ٤ قصعة معجن جفنة طويلة ٥ نقير حجر اجانة معصرة . وقال قبله العلامة القرداحي في لبابه في مادة بزر (وابزرا) ايضاً دولاب العربة والبزّار (اي بياع البزر) والمحراث عن ابن بهلول وقال في مادة عرب عربا المغرب والمعجن اي ما يعجن فيه وعربا بالجمع الغرب وعربا ايضاً الحمص اه .

وقال العالم احمد وفيق باشا في معجمه (اللهجة العثمانيـة) عَرَبة خطأ محض . لان العين لا وجود لها في اللغة التركية ولعل المراد (ارابه در) وألحقها بحرف (ن) اي فلتنظر او فلتحرر عن مجلد ٢ ص٨٠٤ وهذا يؤكد ما سبق وقلته لا اظن العربة من

---

(١) اعتمدت هذا اللفظ فيما نقلته عن الارامية السريانية اقتداء بالعرب القدماء الذين عربوا ماعربوه بهذا اللفظ الشرقي مثل برنساء وما اشبه .

أصل تركي . وقال الاستاذ الزبيدي في تاج العروس في (فصل العين من باب الباء عرب) (و) العربات (سفن رواكد في دجلة) النهر المعروف واحدتها عربة (مجلد ١ ص ٣٧٦) وهذا يحقق ماقاله لغويو السريان جناح دولاب العربة في الماء و يرجح ان اللفظ أعجمي . وقد كان معروفاً في بغداد خاصة ولما كانت العجلات من أعتاد الحرب عند الشعوب القديمة فقد توسعوا في معنى العربة فنقلوها من معنى الرحى التي تكون في الماء وما أشبه الى معنى المركبة او العجلة التي تدار على دولابين او اكثر فعرفت بهذا المعنى .

ومهما يكن من الامر فقد ثبت من هذا البحث اللغوي ان العربة بمعنى العجلة اوالمركبة قديمة العهد قد سبقت ابن بطوطة بأزمان طويلة وانها دخيلة في اللغة العربية واللغة التركية ولعلها آرامية سريانية و يراد بها الرحى او العجلة التي تدور على دولابين او اكثر ونقل الركاب .

و بهذا القدر غنى وكفاية في تحقيق اصل كلمة وقدمها العهيد .

حلب : الخوري جرجس منش
عضو المجمع العلمي

الإران و (بيدمر)

قرأت تعليق صديقي الأستاذ « المغربي » على كلمة (إران) التي وجدت مرقومة على بعض التوابيت الحجرية الفينيقية (مجلة المجمع م ٩ ص ١٤٨) فذكرتُ بعدها ان قرويي فلسطين لا يزالون يسمون التابوت الحجري بالـ (ران) بلا الف و يجمعونها على رانات فالظاهر ان هذه التسمية اتصلت اليهم مما كان منقوراً في تلك التوابيت من الامم الفينيقي .

وتكثر هذه الإرانات عند آبار المياه في القرى اذ يمتاحون الماء بالدلاء و يضعونه فيها لسقي ماشيتهم .

على ان الزان في اللغة العربية ضرب من الأحذية . قال الفيروزابادي في مادة الزين : (الزان كالخف الا انه لا قدم له وهو أطول من الخف) .

وقرأت في مجلة مجمعنا العلمي المقال الممتع الذي كتبه زميلي الاستاذ الشيخ سليمان ضاهر عن (صلة العلم بين دمشق وجبل عامل) فاستوقفني توقفه في حاشيته على مقتل محمد بن مكي بن حامد العاملي الجزيني (م ٩ ص٢٧٨) — ان يكون بيدمر الخوارزمي حياً في سنة ٧٨٦ التي قتل بها في حين ان ابن الوردي يذكر ان بيدمر البدري نائب حلب قتل في سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م كأن الاستاذ يظن انهما واحد والصواب ان بيدمر الخوارزمي لم يل نيابة السلطنة قبل سنة ٧٦٠ هـ ١٣٥٩ م اي بعد مقتل سميه البدري باثني عشر عاماً . فقد ولي الخوارزمي النيابة بحلب ثم بالشام اي دمشق(١) وشق عصا الطاعة في الأخيرة ثانية بعد أولى . ثم أفرج عنه وأعيد لنيابة الشام وكان بها سنة ٧٨٦هـ ١٣٨٤م وفي تلك السنة ذهب لزيارة الملك الظاهر برقوق ونال الحظوة لديه وعاد الى دمشق .

فبيدمر الخوارزمي هو غير بيدمر البدري بل هناك معاصر ثالث لهما يدعى بيدمر الجدي كان شاد القصر السلطاني في سنة ٧٩١ هـ ١٣٨٩ م .

زد على ذلك ان محمد بن مكي بن حامد كان في سجن دمشق عاصمة المملكة الشامية ولا سلطان لنائب حلب عليه لانه في مملكة أخرى .

عبد الله مخلص

عضو المجمع العلمي

---

(١) كان في بلاد الشام سبع ممالك يديرها نواب السلطنة المصرية وهي : الشامية وعاصمتها دمشق والحلبية والحماوية والكركية والطرابلسية والصفدية والغزاوية وعواصمها المدن المسماة بها اي حلب وحماة والكرك وطرابلس وصفد وغزة وقد نقلناها باسمائها الرسمية المعروفة والمدونة في تلك الايام وان كانت جاءت النسبة ببعضها على غير القياس .

مطبوعات حديثة

مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين

« تأليف الامام ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المتوفى سنة ٣٢٤ »

« الجزء الاول في الجليل من الكلام عني بتصحيحه الاستاذ ه . ر يتر »

« وطبع في مطبعة الدولة في استانبول سنة ١٩٢٩ عدد صفحاته ٣٠٠ »

هذا كتاب من الامهات القديمة في الملل والنحل كتب قبل كتب الشهرستاني وابن حزم وعبد القاهر البغدادي فكأنه المصدر الاول الذي استق منه هؤلاء الثلاثة الذين وصلت الينا مؤلفاتهم في المذاهب الاسلامية « سلك سبيلاً بعيدة من التعصب والتحيز الى فئة وترك ما اختاره بعض المتأخرين من التشنيع على المخالفين وتكفيرهم ولعنهم » على ما قال الناشر . وقد قدم له مقدمة بديعة بالعربية ذكر فيها رأيه في الكتاب والاصل الذي نقل منه وغير ذلك من الفوائد التي دلت على إحاطته بعلم الكلام الاسلامي . وقد صححه معارضاً له على بعض المظان بحيث تكفي نظرة واحدة من المطالع على صفحة منه ليدرك مبلغ الجهد الذي يجهده علماء المشرقيات في نشر آثار سلفنا الصالح . وبعد هذا ألا نغتبط باحياء هذا الكتاب ويحق علينا ان ننسج عبارات الثناء على ناشره العالم المحقق . م . ك

الرحلة العلمية

« في العواصم الشرقية والغربية »

— للدكتور فؤاد غصن في بيروت صفحة ١٢٨ —

نُدب هذا الطبيب الأديب الى درس الطب الشرعي عند بعض الامم فزار فلسطين ومصر و باريز و برلين ولندرا وذكر شيئاً من نهضتها في العلوم الطبيــة ووصف العواصم التي زارها وصفاً مختصراً يلمّ به القارئ الماماً خفيفاً بتاريخها وحاضرها . وقد عني عناية خاصة بذكر من احتفوا به ودعوه الى طعامهم من التجار والاطباء وغيرهم على صورة ذكرتنا بما ألفه العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلاته من التنويه بمن أولموا له

ولائم وذيجواله الخرفان وبذلوا له الرغفان · ولكن النابلسي كتب منذ مائتي سنة والدكتور فؤاد غصن متشبع بالروح العصري وهو ينسج على منوال من كان أفقهم ضيقاً · وحبذا لو كان تجنب مثل ذلك واخذ في رحلته على الاقل باسلوب ابن جبير وابن بطوطة اللذين دونا رحلتيهما في القرون الوسطى وخلتا من هذه الانانيات · م · ك

الدروس العربية للمدارس الثانوية

« تأليف كل من الاستاذين عبد الله مشنوق ومحمد طاهر اللاذقي طبع في »

« بيروت سنة ١٩٢٩ م وهو يشتمل على ١٦٣ صفحة »

قال المؤلفان في مقدمة هذا الكتاب : (اخترنا القطع المناسبة المفيدة لمشاهير الكتاب في فنون متنوعة و باساليب مختلفة وعرفنا المشهور من رجالها · ثم أردفنا ذلك بشرح غريب الألفاظ وطالبنا التلميذ باستعمال بعضها في تراكيب عربية صحيحة ثم اتبعناها باسئلة ليستعين بها الطالب على استذكار ما قرأه الخ) فالكتاب إذن كتاب مدرسي يتمرن به الطالب على الفصاحة والبلاغة علماً وتطبيق ما كان تعلمه من القواعد عملاً ·

ومؤلفا الكتاب من خيرة العاملين في نشر التربية والتعليم اولهما مدير مدرسة البنين الاولى لجمعية المقاصد في بيروت والآخر مدرس العربية في المدرسة نفسها · فلا غرو ان يقع تأليفهما الموقع اللائق به من نفوس مديري المدارس واساتذتها فيقبلوا على تدريسه فانه بذلك جدير ·

الفقيد العظيم

هو المرحوم فوزي بك الغزي أستاذ الحقوق الدولية في معهد الحقوق بدمشق المتوفى في ٦ تموز سنة ١٩٢٩ · وقد جمع تلميذه السيد لطفي اليافي احد طلاب الحقوق نبذاً من تاريخ حياته وخطبه وكلماته المأثورة وصورة عن الدستور السوري الذي وضع قواعده الفقيد وبعض مراثيه ووصف موكب جنازته وطائفة من رسومه — جمع كل ذلك في كتاب بلغ ١٨٠ صفحة مطبوعة طبعاً حسناً · والكتاب جدير بالمطالعة كما ان جامعه جدير بالشكر ·

الجزء ١٢ المجلد ٩

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : كانون الاول سنة ١٩٢٩ م الموافق رجب سنة ١٣٤٨ ه

بشار بن برد(١)

لما قامت الدولة العباسية على أثر سقوط الدولة الأموية اخذت الحضارة العربية شكلاً غير شكلها الاول : فالأوضاع الادارية تبدلت · والنزعات العقلية تغيرت · ودائرة العلم والفن والترف انفسحت وتوسعت · وقد دعا كل هذا الى ظهور نهضة جديدة في الشعر والأدب فاقت ما تقدمها من النهضات · واتفقت كلمة كتاب تاريخ الآداب العربية على ان حامل لواء الشعر في صدر الدولة العباسية هو (بشار بن برد) ·

ولكن أتظنون ان بشاراً يرضى بهذا ؟؟ فهو يزعم انه لو كان في عهد الجاهلية لبذّ فحولها· وأبرّ على شعرائها : فمما أثر عنه انه قال (أزري بشعري الأذان) · كنى بالأذان عن الاسلام لأنه من أعظم شعائره · يريد ان ظهور الاسلام بقرآنه وبلاغة آياته غطّى عليه · وحال دون شهرته · والا فلو كان في زمن الجاهلية وقبل نزول القرآن لكان له شأن غير هذا الشأن ·

(نسب بشار ونشأته) : برد ابو بشار فارسي الاصل من بلاد طخارستان ويظهر من قول جغرافيي العرب وجعلهم كابل من ثغور طخارستان أن طخارستان هي بلاد الافغان او انها كورة كبيرة منها · جاء برد البصرة في جملة سبي المهلب بن ابي صفرة فأهدته امرأة المهلب الى صديقة لها من بني عُقَيل · فأعتقته العقيلية · وتزوج برد · فولدله بشار · فكان

---

(١) محاضرة القاها الاستاذ «المغربي» في ردهة المجمع بتاريخ ٣٠ ايار سنة ١٩٢٤ م

بشار مولىً ولم يكن عربياً . ونشأ في بني عُقيل الأعراب الاقحاح فاستحكمت فيه ملكة اللغة العربية الفصيحة .

ولد بشار في أُخريات ايام دولة الأمويين اي في حدود المئة للهجرة . ولما قام العباسيون كان في طور الشباب فهو من مخضرمي الدولتين اي انه عاش في زمنيهما . لكن اشتهاره بالشعر انما وقع في عهد المنصور العباسي . ثم في زمن ابنه المهدي . وقتله المهدي سنة مئة وثمان وستين للهجرة للأسباب الآتي ذكرها — بعد ان عاش سبعين ونيفاً من العمر . وكان ضخم الجثة طويلاً آدم اللون مجدوراً عظيم الخَلق والوجه وقد ولد أعمى وكانت حدقتاه جاحظتين (اي ناتئتين) وقد تغشاهما لحم احمر . فكان أقبح العميان عمىً . وأفظعهم منظراً . وما أقرب الشبه وأبعده بين بشار وابي العلاء المعري : الشبه بينهما قريب من حيث ان كلاً منهما ولد أعمى او عمي بالجدري وهو صغير . ثم لما تعلقا بالأدب والشعر ساعدهما عمى عين البصر على انفتاح عين البصيرة . فانصرفت مخيلتهما بكليتها الى سمو التصور الفكري . والإبداع في التخيل الشعري . حتى بلغا في ذلك مبلغاً ينحط عنه السيل . ولا يرقى اليه الطير . وقد تشابها ايضاً من حيث انطلاق فكرهما مما تقيد به غيرهما : فذهبا في التصريح فيما يعتقدانه كل مذهب . ومن جراء ذلك رُميا بالكفر ونسبا الى الزندقة .

هذا وجه التشابه بينهما اما وجه التباين والتخالف فظاهر في أن بشاراً كان فارسي النجار . اما ابو العلاء فكان عربياً قحّاً . وكانت فلسفة بشار فلسفةً مادية باطلة . حاشا فلسفة ابي العلاء فان فلسفته روحيةٌ فاضلة . وكان معظم شعر بشار فيما يثير الشهوة ويهون أمر الرذيلة . بينما كان ابو العلاء شريف النفس عفيفاً موفور الكرامة . ومعظم شعره فيما يثير حب العمل الصالح في النفس ويحض على ممارسة الخير والفضيلة والتأمل في أسرار الكون ونواميس الاجتماع .

كان برد والد بشار طياناً حاذقاً بالتطيين . فلما ولد له بشار كان يقول ما رأيت مولوداً أعظم بركة منه . ولقد ولد لي وما عندي درهم فما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم . ثم قال بشار الشعرَ وهو صغير في حياة ابيه . فكان اذا هجا قوماً جاؤا أباه وشكوه اليه فيضربه ضرباً مبرحاً . فكانت أمه تقول له : الى كم تضرب هذا الصغير ? اما ترحمه ?

فيقول بلى والله ولكنه يتعرض للناس فيشكونه الي . فسمعه بشار يوماً يقول هذا القول لأمه فهتف به : يا أبت ! ان هـذا الذي يشكونه مني اليك هو قول الشعر . واني ان ألمتُ به أغنيتك وسائر اهلي . فان شكوني اليك بعد الآن قل لهم : أليس الله يقول : (ليس على الأعمى حرج) . فلما عادوا وشكوه قال لهم برد : أليس الله يقول : (ليس على الاعمى حرج) فانصرفوا وهم يقولون « تالله لفقه برد أغيظ لنا من شعر بشار » .

من هذه الساعة . من حضن العائلة . من بين ذراعي الأب والأم اختط بشار لنفسه خطة التهجم على الاعراض توصلاً الى الكسب واغناء اهله .

وطريقته هذه هي نفس طريقة (الحطيئة) الشاعر الجاهلي من حيث ان كلاً منهما اتخذ الهجوَ وهتكَ أعراض الناس وتهديدهم باذاعة أسرارهم — طريقاً الى جر مغنم . اودفع مغرم . وهذه الطريقة هي ما يسميه أدباء الافرنج (شانتاج) ويظهر ان في شعرائهم كثيرين مشوا على هذه الطريقة الملعونة .

وقد عرف بشار وهو صغير جريراً الشاعر وسمع شعره . فهاج في نفسه الشاعرية وحبب اليه الاشتهار بالشعر . وارتأى ان ينال هذه الشهرة على حساب جرير . وحاول ان يهجوه فيردَّ عليه جرير . فيشيعَ ذكره . ويعظم امره . لكن جريراً أعرض عنه . استخفافاً به . قال بشار : (ولو هاجاني لكنت أشعر الناس)

وكان لبشار أخوان قصابان وهما (بشر و بشير) فكانا يستعيران ثياب اخيهما الاعمى بشار ويلبسانها في مهنتهما . فتتسخ وتنتن ريحهـا . وكان هو باراً بهما . صبوراً على أذاهما . وفي آخر الامر اتخذ لنفسه ثياباً خاصة . وحلف ان لا يعيرهم اياها . فكانوا يأخذونهـا بغير اذنه ويلبسونها . فكان اذا أعياه الامر لبسها وخرج الى الناس بها على نتنها ووساختهـا . فيقال له ماهذا يا أبا مُعاذ ؟ (وهي كنيته) . فكان يقول لهم « هذه ثمرة صلة الرحم !!! » .

(اخلاقه واطواره) : كان بشار كثير التلوّن لاثبات له ولاسيما في امر نسبه وعروبته وشعوبيته : فهو تارةً يفتخر بولائه للعرب . وطوراً يتبرأ منهم ويتعصب للعجم . وآونةً يتبرم بالفريقين . ولسان حاله ينشد قول زميله ابي العلاء المعري الذي قال بعد التجربة :

(لعمري لقد جربتُ عجباً كثيرة وعرباً : فلا عجباً حمدت ولا عربا)

وكان من أشد الناس تبرماً بالناس . وكان يحمد الله على العمى . فيقال له ولما ذا يا أبا معاذ ؟ فيقول لئلا ارى الثقلاء . وكان اذا اراد ان ينشد شعراً صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتي بالعجب .

اما مذهبه الفلسفي الذي كان السبب في تهمته بالزندقة فهو ملخص في هذه الجملة التي كان يقولها « انا لا أعرف الا ما عاينته . او عاينت مثله » فالرجل على ما يظهر من كلمته هذه كان مادياً لا يعرف الا المادة . والمدركات المحسوسة . فمذهبه هذا يقرب من المذهب الفلسفي الحديث وهو مذهب الحاسيين او التجربيين . ومؤسسا هذا المذهب باكون و ديكارت . وقد يكون الذي حمل بشاراً على هذا المذهب غلو المتنطعين من الجلجلوتيين والحشويين . وشدّ ما كان هؤلاء الحشويون الذين يكذبون على الدين سبباً في تبرم العقلاء . وسوء ظن الفضلاء : مر بشار بقاص من هؤلاء الحشوية يقص في المسجد فسمعه يقول : من صام رجباً وشعبان ورمضان بنى الله له قصراً في الجنة : صحنه الف فرسخ في الف فرسخ . وعلوه الف فرسخ . وكل باب من ابوابه عشرة فراسخ في مثلها . فالتفت بشار الى قائده وقال : (بئست والله هذه الدار في شهر كانون الثاني) يعني انها أفرط سعتها لا تدفأ . فبسبب هذه الحكاية قد يتهمون بشاراً انه ينكر وجود الجنة . والحق انه انما ينكر على هؤلاء القصاص الحماقات التي يبرأ الاسلام منها .

و يشبه هذا ان بشاراً كان ينتظر يوماً الاذن على المهدي والمهدي في مجلس الخلافة وكان مع بشار في الانتظار آخرون وبينهم مولى من موالي المهدي المتملقين اسمه (المعلى ابن طريف) فسأل المعلى عن معنى تفسير قوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل) الى قوله (يخرج من بطونها شراب)— ما هو النحل ؟ وما هو الشراب ؟ فسكت الحاضرون لكن بشاراً لا يهاب احداً فأجابه : النحل معروف والشراب هو العسل . قال هيهات : النحل بنو هاشم والشراب الذي يخرج من بطونهم هو العلم هو العلم . فلم يطق بشار صبراً فقال له : « جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم » فغضب الرجل وضج الحاضرون وبلغ الخبر الخليفة المهدي فدعا بهما وأعاد عليه القصة فضحك . والتفت الى الرجل وقال له حقاً انك بارد غث .

وكان ينشد المهدي يوماً وفي المجلس خال المهدي يزيد بن منصور الحميري فلما فرغ بشار أقبل عليه يزيد وسأله (ياشيخ ماصناعتك ؟) قال أثقب اللؤلؤ . فضحك القوم فقال المهدي ويلك أتتنادر على خالي ؟ قال وما اصنع يا امير المؤمنين! يراني شيخاً اعمى انشد الخليفة شعراً فما عسى تكون صنعتي سوى الشعر .

فغباوة هؤلاء الاغبياء جعلته ينفلت بكلمات حسبوها عليه زندقة . ورب زندقة انتجتها مخرقة .

(فضله وفصاحته وتمكنه من اللغة العربية) : قال الجاحظ في (البيان والتبيين) « بشار من المطبوعين اصحاب الابداع والاختراع المتفننين في الشعر الآخذين في اكثر اجناسه وضروبه » . وقال نجم ابن النطاح « عهدي بالبصرة وليس فيها غزل ولاغزلة الا وهو يروي من شعر بشار . ولا نائح ولانائحة ولا مغنية الا تتكسب بشعره . ولا ذو شرف الا وهو يهابه . ويخاف معرة لسانه » . وقال المبارك لبشار « ليس لاحد من شعراء العرب شعر الا وفيه المستكره المشكوك فيه من الالفاظ سوى شعرك » قال : ومن اين يأتيني الخطأ وقد نشأت في حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل . وان دخلت الى نسائهم فنساؤهم أفصح . ثم أيفعت فأبديت (اي دخلت البادية) الى ان ادركت . فمن اين يأتيني الخطأ ؟

قال بعضهم : سألت ابا عبيدة عن السبب الذي من اجله شدد المهدي في نهي بشار عن شعر الغزل والنسيب قال : كان اول ذلك افتتان نساء البصرة وشبانها بشعره حتى قال القاضي سوار ومالك ابن دينار : ما شيء ادعى لاهل البصرة الى الفسق من اشعار هذا الاعمى .

وكان واصل بن عطاء يقول : ان من اخدع حبائل الشيطان واغواها كلمات هذا الاعمى الملحد . فلما كثر ذلك وانتهى خبره الى المهدي من عدة جهات نهاه المهدي عن الغزل والتشبيب . وكان المهدي شديد الغيرة . قال : فقلت لابي عبيدة : ولكن ماحسب ان شعر بشار أبلغ في التشبيب والغزل من شعر عشاق العرب : (عروة بن حزام) و (مجنون ليلى) و (كثير عزة) و (جميل بثينة) — قال : ليس كل من يسمع أشعار هؤلاء يفهم المراد منها . اما بشار فيقارب النساء . حتى لايخفى عليهن ما يقول في شعره .

واي حرة حصان تسمع قول بشار ولا يؤثر في قلبها فكيف بالمرأة الغزلة . والفتاة الطامعة . ثم انشده ابو عبيدة قصيدة بشار التي قال فيها :

(قولي لها بقـة لها ظفر   ان كان في البق ما لها ظفر)

أما تمكن بشار من العربية فذكروا له شواهد : منها انه كان له صديق اسمه (ديسم العنزي) فبلغ بشاراً ان ديسماً هذا يروي شعراً لخصوم بشار في هجوه فغضب وقال :

(أديسم يا ابن الذئب من نجل زارع   أتروي هجائي سادراً غير مقصر)

سئل ابو زيد الانصاري عن معنى هذا البيت ؟ فسألهم ولمن هو ؟ قالوا لبشار . قال : قاتله الله ما اعلمه بكلام العرب ! ثم فسره لهم فقال (ديسم) اسم الرجل صديق بشار وهو في اصل اللغة اسم لولد الذئب من الكلبة . كما ان (العسبار) ولد الضبع من الذئب و (السمع) ولد الذئب من الضبع . فقول بشار لصاحبه (أديسم يا ابن الذئب من نجل زارع) هو بمنزلة قوله له : اسمك ديسم وليس الديسم سوى ولد الذئب من الكلبة . فأبوك ذئب وأمك كلبة . وقوله من نجل زارع . اي من نجل الكلاب . والعرب تسمي الكلاب (اولاد زارع) لماذا ؟ لانهم يلقون اقذارهم في الطرقات و يزرعونها هنا وهناك .

ومن الشواهد على دقة نظر بشار في الشعر وشدة نقده له انه لما انشد مناظره في الشهرة الشعرية : مروان ابن ابي حفصة قوله :

(واذا قلت لها جودي لنـا   خرجت بالصمت عن لا ونعم)

قال له مروان : (هلا قلت « خرست بالصمت » مكان خرجت بالصمت) فقال له بشار (إذن انا في عقلك !! فض الله فاك !! أأتطير على من أحب بالخرس) ؟؟

وكان بشار يجذب قلوب الناس اليه فكانوا يترددون الى مجلسه لمشاهدة خلقته وسماع شعره . وحسن نادرته . فكان في كل امره معجباً . وكان النساء المتظرفات يدخلن عليه في الاسبوع مرتين فيجتمعن عنده ويسمعن من شعره ويطارحنه النوادر . قالت له احداهن مرة (اي رجل انت لو كنت اسود اللحية والرأس) قال : (لو علمت ان بيض البزاة أثمن من سود الغربان) قالت (أما قولك فحسن في السمع . ومن لك بان يحسن شيبك في العين . كما حسن قولك في السمع) فكان بشار يعيد قولها ويتعجب من حسنه . ويقول انه لم يفحمه في حياته غيرها .

(كثرة شعره) : قلنا ان بشاراً نظم الشعر وهو ابن عشر سنين ثم عاش زهاء الثمانين سنة · فكم نظم في مدة السبعين او الستين سنة من القصائد والمقطعات ؟ افتخر مرة بان له اثني عشر الف بيت جيد · فاستبعدوا ذلك واستكثروه · فقال اني نظمت اثنتي عشر الف قصيدة · ألا يوجد في كل قصيدة منها بيت جيد ؟ فهو ولا ريب من اكثر الشعراء شعراً · لكن لم يبق من شعره سوى القصائد النزرة · والقطع المتفرقة · في ثنايا كتب الادب ومجاميع الشعر · وقال مؤرخو أدب العرب انه ليس لبشار ديوان مجموع وعللوا ضياع شعره بما تضمنه من السب والقذع والطعن في الاعراض واوصاف النساء والاقوال الغزلة التي تفسد نفوسهن وتحبب اليهن الرذيلة مما حمل صلحاء عصره وخاصة الحسن البصري ومالك بن دينار وواصل بن عطاء على التشنيع عليه وشكوه المرة بعد المرة الى الخليفة المهدي ووزيره (يعقوب بن داود) فصدر امر الخليفة بنهيه عن ذكر النساء والشعر الغزل المفسد للاخلاق والضار بالآداب العمومية كما نقول في اصطلاحات هذه الايام · وربما صادرت الشرطة الاوراق والدفاتر التي فيها شعره من ايدي الناس ومنعوا المغنون في المحافل العامة والاسواق عن التغني بشعره · كما يفعل ولاة الامور اليوم في مصادرة الكتب البذيئة والتصاوير الماجنة والمقالات المهيجة ·

ومما ساعد على ضياع شعره ان بشاراً في آرائه السياسية لم يكن موالياً للدولة الجديدة الناهضة أعني الدولة العباسية حتى أدى الامر الى قتله كما سيجيء · فلم يكن احد من الوراقين أو النساخين يجرأ على جمع شعره في ديوان · هذا ماقاله مؤرخو الآداب العربية في سبب اضمحلال أشعار بشار ·

اما ما يعلمه مجمعنا العلمي من هذا القبيل فهو ان السيد منيب الناطور احد أدباء بيروت كان سعى منذ بضعة عشر سنة في جمع ديوان لبشار وكان يلتقط أشعاره ويبحث عنها في مختلف الأقطار حتى انه استنجد برصيفنا الاستاذ (المعلوف) فاستنسخ له طائفة من شعر بشار وقصائده من بلاد الروسية · ثم لم نعلم اي مانع منع السيد منيب الموما اليه من انجاز طبع تلك الاشعار ونشرها · ما لنا ولهذا فان لدى المجمع العلمي من خبر بشار ماهو اقرب وأطرب : ذلك ان صديق المجمع الأبر (احمد تيمور باشا) كتب الى المجمع ان المؤرخ التونسي الشهير واحد اعضاء مجمعنا (الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب) قد عثر في تونس على

ديوان بشار ٠ وانهم شارعون في طبعه ٠ لكن لاندري ان كان هذا الديوان قد جمع في القرون الاولى ٠ او مما جمعه المتأخرون من أشعار بشار المبعثرة في كتب الأدب على نمط مافعله (السيد منيب الناطور) ٠

(عيون أشعار بشار) : لا يُذكر بشار الا ويُذكر معه على الفور بيته المشهور :

(كأن مُثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه)

وموضع النكتة في هذا البيت ان قائله قد عمي في بطن أمه لكنه اهتدى من حسن التشبيه في هذا البيت الى ما لم يهتد اليه البصراء ٠

ومن مشهور قوله في المديح :

(لمستُ بكفي كفه ابتغي الغنى ولم ادر ان الجود من كفه يعدي)
(فلا انا منه ما افاد ذوو الغنى أفدتُ وأعداني فأفنيت ماعندي)

وقوله (اذا دهمتك عظام الامور فنبه لها عمراً ثم نم)

وقوله (يا واحد العرب الذي امسى وليس له نظير)
(لو كان مثلك آخراً ما كان في الدنيا فقير)

وقوله في خالد بن برمك جد البرامكة :

(أخالد ان الحمد يبقى لأهله جمالاً ٠ ولا تبقى الكنوز على الكد)
(فأطعم وكُل من عارة مستردة ولا تبقها : ان العواريّ للرد)

وقد أعجب خالد بهذين البيتين حتى امر بان يكتبا ويعلقا في صدر مجلسه كما نفعل اليوم من تعليق الأشعار على جدران بيوتنا ٠ وقال ابنه يحيى البرمكي : آخر ماأوصاني به ابي العمل بهذين البيتين ٠ إذن الشهرة المعظمة التي نالها البرامكة في الكرم والجود كان لبشار وشعره يد فيها ٠ ومن مشهور قوله في الفخر :

(اذا الملك الجبّار صعّر خده مشينا اليه بالسيوف نعاتبه)

وأشهر من هذا قوله :

(اذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس اوقطرت دما)
(إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلما)

وقال له بعض اصدقائه يوماً : يا ابامعاذ بينا نقول مثل هذا الشعر الذي يخلع القلوب نسمعك تعود فتقول :

(رَبابة ربة البيت تصب الخل في الزيت)
(لها عشر دُجاجات وديك حسن الصوت)

فما هذا التفاوت في شعرك يابشار ؟ فأجابه : لكلٍ وجهٌ وموضع يااخي : فان قولي (اذا ما غضبنا غضبة مضرية) في موضع جد . وقولي (ربابة ربة البيت الخ) قصدت به الهزل مع جاريتي ربابة : انا لا آكل البيض من السوق . فأمدح ربابة لتعتني بالدجاجات وآكل بيضاً طرياً . والشعر الذي قلته في ربابة هو في نفسها أبلغ من (قفا نبك) في نفسك .

وما اعتذر به بشار عن نفسه يُعتذر به عن كثيرين من فحول الشعراء الذين يعزى اليهم شيء من الشعر الساقط : فانهم قد يكونون قالوه لمناسبة مثل مناسبة ربابة .

ومن قوله في الفخر ايضاً :

(يريدون مسعاتي ودون لقائها قناديل أبواب السماوات تزهر)

وقد سمى في هذا الشعر نجوم السماء بالقناديل .

ومن مشهور شعره في الغزل والنسيب البيت الذي حكم مؤرخو آدابنا العربية انه أغزل شعر قاله المحدثون وهو :

(انا والله اشتهي سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق)

ومن أغزاله (يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والاذن تعشق قبل العين احيانا)

وقوله (هل تعلمين وراء الحب منزلة تدني اليك فان الحب أقصاني)

وقوله (لم يطل ليلي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف أَلمّ)

(رفهي يا عبدُ عني واعلمي انني يا عبدُ من لحم ودمّ)

(عبدُ) مرخم (عبدةُ) وهي امرأة كان بشار يتغزل بها . و يغلطون فينسبون هذه الابيات الى عنترة العبسي و يجعلون مكان يا عبد ياعبل .

وقوله (اذا قامت لحاجتها تثنت كأن عظامها من خيزران)

وقوله (حوراء ان نظرت اليـ ـك سقتك بالعينين خمرا)

(وكأن رجع حديثها قطع الرياض كُسين زهرا)
(وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا)

وقوله (وما كأنني دارها اذ سألتها وفي كبدي كالنفط شبت به النار)

النفط كاز البترول وقد ضرب به مثلاً لشدة الاحراق .

واستأذن على المهدي فأذن له بشرط ان لا ينشده غزلاً فدخل وأنشد :

(يا منظراً حسناً رأيته من وجه جارية فديته)
(بعثت اليّ تسومني بُردالشباب وقدطويته)
(و يشوقني بيت الحبيـ ـب اذا ادّكرت واين بيته)
(حال الخليفة دونه فصبرت عنه وما قليته)
(ونهاني الملك الهما م عن النساء وما عصيته)
(إن الخليفة قد ابى واذا ابى شيئاً أبيته)

هذا مبلغ شعر بشار من التخنث والغنج في حال توبته وإنابته . فكيف يكون مبلغه في حالة لهوه وخلوته . لاجرم انه يحق للمهدي ان يقطع من إصلاحه الأمل . ثم يطّرحه و يتربص به العلل . وقد فعل .

بشار في زمنه كان كجريدة حية من جرائد هذه الايام لكنها خصصت صفحتها الاولى للغزل والتشبيب وذكر النساء . وصفحتها الثانية للهجو والقذع والنيل من الاعراض . وصفحتها الثالثة للفخر والتمجد والمطاولة . اما صفحتها الرابعة وهي صفحة الاعلانات فقد خصها بذكر شيء من الحكم والمواعظ والأمثال : من ذلك أبياته البليغة في الحض على الاستشارة التي يقول في أولها

(اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيح او نصاحة حازم)

وقد بلغت هذه الابيات من الشهرة مبلغاً أصبح إنشادها معه مما يبعث على الملل والضجر . وقد رزقت هذه القطعة حظها من الشهرة وإعجاب الناس بها في كل زمان حتى في زمن بشار نفسه . قال الأصمعي قلت لبشار ان الناس يعجبون من ابياتك في المشورة فأجابه هذا الجواب البديع : « يا اباسعيد ان المشاور بين امرين : بين صواب

يفوز بثمرته · او خطأ يشارك في مكروهه » قال الاصمعي فقلت « انت والله في قولك هذا أشعر منك في شعرك »

ومن الحكم قوله (اذا كنت في كل الامور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه)
(اذا انت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت : واي الناس تصفو مشاربه)

ومنها قوله (وخلِّ الهوينا للضعيف ولا تكن نؤوما : فان الحزم ليس بنائم)
(وحارب اذا لم تعط الا ظُلامة شبا السيف خير من قبول المظالم)

ومنها قوله (ان الكريم ليُخفي عنك عسرته حتى تراه غنياً وهو مجهود)
(بُثّ النوال ولا تمنعك قلته فكل ما سدّ فقراً فهو محمود)

ومنها قوله (خليليَّ ان المال ليس بنافع اذا لم ينل منه أخ وصديق)
(وكنتُ اذا ضاقت عليَّ محلة تيممت أخرى ما عليَّ تضيق)
(وما خاب بين الله والناس عامل له في التقى او في المحامد سوق)
(ولا خاب فضل الله عن متعفف ولكن أخلاق الرجال تضيق)
(وما كنتُ الا كالزمان : فان صحا صحوتُ وان ماق الزمان اموق)

(ماق) يعني (حمق) ·

ومن أمثاله (أعمى يقود بصيراً لا ابا لكمو قد ضل من كانت العميان تهديه)

ومنها (وكان كالعير : غدا طالباً قرناً فلم يرجع باذنين)

ومنها (يسقط الطير حيث يلتقط الحـ ـبّ وتغشى منازل الكرماء)

ومن مبالغاته الشعرية

(في حلتي جسم فتىً ناحل لو هبت الريح به طاحا)

يقول ان الريح لوهبت عليه حملته والقت به الى بعيد وذلك لنحول جسمه · فقال له احد اصدقائه « يا ابن الفاعلة أتقول هذا وانت كالفيل عرضك أثقل من طولك !! » وقد مر في صفة بشار انه كان ضخم الجثة طويلاً · ومن شعره قوله في العذال

(ما ذا عليهم ومالم خرسوا لو انهم في عيونهم نظروا)
(اعشق وحدي ويؤخذون به كالترك تغزو فتؤخذ الخزر)

يقول انه هو يعشق وعذاله ينغصون عيشهم ويضرون انفسهم كالترك يعيثون فساداً

في الارض ولا يقدر احد عليهم ولكن يُقبض على جيرانهم الخزر المساكين ويعاقبون .

(ماقاله نقاد الشعر في نقد شعر بشار) : شاعر مثل بشار نظم (١٢) الف قصيدة لا يمكن ان تكون كلها في مستوىً واحد من الجودة والحسن — وهذا المتنبي وابو تمام والبحتري لا يخلو شعرهم من الساقط الرذل . والمعنى المبتذل . وكان اسحق الموصلي يزري ببشار ولا يعتد بشعره . و يقول هو كثير التخليط . وان اشعاره مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً . أليس هو القائل

(إنما عظمُ سليمى حِبتي قصب السكر لا عظم الجمل)
(وإذا أدنيت منها بصلاً غلب المسك على ريح البصل)

قال اسحق ولو قال بشار كل شعر جيد ثم أضيف الى هذا الشعر لزيّفه . وتعلمون ان اسحق من ندماء الخلافة وجلسائها ولا يمكن ان يقول في عدوها غير هذا . والا فلعل السبب في انحطاط هذين البيتين انه قالها في سبب منحط كالبيتين اللذين قالها في جاريته (ربابة) : (ربابة ربة البيت الخ)

ومن قول بشار

(من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج)

انتقدوا هذا البيت بانه لم يبلغ في الحسن بيت (سلم الخاسر) وكان سلم اخذ هذا المعنى وسبكه في قالب من الشعر ابلغ من قول بشار حيث قال

(من راقب الناس مات غماً وفاز باللـذة الجسور)

ولما سمع بشار هذا البيت غضب على سلم (وكان سلم يتردد عليه و يأخذ عنه) وذلك لان بشاراً علم ان بيت سلم يسهل حفظه فيعلق بالأذهان . ويميت بيته . وما زال بشار ناقماً من سلم واجداً عليه حتى تدخّل اصدقاؤهما فأصلحوا بينهما .

ومن شعر بشار قوله يهدّد الخليفة المنصور العباسي في القصيدة الميمية المشهورة

(ومروان قد دارت على رأسه الرحى وكان لما أجرمت نزر الجرائم)

يقول للمنصور لا تكن جباراً فان مروان الحمار (آخر ملوك بني أمية) هلك وجرائمه بالنسبة لجرائمك قليلة . قال نقاد شعره ان بشاراً قصّر جداً في سبك هذا المعنى والنابغة الجعدي أبرّ عليه في سبكه واحسن كل الاحسان مذ قال

(كليب لعمري كان اكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرّج بالدم)

وبينا كان صلحاء الامة (الحسن البصري وواصل بن عطاء ومالك بن دينار) يطاردون بشاراً و ينكرون عليه الزندقة. والخلاعة · كان أئمة النحاة (الاخفش وسيبو يه و يونس) يناقشونه الحساب على اغلاطه اللغوية · وهي في الحق قليلة جداً : من ذلك قوله في صفة السفينة

(تلاعب نينان البحار وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجري)

يقول : ان حيتان البحر كانت تلاعب السفينة وتحمّشها وهي تسير في عباب اليم · فعاب عليه سيبو يه كلمة (النينان) جمع نون وهو الحوت وقال ان (النون) بمعنى الحوت لايجمع على (نينان) وانما على (انوان)· فكبرالامر على بشار وتهدد سيبو يه بالهجو· فخاف سيبو يه وقيل انه بكى ودخل القوم بينهم فأرضوا بشاراً · وصار سيبو يه من يومئذ يستشهد بشعره في دروسه النحوية· تطبيباً لقلبه واستكفاءً لشره· فرضي بشار ولكنه مع هذا غير الكلمة فقال (تلاعب تيّار البحار) بدل (تلاعب نينان البحار) · لكن كتب اللغة تذكر كلمة (نينان) في جمع نون : وكأنهم لم يبالوا اعتراض سيبو يه وحجتهم في ذلك قول سيدنا علي رضي الله عنه (يعلم سبحانه وتعالى النينان في البحار الغامرات) ·

ومما آخذوا بشاراً به ايضاً قوله (غنني للغريض يا ابن قنان !) فقالوا له من هذا : (ابن قنان) ؟ لا نعرفه في المغنين · فقال لهم (.وما عليكم منه ؟ ألكم عليه دين او ثأر تطالبونه به) ؟ قالوا لا وانما نريد ان نعرفه · قال (هو رجل يغني لي ولا يخرج من بيتي) فقالوا الى متى يبقى في البيت ؟ قال الى ان يموت · وما ذا يهمكم ؟

فنقاد شعره ذهبوا الى أنه لا يوجد في الدنيا مغنٍ اسمه (ابن قنان) وانما اخترعه بشار تلبيةً للقافية · ومثل ذلك ما روي عن بشار انه قال — وكان قد مات له حمار — رأيت حماري البارحة في النوم فقلت له و يلك مالك متّ ؟ قال نعم : مررتَ بي يوم كذا وكذا على باب (الاصفهاني) فرأيت ثمة أتاناً عشقتها فمت · فقلتُ له: وهل قلت فيها شعراً ؟ قال نعم وانشدني

(سيدي خذلي أتاناً عند باب الاصفهاني)
(تيمتني يوم رحنا بثناياها الحسان)

(وبُغنج ودلال سل جسمي و براني)
(ولها خد اسيل مثل لون الشيقران)
(فبها مت ولو عشـ ـت اذا طال هواني)

فقال رجل من القوم يا ابا مُعاذ (وما الشيقران ؟) قال هي كلمة غريبة في لغة الحمير فاذا لقيتم حماراً فاسألوه عنها .

وهكذا كان لكل سؤال يوجه الى بشار جواب حاضر عنده . ونادرة مهيئة لديه . لكنه تورط يوماً مع احد رجال الصناعة والفن وهو (حمدان الخراط) وكان حمدان مصوراً حاذقاً في التصوير والنقش والصياغة والنحت . كلفه بشار ان يصنع له جاماً فيه صور طيور ففعل وجاءه به (والجام في لغة الترك الزجاج . وفي لغة الفرس القدح . وعند العرب هو الكاس من فضة) . فقال له بشار ما هي الصور التي على الجام قال صور طيور تطير . قال كان ينبغي ان تصور فوقها طائراً من الجوارح ينقض عليها . قال انك لم تقل لي ذلك . قال بلى ولكنك ظننت اني اعمى لا اراها . ثم تهدده بالهجاء . وهنا وقف (الشعر) ازاء (التصوير) ووقف الفن ازاء الفن وجهاً لوجه . وكان حمدان الفنان سوداوي الطبع كأغلب المتخصصين . فقال لبشار ان هجوتني ندمت . قال اي شيء تقدر ان تصنع بي . قال أصورك عريان ووراءك قرد ... وأعرضك مع الصور الاخرى على باب داري . فالتفت بشار الى القوم وقال : امزح معه وهو يأبى الا الجد . وهكذا غلب التصوير الشعر : لان الشعر يريك الشيء خيالاً اما التصوير فيريكه عياناً . ففي زمن العباسيين إذن كان المصورون يعرضون الصور على ابوابهم ومنها التصوير المضحك (Caricature) .

(البطش ببشار) : مر معنا في مطاوي الكلام السابق ان الخليفة (المهدي) لم يكن راضياً عن بشار ولا هو بالحسن الاعتقاد فيه وكان احياناً يقبله في مجلسه . ويسمع مديحه . لكنه ما كان يجيزه الجوائز التي يطمع فيها بشار . وقد ورث (المهدي) الكره لبشار من ابيه المنصور ؛ فان بشاراً كان مناوئاً للدولة العباسية من حين ظهورها وموالياً للعلويين من آل البيت وكان القائم من آل البيت يومئذ (ابراهيم بن عبدالله بن الحسن السبط) فانحاز بشار الى ابراهيم ومدحه بقصيدته الميمية المشهورة التي خاطب في مطلعها المنصور العباسي وقال

(أبا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم)

فلما ظفر المنصور بابراهيم العلوي وقتله خاف بشار على نفسه وحول القصيدة الى مدح المنصور وجعل الخطاب الاول في (ابي مسلم الخراساني) عدو المنصور فقال :

(ابا مسلم ماطول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم)

لكن هذا التلاعب ان قبله المنصور في الظاهر لم يقبله في الباطن ولا سيما الدلائل الكثيرة التي كانت تدل على ان بشاراً مقيم على ولائه لآل البيت . فلما تولى (المهدي) الخلافة أراد بشار التقرب اليه فاجتهد كثيراً فلم يفلح ثم استهتر بشار في هجاء الناس والتعرض للحرم . فكانوا يسعون فيه الى (المهدي) ويزينون له البطش به وانه ما دام حياً فهو آفة على أخلاق الشبان والشابات . وليس هذا فقط بل كانوا ينقلون اليه اخباراً من كفره وزندقته . من ذلك انه فضّل ابليس على آدم بتفضيله النار على التراب منذ قال (الارض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار)

كان يبلغ الخليفة كل ذلك فكان يُعرض عنه ويصبر عليه ثم لما يئس بشار من الخليفة تعرّض له بالهجو ثم لوزيره (يعقوب بن داود) . على مبدإه الذي كان لقنه اباه : (ليس على الاعمى حرج) . وكان يعقوب على مذهب سيده في اطّراح بشار . والنفرة منه . حتى قال بشار في الوزير بيتيه المشهورين

(بني أميــة هبوا طال نومكوا ان الخليفــة يعقوب بن داود)

(ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا خليفــة الله بين الزق والعود)

وقد حقق المؤرخون ان المهدي من أطهر ملوك بني العباس نفساً واحسنهم سيرة . وخاف الوزير يعقوب ان يُكثر بشار من مثل هذا الشعر و يكرر الضرب على هذه النغمة فبادر الى الخليفة واخبره بهجو بشار له اي للمهدي نفسه . وانه قال فيه قولاً لا يمكن النطق به . واخيراً ألح عليه الخليفة . فأسمعه البيتين :

(خليفــة يُزنى ... ويلعب بالدبُّوق والصولجان) الخ

فكاد ينشق الخليفة غيظاً . لكنه مع هذا كظم غيظه . واحترم حرية القول (كما نقول في اصطلاح عصرنا الحاضر) . ثم اتفق للخليفة ان انحدر في دجلة فلما بلغ البطيحة سمع أذاناً وقت الضحى . فسأل ماالخبر ؟ قيل له (بشار يؤذن وهو سكران) فأمر باحضاره فأحضر الى ظهر (الحراقة) اي السفينة وامر بجلده فجلد سبعين سوطاً .

وكان كلما ضُرب سوطاً قال (حسّ حسّ) وهي كلمة تقال عند لذع الوجع وحرق النار. فقال بعض الحاضرين انظر ياامير المؤمنين يقول (حسّ حسّ) ولا يقول (باسم الله) فقال له بشار (ويلك أثريد هي حتى اقول باسم الله) فقال آخر (ولما ذا لا تقول الحمد لله ؟؟) قال (أونعمة هي حتى أحمد الله عليها ؟) . ثم بعد الضرب تركوه في البطيحة مغمىً عليه وهو الى الموت أقرب منه الى الحياة . فجاء اهله وحملوه الى البصرة . فلما علم اهلها خبره لم يبق شريف منهم الا بعث اليه بالفُرُش والكسوة والهدايا . لكن الماات ونعاه الناعون تباشر عامتهم . وهنأ بعضهم بعضاً بموته . وحمدوا الله . وتصدقوا . كل ذلك لما مُنُوا به من شره . وأذى لسانه . ولما خرجوا في جنازته لم يتبعها احد سوى أمة لبشار سوداء . سندية عجماء . فكانت تصيح وراءه (واسيداه واسيداه) .

ولم يكن هم للخليفة بعد موت بشار الا تفتيش منزله والبحث في اوراقه . فوجدوا طوماراً فيه ما يأتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . اني أردت هجاء آل سليمان بن علي لبخلهم فذكرت قرابتهم من رسول الله فأمسكت عنهم إجلالاً له صلى الله عليه وسلم » .

فلما قرأ الخليفة قوله بكي وندم على قتله . وقال لاجزى الله يعقوب بن داود (يعني وزيره) خيراً فأنه لما هجاه لفق عندي شهوداً على انه زنديق فقتلته .

لكن ان برأنا بشاراً من الزندقة بناءً على هذه الرواية . فلا يمكن ان نبرءه من تهمة القذع والفحش والسباب . وان قلنا ان اعداءه وضعوا على لسانه البيت والبيتين فيبعد ان يضعوا عليه القصائد الطويلة التي شحنت بها كتب الأدب . وقد تضمنت من صفات النساء وأخبار الفسق والفساق ما يفسد كل أمة نشأ فيها مثل هذا القول . وليس هذا فقط بل كان بشار أحياناً يذيع بين الشبان والشابات من شعره قواعد عامة يعلمهم فيها الخنا والفجور . من ذلك البيتان المشهوران اللذان بلغا المهدي وكانا هما فيما زعموا السبب الحقيقي في قتله .

ذكرنا هذا لكم ايها السادة لتعلموا ان المهدي لم يقدم على ما أقدم عليه من قتل بشار الا وهو على بينة من امره واستحقاقه للقتل .

(منزلة بشار بين الشعراء) : تبين لنا مما رويناه من شعر بشار وشهادة علماء

الادب فيه ان الرجل كان متمكناً من اللغة العربية : فكان لا يستعمل في شعره من الفاظها وتراكيبها سوى الصحيح الفصيح ·

هذا شعره من حيث الديباجة اللفظية · اما شعره من حيث المعاني · فهو كما قال ابو عبيدة : يقارب سامعيه حتى لا يخفى عليهم ما يقوله في شعره : يتناول المعنى البعيد فيختار له من الأساليب السهل العذب · ومن الألفاظ اللؤلؤ الرطب · ولذلك راج شعره بين العامة والنساء · · كما كانت تستجيده طائفة الادباء والنبلاء · وهذه هي البلاغة كما عرفها بعضهم · وكان بشار ينوّع شعره ويتدرج فيه : فاذا داعب خادم بيته أسفّ الى حضيض الابتذال · ثم قال

(ربابة ربة البيت تصب الخل في الزيت)

واذا خاطب الملأ من ذوي الكبر والجبروت حلّق في سماء الخيال ثم قال

(اذا الملك الجبار صعّر خده مشينا اليه بالسيوف نعاتبه)

وهذه مزية من مزايا شعره فاق بها رصفاءه المعاصرين · واخذ راية الشعر دونهم باليمين ·

اما اذا أريد المقارنة بين بشار وبين من تقدمه وتأخر عنه من شعراء العرب فيقال فيهم بوجه عام : ان شاعر كل وقت انما يصوغ قوله من قلوب اهل زمنه · وينحت معانيه من عقليتهم · و يقتبس مواضيع شعره من أحوال اجتماعهم · فدرجة شاعريته ارتقاء وانحطاطاً تابعة لحالة اهل زمنه ارتقاءً وانحطاطاً : وانما نقول هذا في نوابغ شعراء كل زمان لا في الشعارير والمتشاعرين · فطبقة جرير ثم طبقة بشار ثم طبقة المتنبي — وان سماهم علماء اللغة والادب مولدين ومحدثين لم يريدوا الحط منهم وانما ارادوا تحديد صلاحيتهم للاستشهاد بقولهم في المسائل اللغوية · اما من حيث الشاعرية · واتساع الخيال في المعاني · والتفنن في الاساليب والمباني · فلا ريب ان طبقة المتنبي وان تأخرت في الزمن متقدمة على طبقة بشار · وطبقة بشار متقدمة على طبقة جرير · وطبقة جرير متقدمة على طبقة امرىء القيس — تبعاً لترتيب طبقات أزمنتهم في الحضارة والعلم واتساع الفكر وتأثير فنون الصناعة ومناحي الترف · اعتبر ذلك في قول ابن الرومي الذي سمع قول ابن المعتز الخليفة يصف الهلال فوقه سحابة سوداء ·

(وكأنما هو زورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر)

فقال (ويلاه ومن اين في ماعون بيتي مثل هذا الزورق حتى أشبه الهلال به) . أشار بذلك الى ان أدوات الترف والزينة في البيت توحي الى الشاعر الذي يراها معاني لا تخطر ببال ذاك الذي لا يراها .

هذا في شاعرين عاشا في زمن واحد وبلد واحد فكيف بهما اذا تباعد الزمانان . واختلفت الحضارتان . ويمكن ان نستنتج من هذا ان شعراء زماننا الحاضر وشعراء العصور المقبلة هم بالطبع أشعر ممن تقدمهم اعتباراً بما ذكرنا ولأن شعرهم انما نحت من عقلية من يخاطبونهم . فلا جرم ان يكون شعرهم أشد تأثيراً في نفوس هؤلاء المخاطبين . ولا يخفى أن مقياس بلاغة الشعر انما هو التأثير . « المغربي »

الفيلسوف الفارسي الكبير

صدر الدين الشيرازي

— ٢ —

(روح عصر صدرالدين) : اذا اردنا ان نصوّر شخصية رجل حكيم مفكر ظهر بآراء جديدة وافكار نيرة في محيط مظلم جوّه بسحب الجمود والعصبية لا بد ان نصور عصره الذي عاش فيه ليحيط القارئ علماً بشخصية ذلك الرجل البارزة .

ان من درس روح العصر الذي ظهر فيه صدر الدين في المحيط الفارسي يتمثل أمامه روحان روح التصوف البحت وتأويل نصوص الشريعة وروح الجمود على ظواهر الكتاب والسنة والنضال باشكاله كان بين الروحين يشتد آونة و يضعف أخرى . ومؤلفات الفريقين مشحونة بطعن كلٍ على الآخر ولحدوث كل من الروحين وسريانها سبب اصلي نبينه لنصور به روح عصر الفيلسوف .

ولا نعتمد فيما نقول الا على كلمات الثقات المشهورين من العلماء الذين عاشوا في فارس في هذا العصر .

اما سبب حدوث التصوف في فارس وانتشاره فيه هو ان التاريخ يدلنا على ان مذهب الباطنية وتعاليم عبد الله وابنه ميمون بن ديصان طافت في كثير من الارجاء الاسلامية فصادفت في فارس تربة صالحة للنمو لان الباطنية تظاهرت بمذهب التشيع وفارس كانت معقل الشيعة والباطنية تقرب من التصوف الاسلامي اذ هما يلتقيان في نقطة تأويل نصوص الشريعة وتقريبها من العقل والقول بان لها باطناً غير ظاهرها اضف الى ذلك ما كان في افكار الفارسيين من الانس بمذاهب الفلسفتين الاغريقية والهندية اللتين يصح ان يعتبر التصوف الاسلامي وليدهما .

ومعلوم ان المذاهب على انواعها فلسفية كانت ام ادبية ام سياسية اذا وجد لها ناصر

ومعاضد من المسيطرين على الامة التي تمذهبت بها تسرع في خطاها والتصوف الفارسي من المذاهب التي هيأ لها الزمان ناصراً ومعاضداً قوياً فان الدولة الصفوية التي عاش في ظلها صدرالدين ظهرت من ناحية التصوف فاول الملوك الصفويين ومؤسس دولتهم كان صوفياً بحتاً وجده الشيخ صفي الدين من اعظم اقطاب الصوفية وقبره في اردبيل[1] مزار لمريديه الى الحال وعليه ابنية فخمة ٠

خرج الشاه اسماعيل الصفوي من جيلان بلفيف من الصوفية المريدين له ولجده الشيخ صفي الدين في سنة ٩٠٦ هـ وهو ابن اربعة عشر سنة وفتح بلاد اذربايجان فروح التصوف كانت سارية في ملوك ايران الصفويين المعاصرين لصدرالدين قال بعض مورخي الافرنج[2] ان تصوف الشيخ صفي الدين هو الذي حفظ كيان الدولة الصفوية نحو مائتي سنة ولولا ان السياسة الصفوية في جنبها كانت تدعو الى تقوية المذهب المخالف له اي مذهب الجمود الذي كان يحسب نفسه من الدين لكان التصوف اكثر شيوعاً مما كان عليه وذلك ان سلطان الدين كان قوياً والمسيطرون والملوك مضطرون الى مجاراة تيار الفكر الشائع وطاعة صوت الجمهور ولو كان على خلاف ما يرغبون وما يضمرون ٠

قال الشيخ يوسف البحراني المتوفى سنة ١١٨٦ وهو من كبار محدثي الشيعة في كتابه لؤلؤ البحرين في شأن محسن الفيض تلميذ صدر الدين وخريجه الكبير ما نصه :

لاشتهار مذهب الصوفية في ديار العجم وميلهم اليه بل غلوهم فيه صارت له (اي للمحسن) المرتبة العليا في زمانه والغاية القصوى في أوانه وفاق الناس جميع أقرانه وقول هذا المحدث الثقة الجليل يدل على اشتهار مذهب التصوف وكثرة انصاره في العصر الذي عاش فيه صدر الدين ٠

وكان في جنب هذه الروح الجمود بادياً في طائفة من اهل الحديث والفقه وكانوا متمسكين بظواهر الكتاب والسنة وكان سببه شدة تمسكهم بالدين واستيلاء سلطانه على نفوسهم وبعدهم عن اغراضه واسراره ٠

---

(١) اردبيل مدينة كبيرة في فسيح من الارض واقعة على (٢١٠) كيلومترات من شرقي تبريز في شمالي فارس ٠ (٢) وهو سرجان ملكم في تاريخه الذي وضعه لايران ٠

وكانوا يرون اتباع العقل المحض والمبادي الفلسفية مروقاً عن الدين وسلوكاً لسبيل المضلين ·

والقارئ يجد في ضمن هذه الرسالة كلمات للعلماء المشهورين من هذه الطائفة كالسيد نعمة الله التستري والشيخ يوسف السابق الذكر في شأن الفلسفة والتصوف وشأن صدر الدين يقول الشيخ يوسف في ذيل كلامه السابق كان التصوف شائعاً في عصر (المحسن الفيض) حتى جاء على اثره شيخنا المجلسي [1] وسعى غاية السعي في سد تلك الشقاشق الفاغرة واطفاء تلك البدع البائرة [2] وهذا الكلام يمثل للقارئ شقة الخلاف بين المذهبين قلنا أن التصوف كان شائعاً في عصر صدر الدين الا ان شيوعه كان نسبياً وكانت الغلبة للجمود لان السياسة كما قلنا كانت تدعو الى تقوية عضد الدين ورجاله ·

لان الصفويين اسسوا دولتهم في ظل الدين والتشيع وموالاة اهل بيت النبي عليهم السلام وكان نصر الفقهاء والمحدثين المتمسكين بالظواهر سبباً لحفظ عرشهم ودفع كيد خصومهم ولكن كانت في ضمن هذا النضال للتصوف حركة معنوية صح ان نقول انه كان فائقاً على مظاهر الجمود و يشهد به ان جماعة من العلماء المشهورين بالزعامة الدينية والفقهاء كانوا من انصاره فان الشيخ بهاء الدين العاملي المتوفى سنة ١٠٣١ او ١٠٣٠ الذي اعتمد عليه الشاه عباس الاول الصفوي وفوّض اليه منصب شيخ الاسلام في ايران كما ذكر كان ممن ينصر التصوف وقلبه مطمئن بصحته · وكلماته يلوح منها ذلك فهذا دليل على استيلاء روح التصوف على روح هذا الشيخ المحدث الفقيه الذي كان يمثل بظاهره فريق

---

(١) هو محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي المجلسي الاصبهاني من اعظم محدثي الشيعة ورؤسائهم الروحيين في عصر الصفويين عاصر الشاه سليمان والشاه سلطان حسين الصفويين وكان هذا المحدث الكبير ممن يتصدى لشؤون السياسة و يستشيره السلطان في تدبير الملك وتنظيم ايران وله آثار علمية جليلة كثيرة منها كتابه الكبير (بحار الانوار) في أحاديث الائمة الاطهار في ٢٤ مجلداً كبيراً وفي بعض مجلداته بحث عن علوم متنوعة من الفلك والفلسفة والكلام ولاسيما في جزئه المسمى (بالسماء والعالم) توفي سنة ١١١١ هـ ومجلس كما قيل قرية من قرى اصبهان · (٢) وفي نسخة البائرة ·

اهل الجمود وصنف رسالة في وحدة الوجود وبيان مذاهب الصوفية وقال فيها ما نصه :

ولا شك انهم اي الصوفية من اولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة والذين آمنوا وكانوا يتقون . طبعت الرسالة في القاهرة سنة ١٣٢٨ ه .

و يدل عليه كلام صاحب لؤلؤ يقول في كتابه المذكور ربما طعن عليه القول بالتصوف لما يتراءى من بعض كلماته واشعاره في هذا العصر الذي تلبّد جوّه بسحب الجمود عاش صدر الدين وروح فلسفته التصوف واصول الفلسفتين الاغريقية والفارسية الفهلوية وتمكن من وضع تآليفه الكثيرة الجليلة التي أخلدت له الذكر الجميل ولم يصبه ما اصاب الفلاسفة الاحرار من الاضطهاد والزجر والقتل .

(فتوى رجال الدين بكفره) : أفتى جماعة من رجال الدين والفقه المتمسكين بظواهر الشريعة بكفره واخذوا عليه أموراً :

(الاول) انه ذهب الى مذهب وحدة الوجود كما صرّح به في كتبه وفلسفته حتى في تفسيره نقل قول محيي الدين بن عربي ان فرعون مات مؤمناً موحداً واستحسن هذا الكلام بقوله هذا كلام يشم منه رائحة التحقيق .

(الثاني) انه ذهب في شرحه لكتاب الكافي وفي تفسيره لسورة البقرة وفي كتابه الكبير (الاسفار) الى انقطاع العذاب عن اهله في الآخرة وانكر الخلود في النار وهو خلاف ما علم بضرورة من الدين .

(الثالث) ذكر في الاسفار في بحث العشق ان عشق الغلمان وصور الحسان عشق مجازي وهو قنطرة الى عشق الاله وفيه روح المذهب البانتيسي .

(الرابع) انه ذهب الى المعاد الجسماني بما لا يلائم ظاهر الشريعة ومذهبه في المعاد كمذهب الشاعر الفيلسوف (عمر الخيام) في رباعيه المشهور :

كردون نكرى زعم فرسودهٔ ماست ‌‌‌ جيحون اثري زچشم پالوده ماست
دوزخ شرري زرنج بيهودهٔ ماست ‌‌‌ فردوس دمي زوقت اسوده ماست

وجد هذا الرباعي بخطه في ظهر بعض تفاسيره ومعناه قريب من مذهب الخيام .

اى انكه زاتش درون ميسوزى ‌‌‌ وز نار جحيم خشم ازن ميسوزى

گر زانکه نمونه ردوزخ خواهی بنگر بدرون خود که چون میسوزی

گر زانکه نمونه زدوزخ خواهی بنگر زدرون خود که چون میسوزی

ولقد أجاد الشاعر الكبير محمد السباعي بابراز هذا المعنى الفلسفي في العربية بقوله :

انني ارسلت روحي آنفا في دياجي الغيب كيما اكشفا

غامضاً من عالم الخلد اختفى فانثنى روحي ونبأنا انما

انا فردوس صفا نار انتقام

وجد هذا الرباعي بخطه على ظهر تفسيره لسورة الحديد بين رباعيات كلها بخطه ·

اي بو العجب از بسکه ترابو العجست وهم همه عشاق جهان از توغست

مسکین دل من ضعیف وعشق تو قویست بیچاره ضعیف کش قوی بایدز یست

(تأثير الفلسفة الاغريقية في نفسه) : منذ ظهر الانسان في الوجود خضعت نفسه بقوى العالم مادية كانت او ادبية وقوة التعليم من اقوى المؤثرات في النفس الانسانية ولا سيما اذا كانت القوة المؤثرة مما تقبله النفس بفطرتها أثرت الفلسفة الاغريقية وتعليم ارسطو واتباعه في نفسه اثراً عميقاً ذكر في اول (الاسفار) اني قد صرفت قوتي في سالف الزمان منذ اول الحداثة والريان في الفلسفة الالهية بمقدار ما اوتيت من المقدور وبلغ اليه قسطي من السعي الموفور واقتفيت آثار الحكماء السالفين والفضلاء اللاحقين متقلباً في نتائج خواطرهم وانظارهم مستفيداً من ابكار ضمائرهم وأسرارهم وحصلت ما وجدته في كتاب اليونانيين والرؤساء المعلمين تحصيلاً يختار اللباب من كل باب ·

وقال في بحثه عن حدوث العالم واعلم ان أساطين الحكمة المعتبرة عند طائفة ثمانية ثلاثة من الملطيين (ثالس وانكسيمانس واغاذيمون) ومن اليونانيين خمسة (انبـاذقلس وفيثاغورث وسقراط وافلاطون وارسطو) قدس الله نفوسهم واشركنا الله في صالح دعائهم وبركتهم فلقد اشرقت أنوار الحكمة في العالم بسببهم وانتشرت العلوم الربوبية في القلوب بسعيهم وكل هؤلاء كانوا حكماء زهاداً عباداً متألهين معرضين عن الدنيا مقبلين على الآخرة فهؤلاء يسمون بالحكمة المطلقة ثم لم يسم احد بعد هؤلاء حكيماً بل كل واحد منهم ينسب الى صناعة كبقراط الطبيب وغيره ··

(منابع افكار صدر الدين وفلسفته) : نجد فلسفة صدر الدين تستمد من منابع

كثيرة أهمها آراء اليونانيين ولاسيما آراء ارسطو وتلميذه ابن سينا وافكار محيي الدين بن عربي الصوفي وتعاليم الدين الاسلامي المستخرجة من القرآن الحكيم والسنة النبوية فجدير ان نشير الى هذه المنابع الاربعة على سبيل الايجاز ليعلم وجهة فلسفته ٠

(١ — آراء ارسطو) : فهي آراء وافكار نراها في كتبه الواصلة الينا بواسطة نقلة العصر العباسي الزاهر وفي كتب اليونان والعرب اهمها اثبات الحركة الطبيعية الازلية واثبات احتياج المتحرك بمحرك يتحرك بمحرك آخر حتى ينتهي الى متحرك لا يتحرك بآخر فهو جوهر وفعل معاً فهذا المحرك الثابت هو الله مصدر الحركة الابدية التي تتحرك بعلة غائية اي بطريق الجذب نحو العقل الاعظم والشوق اليه كما يستميلنا الخير و يستهوينا الشيء الجميل بدون دخل لهما في ذلك وعلى هذا المثال ينجذب عالما الارواح والاجسام نحو الله بدافع ذاتي ٠

وهو يرى ان المادة قديمة وان المحرك الاول اي الله لم يخلق المادة بل نظمها وان الله جوهر روحاني يتجلى فيه العقل والحياة باتم مظاهرهما. ويتمتع ابداً بالسعادة الكاملة ولانها كله بمشاهدة ذاته لا يلتفت الى العالم ٠

(٢ — آراء ابن سينا) : فهي على ما يظهر لنا آراء فلاسفة اليونان وافكار ارسطو وتعاليم مدرسة (امينوس سكاس) التي يسميها العرب بمدرسة الاسكندرانيين وتعاليم تلميذه ٠

(افلوطين) الذي يسميها الشهرستاني بالشيخ اليوناني وهو منظم مذهب أستاذه وكان من آراء هذا الفيلسوف اليوناني فيما وراء الطبيعة (متافيزكا) ان هذا العالم كثير الظواهر دائم التغير وهو لم يوجد بنفسه بل لابد لوجوده من علة سابقة عليه هي السبب في وجوده وهذا الذي صدر عنه العالم واحد غير متعدد لاتدركه العقول ولا تصل الى كنهه الافكار ولا يحده حد وهو أزلي قائم بنفسه فوق المادة وفوق الروح وفوق العالم الروحاني خلق الخلق ولم يحل فيما خلق بل ظل قائماً بنفسه مسيطراً على خلقه ليس ذاتاً وليس صفة هو الارادة المطلقة لايخرج شيء عن ارادته هو علة العلل ولا علة له وهو في كل مكان ولا مكان له و بحث انه كيف نشأ عنه العالم و كيف صدر هذا العالم المركب المتغير من البسيط الذي لا يلحقه تغير ٠ كأن هذا العالم غير موجود ثم وجد كيف يصدر هذا العالم

الفاني من الله غير الفاني · هل صدر هذا العالم من الصانع عن روية وتفكير او من غير روية ولمّ وجد الشر في العالم ؟ ما النفس واين كانت قبل حلولها بالبدن ؟ واين تكون بعد فراقه ؟ ·

وهذه المسائل وأشباهها التي بحث عنها افلوطين هي مباحث شغلت حيزاً من افكار ابن سينا بعد ان ورثها من المعتزلة والصوفية وجمعية إخوان الصفا · كما هي المسائل التي درسها صدر الدين · زينها للناظرين في القرن الحادي عشر . وكانت الشرائع السماوية والقوانين الادبية تشغل مكاناً فسيحاً في مبادئ ابن سينا واليك نص قوله في النبوة يقول :

يوجد رجال ذو طبيعة طاهرة اكتسبت نفوسهم بالطهر وبتعلقها بقوانين العالم العقلي لذا هم ينالون الالهام ويوحي اليهم العقل المؤثر في سائر الشؤون ويوجد غيرهم لا حاجة لهم الى الدرس للاتصال بالعقل المؤثر لانهم يعلمون كل شيء بدون واسطة · هؤلاء هم اصحاب العقل المقدّس وهذا العقل لمن السمو بحيث لا يمكن لكل البشر ان ينالهم منه نصيب و هذا القول صريح في انه يقصد باصحاب العقل المقدّس الانبياء الذين يحظون بالوحي الرباني كما انه اعتراف منه باصل كبير من اصول الاديان وهذه النزعة الدينية أثرت في نفس صدر الدين وصرّح في كثير من كتبه بمثل هذا الرأي الفلسفي الديني وبذلك نعلم ان ابن سينا بعيد عما نسبه اليه (الكونت دوغوبينو) في كتابه المذاهب والفلسفة في آسيا الوسطى بقوله ان ابن سينا نهض بل خرج على ما كان يعلمه الدين منذ اربعمائة سنة وانه هدم من الاسلام ومن معتقده جانباً عظيماً نعم انه كان ذا نفوذ كبير على أفكار الملوك والامراء فجهر بآرائه الفلسفية بحرية تامة لكنه احترم في جنبها الدين الاسلامي وكان حقاً معلماً كبيراً للفلسفة في ايران الى قدوم جنكيز خان المغولي ·

(٣ — افكار محيي الدين بن عربي) : اكثر افكار هذا الامام الصوفي اختفت علينا وراء حجاب من الرموز والالغاز فما عرفناه من افكاره وحصل لنا اليقين به هو انه كان ممن يعتقد بوحدة الوجود حتى قال انه كفر النصارى ليس بقولهم ان المسيح هو الله بل كفرهم بقولهم انه ابن الله وكأنه كان يؤمن بنظريات اشور الحلولية على ان له آراء في الاخلاق الفاضلة والتي سلك سبيلها الصوفيون كالحب والسكر والتوبة والمجاهدة والخلوة والتقوى ومقامي الخوف والرجاء ومقام الفكر والذكر وأسرارهما وله بحث في النبوة وأسرارها ·

وكان محيي الدين يعد من قادة التصوف وحاملي لوائه ومعلميه في ايران كابن سينا الى زمن جنكيزخان المغولي يجله صدر الدين غاية التبجيل ويقرن اسمه بكلمات التجليل كالعالم الرباني والعارف الكامل وأشباهها واقتبس صدر الدين آراءه وأوردها ضمن الكلمات الفلسفية .

(٤ — الدين الاسلامي) : اما الدين الاسلامي فالقرآن باصوله العالية وسننه السامية (مرآة) تعاليم هذا الدين الجلي آخى بين العلم والدين وارشد الى توحيد الحق المهيمن وتنزيهه عن كل نقص وشرك واعلن باسم الله واعلاه في وسط كان تعبد الاوثان ورفض كل باطل وحطم كل وثن وصنم . وهو النور الذي ألقى أشعته البيضاء في مدة يسيرة بين الاندلس والهند . ولا زال سراجاً يضيء العالم في قرون طويلة ولكن النزاع في الخلافة في الصدر الاول الذي امتد الى القرون المتأخرة من ناحية وتشابه بعض آيات القرآن الذي دعا المفكرين الى النظر فيها من ناحية أخرى كانا من الاسباب التي اوجدت الفرق واحدثت الجدل .

فظهر هذا الدين بمظهر غير مظهره الذي تجلى به في الصدر الاول ظهر منحرفاً عن اصله السامي فبهذه الصورة تلقاه صدر الدين .

(وقوف حركة الفلسفة في ايران) : كانت لفلسفة ابن سينا حركة قوية في ايران الى ان هجم المغول في القرن السابع الهجري فوقفت هذه الحركة لان الغزاة كانوا يرمون الى الترتيب السياسي وتنظيمه ولم يكن لهم اهتمام بالفلسفة لان غاية هؤلاء الفاتحين كانت ان ينشئوا نظاماً مدنياً قوياً بكل ما يمكن من الوسائل ولما صبأوا الى الاسلام رأوا من المعقول ان يسندوا كل الاسناد هذا الدين فلم يوافقوا على نشر فلسفة ابن سينا ومن قال بمذهبه وان هم اهتموا بنشر الفنون والصنائع .

(ظهور الدولة الصفوية) : قلنا فيما سبق ان الحركة الفلسفية وقفت حينما هجم المغول لان كبير اهتمامهم كان بنشر الفنون والصنائع وقليلاً كانوا يعنون بالعلم والأدب .

وسارت الامور هذا السير الى ان تسنم اول الصفويين غارب العرش وكان صوفياً بحتاً ولكنه لما رأى الشيعية مذهباً خاصاً بالبلاد الفارسية اولع بها هو وخلفاؤه ولما يدل على

ذكاء فانهم روجوا نموها وتبسطها بكل ما أوتوا من السطوة والسلطنة ولم يعن بفلسفة ابن سينا ٠

ولكن الفلسفة كانت تحرك وتبدي اشارات الحياة لان ارجاع المسببات الى اسبابها والفحص عن عللها مما يطلبه الطبع البشري ٠

(طريقة التدريس في آسية) : ولما كان الدرس في العلوم العالية في آسية تتلقى مشافهة وكان الفلاسفة القائلون بمذهب ابن سينا متفرقين وهم نفر قليل كثيرو الخوف امام علماء الدين اضطر صدر الدين ان يخلي عدة سنين في جبال (قم) متنقلاً في رحلاته في فارس لاقطاً من أفواه الحكماء جميع الشروح التي نشأت من نفوس اصحابها بعد الخبرة والثقة بنفوسهم وبدأ بنفسه يعلم في المدن التي يمر بها ولما لم يكن له منافسون من جهة الفصاحة ولا من جهة التأنق في العبارة ولا من جهة سهولة التعبير كان سامعوه يفرحون بما يلقيه عليهم ويقتنونه بكل حرص وكانوا كثيرين ثم كان ينتقي منهم تلاميذ ذوي فضل ممتاز ٠

(خوفه من رجال الدين) : وكان صدر الدين نفسه ايضاً يخاف رجال الدين المتمسكين بالظواهر ولهذا كان يسعى جهده ان لا يثير في نفوسهم كامن الريبة فكان موضوع بحوثه اموراً مكنية يثبتها بالادلة الصريحة ولو لم يفعل ذلك لعرّض نفسه لشكاياتهم وتشديدهم عليه تشديدات لا نهاية لها فيخاطر بالعمل عينه بمستقبل اصلاح الفلسفة الذي كان يفكر به فوفق بين فكره وبين مقتضيات الأحوال ولجأ الى الوسيلة العظمى وسيلة التقية والكتمان ٠

وكان اذا هبط مدينة يحرص على زيارة مجتهديها او علمائها ويجلس في آخر الناس وكان يطيل السكوت واذا تكلم نطق بكل هدوء وسكينة مستحسناً كل كلمة تخرج من أفواه اولئك الأجلة وكان اذا سئل عن معارفه لا ينطق الا بالآراء المدوّنة في أسفار المذهب الشيعي المحض ولا يشير ابداً الى انه يُعنى بالفلسفة وبعد ايام قليلة من رؤية المجتهدين والعلماء كانوا يدعونه بانفسهم الى ان يدرس تدريساً علنياً وللحال كان يلبي دعوتهم ٠

(طريقه في نشر فلسفته) : وكان يجعل عنوان درسه من أبواب الفقه اولاً ثم يزيد المسألة تدقيقاً في وجوب اتباع الاوامر والنواهي والفرائض على ما يفعله امهر العلماء في نظرياتهم فكان هذا العمل يحببه في قلوب العلماء و يزيده اعتباراً ٠ واذا كان يبحث

في باب الوضوء او الصلوة كان ينتقل منها الى أسرارها ومنها الى نواميس الوحي ومنها الى التوحيد وكان هناك يجد مجالاً لاظهار آرائه الفلسفية وابراز شخصيته الكبيرة بآيات من الحذق والمهارة والاستدراك وكشف الاسرار للتلاميذ المتقدمين ٠

وكان في القاء دروسه يسرد عبارات ذات معنيين راقية تتراءى بوجهين لا يفهمها من تلاميذه الا الذين رسخت أقدامهم في الاستنتاج ثم يغطي كل هذه الأقوال بغشاء رقيق من العبارات الدينية التي تؤيد دينه وتظهر احترامه لمبادي الدين ٠

(بثه فلسفة ابن سينا) : وكان ينشر مذهب ابن سينا في الطبقة المذورة كلها واذا كان يحرص على اخفاء مذهبه في كلامه فكان اخفاؤه له فيما يكتبه اقوى واعظم والوقوف على حقيقة مذهبه الفلسفي صعب الا لمن اتصل سند درسه الى تلامذته الذين تلقوه عن نفسه ولمن وقف على اصطلاحاته الفلسفية وسند آرائه غير مقطوع في هذا العصر ولكن قل عدد تلامذته اليوم وكان في عصر ناصر الدين شاه القاجار جماعة من كبار تلامذته اي الذين كانوا ينقلون جيلاً بعد جيل عن معلمهم الاكبر من امر فكره و بايديهم مقاليد العبارات التي كان يتخذها لكي لا يعبر عن افكاره صريحاً ٠

(شخصيته الفلسفية) : يقول (الكونت دوغوبينو) ان صدر الدين لم يكن منشئ فلسفة جديدة بل هو أعاد الى فلسفة ابن سينا ضرمها واضاءها في مصباح جديد والحق انه اظهر شخصيته من ناحية مذهبه الفلسفي واتى برأي جديد مستقل في بعض مسائل فلسفية وخالف ابن سينا في مسائل جمة وسنشير الى بعضها ضمن هذه الرسالة ٠ ولا شك انه كان مصلحاً للفلسفة الآسيوية وهو الذي البسها ثوباً يقبله كل من ينظر اليها فقبلها من كان في عهده واعجب بنظرياته العارفون ٠

ولا غرو فانه عاش في عهد غير عهد ابن سينا وفي وسط غير وسطه ٠

بدرسنا شخصية هذا الفيلسوف نراه انه أخلد اثر العلم اذ نفخ في رميم مذهب ابن سينا واعاد اليه شبابه في العصر الذي عاش فيه والبسه حلة مكنته من ان ينتشر في جميع مدارس ايران واستطاع ان يفسح لمذهبه الفلسفي موطناً بجانب تعاليم الدين ولولا خدمته العلمية لكان نجم الفلسفة يغرب وراء ظلمات الغزوات المغولية ٠ وعشاق الفلسفة مدينون لهذا الفيلسوف الكبير ٠ وحقاً يعد معلماً كبيراً للفلسفة في ايران بعد ابن سينا الى الآن ٠

(مذهبه في أزلية العالم المادي وحدوثه) : افترق الدين والفلسفة في مسألة قدم العالم وحدوثه فبالضرورة ينتهي البحث الى أزلية (المادة وحدوثها) قدماً زمانياً يصرح الدين بظاهره بالحدوث وان يد الباري ابدعت المادة من العدم والفلسفة تجهر بالقدم ·

وقف صدر الدين امام هذه المسألة العويصة وقوف المتحير ورأى نفسه بين تجاذب قوتي الدين والفلسفة ·

يقول في اول رسالته في الحدوث (١) هذه المسألة تحيرت فيها افهام الفحول لغموضها والناس فيها بين مقلد كالحيارى ومجادل كالسكارى فمن المدققين من اعترف بالعجز عن اثبات الحدوث للعالم بالبرهان قائلاً ان العمدة في ذلك الحديث والاجماع من المليين اذ الاول قد يحصل بالتقليد او الجدل وهما مناط الظن والتخمين والثاني لكونه بصيرة باطنية لا يحصل الا بالبرهان المنور للعقول التابع للوصول · (٢) وزيف آراء المتكلمين التي تمسكوا بها في حدوث المادة · وقال فمنهم من يتصدى لاثبات هذا المقصد العظيم بالأدلة المتزلزلة والاقيسة المختلة كالمتكلمين زعماً منهم ان تمهيد اصول الدين مما يحتاج الى تلك الكلمات الواهية ·

وقال وما احسن قول (الغزالي) في حق من تصدى لنصرة قوام الدين بالامور السخيفة انه صديق جاهل · وقال ايضاً ان ايراد مثلها في معرض الانتصار للشرع القويم ربما يؤدي الى خلل عظيم من حيث ان صغار العقول ربما يزعمون ان اصول الدين مبنية على هذه الدعاوي الواهية هذا كما ان بعض المحدثين نقل ان بعض الزنادقة وضع الاحاديث في فضل الباذنجان منها (كلوا الباذنجان فانها اول شجرة آمنت بالله تعالى) ·

وقال انما وضعه ليتوسل به الى القدح في صدق النبي (ص) الذي شهد الله تعالى بصدقه وهو نفسه لم يستطع ان يخطيء مباديء الدين القائلة بالحدوث لقوة ايمانه بالانبياء وقبول اصول تعاليمهم قبولاً فلسفياً ·

ونقد رأي ابي نصر الفارابي المدون في رسالته في الجمع بين رأي الحكيمين افلاطون وارسطو بتأويله مذهب افلاطون في الحدوث بالحدوث الذاتي والافتقار الى الصانع ·

وقال هذا القول في الحقيقة تكذيب للانبياء من حيث لا يدري وقال ان النصوص

المأثورة عن افلاطون تعطي انه يريد بالحدوث الحدوث الزماني لا الحدوث الذاتي وقال وهذا من قصور ابي نصر في البلوغ الى شأو الأقدمين .

ونقل عن افلاطون في كتابه المعروف (بفاذا) وفي كتابه المعروف (بطيماوس) كما حكى عنه تلامذته (كأرسطو) و (طيماوس) و (شافرطوس) و (ابرقلس) انه قال ان للعالم مبدأ محدثاً ازلياً واجباً بذاته عالماً بجميع معلوماته على لغة (او نعت ؟) الأسباب الكلية كان في الازل ولم يكن في الوجود رسم ولاظل (اوظلل؟) الا تمثال عن الباري جل اسمه ربما يعبر عنه بالعنصر الاول ووجه ايضاً رأي ارسطو بانه يريد من الحدوث الحدوث الزماني ورأى ان العلم لا يصدق حدوثها من العدم المحض وفكر فكراً عميقاً ليحل المعضلة ولما انتهى فكره الى نقطة وجد فيها سبيله للتخلص من ظلمة هذا الشك .

رأى ان الوقت قد حان ليجهر برأيه فقال ان هذه المسألة عندي في غاية الوضوح والانارة لم اجد من نفسي رخصة في كتمانها وعدم الافاضة بها على من يستأهلها ويقبلها واخذ يجهر برأيه قائلاً ان ماسوى الله حادث . ولا قديم ذاتاً وزماناً الا الله تعالى .

(نظرية الحركة في الجوهر) : سلك في أزلية المادة مسلكاً وفق به بين الدين والفلسفة وابدى نظرية سماها (الحركة الجوهرية) وهي نظرية في غاية الغموض والابهام تكاد تشبه نظرية (انشتين) يعسر فهمها الا بالامعان والتدبر العميق في فلسفته واصطلاحه .

وهي ان العالم المادي مطلقاً لا يزال في تجدد مستمر فالمادة بجوهرها في الآن الثاني غير المادة في الآن الاول وهي متحركة دائماً بحركة جوهرية وللهيولي والصورة في كل آن تجدد مستمر .

ولتشابه الصور في الجسم البسيط ظن ان فيه صورة واحدة مستمرة لا على التجدد وليست كذلك بل هي واحدة بالحد لا بالعد لانها متجددة متعاقبة على نعت الاتصال لا بان يكون متفاصلة متجاورة ليلزم تركيب المقادير والأزمنة من غير المنقسمات وبهذه النظرية استنتج التوفيق بين الدين والفلسفة فالدين انما أراد من الحدوث تجدد المادة وحركتها حركة جوهرية وهي حادثة في كل آن وان لم يكن لها مبدأ زماني وهو يوافق العلم فلا اختلاف بينهما اذ كل منهما يقول بالحدوث بهذا المعنى والمبنى اي تجدد المادة تجدداً جوهرياً .

وكل منهما يقول بالقدم لانها لايتصوّر عقلاً حدوثها من العدم البحت حتى يتصوّر لها مبدأ زماني وهي نتيجة عدة اصول :

منها انه فرض للوجود طرفين وهو في احد طرفيه فعلية محضة من جميع الجهات وهو الباري الموجد تعالى وبعبارة اوضح هو الوجود المطلق وفيه كل الكمال المتصور الفعلي وفي طرفه الآخر قوة محضة من جميع الجهات الا في فعلية القوة[1] وهذا يطلق على الهيولى[2] .

فيكون في الوجود طرفان (الباري) تعالى و(الهيولى) والباري تعالى وجود اكمل من جميع الجهات فلا يحتاج الى الخروج عما كان وفي الوجود ايضاً مرتبة وسطى له الفعلية من جهة والقوة من أخرى فبالضرورة يكون فيه تركيب فذاته مركبة من شيئين احدهما بالفعل والآخر بالقوة وله من جهة القوة ان يخرج الى الفعل لغيره .

وهذا الخروج اذا كان بالتدريج يسمى حركة والحركة هي فعل او كمال اول للشيء الذي هو بالقوة[3] ومعنى الحركة التجدد والانقضاء .

والتجدد في المادة صفة ذاتية فلا تحتاج الى جاعل وفاعل يجعلها متجددة وهذا الرأي يفيد ان يد الباري اوجدت المادة متحركة والحركة موضوعة في طبعها والعلم الحديث ايضاً يقول ان حركة الذرات في طبعها ومنها المتحرك انما يتحرك بشيء آخر لا يكون بنفسه متحركاً فتكون حركة بالقوة فقابل الحركة امر بالقوة وفاعلها امر بالفعل والحركة على مذهبه سببها وجود فعلية القوة وللشيء ان يخرج الى الفعل لغيره ومنها ان مبدأ الحركة الطبيعة لا النفس ولا العقل[4] وقال الفاعل المباشر للحركة ليس عقلاً محضاً من

(١) فسر اصطلاحه في القوة بقوله هو مايقال لمبدإ التغير في شيء آخر من حيث هو شيء آخر سواء أكان فعلاً امانفعالاً ويقول ايضاً ان القوة الفعلية قد تكون مبدأ الحركة واذا كانت مبدأ للحركة لاتخلو من التجدد والتغير فهو متحرك حافظ لتغيره وقد تكون القوة وراء مالايتناهى بما لانتناهي في الايجاد والابداع كقوة الباري وقد يكون في الانفعال بما لايتناهى كالهيولى الاولى . (٢) فسرنا الهيولى فيما سبق . (٣) وهذا تعبير آخر عن سير الوجود نحو الكمال والارتقاء اليه حسب قانون النشوء والارتقاء .

(٤) العقل يطلق في اصطلاحه على الجوهر المجرد الروحي .

غير واسطة لعدم تغيره ولا نفساً من حيث ذاتها العقلية بل ان كانت محركة فهي اما من حيث كونها في الجسم او من حيث تعلقها به فيكون اما طبيعة او في حكم الطبيعة ٠

والطبيعة على مذهبه سيالة الذات متجددة الحقيقة نشأت حقيقتها المتجددة بين مادة شأنها القبول والزوال بفاعل محض شأنه الافاضة والاكمال فلا يزال ينبعث عن الفاعل امر وينعدم في القابل ثم يجبره الفاعل بايراد البدل على الاتصال ٠

فهذه الاصول وصل الى النتيجة التي هي مفاد نظريته وهي ان مبدأ الحركة سواء أكانت طبيعية ام ارادية ام قسرية هي الطبيعة ٠ والحركة معناها التجدد والانقضاء ومبدأ التجدد لا بد ان يكون متجدداً فالطبيعة بالضرورة متجددة بحسب الذات لان المتحرك وهي المادة لا يتصور صدوره عن الساكن ويستحيل صدوره عن الثابت وقال وبصحة هذا الاصل اعترف الرئيس ابن سينا وغيره بان الطبيعة من جهة الثبات ليست علة الحركة وقالوا لا بد من لحوق التغير بها من الخارج ٠

والطبيعة اذا كانت متجددة فالمادة في الآن الثاني بجوهرها غير المادة في الآن الاول ٠ قال في آخر الفصل الرابع من رسالة الحدوث :

تنبيه تمثيلي ان كان كل شخص جوهري له طبيعة سيالة متجددة وله ايضاً امر ثابت مستمر نسبته اليها نسبة الروح الى الجسد فان الروح الانساني لتجردها باقية وطبيعة البدن ابداً في التجدد والسيلان والذوبان وانما هو متجدد الذات الباقية بورود الامثال والخلق لفي غفلة عنه (بل هم في لبس من خلق جديد) وكل حال الصور الطبيعية متجددة من حيث وجودها المادي الوضعي الزماني فلها كون تدريجي متبدل غير مستقر الذات ومن حيث وجودها العقلي وصورتها المفارقة (اوالمقارنة ؟) الافلاطونية[1] باقية ازلاً وابداً في علم الله تعالى فالاول وجود دنيوي بائد داثر لا قرار له والثاني وجود ثابت غير داثر لاستحالة ان يزول شيء من الاشياء عن علمه او يتغير علمه تعالى (ان في هذا لبلاغاً لقوم عابدين) ٠

ولما ابدى نظريته وتنبه انه تفرد بها قال في الفصل الخامس من رسالة الحدوث اما قولك فيما سبق ان هذا إحداث مذهب لم يقل به احد من الحكماء فهو كذب وظلم

(١) تطلق الصورة الافلاطونية في الفلسفة اليونانية على عالم المثال والجواهر المجردة ٠

فان اول حكيم قال به في كتابه هو الله سبحانه وهو أصدق الحكماء فانه قال : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وقال : (بل هم في لبس من خلق جديد) . وقوله : (والسموات مطويات بيمينه) وقوله : (على ان نبدّل أمثالكم وننشأ كم فيما لا تعلمون) .

وتمسك ببعض آيات وروايات أخر تركنا ذكرها لعدم دلالتها في نظرنا ثم نقل عن ابن عربي قوله في الفصوص : ان الانسان في الترقي دائماً وهو لا يشعر بذلك للطافة الحجاب ورقته وتشابه الصور مثل قوله : (وأُتوا به متشابهاً) ونقل قوله في الباب السابع والستين والمائة من الفتوحات فالوجود كله متحرك على الدوام .

(اختياره مذهب التصوف ووحدة الوجود) : هذا الفيلسوف الآهي يدور اكثر مباحثه حول التفكر في الاآه المبدع ووحدته وصفاته المعنوية من العلم والحكمة والقدرة او ان شئت قل يبحث عن القوة المدبرة للكون وفلسفته تستقي من معين التصوف ووحدة الوجود معتمدة على المبادي الاغريقية وروح فلسفة افلاطون وارسطو بادية باجلى مظاهرها فيها ويلوح للناظر في كلماته انه إبان درسه الفلسفة خاض مدة مديدة لجج المسائل اللاهوتية ووازن حجج الفلاسفة من الاشراقيين والمشائين ودرس اصول المتكلمين واصحاب الجدل وعرف انها جميعاً لا توصل الى الحق ولا تروي غليله لانها معكرة بتناقض المبادي .

وكيف تسكن نفس رجل زكي الفؤاد وقاد الذهن بما لا ينير ظلمة المعضلات في المسائل اللاهوتية العويصة وهي تحاول ان تبلغ مرتبة الشهود والعيان من مراتب الايمان وبعد مدة طويلة لما لم يجد ضالته في درس أدلة الجدليين الذين يقول في شأن فلسفتهم اني أستغفر الله وأستعيذ عما ضيعت شطراً من عمري في طريقهم غير المستقيم لاذ بحجر التصوف وهناك وجد سكونه واطمئنانه واخذ يسعى في التوفيق بينه وبين الشريعة بتأويل نصوصها وتوجيهها اليه .

جرت عادة الباحثين في المسائل اللاهوتية الا الصوفيين ان يضعوا باباً في البحث عن الموجد للكون .

ويذكروا فيها أدلة يستمد بعضها من ابطال التسلسل او الدور لزعمهم ان المبدع الحكيم (اي القوة المدبرة) منفصل عن الكون ولكن الصوفيين يرون ان الوجود المنبسط الذي

يمثل الكون بمحسوسه ومعقوله كافٍ للدلالة على وجود الموجد وصفاته لانه عينه وفي كل شيء آية دالة على وحدته ومذهب وحدة الوجود (البانتيسم) الله في الكل والكل في الله هو سر التصوف وروحه ولاجل ذلك لا يتمسكون بادلة الكلاميين والجدليين وفرق الفلاسفة الذين تقرب فلسفتهم من مبادئهم ولا يستدلون بوجود القوة المدبرة المبدعة باكثر من بحثهم في شؤون الوجود المنبسط ومراتبه وظهوره ·

وصدر الدين وان أفاض في البحث عن كل المباحث اللاهوتية واكثر مباحث الفلسفة الادبية والفلسفة العامة وتبحر فيها الا ان غرضنا الذي نرمي اليه هو ان نأتي من فلسفته بنقطتي الوفاق والخلاف مع الفلسفة المادية · وهي مسائل طالما سرّح الانسان افكاره حولها كمسألة هل المادة أزلية ام حادثة ؟ وهل للكون مبدع غير الطبع ؟ وهل هو شاعر عالم ؟ وهل في خلق الكون غاية وحكمة او لا ؟ ثم نردفها ببعض آرائه العلمية والادبية · وبذلك نصور نفسية رجل حكيم خدم اللغة العربية والعلم خدمة جليلة ·

(طريقه الى معرفة الله تعالى) : يقول في الجزء الثالث من الاسفار الاربعة (فصل) في إثبات واجب الوجود والوصول الى معرفة ذاته : واعلم ان الطرق الى الله كثيرة لانه ذو فضائل وجهات كثيرة ولكل وجهة هو موليها لكن بعضها أوثق وأشرف وأنور من بعض · وأسد البراهين وأشرفها اليه هو الذي لايكون الوسط في البرهان غيره بالحقيقة فيكون الطريق الى المقصود هو عين المقصود وهذه سبيل الصديقين الذين يستشهدون به تعالى عليه ثم يستشهدون بذاته على صفاته وبصفاته على أفعاله واحداً بعد واحد وغير هؤلاء : كالمتكلمين والطبيعيين وغيرهم يتوسلون الى معرفة الله تعالى وصفاته بواسطة امر آخر غيره كالإمكان للماهية والحدوث للخلق والحركة للجسم او غير ذلك وهي ايضاً دلائل على ذاته وشواهد على صفاته لكن هذا المنهج أحكم وأشرف وقد أشير في الكتاب الالهي الى تلك الطرق بقوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم إنه الحق) والى هذه الطريقة أشار بقوله : (أوَ لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) ·

وذلك لان الربانيين ينظرون الى الوجود و يحققونه ويعلمون انه أصل كل شيء ثم يصلون بالنظر اليه الى انه بحسب اصل حقيقته واجب الوجود · واما الامكان والحاجة

والمعلولية وغير ذلك فانه يلحقه لا لاجل حقيقته بل لاجل نقائض واعدام خارجة عن اصل حقيقته ثم بالنظر فيما يلزم الوجوب او الامكان يصلون الى توحيد ذاته وصفاته . ومن صفاته الى كيفية أفعاله وآثاره وهذه طريقة الانبياء كما في قوله تعالى : (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة) . وهذا المذهب يشبه مذهب (باسكال) المتوفى سنة ١٦٦٢ م : — أرى في الطبيعة كائناً واجب الوجود دائماً لا نهائياً .

وقال في اول رسالته في سريان الوجود :

إعلم ان الواجب الحق هو المتفرد بالوجود الحقيقي وهو عينه وغيره من الممكنات موجودة بالانتساب اليه والارتباط به ارتباطاً خاصاً وانتساباً مخصوصاً لا بعروض الوجود كما هو المشهور .

ثم قال ان الوجود قد يطلق و يراد به الكون في الأعيان ولا شك في كونه امراً اعتبارياً انتزاعياً وقد يطلق و يراد به ماهو منشأ لانتزاع الكون في الاعيان ومصحح صدقه وحمله وهو بهذا المعنى عين الواجب .

وقال بعد بضعة سطور ان مناط الوجوب الذاتي ليس الا كون نفس الواجب من حيث هي مبدأ لانتزاع الوجود والموجودية .

من الاصول المقررة في الفلسفة الآلهية التي وضع عليها بعض الآراء الفلسفية واعترف بها صدر الدين فيمايظهر من كلماته السالفة ان الوجود امر واحد ذو مراتب في الشدة والضعف وله وحدة معنوية .

ومنها ان الوجود الحقيقي الذي صح ان يكون منشأ لانتزاع الموجودات عنه والذي هو مصدر الكون او هو كالشمس منبع الأنوار أزلي موجود قائم بالذات لا جاعل له . ومنها ان مفهوم الوجود من أعرف الاشياء . وكنهه في غاية الخفاء . فانا نرى ذرة المادة ونحسها بالبصر ونلمسها باليد ولكن اسأل اي انسان تشاء من العلماء الطبيعيين (اي الفيزيولجيين) ما هي ؟ وكيف وجدت أأزلية ام حادثة ؟ وما هو سرها ؟ يقف أمامك والحيرة ملكت عقله ولا يدري ماذا يجيبك ولا تنفعه اختباراته الكيمية والفيزيكية .

فمعرفة كنه الوجود رمز لا يزال مجهولاً على رغم جهود الانسان في كشفه منذ الأجيال والقرون وذهب سعيه سدى وكلّ جناح فكره عن الوصول اليه فضم هذه

الأصول بعضها الى بعض ينتج ان القوة التي اوجدت الكون بمعقوله ومحسوسه ومثلت أجزاءه المنسقة ونظمتها بنظامه العجيب — هو الله على مذهب صدرالدين اومن هوسالك سبيله في القول بوحدة الوجود (١) .

وهذا الرأي قريب من مذهب القائلين بان الطبيعة هي موجدة الكون أزلاً ونقطة الوفاق بين المذهبين مذهب وحدة الوجود او الصوفيين ومذهب الطبيعيين هي ما أشرنا اليه . الا ان مذهب الصوفيين وأنصار وحدة الوجود كما سيذكره صدرالدين ونشيراليه يفارق مذهب الطبيعيين في ان هذه القوة الموجدة التي يطلقون عليها الوجود الحقيقي او الواجب الوجود واجدة لجميع مراتب الكمال المعقول ولا يشذ عنها كمال في الوجود فلها العلم القدرة بأقصى مراتبهما فعله وقدرته غيرمتناهيين عدة وشدة ومدة . وصدر الدين والصوفيون وأنصار وحدة الوجود لايقولون بانفصال المبدإ (الله) عن الكون كما انهم لا يقولون بالحلول والاتحاد بل يقولون ان ارتباط الكون بالله تعالى وانتسابه كيفية مجهولة . قال صدر الدين في اول رسالته سريان الوجود ما هذا نصه : ثم اعلم ان ذلك الارتباط كما مر ليس بالحالية ولا بالمحلية بل هي نسبة خاصة وتعلق مخصوص يشبه نسبة المعروض الى العارض بوجه من الوجوه وليس هي بعينه كما توهم والحق ان حقيقة تلك النسبة والارتباط وكيفيتها مجهولة لا تعرف اه .

وهذا مذهب (مالبرانش) :

قال في الكتاب الثالث من تأليفه المسمى بالبحث عن الحقيقة ان جميع الكائنات حتى المادية والدنيوية هي في (الله) الا انها بطريقة روحانيــة محضة لا نستطيع فهمها يرى الله في داخل ذات نفسه كل الكائنات (ص ٧١) محاضرات العالم (دي جلاررزا) الاستاذ في الجامعة المصرية وايد صدرالدين مذهبه بقوله تعالى (وهو معكم اينما كنتم

(١) والى هذا المعنى أشار الشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي :

الله والكون لاعــلان الحياة اقترنا
فما لذا عن ذاك او لذاك عن ذا من غنى
ما الكون الا مظهر له به تبينـــــا

ولله المشـرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله على انه بكل شيء محيط وأحاط بما لديهم واحصى • وهو الله في السموات والارض ونحن أقرب اليه من حبل الوريد • ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون • هو الاول والآخر والظاهر والباطن) • وهذا الفيلسوف لا يرضى ان تحمل هذه الآيات على مجرد علمه تعالى • وقال ولا تصرف هذه الآيات عن ظواهرها لحملها على مجرد علمه تعالى بها او غيرها كما هو شيمة الظاهريين •

فان الصرف عن الظواهر من غير داع اليه من عقل اونقل غير جائز اصلاً ولا داعي هناك قطعاً ولا مانع من الحمل على الظواهر على ماعرفناك فاعترف •

وقال صدر الدين ايضاً الاقرب في تقريب تلك النسبة أعني إحاطته ومعيته بالموجودات ماقال بعضهم من ان من عرف معية الروح وإحاطتها بالبدن مع تجردها وتنزهها عن الدخول فيه والخروج عنه واتصالها به وانفصالها عنه عرف بوجه ما كيفية إحاطته تعالى ومعيته بالموجودات من غير حلول واتحاد ولا دخول واتصال ولا خروج وانفصال وان كان التفاوت في ذلك كثيراً بل لا يتناهي ولهذا قال من عرف نفسه فقد عرف ربه وللتنبيه على هذا المعنى قال بعض المشايخ شعراً :

حق جان جهان است جهان جمله بدن املاك لطائف وحواس اين تن
افلاك عناصر ومواليد اعضا توحيد همين است دگر هاهمه فن

اي الله روح العالم والعالم كجسمه والاملاك حواس هذا الجسم اللطيفة والافلاك والعناصر الاربعة والمواليد الثلاثة اعضاء هذا الجسد وهذا هو التوحيد حقاً وغيره لا يتجاوز كونه فناً من الفنون • ثم يقول ولا يتوهم من ظاهر هذا الكلام ان الواجب الحق روح العالم ونفسه كما توهم بعض القاصرين تعالى عن ذلك علواً كبيراً فان ذلك على ما حقق في موضعه ممتنع بل غرضه تقريب كيفية إحاطته تعالى بالموجودات من بعض الوجوه الى الاذهان السليمة المستقيمة •

« للبحث تتمة »

ابو عبد الله الزنجاني
عضو المجمع العلمي

العلامة سليم البخاري

لبست دمشق في العام المنصرم لباس الحداد لفقد عظيم دعاة الاصلاح والتجدد ، الثبت الحجة الاستاذ سليم افندي البخاري شهرة ، الآمدي محتداً . فقد لبى دعوة ربه الى الدار الآخرة في اليوم العاشر من جمادي الاولى سنة ١٣٤٧ هـ والرابع والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٢٨ م عن عمر بلغ زهاء ثمانين سنة لانه ولد في دمشق غرة سنة ١٢٦٨ هـ كما وجد ذلك بخط يده . وقد شيعت جنازته بحفل عظيم امتاز بهيبة السنة لخلوه من البدع اذ ساد به الصمت بدون نداء المؤذنين فرادى او مجتمعين عملاً بوصيته ودفن في مقبرة الدحداح ، نور الله ضريحه .

حياته العلمية = بعد ان نشأ وتخرج من المدارس التحضيرية ، تولى شؤون ثقيفه وتربيته العلمية خال والدته الشيخ محمد البرهاني من فقهاء دمشق الاحناف ، وعهد الى

الشيخ عمر حفيد الشهاب العطار بتعليمه علوم اللغة العربية من صرف ونحو ومعان وبيان وبديع ووضع ، والعلوم العقليـة من منطق وحكمة وجدل . ولم يقتصر عليهما ، بل لزم ايضاً غيرهما من العلماء الاعلام أضراب منلا طه الكردي وأستاذي شيخ العلم في دمشق ابي بكر (بكري) العطار ، والشيخ محمد الامامي الشهير بابن الجوخدار ، ومفتي المذهب المالكي بدمشق الشيخ محمد صالح الجزائري والد أستاذنا العلامة البحاثة الشيخ طاهر الشهير ، والعلامة الفقيه الشيخ عبد الغني الغنيمي الشهير بالميداني شارح كتاب القدوري ، فتلقى منهم ماتلقى من العلوم العربية والعقلية واصول الفقه والكلام والتفسير . ثم اخذ الحديث الشريف رواية ودراية عن الشيخ سليم العطار . وحظي ايضاً بمجالس فقيـه الديار الشامية السيد محمد دالحمزاوي الحسيني مفتي دمشق الاسبق ، وأجازه بما يرويه عن أشياخه أرباب الاسانيد المسلسلة الرواية ، ولا سيما اعلاهم سنداً محدث الديار الشـامية الشيخ عبد الرحمن الكزبري .

وحينما أدى حجة الاسلام مكث مجاوراً بمكة المكرمة ستة اشهر تلقى في غضونها الربع المجيب ومتن الشمسية في المنطق من صاحب إظهار الحق الشيخ رحمة الله الهندي ، وسمع احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي من السيد احمد الدهان من علماء أم القرى وساداتها . ولزم دروس صاحب المؤلفات الكثيرة السيد زيني دحلان مفتي مكة المكرمة .

ثقلد وظيفة مفتي كتيبة المدفعية (مفتي آلاي) في الفيلق الخامس من فيالق الدولة العثمانية وهو فيلق قطر الشـام وذلك على حداثة سنه فأحرز قصب السبق في الاستفانة على من باروه في حلبة سباق الامتحان لغزارة علمه وقوة عارضته مع إجادته التكلم والكتابة باللغة التركية ومعرفته قليلاً من اللغة الفارسية ، وكانت وظيفته هذه من اعظم البواعث على تعارفه الى أغلب علماء الشام لكونه ظل زهاء ربع قرن يفحص طلبة العلوم الدينيـة المخصوصين من عموم المكلفين بالتجند الاجباري . فكثر عارفوه وذاعت شهرته العلميـة في أنحاء القطر وسرت منه الى بعض الاقطار الاسلامية ولا سيما الاقطار المجـاورة . وقد لقي كثيراً من رجالات العلم في الامصار ممن كانوا يمرون بدمشق لحج البيت الحرام او الذين يلقاهم اتفاقاً في بلادهم او في الحرمين الشريفين او في القسطنطينية ، وجرت بينه وبينهم مناظرات علمية عرفوا بهـا غزارة علمه ، وأعجبوا به كما عرف هو غزارة علم

حكيم الاسلام أستاذنا الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وأعجب بنبوغه حينما لقيه اولاً في بيروت وثانياً في دمشق ٠

وكان في ايام فتوته وكهولته يعلم الطلبة العلوم النقلية والعقلية ، واخيراً اخذ يمن في كتب الآداب العربية وأسرارها وكتب التاريخ والطبقات والملل والنحل ، وأسفار الشريعة الاسلامية ولاسيما الامهات السلفية ، وقد اطلع على كثير من نفائس الكتب المخطوطة التي كانت كنزاً دفيناً فحاول هو وصديقه الشيخ طاهر الجزائري ابرازها الى عالم الطباعة والنشر خصوصاً كتب محي السنة الامام ابن تيمية ووارث علومه ابن القيم ٠

وكان من دأبه الاطلاع على المؤلفات الحديثة في علوم الاجتماع والعمران والسياسة والحكمة النظرية والعلوم الكونية المترجمة عن الغرب ، وعلى الصحف السيارة والمجلات الدينية والعلمية ٠ واذا عثر على كتاب يلائم ذوقه لايذره حتى يطلع عليه بامعان من فاتحته الى خاتمته ٠ وله من المؤلفات رسالة في آداب البحث والمناظرة ٠ ورسالة في عقائد الطائفة الدرزية ٠ وله ايضاً تعليقات ومقالات في موضوعات شتى حفلت بها حواشي الكتب التي طالعها في حياته فدل فيها على تمكن من أسرار الادب والشريعة ٠ وفي الحق ان ما كتبه من هذه الرسائل الصغيرة لا يوازي مجال علمه الواسع والذي عاقه عن المضي في التأليف ان احد مشايخه قد كسر همته لما اطلعه على رسالة كتبها وهو في سن الطلب فهزأ به وبعمله حتى غضب مترجمنا واحرق ما كتب فجمد قلمه منذ ذاك العهد ولم يعد الى التدوين الا في الندر ٠ ولم يعرف عنه انه نظ الشعر ولكن انشاءه كان انشاء العلماء لا عيب فيه من حيث البلاغة والفصاحة ٠

وقد نسخ بخطه الجميل بعض الكتب القيمة ، وخدم المعارف خدمة تذكر فتشكر حينما كان من اعضاء الجمعية الخيرية برياسة السيد علاء الدين بن العلامة السيد محمد امين عابدين ٠ وقد تألفت هذه الجمعية المباركة في عهد والي الشام مدحت باشا الوزير العثماني الشهير قبل إحداث مديرية المعارف في ربوعنا على النسق الحديث ٠

سجاياه وأخلاقه — كان — رحمه الله — على جانب عظيم من الذكاء الفطري وسرعة الخاطر ، وقوة الحافظة ، سليم الصدر لا يضمر السوء أو الغش لاحد ، عصبي

المزاج ، جميل الحيا ، رقيق الشمائل ، حسن المعاشرة ، يحب النظافة والاتقان والترتيب ، ويرغب في وضع الاشياء في مواضعها . وكان مهيباً وقوراً بهي الطلعة ، جامعاً بين أناة الشيوخ وهمة الشبان ، ماضي العزيمة ، صبوراً على المصائب ، مقداماً على عظائم الاعمال ، شديد الغيرة على الوطن واهله ، صلباً بدينه ومبادئه القويمة ، يكره التنطع في الدين والتعصب الممقوت ، كثير التواضع مع إباء النفس ، فلا يتزلف ولا يحابي ، ولا يتمجد بالمجد الكاذب والفخفخة الفارغة ، فلم يتذرع بالحصول على الأوسمة الخلابة والرتب الكذابة بل كان يهزأ بها . وكان خضاعاً للحق صداعاً به ، فاذا ثبت عنده ان هذا الشيء حق يخضع له بدون مكابرة ولا مماراة ، وان هذا باطل يجاهر بمناوأته بدون تقية ولو توقع الخطر ، وله مواقف عجيبة مع اولياء الامور في كل دور من أدوار الحكومات المتعاقبة .

اتحد رأيه السياسي مع رأي فتيان الترك الأحرار (تركيا الفتاة) ، فانتظم في سلك جمعياتهم السرية ، وظل زهاء ثلاثين سنة يجاهد في هذه السبيل معرضاً بنفسه لبطش القصر الحميدي ، غير مبال بسعاية الجواسيس المنتشرين في طول البلاد وعرضها ، فلم تقصف له الوشاية قناة ، ولم يفل توقع البطش من عزيمته صفاة ، بل ثبت ثبات الابطال في معترك النزال ، حتى أعلن القانون الاساسي العثماني في سنة ١٩٠٨ م اعلاناً ثانياً في عهد السلطان عبد الحميد الثاني .

ولما رأى طيش سهام الاتحاديين غلب عليه التشاؤم من سوء المغبة ، وانسحب من جمعيتهم . لزم الحياد . ثم اضطر بسائق الحرص على سلامة الدولة الى خرق حياده والمجاهرة بمعارضتهم ، والانتظام في حزب الحرية والائتلاف ، وانتخب رئيساً لشعبته في دمشق ، ولم يروعه ما حاق بزعماء حزب الائتلاف من المطاردة والتنكيل عقب انتصار الاتحاديين على خصومهم بالانتخاب النيابي الذي ربحوه بارهاب الضعفاء وخيانة اكابر المجرمين .

ثم كان في طليعة المنادين بالإصلاح والمطالبة العادلة بحقوق العرب المهضومة بعد ان يئس أحرار العرب من حكومتي الائتلاف والاتحاد لضعف الائتلافيين وسوء نية الاتحاديين نحو الشعوب العثمانية التي ليست تركية ولا سيما الشعب العربي الذي طفق يشعر بقوميته العربية ويتغنى بمجدها السالف . فاشتد حنق أساطين جمعية الاتحاد

والترقي على هذا الشيخ الجريء المقدام واخذوا يتربصون به و باخوانه الدوائر حتى سنحت الفرصة باعلان الحرب العالمية الكبرى وانحياز الدولة العثمانية الى دول اوربا الوسطى .

لا جرم انه كان في العهد الحميدي من دعاة الاصلاح الديني علانيـة ومن طلاب الاصلاح السياسي سراً ، فاستهدف نفسه بآن واحد لضغينة أعداء التجـدد من رجال الدين ، وقذف اتبـاعهم الدجالين وسعايتهم باسم الدين والسياسة ، وعرضهـا ايضاً لخطر البطش السياسي . ولئن نجا من بطش القصر الحميدي فلم يكن ليخلص من الاحراج والاضطهاد ومساورة القلق حينما يشتد تحري المنازل ونبش المكتبات والتفتيش عن الأوراق السياسية بوشاية من كانوا ينسجون السعاية من لحمة الدين وسدى السياسة . وكان كلما حدثت دعوة جديدة او صدر كتاب يدعو الى التجدد يُستدعى من قبل اوليـاء الامور الاستاذان الجليلان اللذان كأنهما رضيعا لبانـ الشيخ طاهر الجزائري والشيخ سليم البخاري . وكان كل منهما ينهج في مناقشته مع الولاة والقواد منهجاً يباين منهج الآخر مع اتحـادهما بالاخلاص وقوة العزائم . فان أستاذنا الجزائري كان لشدة دهائه تتغلب ضابطته اللسانية على عاطفته القلبية ، فكان يسدد ويقارب ، و يضطر بعض الأحيـان الى مغالطة اولياء الامور باسلوب الحكيم . اما أستاذنا البخاري فكان لشدة صفائه تتغلب عاطفته على ضابطته ، فيعرب بصريح العبارة عن فكرته في غضون مناقشته مع رئيسه القـائد العسكري الكبير سواء أكان حائزاً رتبة فريق ام مشير . وموظف لا يملك من موارد الرزق سوى وظيفته يناقش رئيسه الاكبر بدون مبالاة يجب ان يقدر ثباته ومفاداته في سبيل مبادئه . واصح ما يقـال بوصف ذينك الشيخين المخلصين الجزائري والبخاري ان الاول قد قبضه الدهاء ، وان الثاني قد بسطه الصفاء . وكلاهما لقيا في سبيل دعوتهما ضروب العناء . وكانا تمثال الثبات ومثال المضاء . لكن الاول نجا من بطش الاتحاديين . ووقع الثاني في شرك الانتقام اذ سجنه جمال باشا السفاك شهرين في دائرة الشرطة ، ثم ساقه الى مجزر فتيان عرب الشام الأحرار محكمة عالية العرفية اسماً ، فلاقى الألاقي في محنته ، وذاق في سجنه ولغربه آلام الامراض ، را كتظت عليه ضروب الخطوب ، وحاقت به أنواع المصائب من كل جانب . لقد اتصل به وهو سجين أن ولده الذي كان يقود احدى الفرق العثمانية وقع اسيراً في قبضة الجيش الروسي ولم

يوقف له على خبر ، وان ولده الضابط الصغير سيق الى بادية الحجاز .

وبينا هو كذلك قبضت الحكومة على ولده الفار من خدمة الجيش المقصورة الضارب اكباد الابل في بادية الشام ، وجيء به مكبلاً بالحديد ، ولم يكد يصبح الوالد حتى قرع سمعه ان ابنه صار مثله سجيناً في عالية ، واخيراً سل من جنبه الشاب البار الشهيد محمود جلال الى المشنقة .

وامر هذا الطاغية الاثيم بتغريب المترجم له وعائلته الى أقصى الاناضول الغربي على سبيل نقل المكان الى الأبد أسوةً بأسر الشهداء والذين خرجوا من سجون عالية احياء وغيرهم . واستدعاه من السجن المرة الثالثة ليسبر خضوعه للحكومة الاتحادية بعد إرهابه بالتنكيل به وقتل ابنه ، وأخبره انه يريد ان يعافيه من مشقة النفي رحمةً بشيخوخته على شرط ان يكف لسانه من الآن وصاعداً عن القدح بالحكومة ، فما كان منه الا ان طعنه بلسان التورية طعنةً أثرت في صميم فؤاده ، فغضب ، وعدل عن اعفائه من التغريب ، وأنذره باعادة التنكيل فيما اذا ظلّ مثابراً على خطته التي تغضب الحكومة ، فصدر عن مجلسه الرهيب ولسان حاله يقول (اقضِ ما أنتَ قاض) . وآثر عذاب الجثمان بوعثاء السفر ، وأسر التغريب على تعذيب الضمير بالمصانعة والتزلف .

شاء الاستاذ عقب إعلان القانون الاساسي ان يتقاعد عن اعمال وظيفته فطلب إحالته على راتب التقاعد فأجيب طلبه ولزم داره ، وعكف على مطالعة كتبه ومزاولة درسه وبحثه . لكن احد ولاة سورية اسماعيل فاضل باشا أراد ان يخرجه من عزلته وأراده بالحاح ان يكون عضواً في مجلس الاوقاف . وبعد اخذ ورد وشرط شروط قبل وتذرع بمشاريع نافعة حال دون إتمامها عزل الوالي المومأ اليه . وكانت الحكومة تعينه من حين الى آخر في اللجان الحكومية المختلفة . وقد شغرت في ذلك العهد وظيفة فتيا دمشق ثلاث مرات ، فرغب عنها . ثم عين في العهد الفيصلي عضواً في مجلس الشورى ، وقد تذرع بفرض الرواتب الشهرية لبعض العلماء المعوزين المنزوين الذين لا يعرفهم الا العلماء . وحينما أحدث المجمع العلمي العربي في ذلك العهد انتخب في عداد اعضائه . ثم عين عضواً في مجلس المعارف الكبير . وأخيراً أسندت اليه رياسة العلماء في دولة دمشق ، فقام على شيخوخته باعباء وظيفته احسن قيام ، فأعاد الى المسلك الديني هيبته

في الجملة بعد ان شوهته الفوضى ، وأهانه اختلاط الدخيل بالعريق ، وشرع يقرّبه من النظام شيئاً فشيئاً لعلمه باستحالة الطفرة . واحدث لدائرة الرياسة أوضاعاً تقربها من مضاهاة دائرة مشيخة الاسلام العثمانية ، بل تفوقها بادخال التجدد بالتوفيق بين روح الدين ومقتضيات العصر النافعة ، فألف لهذا الغرض وغيره مجلساً برياسته مؤلفاً من مفتي المذاهب الاربعة في دمشق وامين الفتوى وغيرهم من خيرة العلماء المجددين والمحافظين وسماه مجلس الشورى الشرعية ، وأفرز منه لجنة للنظر بالفتاوى التي ترد من جميع مفتي الملحقات على ديوان الرياسة تدعى لجنة تدقيق الفتاوى لانه اوعز الى جميع متقلدي وظيفة الفتيا ان يبعثوا اليه آخر كل شهر بجدول الفتاوى طبق الجدول الذي رسمه ديوان الرياسة . وكان يطرح على مجلس الشورى الفتاوي العصرية التي تقتضيها روح العصر ولا تنافي اصول الدين وقواعده العامة وان لم ينص عليها الفقهاء لعدم حدوثها في ايامهم . وحكمة طرحها على المجلس هو اقترانها بابرام قرار صادر عن جماعة من الفقهاء المحافظين والمجددين . وهذا من أسرع الخطوات الى التوفيق بين الدين والعمران والمحافظة والتجدد . مع مايضاف الى ذلك من الابتعاد عن الاستبداد بالرأي والانفراد بالفتيا . وحظر على غير المدرسين الموظفين الوعظ في المساجد والجوامع بدون وثيقة من قبل الرياسة في العاصمة ومن قبل المفتي في الملحقات منعاً لفوضى التدريس ودجل الجهال . الى آخر ماهنالك من ضروب الاصلاح والمشاريع المفيدة . وأجزلها فائدة مشروع الكلية الاسلامية في المدرسة السميساطية لو لم يحل دون اتمامه مناهضة أعداء الاصلاح الديني ، ولما رأى الحكومة خذلته بعد ان آزرته بهذا المشروع بادئ ذي بدء آثر الاستقالة لولا ان ثبته الحر يصون على نهضة العلوم الدينية وعمران معاهدها .

ولما عقد رئيس العلماء وشيخ الاحرار البيعة بالخلافة لصاحب الجلالة الهاشمية الحسين ابن علي كلفته الحكومة ان ينذر خطباء المساجد بقطع رواتبهم فيما اذا ظلوا مشايعين على الدعاء للسلطان حسين ، فرفض واعتزل منصبه ، فلقبته حينئذ الصحف الحرة بشيبة الحمد ، وملأت ما بين أعمدتها سطور الثناء عليه .

عاد عميد المجددين الى عزلته بعد الغاء وظيفته ، وعكف على مسامرة كتب العلم

وعبادة ربه معرضاً عن مظاهر الدنيا وعشرة بنيها . لكن المقادير شاءت ان نبرهن على مفاداته في سبيل المصالح العامة حتى في أواخر ايام حياته ، فقد تقلد قبيل مرض موته رياسة مؤتمر الاوقاف الاسلامية اجابة لدعوة منتخبيه الوافدين الى دمشق من انحاء قطر الشام ، مقاوماً عجز الهرم وآلام السقم بقوة عزيمته .

و بالجملة فان فقد الاستاذ البخاري ثلم يصعب سده فانه نادرة بين العلماء الدينيين فلا غرو اذا بكاه العرب والاسلام في بلاد الشام وغير الشام .

دمشق : محمد سعيد الباني

الفرق بين تربيتنا

وتربية اهل الغرب (١)

يا سيداتي

كنت أتحامى منذ سنين ان أقف هـذا الموقف على منبر المجمع العلمي لاحدثكن كما حدثت الرجال عشرات من المرات باحاديث تاريخية واجتماعية وأدبية · ذلك — لاني كنت أفضل ان تتولين بانفسكن محاضراتكن لعلمي بان السيدات أعرف بما يصلحهن من الرجال يستطعن الوقوف على الروح النافع في ثقافتهن ، ومع هذا فقد اكتفيت في بادئ الامر بان رجوته من شيوخ اعضاء المجمع وغيرهم ان يحاضركن الحين بعد الآخر ببعض ما يروقكن من الموضوعات وأسفت ولا أزال آسفاً لانه قلّ منكن الآنسات والعقائل اللائي تفضلن فألقين على مسامعكن محاضرات على مثال محاضرات الرجال · وقد وعدني هذه المرة معظم إخواني أعضاء المجمع بان يتولوا بعد الآن القاء محاضرات عليكن متنوعة الأساليب بحسب اختصاص كل واحد منهم واعترفوا معي بانهم قصروا بخدمتكن في السنين السالفة لحصروا وكدهم في محاضرات الرجال وكان الاولى ان تقسم هذه العناية بين الجنسين · وعسانا لا نقصر في هذه السبيل وأعود فألح ان يتقدم بعض فضليات السيدات لالقاء الافكار التي يرين فيهـا فائدة لجنسهن اللطيف · والمجمع مستعد بان يفسح لهن المجال ليقلن ما شئن من الموضوعات الادبية والاجتماعية والاقتصادية والبيتية ليساعدن بنات جنسهن على النهوض والترقي وهذا فرض على أعناقهن لا يقوم به سواهن ·

مما أخر الشرق ان المرأة لم ينظر اليها نظر العناية الا في العصور الاسلامية الراقية · فلما انحطت الامة عادت المرأة الشرقية سيرتها الجاهلية الاولى وغمطت حقها من الحياة الراقية ولم تعد لها ادنى مشاركة في الاعمال العقلية · وبذلك زاد المجتمع الاسلامي

---

(١) من محاضرة للسيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي ووزير معارف دولة سورية القاها على السيدات في ردهة المجمع يوم الجمعة في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٨ و١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤٧ ·

انحطاطاً لان نصف اعضاء المجتمع وهم النساء لم يربين التربية الاجتماعية اللازمة · حقاً ان الشريعة السمحة اذا اعطت المرأة حقوقاً ترفع من شأنها فان القائمين على تنفيذ الشرائع وهم الرجال لم يضعوا المرأة في المكان اللائق بها حتى آل الامر لان يعتقد كثير من المغفلين ان النساء اداة من ادوات البيت تستخدم في بعض الأغراض والأهواء وليس لها وظيفة غير ذلك · تشرى وتباع بحسب رغبة الرجل وارادته فقط تعطى وتمنع على الهوى ·

وكأن ارادة المولى تعلقت ان تبدو شعلة ترقي المرأة من بلاد الغرب بعد ان اشرقت زمناً طويلاً في هذا الشرق فأخذ البنات يتعلمن كالفتيان ومضت الأجيال والمرأة تنافس الرجل هناك في التعلم والعمل حتى استرجعت بعض حقوقها المهضومة وفاقت الرجال في كثير من الأعمال بقدر ما تسمح لها حالتها ووقتها وطبيعتها ·

واذ قد اصبح الغرب مدرسة العالم كله وكانت مدنيته ارقى المدنيات دعتنا الحاجة المبرمة لان نقتبس منه كل ما قام به امره واستقامت رغائبه بقدر ما ينطبق مع عاداتنا وتقاليدنا ويتلاءم مع هوائنا وسمائنا · ولكل أمة مقدساتها ومشخصاتها اذا زهدت فيها تذهب مسحة كمالها وجمالها ·

حقيقة ان المرأة مقصرة في هذه البلاد عن بلوغ شأو النساء في الامم الراقية اليوم قصوراً مخجلاً كان علة الملل في وصمنا بكل نقص ورمينا بكل كبيرة ولكن الذنب ذنب الرجال لا ذنبها · هي ضعيفة واغتصبها القوي حقها ونظر اليها غير نظر الغربي للنساء بل غير نظر الاسلام اليها ولكن هذا التقصير يجب ان يداوى وهذا النقص يجب ان يسار به نحو الكمال ·

ولم ار في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

تعرفت في الشهر الماضي في القطار من بروكسل الى باريز بآنسة في نحو الثلاثين من عمرها وهي ابنة احد اساتذة جامعات البلجيك ومن اعضاء مجمعها العلمي فذكرت خلال الحديث اسفها لكونها لم تتعلم التعليم العالي لان اباها لا يقول بتعليم النساء العلوم العالية بل ان يقتصر في تعليمهن على التعليم الابتدائي علماً منه بان الاخذ في العلوم العالية من الامور البديهية التي لا يحتاج تحقيقها الى مناقشة فكيف يقول والدها بغير هذا القول ومكانته مكانته من العلم والتجارب · · ·

فقلت للسيدة ان اباها على حق في رأيه لانه شاهد اقبال النساء في بلاد كم على تلقف العلم العالي فخاف ان يؤدي الحال بالنساء لان يخرجن عن المنزلة التي وضعتهن فيها الفطرة او الطبيعة لان للمرأة واجبات شاقة غير واجبات الرجل ربما اخرجها التعليم العالي اذا كثر الاقبال عليه عن القيام بها وصرف وجهتها الى مواطن أخرى من الحياة تقل فيها الفائدة ويظهر العجز . وهناك تتزعزع اركان المجتمع وتنهار دعائم المدنية والقومية .

ولكن هذا الكلام اذا صح عن بلاد البلجيك وليس فيها من لا يقرأ ولا يكتب من الرجال والنساء فلا يصدق على هذا الشرق القريب وقلّ فيه جداً عدد المتعلمات ومن درسن العلوم العالية اندر من الكبريت الأحمر ولا اثر لهن . فاذا كان الافراط في تعليم المرأة العلوم المختلفة العالية اصبح شيئاً مرغوباً عنه في ارقى بلاد الغرب وهو الصواب فان التفريط في عدم تهذيب المرأة حتى التهذيب البسيط شيء مرغوب فيه كل الرغبة . والشيء يرتفع ثمنه لندرته ويرخص في القيم وتزهد فيه النفس اذا زاد عن الحاجة عدده فابتذل .

الحياة ميدان جهاد بين الناس لا يختلف فيه ذكر عن أنثى ولا اسود عن ابيض ولذلك رأينا الغرب لما تمت ادوات ترقيه قامت المرأة تغالب الرجل فتغلبه او تكاد . لانها نافسته في المعامل وفي المخازن وفي الحقول وفي الاستخدام فمعظم الفنادق والمطاعم والمقاهي والأندية والمصارف وبيوت التجارة هي بايدي النساء نافسن فيها الرجل فغلبنه وجدلنه بل اخذن ينافسن الرجل في المستشفيات من تمريض وتطبيب وفي المعامل الكيماوية بل وفي التأليف والصحافة والكتابة والمحاماة والحساب . فتآليف النساء في الغرب كثيرة جداً وكلامهن في النظم والنثر مقبول اكثر من كلام الرجال والمحاميات عن قضايا الناس موفقات ببلاغتهن وجربذتهن اكثر من الرجال والصحافيات نافذات الكلم مؤثرات في الاحزاب والنواب ، و بلغ بهن الترقي هناك ان كان منهن النساء الطيارات والغواصات وما ادري اي صنعة من الصنائع في الغرب لم تشارك فيها المرأة الرجل ولم تسر معه جنباً الى جنب سير المثيل للمثيل .

بل ان السيدات في بعض البلاد قد نلن حقوقهن في النيابة عن أممهن وقمن بهذا الواجب على ما يقتضيه وما زلن مجدات ليأخذن جميع حقوقهن التي سلبها الرجل منهن

بقوته منذ الازمان الهمجية الاولى · وانتهز الرجل فرصة جهل المرأة فاشتط في اغتصابه حق غيره وادعى الارجحية والاولية · شأن القوي مع الضعيف في كل عصر ومصر ·

اذا عرفنا كل هذا فمن الحق ان يقال ان المرأة الغربية ظلت قروناً وهي تقاوم الرجل في نيل حقوقها ولم يتيسر لها بلوغ هذا المبلغ من الترقي حتى جاءت عدة بطون كان كل بطن ارقى من سالفه فاذا رأينا نحن ابناء هذا العصر نهضة المرأة الغربية ومايصدر عنها من اعمال عظيمة لا ينبغي ان تأخذ منا الدهشة مأخذها وان نذهب الى ان هذا مما تم على ايسر حال وما هو في الواقع الا ابن الاجيال الطوال · فقد سئل احد رؤساء الجامعات في اميركا ما هذا الذي وصلتم اليه من درجات المدنية فأجابه انه نتيجة بضعة بطون ارتقت كان كل بطن يأتي اقدر ممن سبقه وهكذا حتى تكونت جراثيم الترقي على ما رأينا في هذا العصر فمدنيتنا مجموعة جهود وعمل بطون كثيرة في شتى القرون ·

من طبعنا معاشر الشرقيين ان نتطلب في الحال إتمام العمل على اي صورة كانت من النقص الظاهر ومن طبع الغربيين ان يتموا العمل على ما يجب ان يكون · ولذلك نرى كل يوم الفرق بين صناعاتنا وصناعاتهم وعلومنا وعلومهم واعمالنا واعمالهم وان الاختلاف بين الشرقيين والغربيين بعيد يكاد يكون على مثال المسافة المحسوسة بين المشرقين والمغربين · نعم من طبعنا ان نتعجل الشيء قبل اوانه ومن تطلب الشيء قبل اوانه عوقب بحرمانه ·

فالمرأة الغربية كما قلنا هي في تمدنها هذا ابنة قرون طويلة ونحن اذا جئنا نقلدها في كل شيء نخطئ خطأ شديداً لان المرأة هناك جرت على سنة النشوء والتكامل · وبديهي اننا لا نستطيع ان نرتجل تربية خاصة لامة نرى الفرق محسوساً بين عقليتها وعقلية غيرها · نحن الآن نحتاج الى ان نأخذ من اوربا في تربية نسائنا ان يكنّ على شيء من الصبر والثبات اولاً وان يتعلم ما امكن جميع النساء التعليم الابتدائي وقليل منهن يتعلمن بحكم الطبيعة والحاجة التعليم الاوسط او العالي وان تعمل كل امرأة واجبها نحو ابيها وأمها وزوجها واولادها · ولكن الوصول الى هذه الدرجة نحتاج الى ان نعمل له ثلاثين سنة أخرى على الاقل وان تقوم الطبقة المثلى منكن تجتمع وتفكر وتقدر وتقرر وتنفذ فما حك جسمك مثل ظفرك · نعم يجب اعتماد النساء في نهوضهن على عملهن الخاص واجتهاد افراد منهن فقد تركن الحبل على الغارب واتكلن على الرجل في كل شيء فأصبح الاتكال لمن خلقا السنن به ولم يعدن

بتكرنه فضاعت مع الزمن بعض مزايا كانت مغروسة في بنات حواء واصبحت وظائفهن محصورة في دائرة ضيقة وتزيد ضيقاً كلما كان الرجال يجورون عليها وينحط المجتمع حتى بلغ ضعف العقول في الرجال ان اسقطوا انفسهم واسقطوا معهم شركاء حياتهم بتحكمهم البارد وآرائهم التي لا مبرر لها من شرع وعقل .

اعود فأقول ان في المدنية الاوربية ياسيداتي عيوباً كما فيها حسنات فحسناتها اكثر من ان تعد ولكن لما كانت هذه المدنية اميل الى الماديات جاءت فيها نقائص ارجو ان لانقتبسها ولا ان نأخذها بدون قيد ولا شرط فقد طمنت الفضائل في قلبها بكثرة اختلاط الجنسين في المعامل والمصانع والمحال العامة ففسد نظام الأسرة وقل النسل . وعلماء الاجتماع والاخلاق في اوربا واميركا اليوم ينادون بالويل والثبور ويحاذرون مما اصاب المجتمع الغربي ويصيبه بسبب هذا النقص والرجاء معقود ان لا تدخل الينا هذه العادات التي ما استولت على أمة الا وافسدت نظامها وقربت اوان انحلالها .

فالواجب على مجتمعنا اذاً ان يأخذ عن الغرب ماينطبق مع تقاليده وعاداته في الجملة يأخذ النقاوة ويرمي بالنفاوة . ولايتقيد كل هذه القيود ولا يفلت كما هو الحال هناك من كل قيد ، ومن العادات مالو دخل في مجتمعنا لزاد شره المستطير اضعافاً ، وتعجبني ابيات حافظ ابراهيم في الحجاب وفيها التوسط المقبول المعقول :

انا لا اقول دعوا النساء سوافراً — بين الرجال يجلن في الاسواق
يدرجن حيث اردن لا من وازع — يحذرن رقبته ولا من واقي
يفعلن افعال الرجال لواهياً — عن واجبات نواعس الأحداق
في دورهن شؤونهن كثيرة — كشؤون رب السيف والمزراق
كلا ولا ادعوكم ان تسرفوا — في الحجب والتضييق والارهاق
ليست نساؤكم حلى وجواهراً — خوف الضياع تصان في الاحقاق
ليست نساؤكم اثاثاً يقتنى — في الدور بين مخادع وطباق
تتشكل الازمان في ادوارها — دولاً وهن على الجمود بواقي
فتوسطوا في الحالتين وانصفوا — فالشر في التقييد والاطلاق
ربوا البنات على الفضيلة انها — في الموقفين لهن خير وثاق

وعليكمو ان تستبين بناتكم نور الهدى وعلى الحياء الباقي

نعم ياسيداتي خير الامور الوسط والواجب على كل رجل وعلى كل امرأة ان يقوم بواجبه على مايجب وبقدر مايجب في الحين الذي يجب ولن يهمل نصب عينيه اولاً الغرض الاسمى من التمدن . فالمدنية كنز ثمين يرجو كل عاقل ان لا يسلب منا ، فقد اتفق لنا في الادوار السالفة والخالفة ان كنا من العفاف على جانب تحسدنا عليه الامم وكنا متمدنين عاملين ولنا دول خضع لسلطانها اهم اجزاء العالم وكنا حملة العلم والآداب ودعاة فضائل واعمال . وكان من نسائنا الجاهدات والممرضات والعالمات والمحدثات والمقرئات والاديبات وكن يشاركن في كل خير فقد رأينا قسماً مهماً من مدارس دمشق القديمة من وقف ربات الخير من النساء فلو لم تكن لهن ثقافة عالية هل كن يفكرن في مثل هذه المبرات ؟ .

ليس في الاديان السماوية كلها مايعوقنا عن المضي في سبيل التعليم والتربية وهذه اول درجة في سلم ارتقاء البشر فنحن في نهوضنا لا نلام اذا طبقنا النقل على العقل وشريعة هذا السواد الاعظم في ديارنا مرنة تطبق في كل عصر ومصر اذا كانت ايدي القائمين بالامر رشيدة حاذقة بعيدة عن الجمود والجهل المميت . قلت في محاضرة الاسبوع الفائت ان سر مدنية الغرب دؤوب دام قروناً مطرد الاوائل بالاواخر ونظام نافذ لا يرحم من لا يعمل ولا يبقي على جاهل وضعيف . الغربي يحتفظ بالقديم ويتهالك في اقتباس الحديث . والشرقي جمد على قديمه وقلما تحدثه نفسه ان يأخذ الحديث الا بحيطة شديدة وبطء مؤسف حتى بلغ به ضعف المدارك ان اصبح يجادل في البديهيات من غير استحياء واذا جئت تنظر في الهمم والمضاء بين الشرقي والغربي فهناك جماع فضائل الغربي وهناك ينقطع الشرقي ويتفاوت البون بين الخلقين والجيلين .

هناك يفنى الفرد في المجموع وهنا يعبث الفرد بالمجموع ويحق ماقال بعضهم الغرب هو التسلط على الطبيعة بالعمل ، والشرق هو استثمار الانسان للانسان وقد جود حافظ في التنظير بيننا وبين الغربيين فقال :

شمسهم غادة عليها حجاب فهي شرقية حوتها الخدور
شمسنا غادة ابت ان توارى فهي شرقية جلاها السفور
جوهم في تقلب واختلاف غير ان الثبات فيهم وفير

جودنا أثبت الجواء ولكن ليس فينا على الثبات صبور
ولديهم من الفنون لباب ولدينا من الفنون قشور
فاذا ماسألتني قلت عنهم امة حرة وفرد اسير

كانت الممالك تقوم عندنا بالافراد النابهين من الحكام اذا ذهبوا انقطعت اعمالهم وممالك الغرب تقوم بالجماعات اذا هلك الفرد لا يكاد يشعر به و يأتي بعده من يتناول عمله فيتمه ولا يخطر بالبال ان ذلك مما تتأذى به عزة نفسه لانه سار على سنن من تقدمه فالغرب اقرب الى تسلسل الفكر او قل هو اقرب الى القانون والشرق ضيعة للتسلسل وربيب الفوضى · اذا قيل ان مدنيتي الغرب مادية صرفة لا شأن فيها للمعنويات فمدنية الشرق مغموسة بالمعنويات والشأن فيها للماديات قليل او هو فيها امر ثانوي لا يؤبه له يقال ان ماديات مدنية الغرب اكثر من معنوياتها فهذه للاولى تبع ومعنويات المدنية الشرقية اكثر من مادياتها وزادت ضعفاً على ضعفها في العهد الاخير فأصبحت ضئيلة في معنوياتها وماديانها · والماديات السلم الموصل الى بلوغ كل قوة · واي معنويات تبقى لمن تجرد من المادة وهل من غناء للضئيل في المجتمع كالقوي ·

ومن الانصاف ان يقال اننا بقدر ما نرى في المدنية الحديثة من فضائل نرى فيها ما يقابلها من رذائل ولكن الفضائل تربو على غيرها كثيراً · فالامثل بقومنا ان يقتبسوا الخير و يغضوا الطرف عن الشر · ولو عقلنا لما سرنا الا على هذا المنهاج ولتأملنا ملياً قبل ان نطرح عاداتنا ونقتبس غيرها · انت اوربا بهذه المدنية الساحرة فانتفعت بعملها الانسانية جمعاء و يغتفر النقص القليل فيها في جنب ذاك الكمال · ولا نقول الكمال المطلق لانه لا يرجى ان يكون في هذا البشر ولا وقع في عصر من عصور التاريخ الذي انتهى الينا ·

اخترعت اوربا اموراً خففت بها امراض الانسان · واخترعت اموراً تعجل في ازهاق روح الانسان · ونظنها في الاولى انفع منها في الثانية · اخترعت ادوية قللت من عدد الوفيات كعلاج الجدري والحميات والاوبئة والامراض الزهرية والكزاز (تيتانوس) والخناق والنقرس الحاد · و كثرت بالمدنية امراض السرطان والسل واوجاع القلب والكلى والامراض العصبية والعقلية · وكان معظم انتشار هذه الامراض من

ازدحام السكان في بقعة واحدة ومن رغبة الفلاحين في مغادرة القرى الى المدن واتخاذها سكناً . فالمدن في الغرب يزيد كل سنة سكانها بمن يهاجر اليها خاصة من القرى لانهم يذهبون الى ان العيش في المدن ارفه واربح .

رأى القرن التاسع عشر البخار والكهرباء ومنهما نشأت اكثر ادوات هذه المدنية الحديثة ، فكان من ابرك القرون على الانسانية . واخترعت امور في الطب والجراحة خففت من ويلات الطواعين والاوبئة والامراض الوافدة ولكن بدأ فيه استعمال المورفين ثم تبعه الكوكايين والهيرويين وكل ما فيه داء دفين وكثرت السموم من المشروبات الروحية فاضرت بالعقول والاجسام . ورأى القرن العشرون انواعاً من الاختراعات فعرف الراديوم واخترعت الطيارات والسيارات والغواصات الى غير ذلك مما فيه خير كثير وشر قليل . وليس في العالم خير محض ولا شر محض .

يقول رجال الطب والصحة ان هذه الحياة الشديدة والنشاط المتواصل والحرص الذي استولى على النفوس سيؤدي بالمدنية الحاضرة الى الهلاك ويقضي على العناصر والشعوب ويقلل ايام الحضارة . ذلك لان اهوية المدن مشبعة بالغبار والغازات الضارة وقليل اوكسيجينها . وفي هذا المحيط القذر تكثر الامراض وتنتقل من السقيم الى السليم بسرعة ويكثر الفحش والمسكرات والموبقات . فكأن معظم هذه العيوب خاصة بالبلاد الصناعية . وللصناعة ادواء كما لغيرها من اعمال الناس . وكيف تجود الصحة مثلاً في مدن لم يكتف اهل الغرب ان يبنوا على سطحها بل اخذوا يبنون بيوتهم في جوها . فالبيوت ذات الستين والسبعين طبقة في نيويورك مثلاً اصبحت من الامور العادية وقد قدروا عدد السكان في كل كيلومتر واحد من هذه المدينة العظيمة فبلغ مائتي الف ساكن . واما البنايات ذات الطبقات العشر في اوربا فهي من السذاجة بحيث لا تحتاج الى بحث ولا نظر ولا توجب دهشة ولا استغراباً .

ثم ان الصناعة في الغرب قللت من رغبة الناس في الزواج لان العاملة لا تستطيع ان تكون ربة بيت وهي تعمل طول نهارها وجزءاً من ليلها في المعمل والمصنع فقلت المواليد في فرنسا اولاً فنزل معدلها في مئة سنة من ٣٥ في الالف الى ١٨ . ثم أصيبت بهذا النقص ايضاً بريطانيا العظمى والمانيا وايطاليا والولايات المتحدة ثم اوستراليا ثم سويسرا وهي من

البلاد التي بلغت فيهـا المدنية ارقى درجاتها . وتعذرت الحياة المرفهة على الناس فأخذ الكثير من اهل المدن لايفكرون في الزواج واذا تزوجوا ارتكبوا كل منكر ليفسدوا طرق التناسل و يصابوا بالعقم على العمر . اعرف عشرات من الرجال المذكورين في مجتمعهم وقد بلغ بعضهم سن اليأس فلم يتزوج اي بلغ الشيخوخة ونحو العشر الآخر أولد اولاداً والنسمة الاعشار الثانية عاش اربابها عقماء . وربما يتبادر الى الذهن ان اهل الغرب اذا تزوج كل من كان منهم في سن الزواج زادوا ضعفين اوثلاثة عما هم الآن . وهذامعقول ولكن أكانت بلادهم تؤويهم وتطعمهم ؟ ام كانوا يهاجرون بحكم الطبيعة الى آسيا وافريقية و يعمرون الاصقاع الغامرة منها . ولعلهم يفعلون ذلك في مستقبل الايام خصوصاً اذا عالجوا مسألة التناسل بعد ان عرفنا ان معظم الامم الاوربية اصبحت لاتزيد مواليدها الا قليلاً .

حدثني الاستاذ مرجليوث ان عدد النساء في انكلترا اليوم يزيد على عدد الرجال مليونين وهذا من المعضلات الكبرى في حياة الانكليز . وانا اقول ان ذلك اخرجهم عما كانوا معروفين به من الصيانة . ولقدكان من المشهور ان انكلترا اقل الامم الغربية الكبرى فساداً واقربها الى الاخلاق الفاضلة ولكن الحرب العامة كشفت الحجاب عما كان مستوراً بعض الشيء وزاد في العهد الاخير سوءاً فأخذت المرأة في انكلترا تستمتع بحرية ما كانت لها وكادت حال البلاد البريطانية تشبه في هذا الباب حال فرنسا والمانيا وايطاليا واميركا .

وبعد فان علة العلل في الشرقي انه لايتعلم صناعة فيتقنها بل يقف عند شفير الوادي منها لاتحدثه نفسه ان يخصي فيها اخصاء الغربي وان يرقى بها اعلى القمم . وكل مركز مصنع تطاول اليه صاحبه بدون ان يمد ادواته يسقط من حيث يريد الصعود . والتلفيق لايكون كالتحقيق مهما طليته بطلاء ظاهر وحليته بما تراه جميلاً من حال . واذا الشيء لم يأخذ من نفسك لا تبرّز فيه .

وعلى الجملة فان حسنات الغرب في باب العمليات أعود عليه من حسنات الشرق على مايظهر فانها هنا تجمد عند حد الانظار او النظريات .

انتهى المنقول من كلام طويل القيته على الرجال في الاسبوع الماضي . بقي ان اقول ان

السعادة لا تدخل بيوتنا حقيقة الا اذا تعلم النساء وتهذبن التهذيب العصري الممزوج بآدابنا الاصلية وكل شيء موقوف على العلم ، فقد شهدنا اثره في كل بيت وفي كل عمل . ولكم رأينا الفرق محسوساً بين بيت درست ربته بضع سنين في مدرسة بسيطة وبين دار سيدة لم يكتب لها ان شغلت عقلها بالدرس ولا قلبها بالتعلم . عصر الأمية انقضى والامية من أعظم عيوب هذه الديار واول نقص تجب معالجته . وبالامية انتشرت فينا أمراض أقلها مما يهلك أمة بامرها . وبالامية ولاسيما بين النساء شقيت أمتنا قروناً فكانت في مؤخرة الامم المنحطة حتى أصبحوا يتهموننا في الغرب ضروب التهم . بل أصبح الرجل منا اذا جرى حديث المرأة الشرقية لا يعرف كيف يتخلص من بحث هذا الموضوع اذ يجد أمامه شوكاً وعوسجاً يصيب رجليه و يديه ووجهه فيرتبك في امره .

سيداتي أخاف ان أسترسل على هذا النحو في محادثتكن وأخاف ان أكرر الحديث لئلا أدخل السآمة على نفوسكن . فالحديث المعاد بارد والكلام في بديهيات المسائل ابرد . ولولا انكن من طبقة الدارسات ومن ربات بيوت معروفة بالعلم والتهذيب لما جسرت ايضاً ان أحدثكن هذا الحديث . وغاية ما يرجوه كل من يحب أمته ان يقوم كل فرد بواجبه قولاً وفعلاً ظاهراً وباطناً وبذلك تستقيم أحوالنا .

قرأت امس في كتاب جديد لعالم عربي أغترب كثيراً في بلاد الغرب وقابل بين أمتنا وبين الامم الاخرى نبذة مؤثرة وصف فيها العرب قال : « عرف عنا نحن العرب انا ميالون الى التطرف في كل شيء ، الى تضحية النفس والى الأنانية الزائدة الى الحب العذري والى التهتك ، الى الصداقة النادرة والى الحقد اللانهاية له ، الى التـألّه والى الشغف بالماديات ، الى الديموقراطية الحقة والى عبادة الشخصيات البارزة ، الى الاعتداد بالنفس وشدة الاعتماد عليها ، والى سرعة اليأس والسقوط في القنوط عند اول صعوبة نجدها في طريقنا ، وبعبارة أخرى ان في الامة العربية قوى عظيمة تارة تدفعها الى أشرف الاعمال وطوراً الى أسفلها وأخسها » .

قال وسبب ذلك على مايظهر له ان هذه الامة العظيمة الذكية العاقلة على الاطلاق تعيش وتتمسك بعواطفها القوية أكثر مما تعيش وتتمسك بعقولها وتسير في حياتها واعمالها اليومية بقوة المصالح الشخصية التي لا تترك سبيلاً للحصول عليها الا طرقته . هذا تاريخنا

يشهد علينا اننا قوم ذوو ذكاء ومقدرة على الاعمال وذوو نظر بعيد ولكننا سراع التأثر ضعاف قوة التوازن . وسرعان ماتقع في اليأس ان اصابتنا مصيبة .وان اصابتنا حسنة اخذتنا سورة الفرح وكدنا نفقد رشدنا . قال وهذا الحكم ينطبق على الافراد والمجموع ويجري على كبيرنا وصغيرنا وعالمنا وجاهلنا الا ماندر .

وانا أقول ان في هذا الحكم القاسي شيئاً من روح الحق والانصاف ، بيد ان هذا الخلق الماثل في كل طبقاتنا لا سبيل الى معالجته الا من طريق الام ، فالام مدرستنا والام مرشدتنا ، والام عمدتنا في نهضتنا ، والام سلوتنا في خلوتنا وجلوتنا ، وعليها نعقد كل الآمال في جميع الاعمال . اما هي فعليها تبعات ومسؤوليات ، واجبها كثير ، وبيدها مفتاح كل خير ، ولو صحت نيتها ان تدفعنا شوطاً الى الامام لكان لها ذلك ، لانها متحكمة في كل شيء ، مؤثرة في المجتمع ، تلبسه متى أحبت الصورة التي تستحسنها فقد قال الرصافي :

ولم أر للخلائق من محل ... يهذبها كحضن الامهات
لحضن الام مدرسة تسامت ... بتربية البنين او البنات
واخلاق الوليد تقاس حسناً ... باخلاق النساء الوالدات
وليس ربيب عالية المزايا ... كمثل ربيب سافلة الصفات
وليس النبت ينبت في جنان ... كمثل النبت ينبت في الفلاة

فصح وشوارد

أَشْرَت الشجرة : خرج منها الشري · قال ابو حنيفة يقال لمثل ما كان من شجر القثاء والبطيخ شري كما يقال لشجر الحنظل · واستشرت الشجرة : كان لها شري ·

وسوّط الكرّاث : اخرج سياطه وهي قضبان الكرّاث التي عليها زماليقه ·

وعلّف الطلح وأعلف : خرج عُلّفُه وهو ثمر الطلح يشبه البـاقلاء الغضّ يخرج فتَرعاه الابل الواحدة عُلّفة ·

وأزمعت الحبَلة : عظمت زمعتها والزمع عُقد تكون في مخارج عناقيد الكرم ·

وشكرت النخلة : خرج منها الشكير وهو فراخ النخل ·

وأغصنت الشجرة : أنبتت اغصانها · وعسلجت : اخرجت عساليجها · والعُسلُج والعُسلوج والعِسلاج : ما لان واخضر من قضبان الشجر والكرم اول ما ينبت ·

وعذق الاِذخر : صارت له عذوق وشعب · والعذق كل غصن له شعب · وشكرت النخلة : كثر شكيرها ·

واستأرض الفسيل : صار له عرق في الارض · وعرّق الشجر وأعرق وتعرّق واعترق واستعرق : امتدت عروقه في الارض ·

وليّفت الفسيلة : غلظت وكثر ليفها ·

وألثيت السمرة تلثى لثىً : خرج منها اللثى ونديت فهي لثية قال ابو عمرو اللثى ماء يسيل من الشجر كالصمغ فاذا جمد فهو صمرور · وتلثى الشجر : سال منه اللثى · واصمغ : سال منه الصمغ ·

واغثر الرمث : سال منه المغثور · والمغثر والمغثار والمُغثور شيء ينضحه الثمام والعشر والرمث مثل الصمغ وهو حلو كالعسل يؤكل وربما سال لثاه على الثرى مثل الدبس وله ريح كريهة ج مغاثير و يبنون منه فعلاً فيقولون تمغثر الرجل اي اجتنى المغثر ·

وعشب المكان : نبت عشبه فهو عاشب · وعشبت الارض : نبت عشبها وكذا عشّبت وأعشبت · وأبشرت : اخرجت بشرتها اي ماظهر من نباتها · وأبقلت : انبتت البقل · وألحست : انبتت ماتلحسه الدواب · وألمعت : صار فيها لمعة من الكلأ ·

وأذرقت : انبتت الذُرَق وهو الحندقوق · واصغرت : صار نباتها صغيراً ·
وقد تموَّه المكان اي صار مموَّهاً بالبقل · وأثغم الوادي : انبت الثغام وهو شجر ابيض الزهر والثمر كأن جماعتها هامة شيخ · واحدته ثغامة · قال الشاعر يخاطب نفسه :

أعلاقة امَّ الوليد بُعَيد ما افنان راسك كالثغام المخلس

وأبهمت : انبتت البُهمي — وكثر بهماها والبهمى نبات يشبه الشعير ولعله المسمى عند بعض العامة بالشيفون · وبدريت : صارت ذات بداقر اي كماة وتراب ·
واحقلت : صارت حقلاً · واحاجت واحيجت : انبتت الحاج وهو الشوك ·
وادرمت : انبتت الدرماء وهي نبات احمر الورق ·
وربَّلت واربلت : انبتت الربل وهو نبات شديد الخضرة ·
وارطت : اخرجت الارطى وهو شجر نوره كنور الخلاف وثمره كالعنَّاب واحدته ارطاة ·
وارغلت : انبتت الرُغل وهو نبت · واشاحت : انبتت الشيح ·
واغفرت : نبت فيها شيء من الغفر وهو نبات ربعي ينبت في السهل والآكام كأنه عصافير خضر قيام اذا كان اخضر فاذا يبس فكأنه حمر غير قيام ·
وأضيَلت وأضالت : انبتت الضال وهو من السدر ما كان عذياً وقيل السدر البري — وشجر آخر ·
وألمَّت : انبتت الأُماع وهو نبت ناعم في اول ما يبدو الواحدة أُماعة ومنه « انما الدنيا ساعة · ومتاعها لماعة » اي قليل البقاء كالنبت الأخضر ·
وأقصَّت : انبتت القصيص وهو نبت ينبت في اصول الكماة وقد يغسل بمائه الراس وفي اللسان القصيصة شجرة تنبت في اصلها الكماة ويتخذ منها الغسل ·
وألحت : انبتت الاقحوان وهو نبات له زهر ابيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء واوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها الاسنان ·
ونشرت : انبتت النشر وهو الكلأ يبس فأصابه مطر دُبر الصيف فاخضر وهو رديء للراعية يهرب الناس منه باموالهم ·
وظفَّرت : اخرجت من النبت ما يمكن احتفاره بالاظافر ·
ودغلت : صارت ذات دغل (الاساس) والدغل هو الشجر الكثير الملتف — واشتباك

النبت وكثرته · وأدغلت : كثر دغلها . واستكلأت : صارت ذات كلأ ·

واقصبت : كان فيها قصب · واقضبت : صارت مقضاباً اي تنبت القضبة كثيراً والقضب كل شجرة طالت وسبطت اغصانها — وشجر تتخذ منه القسي — والقت ·

وجرزت واجرزت : صارت جُرُزاً وهي الارض أُكل نباتها او قُطع ·

وتصربت كان فيها صربة وهو مايتحبر (يخضر ويورق) من العشب والشجر بعد اليباس ·

وأفقلت : صارت ذات فقل اي ريع تقول هذه ارض كثيرة الفقل ·

وأورست : صارت ذات ورس وهو نبات كالسمسم اصفر يزرع باليمن و يصبغ به و يتخذ منه الغمرة للوجه فاذا جف عند ادراكه تفتقت خرائطه فينفض فينتفض منه الورس ·

ويقال تعممت الآكام بالنبت اي ظهر عليها كالعمامة ·

واكتست الارض : تم نباتها والتف حتى كأنها لبسته ·

وقد أراض الله الارض اي جعلها رياضاً ·

وأدلست الارض : اخضرت بالأدلاس والدلس نبت يورق آخر الصيف وقيل بقايا النبت والبقل ج أدلاس · وابهجت : بهج نباتها · وجُنت وتجننت أخرجت جنها اي زهرها ونورها ·

وقد اعشوشبت اي كثر عشبها · وحطبت : كانت كثيرة الحطب · ومثله احطبت قال الشاعر :

وادٍ حطيبٌ عشيب ليس يمنعه من الانيس حذارُ اليوم ذي الرهج

وبرضت وإبرضت : كثر بارضها وهو اول ماتخرج الارض من نبت — ونبت الارض ·

وأجبأت : كثرت جبأتها وهي الحمر من الكمأة قال ابن احمر : الجبأة هي التي الى الحمرة ، والكمأة هي التي الى الغبرة والسواد ، والفقعة البيض وبنات أوبر الصغار ·

وأجنت : كثر جناها وهو ما يجنى من الشجر مادام غضاً — والرطب ·

وأحشت : كثر حشيشها او صار فيها حشيش · وأخمرت : كثر خمرها وهو ما واراك من شجر · وأخلت : كثر خلاها وهو الرطب من النبات · وادغلت : كثر دغلها ·

« النبك » : سالم خليل رزق

آراء وافكار

كتابة الهمزة

جال بخاطري ان اكتب هذا المقال وانا أدرّس طلاب اللغة العربية كتابة الهمزة ، اذ ذكرت الصعوبات التي كنا نصطدم بها ابان التلمذة عند درسها ورأيت بام عيني الجهود العنيفة التي يبذلها اليوم التلامذة للوقوف على كنهها والتوصل الى كتابة كل همزة دون خطأ .

ان معرفة كتابة الهمزة تقتضي معرفة ما ينيف على عشرين حالة : فالهمزة في بدء الكلام لها اصول تختلف عن الاصول المتعددة التي لها في الحشو او الطرف . ولا اورد هنا القواعد كلها خشية الملل فأذكر الامثال الموضوعة التي تمثل أنواع تلك القواعد في كل مثل تكتب الهمزة على شكل مختلف .

أثلة . إصبع . لؤم . ذئب . رأس . إئذن . أؤتمنت . سأل . سئم . لؤم . مآب . مؤن . فئة . رؤوف . لئيم . يسأل . يلؤم . ييئس . الرائي . الرائي . بقاؤه . بقاءه . بقائه . قراءات . جزء . جرؤ . قرأ . صدئ . نشأة . لؤلؤة . خطيئة . قراءة . مروءة . ملأى . سوءى .

هذه هي الامثال التي تمثل مختلف القواعد التي وضعها الصرفيون لكتابة الهمزة . فانت ترى انه يعسر على الطالب ان يجمع في ذهنه كل هذه الحالات : الهمزة في الابتداء . في الوسط . في الطرف . متحركة . ساكنة . قبلها فتحة . ضمة . او كسرة . وقعت بعد حرف مد . اوقبل تاء التأنيث . بين الالف والياء . اوغير الياء وهلم جرا . . كل هذه الامور يجب ان يفكر فيها الطالب عندما يحاول كتابة همزته دون خطأ .

لماذا كل هذا ايها اللغويون ؟ ما القصد من الخط ؟ أليس القصد هو ايصال أفكارنا الى غيرنا بطريق الكتابة . فلو كتبنا مثلاً جرؤ بهذا الشكل او كتبنا الهمزة بصورة حرف حركتها اي بصورة الالف هكذا جرأ . الا نلفظها في الصورتين لفظاً

واحداً . إذن لماذا لا نوحد هذه القواعد الكثيرة ونختصرها بقاعدتين فقط وهما :

اولاً : اذا وقعت الهمزة في ابتداء الكلام تكتب بصورة الالف مطلقاً .

ثانياً : اذا وقعت في غير الابتداء تكتب بصورة حرف حركة ما قبلها اذا كانت ساكنة . واذا كانت متحركة تكتب بصورة حرف حركتها .

بهذا التوحيد نكون أزلنا عقبات جمة من أمام الطلاب وكتاب اللغة العربية كافة فما رأي الاساتذة علماء اللغة والصرف في ذلك ؟ .

راضي دخيل

مطبوعات حديثة

جمهورية افلاطون

كتاب جليل الفائدة يقع بنحو ثلاثمائة صفحة من قطع الربع اهدته مجلة المقتطف القراء الى قرائها في منتهى هذا العام (عام ١٩٢٩) وهو مجموعة كتابات فلسفية يونانية لمعلم الفلاسفة العظيم افلاطون كانت مبعثرة في كتب جمة فجمعها الكتاب الانكليز في كتاب واحد . ثم نقلها السيد حنا خباز عن الترجمات الانكليزية .

كتبت فلسفة أفلاطون بصورة محاورات صعبة الفهم لان الحكمة فيها ممزوجة بالشعر والفن بالعلم مزجاً يُطرب . فتجد فيها الجد مع الهزل ، والوضع مع الاستعارة ، واللب مع الخرافة ، والحقيقة الواقعة مع الأمثال الى غير ذلك من ضروب التفنن والمضادات مما يلقى فيه القارئ احياناً مالا يستطيع الى إدراكه سبيلاً فان عقول هذا العصر غير عقول ذلك العصر السحيق الذي كتبت فيه فلسفة افلاطون .

على ان حكمة افلاطون مع ما فيها من المعميات والمتضادات بقيت ولسوف تبقى ابداً كنزاً من أثمن كنوز العالم فمسائل الشيوعية والاشتراكية وتحرير النساء وتحديد النسل والعود الى الطبيعة والتعليم الحر وغير ذلك من القضايا الفلسفية التي نحسبها اليوم من مبتكرات عصرنا تجدها جميعاً في محاورات افلاطون فوق ماتجد فيها مما يتعلق بما وراء الطبيعة والالاهيات والنظام الأدبي وفلسفة النفس والسياسة والفن وغير ذلك من المواضيع الحكمية المهمة .

اننا نشكر للسيد حنا خباز نقل هذا الكتاب القيم الى اللغة العربية ونشير الى محبي الفلسفة بمطالعته بامعان لانه يقوم مقام مكتبة كتب فلسفية برمتها .

عبد الله رعد

عضو المجمع العلمي

هدايا كتب

أهدى الى مكتبة المجمع الاستاذ الشيخ سعيد بن محمد الشريف الشهير بالزواوي الجزائري كتابين من مصنفاته ٠

(١) (كتاب الاسلام الصحيح) « وضعه على قواعد الاسلام الأصلية المتفق عليها لا المختلف فيها من غير التزام ما لا يلزم مما أحدثه بعض القوم ومن غير اعتماد مذهب دون مذهب » ٠ وقد أفرغه في قالب السؤال والجواب فقدم مباحث العقائد ثم السيرة النبوية فأصول الفقه ففروعه فمباحث أخرى مهمة مما لا يحسن بالمسلم ان يجهله كبحث المذاهب والتقليد والتصوف والولاية والكرامة والمهدي والفرق الاسلامية — كل ذلك في ١٢٣ صفحة مطبوعة في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٥ ٠

(٢) الكتاب الثاني عنونه بكلمة (خطب) وقد كسّره على بحثين البحث الاول في ما هي الخطابة وتقسيماتها والخطباء المشهورين واخبارهم ٠ والبحث الثاني في ذكر طائفة من خطبه التي القاها (بحكم الوظيفة) في جامع (سيدي رمضان) بالجزائر ٠

والمؤلف معروف في دمشق منذ كان نزيلاً فيها قبيل الحرب العامة ٠ وهو من العلماء الذين يميلون الى التجديد والاصلاح الديني عن طريق الدين نفسه ٠ ولا ريب ان كتابيه من خير ما يطالعه المطالعون الذين يهمهم امر دينهم ٠ وصلاح حال أمتهم ٠ كما يهمهم امر أنفسهم ٠

وأهدى الينا الاستاذ الفاضل الدكتور جورج صوايا صاحب جريدة الاصلاح وهو احد ابنائنا المهاجرين في (بوانس آيرس) الممتازين بحميتهم الوطنية — ديوانه الذي سماه (همس الشاعر) وقد قال في مقدمته : انه « نظم بعض قصائده إبان ثورات نفسيه تمر بالشواعر فتحدث فيها ارتجاجات يحاك من وقائعها كلام مرسل او موزون قد يصح ان يسمى شعراً » وضمنه « قصائد كانت الاولى اتلافها انما احتفظ بها لارتباطها بتذكارات طيبة ضنّ برسومها ٠ وحوادث درست لم يُر بأس باستبقاء صداها » ٠

وقد جرى الشاعر الفاضل في أسلوبه على النمط العصري الذي اشتهر به اخواننا عرب المهجر وهو أسلوب نرحب به بشرطين : (أ) ان يكون مفهوماً وهو شرط لا بد منه ٠

(٢) ان لاتخالف فيه قواعد اللغة العربية مخالفة فاحشة . وقد أعجبنا من شعر الناظم قطعة تحت عنوان (أم اللغات) قرّظ بهـا مؤلفاً وضعه باللغة الاسبانية السيد انطون الياس أثبت فيه ان اللغة العربية ام اللغات الحية . والقطعة هي هذه :

(تي — ياأعاجم — أمّ الـ ـلغـات مجـداً وسؤدد)
(فليس أرحب صدراً منها واكرم محتد)
(لو عاد للارض عيسى لهام فيها كأحمد)
(وبات فيهـا يصلي عيسى كأحمدُ ومحمّد)

فلله دره ما أشرف عاطفته . وأصدق لهجته . واكثر من أمثاله في ابناء الوطن العربي .

وكتاب (تلخيص السيرة المحمدية) على صاحبها أفضل الصلاة والسلام جمعها الشيخ محمد صالح احمد الخطيب الدمشقي الحنبلي . وهو كتاب صغير الحجم مدرسي الترتيب وقد طبع على نفقة (مدرسة الامينين) في مطبعة (ابن زيدون) بدمشق .

وأهدي الينا ايضاً كتاب (مختصر تاريخ سوريا ولبنان) معرباً عن الافرنسية بقلم احد الآباء اليسوعيين ومطبوعاً في مطبعتهم . وهو كتاب مدرسي مرتب ترتيباً حسناً . فنلفت اليه انظار المعلمين ومديري المدارس .

وكتاب (مختصر تاريخ فرنسا) يتضمن حوادثه منذ عهد الغالبين القدماء الى هذا اليوم مع لمحة مختصرة عن الحرب العالمية الكبرى . وضعه الاستاذ سليم يوسف خوري رئيس مدرسة صيدا الرسمية طبقاً لبرنامج المعارف العامة وهو كتاب مدرسي ايضاً فنلفت اليه الانظار .

ورواية (مصرع الباغي وخيم) مأساة ادبية ذات ثلاثة فصول وضعها السيد نصرت عبد الكريم سعيد طبعت في (المطبعة المارونية) بحلب . «المغربي»

الفهرس العام

« لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف الهجاء »

« حرف الالف »

صفحة

٣١١ ابراهيم باشا في سورية (كتاب)
٥١٢ أبطال الاسلام «
٢٤٨ ابن تومرت (اخباره كتاب)
١١٨ ابن الجوزي (مؤلف مناقب بغداد)
٤٢١و٤٦١ ابن خالويه
٦٠١ ابو عمر الزاهد (او غلام ثعلب اللغوي)
٢٥١ اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء (كتاب)
٤٤٧ أحاديث المجد والوجد «
١٧ إحصاء محاضرات المجمع
٢٤٨ أخبار المهدي بن تومرت (كتاب)
٧٠١ الإوران وبيدس
٤٠٩ أربد طبريا غير إربد عجلون
١٩٠ أردشير وحياة النفوس (او براالتمثيلية)
٥٠٤و٦٩٧ إرشاد الاريب (حول الجزء السابع والرابع)
٣٨٢ الاستقصا في دول المغرب الاقصى (ترجمته للافرنسية)
٣٨٢ أشعة خاصة بنور الاسلام (كتاب او محاضرة)

صفحة

٦٠ الاشكرلاط والاشقرليط (معناهما في اللغة)
٨ اعضاء المجمع العلمي (جدول باسمائهم)
١٢ اعضاء المجمع العلمي (الاموات منهم)
١٢٨ « « « (صورهم)
١٢٩و١٩٣ أقدم كتاب في العالم
٥٠٨ الألبان (كتاب فيها)
٥٥ ألفاظ عربية لمعان زراعية (٦)
١٧٨ ألفاظ لغوية (تحقيقها)
٣٩٩ أم تسود وأم تبيد (محاضرة)
١٢٧ إنارة الاغوار والانجاد (كتاب)
٢٥٧و٣٢٩و٥٤٥ الاندلس (محاضرة)
٣٢١ الانشاء الخطابي
٢٣٢ الاورنغ هوتن او الرباح
٢٤٤ أوضاع لغوية (التبغيل والمرأب)
٢٤٣ أوضاع لغوية (خمس كلمات جديدة الاستعمال)
٨٠ أهم ادواتنا الاقتصادية (٢)

« حرف الباء »

١٢٨ بدر الدين الحامد (ديوانه)
٧٠٥ بشار بن برد (محاضرة)

صفحة

١٨٩ بلوغ المرام من أدلة الاحكام (كتاب)

(حرف التاء)

١٧٢ تاريخ دمشق لابن عساكر
(نسخة منه في لندن)

٢٤٥ التاريخ السري لاحتلال انكلترا مصر
(كتاب)

١٨٩ تاريخ فنون الحديث «

١٢٧ « المؤتمرات السياسية «

١٣٠ تبدى ايضاً (في اشعار العرب)

١٢٦ التراتيب الادارية والعمالات الخ
(كتاب)

١٨٢ التربية الوطنية «

٢٥٤ تصادم الالوان بين اجناس الانسان
(كتاب)

٣٨٥ تصحيح نهاية الأرب (جزؤه السابع)

٢٤٧ تفسير القرآن الحكيم (كتاب)

٣١٩ تقاريظ (لمطبوعات مختلفة)

١ التقرير الخامس باعمال المجمع العلمي
العربي عن سنة ١٩٢٨

١٩٠ تقويم البشير (كتاب)

٤٤٨ تنبيه الى سهو

(حرف الجيم)

٢٠٣ الجاحظ (ترجمته من تاريخ ابن عساكر)

٥٥٨ « (حول كتابه العبر والاعتبار)

صفحة

٥١١ الجامعة العربية (كتاب)

٢٦٩ و٣٤١ جبل عامل (صلة العلم بينه وبين
دمشق)

٩٩ الجزائر (سبب تسميتها)

٣٨٣ جزيرة رودس (كتاب)

٧٦٦ جمهورية افلاطون «

«حرف الحاء»

٣٦٣ حافظ ابراهيم (حفلة تكريمه)

١٢٥ الحركات الفكرية في الاسلام (كتاب)
(تاريخها : كتاب)

٦٥٤ الحروف العربية (كتابة حركاتها)

٤٣٣ « اللاتينية (استبدالها بالعربية)

٢٤٦ الحكم المطلق في القرن العشرين (كتاب

«حرف الخاء»

١٢١ خطط الشام (تقريظ لجزئه الخامس)

٣٠٨ خليفة عباسي (اثر له)

«حرف الدال»

٧٠٤ الدروس العربية للمدارس الثانوية
(كتاب)

٤٩٠ الديارات (مخطوط)

٢٤٧ ديوانان نفيسان (كتاب)

«حرف الذال»

٦٣٢ ذات الزيتون هي الزيتونة اوغيرها ؟

صفحة

٥٧٥ ذيل وذيل الذيل لكتاب الصكوك الحقوقية (كتاب)
٣٨١ ذو القرنين (بالعربية والاسبانية)

« حرف الراء »

٢٣٢ الرناح (هو الاورنغ هوتن)
٧٠٣ الرحلة العلمية في العواصم الشرقية والغربية (كتاب)
١٨٤ رسائل اخوان الصفا (طبعتها الجديدة)
١٩٣ رواية الملكين (اوبرا تمثيلية)

« حرف الزاي »

٩٥ الزماح (تحقيق معناه اللغوي)

« حرف السين »

٥٦٣ السعادة والاسعاد (مخطوط)
١٨٣ سلطنة المغول (كتاب بالافرنسية)
٧٤٢ سليم البخاري (ترجمة حياته)
٥١٢ سورية ولبنان (كتاب بالافرنسية)

« حرف الصاد »

٦٦١و٧٢٣ صدر الدين الشيرازي (ترجمة حياته)
٣٨٤ صلاح الدين الايوبي وعصره (كتاب)
١٠٥و٦٨٧ صلاح الدين الصفدي (مجموعته اوالتذكرة الصلاحية)
٤٤٨ صحيح البخاري (جزء منه)

صفحة

« حرف الضاد »

١١٧ الضاد والظاء (لفظهما)

« حرف الطاء »

٣١١ طرابلس الشام (تراجم علمائها : كتاب)

« حرف العين »

٥١٣و٥٧٧ عبد الحميد الكاتب (محاضرة)
٤٩٨ عدة الكاتب (كلمات لغوية)
٦٩٩ العربية (اصلها وتاريخ استعمالها في اللغة العربية)
٤٧٢ علوم العربية وآدابها (نظرة في قواعدها)
٢٤٩ عوائد العرب (كتاب)

« حرف الفاء »

٣١٢ فجر الاسلام (كتاب)
٥١١ الفراسة لفليمون وجمل احكام الفراسة للرازي (كتاب)
٧٥٠ الفرق بين تربيتنا وتربية اهل الغرب (محاضرة)
١٠٩و٢٩٢و٦٩٤و٧٦١ فصح وشوارد
١٤٠ فصحاء الاعراب (محاضرة)
٤٤١ فلسفة اللغة العربية وتطورها (كتاب)
٢٢٦ فوائد لغوية
٧٠٤ فوزي الغزي (كتاب في ترجمة حياته)
٧٧٤ فهرست الاعلام
٧٦٩ الفهرس العام

صفحة

١٢٥ فهرس النهارس (جزؤه الاول: كتاب)

« حرف القاف »

٢٤٩ قانون العقوبات (شرحه: كتاب)
٣٨٠ قرآن فرنسا (رسالة بالافرنسية)
٥١٠ القاموس العصري (كتاب)
٢٥٠ القضاء الجنائي «

« حرف الكاف »

١١٩ كتاب مناقب بغداد (كلمة فيه)
٢٥١ كثيّر عزة (شرح ديوانه)
٢٨٠ الكرم (رسالة فيه)
١٦٩ كرنكو (المستشرق ترجمته بقلمه)
٥٨ الكلمات غير القاموسية (جواب الشيخ احمد رضا عليها)
١٠٣ « « « السيد رشيد بقدونس
٤٨٤ « « « سليمان ظاهر
٣٥٥ « « « عيسى اسكندر المعلوف
١٧٦ « « « قسطاكي الحمصي
٢٨٩ « « (بحث حولها)
٢٤٨ الكمات (كتاب)
٢٢٦ كلمات جديدة للاستعمال (فوائد لغوية)

« حرف اللام »

٢١٨ لا اباك (اختلاف النحاة في اعرابها)
٥٧٦ اللؤلؤ المنضود في دفع نقود (كتاب)

« حرف الميم »

صفحة

١٢ المتبرعون للمجمع (جدول باسمائهم)
٢٩ المجمع العلمي (آراء الفضلاء فيه)
٢٤٥ المجمل في تاريخ الادب العربي (كتاب
١٧ محاضرات المجمع (جدول بها)
٤٤٣ محمد صلى الله عليه وسلم
(حياته الشريفة بالافرنسية)
٥٧٤ محمد صلى الله عليه وسلم
(شخصيته: رسالة بالانكليزية)
٢٥٢ المخطوطات العربية (في الاسكوريال
قائمة باسمائها: كتاب)
٤٤٩ و٥٣٢ المداخلات او المداخل (مخطوط)
٣٠٢ و٣٧٥ مدرس ومعاوة (موازنة بينهما)
١٨٣ المدرسة والاجتماع (كتاب معرّب)
١٨٨ المرأة في نظر الاسلام «
٥٧٤ مرافئ سورية وفلسطين
(كتاب بالافرنسية)
٢٥٥ المسلمون والنصارى (رسالة)
١٢٣ مصر (كلمات في سبيلها «)
٣٨١ مصطفى كال (كتاب بالافرنسية)
٦٥ مطالعات لغوية
٦٢ معجم المطبوعات العربية والمعربة «
٣٨ معرض الصنائع الشرقية (في دار المجمع)
١٨٧ المفضليات (طبعتها الجديدة)

صفحة

١٨٩ مفتاح السنة (كتاب)
٧٠٣ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين (كتاب)
٢٤٠ مكاتب الاستانة (مخطوطاتها)
٦٣٧ مكتبة بلدية الاسكندرية (فهرسها)
٢٤٤ ملاحظات
٢٣٦ منادح المادح (مخطوط)
٤٣٩و٦٣٤ مناقب بغداد (لابن الجوزي: كتاب)
٦ الموسيقى العربية (تاريخها بالانكليزية)

« حرف النون »

٤٠و١٦٠ النجوم الذوابت (اسماؤها)
٣٧٨ النجوم الشارقات (حول تسميته)

صفحة

٦٨١ نزهة العيون في اربعة فنون (مخطوط)
٦٣ النشرة الدورية لدار الكتب المصرية (كتاب)
٣٨٠ نصارى الشرق (كتاب بالافرنسية)
٢٥٠ النقد التحليلي (كتاب)

« حرف الهاء »

٣١٤و٥٠٦و٦٣٨و٧٦٧ هدايا كتب
٦٢ هدية الكشاف المسلم (كتاب)
٧٦٤ الهمزة (كتابتها)
٦١٧ هواء المدن (محاضرة)

« حرف الياء »

٦٤١ يهود الشام (محاضرة)

فهرست الاعلام

«اي اسماء كتّاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم»

« حرف الالف »

صفحة

٦٦١و٧٢٣ ابو عبد الله الزنجاني
٤٢١و٤٦١ احمد الاسكندري
٥٨ احمد رضا
٤٧٢ ادوارد مرقص
١٩٠و١٩٢و٢٥٢ اسعد الحكيم
٤٠و١٦٠ امين المعلوف
٦٠و٩٥و٢٣٢و٣٠٤ انستاس الكرملي

« حرف التاء »

٤٩٠ توفيق ابيكاريوس

« حرف الجيم »

٦٣٢و٦٩٩ جرجس منش

« حرف الحاء »

٦٢و٦٣و٦٣٤و٦٣٧ حسني الكسم

« حرف الخاء »

٥٧٤و٦٣٥ خليل مردم بك
٣٧٣ خليل مطران

« حرف الدال »

١٠٥ داود الچلبي

« حرف الراء »

٧٦٤ راضي دخيل

صفحة

٣٧٨و٤٣٩و٥٠٤ راغب الطباخ
١٠٣ رشيد بقدونس

« حرف الزاي »

٢٤٠ زكي مغامز
٦٥٤ زهير الشهابي

« حرف السين »

١٠٩و٢٩٢و٤٩٨و٦٩٤و٧٦١ سالم خليل رزق
٧٤٢ سعيد الباني
٢٨٠ سليم الجندي
٢٦٩و٣٤١و٤٨٤ سليمان ضاهر

« حرف الشين »

٣٧١ شفيق جبري
٦٥و١٧٨ شكيب ارسلان

« حرف العين »

١٢١ و١٨٢ و١٨٣ و٢٥٧و٣٢٩و٤٤٣ و٤٤٧و٥٤٥و٥٧٥ و٦٥٧ عارف النكدي
٢٤٢ عباس محمود العقاد

صفحة

١١٩ و١٢٩ و٩٣٠ و٤٤٩و٥٣٢و٦٠١ عبد العزيز الميمني الراجكوتي

٢٥٥و٧٦٦ عبد الله رعد

١١٨ و٢٣٦ و٤٠٩و٧٠١ عبد الله مخلص

٣٥٥ عيسى اسكندر المعلوف

« حرف الفاء »

٤٣٣و٥١٠ فارس الخوري

١٢٠ و١٦٩ و٢٠٣ و٢٨٩و٣٧٥و٥٥٨ و٦٨٧ فريتس كرنكو

٣٢١ فياض (الدكتور)

« حرف القاف »

١٧٦ قسطاكي الحمصي

« حرف الكاف »

٢١٨و٦٨١ كامل الغزي

« حرف الميم »

٩٩ محمد بن ابي شنب

١و٣٨و١٢٥و١٩٠و٢٤٥ و٢٤٦و٣١١و٣٦٣و٣٨٠ و٣٨١و٣٨٢و٣٨٣و٣٨٤ و٥١١و٥١٢و٥١٣و٥٦٣ و٥٧٧و٧٠٣و٧٥٠ محمد كرد علي

صفحة

٦٩٧ مرجليوث

٦١٧ مرشد خاطر

٦٢و١١٧و١٢٥و١٢٦و١٢٧ و١٢٨ و١٨٤ و١٨٧ و١٨٨ و١٨٩ و٢٤٧ و٢٤٨ و٢٤٩ و٢٥٠و٢٥١و٣١٢و٤٤٨ مسعود الكواكبي

٢٤٤ مصطفى الزرقة

٥٥و٨٠و١٢٣و٢٠٤ و٥٠٨و٥٧٤ مصطفى الشهابي

١٤٠و٢٢٦و٢٤٧ و٣٠٢ و٣٠٦و٣١٤و٣١٩و٣٨٥ و٤٤١و٥٠٦و٥٧٦و٦٣٨ و٦٤١و٧٠٤و٧٠٥و٧٦٧ المغربي

٤٣٣ المقطم (مقال عنه)

« حرف النون »

٣٩٩ نقولا حداد

« حرف الواو »

٣٠٨ وامق شكري

Bibliotheca Alexandrina
0652782